



# حكايتي مع الزعتر



الدكتور عبد العزيز اللبدي



# حكايتي مع تل الزعتر

الدكتور عبد العزيز اللبدي

في الذكرى الأربعين لسقوط المخيم  
١٩٧٦/٨/١٢

الإهداء

إلى أهالي تل الزعتر  
الذين علموني الصبر والصمود  
والإبداع.

الفهرس

- المقدمة - حكايتي مع تل الزعتر  
١- البداية في ألمانيا  
٢- لبنان  
٣- الهلال الأحمر الفلسطيني  
٤- الحرب اللبنانية: الجبهات المتصارعة  
- الجبهة اللبنانية



- الحركة الوطنية اللبنانية  
- منظمة التحرير الفلسطينية  
- سوريا

- ٥- الحرب
  - ٦- الذهاب إلى تل الزعتر
  - ٧- المخيم
  - ٨- الهلال في المخيم
  - ٩- الدكتور يوسف عراقي
  - ١٠- الحصار
  - ١١- يوميات الحصار
  - ١٢- الحصار الأخير
  - ١٣- بنائة قدورة
  - ١٤- الملجأ المصيدة
  - ١٥- الصليب الأحمر الدولي
  - ١٦- يوم المذبحة
  - ١٧- الخروج من الجبل
  - ١٨- الخاتمة.
  - ١٩- وماذا بعد؟؟
- ملحق: التجربة الطبية في تل الزعتر

### حكايتي مع تل الزعتر. !!

كنت في سيارة الدكتور حسن الناطور رباعية الدفع، وهو طبيب أسنان مشهور في لبنان، وهو يشرح لي أسماء المناطق التي أعرفها منذ كنت في تل الزعتر، ولكن بدون أن أراها، هذه النبعة وهذه برج حمود، وهنا المسلخ، وأخيراً وصلنا إلى تل الزعتر، حيث قرأنا الفاتحة، ونحن في السيارة، ونظرت إلى مكان المخيم، الذي لم يبق منه شيء، لا التنك ولا البناء على أطرافه، هنا دير الراعي الصالح في أول المخيم من الغرب.، وحسن الناطور كان مقاتلاً في تلك الأيام، ثم ذهب إلى كوبا ودرس طب الأسنان، وتخصص في جراحة الفك، وهو يعمل الآن في بيروت. وقد تشتت العائلة. فأخوته في برلين، والبقية منتشرين مع أبناء المخيم في كل مكان.

لم أكن أعتقد أنني في يوم من الأيام سوف أعود إلى تل الزعتر، ليس لأنني نسيت، فهو مرحلة مهمة في تاريخ الثورة الفلسطينية، كما أصبح جزءاً من حكايتي مع تل الزعتر

تاريخي الشخصي بعد أن عشت في المخيم في أهم مرحلة من تاريخه، وتعرفت إلى ناسه وأهله الذين هم أهلي ، الذين احتضنوني فترة الحصار وفترة المعارك الأخيرة، فلم أشعر في لحظة إني غريب عنهم ، فأكلت العدس ودخنت القمبز كما فعلوا. وعشت نهايته الحزينة والمذابح التي افتعلها الفاشيون أثناء الخروج. ولكن خصوصية التجربة وعمق المأساة التي وقعت تجعل من الصعب نسيانها ، وقد أصبحت تنير طريقي، وتحدد لي معالم الطريق في أهمية العمل الجماهيري وتبرز أهمية الانسان في أي مشروع جديد. وقد تناولها عديد من الباحثين والمؤلفين بشيء من الاستفاضة والتوثيق مما سهل على تقديم تجربتي المتواضعة إمعاناً في دراسة التجربة العميقة التي خاضها المخيم كمرحلة من مراحل الحرب اللبنانية. وكنت مشغولاً بمهمات أخرى مثل متابعة التحصيل الدراسي في التخصص الجراحي الذي افتقدناه في عملنا في المخيم والعمل في جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني أو العودة مع السلطة الفلسطينية بعد اتفاقية أوسلو، حيث حاولنا تأسيس خدمات طبية عسكرية في ظروف صعبة. ثم كتابة القاموس الطبي العربي، وهو أيضاً نابع من تجربتي المهمة في المخيم حيث أدركت أهمية سلاح العلم إذا وضع بيد الجماهير، ليصبح العلم قوة مضافة إلى قوة الجماهير والحركات الشعبية بشكل عام. وأدركت لماذا يحاول الغرب حرماننا من استعمال لغتنا العربية في علوم الطب والعلوم الأخرى، حتى لا نخرج عليه ونتحرر من سطوته العلمية في جميع المجالات. وكان من التجارب المهمة التي ألهمني تل الزعتر بها هي تجربة حرب ١٩٨٢، حيث تطوعت مع الطلبة الدارسين في الخارج للدفاع عن الثورة الفلسطينية المحاصرة في بيروت، بعد أن ساهمت في تأسيس أول اتحاد للطلبة الفلسطينيين في ألمانيا، وانتخبت رئيساً له. وكان أن وصلنا متأخرين، وقد أغلقت الطرق واكتمل الحصار على بيروت، فبقينا في سوريا، بضيافة جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، وكانت كمية الطلبة والأطباء المتطوعين كبيرة وبحاجة لتنظيم، وإسندت مهمة الخدمات الطبية لي كمدير سابق في بيروت، فبدأت بعمل نقاط الإسعاف وإشراك التنظيم في محيط المعركة استعداداً لنقل الجرحى واحتياطاً لتوسع المعارك إلى المناطق اللبنانية القريبة، فأقمنا نقاط أسعاف في بعلبك وبر الياس والبدوي ونهر البارد، كما عملنا على تقوية مستشفى حمص ومستشفى يافا في مخيم اليرموك. ولكنني لم أكمل العمل لإصابتي بحادث سير أثناء التنقل إلى حمص في سيارة الإسعاف، فأخرجني من الساحة.

بدأت بالعودة إلى كتابي عن أوراق تل الزعتر ، والتي سجلت فيها يومياتي في الفترة الأخيرة للحصار والتي سبقت الخروج من المخيم، حيث كان الجو في تلك الفترة يركز على أهمية المعركة النهائية في المخيم والبطولة اللامتناهية لشباب المخيم في الدفاع عنه حتى آخر لحظة. كما راجعت كتاب توأمي وصديقي الدكتور يوسف عراقي الذي تشاركت وإياه في جميع الذكريات والأنشطة في المستشفى وفي المخيم. ولم أفاجأ عندما وجدت المعلومات القليلة عن المخيم، فلم تكن كتاباتنا في تلك المرحلة بعد سقوط المخيم تغطي كل أنشطة المخيم ولا تغطي الأشخاص الذين ساهموا في صنع البطولة الجماعية في المخيم، ذلك أن الفرد في تل الزعتر اندمج في الجماعة وأصبح الفرد هو الجماعة ، هو الثورة. إن التأثير المتبادل بين الأفراد والثورة وبين الأفراد



والأفراد هو الذي جعل الفرد بطلاً ، ولم يكن الفرد بطلاً بذاته، بل كان بطلاً بالجماعة وباسمها، لذلك فإننا عندما نعظم بطلاً في تل الزعتر ، فإننا نعظم فيه الجماعة، نعظم الجماهير التي صنعت المعجزة.

كان الحصار عاملاً أساسياً في توضيح طبيعة التناقضات وطريقة حلها، جاء الحصار وبدأ الوعي ، وبدأ الإعداد والاستعداد ، وأصبحت قضية الثورة هي الشغل الشاغل، بعيداً عن متهافت التناقضات الثانوية بعيداً عن المزایدات، فالعدو أمامكم والعدو ورائكم، والسفن قد أحرقت، وكانت البطولة الجماعية.

إعادة الكتابة تعني بعد هذا الوقت الاطلاع على معلومات لم تكن متاحة أثناء الحصار، وأصبحت متاحة في عصر الانترنت، ولكن التناقضات الرئيسة بقيت كما هي، مخيم محاصر يناضل من أجل فك الحصار ومن أجل الحياة، وهذا ما صنع الفرق، والذي سبب هذا الاستبسال في الدفاع والذي سمي بطولة.

إنها محاولة لفهم ما جرى بعد أربعين عاماً على الحدث، لفهم التناقضات التي كانت سائدة في تلك المرحلة، ولماذا حلت بهذه الطريقة اللإنسانية ، وفهم الجبهات المتصارعة على الساحة اللبنانية ، محاولة لفهم هذا الألم الذي يخترنه سكان المخيم فيجعلهم يصرون على هويتهم وانتمائهم للمخيم. والذين كلهم يدؤا بذرف الدموع عند الحديث عن الذكريات في المخيم. وإني أسف على إثارة أشجانهم وتذكيرهم بمأسيتهم التي لم تندمل..ومحاولة لفهم الخلفيات التي تحكمت بالصراع الدائر حول المخيم. كان هدف المرة الأولى تعبويًا، ولكن الهدف الآن هو محاولة للفهم والتفكر، خصوصاً بعدما جرى في البلاد العربية جميعاً، والذي يجعلنا نقول، لقد أكل العرب يوم أكلت فلسطين مثل الثور الأبيض. فهل نتعظ، أم فات الأوان.

لم تكن نرجسية أن أذكر بعض اللمحات عن تجربتي الشخصية قبل الحصار، ولكنني أعتقد أن هذه التجربة هي التي أهلتني للبقاء في المخيم والصمود في الحصار، فكانت الحياة في المخيم والتجربة المميزة التي عشتها هناك استمراراً للتهيئة التنظيمية والجماهيرية التي عشتها في دراستي وحياتي السابقة. ولا بد من الإعراف بأهمية العمل التنظيمي والجماهيري الذي تم في المخيم وساعد في فهم الحصار وتحمله طيلة هذه المدة.

لا بد لي من التنويه بجميع الذين ساعدوني في تذكر هذه الحقبة المؤلمة من حياتي، وحياة الشعب الفلسطيني وشكرهم جزيل الشكر. في مرحلة المدرسة الأستاذ حسن أبو الهيجا، ومن مرحلة ألمانيا الأخوة إبراهيم عدوان وعكرمة عفانة، ومن تل الزعتر أخص بالذكر الأخ نبيل معروف والأخ أبو أدهم عامر، والأخ الدكتور يوسف عراقي والأخ يوسف الناطور والسيدات فاديا سالم وزينب قاسم وأمينة عراقي وبهاء العبدالله وصباح عوض، والأخ معين السعيد ، والأخ عارف طه، والأخ أحمد الناطور وأحمد عوض والأخ الدكتور حسن الناطور وسفير فلسطين في بيروت الأخ أشرف دبور. الذي كان شبلاً في أيام الحصار. وجمعية تل الزعتر في بيروت وبرلين، وخاصة للصور التي زودوني بها عن الشهداء والمخيم. وجمعية الحولة في برلين. والأخ الدكتور سمير أيوب، الذي أضاء على الكثير من النقاط المهمة. لمعرفته بجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، وكونه أحد الأشخاص الذين اهتموا بمتابعة الحصار كمسؤول للإعلام في

الجمعية. وكذلك الأخ معين الطاهر الذي تفضل بمراجعة الكتاب قبل طباعته،  
وأبدى ملاحظاته المهمة.  
عبد العزيز اللبدي ٢٠١٦

## ١- البداية في ألمانيا

كانت الطائرة قد هبطت في مطار بيروت، وبدأنا بالخروج عندما كان يذاع خبر  
استشهاد الزعيم معروف سعد في صيدا ١٦ آذار ١٩٧٥، كان معروف سعد زعيم  
صيда بلا منازع، وكان يقود مظاهرة للصيادين في صيدا ضد احتكارات شمعون في  
البحر، وأطلقت عليه رصاصة أردته قتيلاً، وكتب بعد ذلك أنها فتيل أشعال الحرب  
اللبنانية التي استمرت طويلاً، بمختلف الذرائع.

كنت عائداً من برلين بعد أن شاركت في المؤتمر السنوي لفرع اتحاد طلبة  
فلسطين فرع ألمانيا الشرقية. وقد عقد المؤتمر رغباً عن ممثل منظمة التحرير  
الفلسطينية في برلين نبيل قليلات، الذي كان قد أمر بطردي من ألمانيا بعد  
إنهاء دراستي للطب في جامعة جرايفسفالد في الشمال، وبدء دراستي  
للتخصص في الجراحة، ولم يتح لي تسليم مهامي في رئاسة الفرع في الاتحاد،  
حيث كنت رئيساً منتخبا في الدورة الأخيرة لمدة عام. كان الخلاف على التنظيم  
وقيادة التنظيم، وكان أعضاء الاتحاد قد اتفقوا معي على عقد المؤتمر في آذار  
ولم يخبروا قليلات بذلك حتى حضرت بغير معرفته. كان حضوري مفاجأة، وكان  
المؤتمر مفاجأة أخرى فقد نجح الطلاب ذوي التوجه التنظيمي، رغباً عن  
محاولات المكتب، الذي كان يحاول تنصيب زلمه في الاتحاد.

لم أكن أدرك في تلك اللحظات أن هذا ما كان يجري على مستوى فتح بأكملها،  
فقد كان يجري العمل على تهميش وإنهاء التنظيم في كل مكان، واستبداله بزلم  
للقائدات وموظفين يعتمدون عليهم في معيشتهم، ولا يرفضون أي أمر ولا  
يناقشونه.

وكان نبيل قليلات يشكل خيبة أمل لطلاب ألمانيا، فهو من الدارسين في ألمانيا  
الغربية قبل أن يصبح عضواً في اللجنة التنفيذية لاتحاد عام طلبة فلسطين حيث  
انتخب في مؤتمر عمان ١٩٦٨، بعد أن رشحه التنظيم، وعين مندوباً للمنظمة  
في برلين بعد انتهاء مدته في الاتحاد، فجاء بعقلية الشرق الأوسط والاستزلام  
والهيمنة، والتي كنا قد ابتعدنا عنها في ألمانيا في محاولة التأقلم مع الحياة  
هناك.

القادم من ألمانيا الغربية كان متعوداً على الانفتاح والديموقراطية، فالأعضاء  
يتبرعون شهرياً لحركة فتح، ويناضلون لكسب الأكثرية في اتحاد طلبة فلسطين  
من الجبهات الأخرى مثل الجبهة الشعبية التي كانت نشيطة في كولونيا،  
والجبهة الديموقراطية التي كانت نشيطة في هايدلبرغ. وفي مؤتمر الاتحاد عام



١٩٦٨ والذي حضره عضو اللجنة المركزية لحركة فتح أبو السعيد خالد الحسن قال لنا، أنه استلم هذه السنة من التنظيم في ألمانيا، ويشمل اتحاد الطلاب واتحاد العمال، أكبر مبلغ يصل الحركة وهو ما يعادل ربع مليون مارك ألماني.. وسررنا في المؤتمر من هذا الخبر وكان دافعاً لتنشيط العمل الطلابي. كان الشباب في ألمانيا قد بدأوا يتأقلمون مع الحضارة الألمانية ويفكرون بطريقة ألمانية منظمة، رغم البرمجة الشرقية المسبقة، ولكن قيم النظام والتنظيم أصبحت عادية وتشربناها رغم أنوفنا، فلا مجال للتمرد على النظام الألماني الصارم. وهذا ما صعب إعادة التأقلم مع العقلية والعادات العربية بعد العودة إلى الوطن. الطلبة في ألمانيا الشرقية كانوا مبتعثين من منظمة التحرير الفلسطينية، ويتقاضون منحة دراسية، ولذلك كان مندوب المنظمة قادراً على التأثير على مستقبلهم، وإعادتهم إلى بلادهم إذا عارضوه.

\*\*\*

قدمت الطلبات بعد أن أنهيت التوجيهي الأردني، للدراسة في ألمانيا الغربية عن طريق شقيقي محمود اللبدي في جامعة بون وكان يدرس الإقتصاد السياسي. وبقيت أنتظر القبول، وتأخرت تلك السنة ١٩٦٥ حتى انتهاء موسم الزيتون المهم في فلسطين.

في اليامون، كان والدي يمتلك معصرة للزيتون، وحيث أنني كنت في الانتظار، فقد عملت مساعداً لوالدي في إدارة العمل، وكنت عامل احتياط لمن يغيب من العمال، من المكبس إلى الفرازة، إلى تنظيم الدور، فتراني انتقل من مكان لآخر، ولا أحد وقتاً لتناول الطعام، وأنام في المعصرة بين أكياس الزيتون، وعلى المكامر، بلا غطاء. كانت المعصرة تحتوي على أول جهاز لتوليد الكهرباء في البلد، وكانت الكهرباء تضيء الشارع والحارة وبيتنا الذي لم أراه لعدة أيام من الانشغال في العمل الذي يجري في الليل والنهار. لم يتأخر القبول بعد الموسم وتوجهت مع يوسف اسماعيل الذي حصل على قبول لدراسة العلوم السياسية في بون، وهو زميلي من اليامون. توجهنا إلى ألمانيا بطريق البر بعد أن حصلنا على الفيزا من السفارة الألمانية في عمان.

وصلنا إلى بون وذهبنا نبحث عن عنوان محمود في درانسدورف، كان يسكن في غرفة صغيرة في بيت تسكنه عجوز ألمانية مع كلبها. احتفى بنا، وفي اليوم التالي ذهبنا معه نبحث عن عمل. ثم عن غرفة نقيم فيها، واستقرت الأمور في ذلك البرد الشديد. ولم نعرف كيف سنتأقلم مع ذلك البرد في تلك السنة، ولا مع السماء القاتمة والتي لا ترى الشمس. أخذنا محمود معه إلى اجتماع الهيئة العامة لفرع بون في اتحاد طلبة فلسطين، حيث تم انتخاب هيئة إدارية جديدة، وانتخبوني عضواً في الهيئة الإدارية، وسلموني المسؤولية المالية. كانت تجربة ممتازة لأنني تركتها في آخر السنة في الانتخابات الجديدة وقررت أنني لن استلم المالية مرة أخرى، ولم أفعل طوال حياتي.. في ذلك الاجتماع تعرفت على بقية الطلاب الفلسطينيين في بون الأعضاء في الفرع، وكان أكبرهم سنناً ماجد العبوشي<sup>١</sup> الذي كان على وشك التخرج من كلية الطب. وحسن حمدان من

<sup>١</sup> عاد إلى فلسطين وعمل في مستشفى جنين بعد تخرجه، وقتل أثناء الانتفاضة الأولى في المستشفى

جنين أيضاً، الذي بقي عضواً في الاتحاد رغم تقليل نشاطه بعد زواجه من صديقه الألمانية، وكذلك رفيقحمدان من جنين ، وأحمد الراس الذي يدرس الطب(من غزة). و طلاب آخرين لم أعد أذكرهم .كنا في المدرسة قد بدأنا نسمع عن القوميين العرب ونقرأ لغسان كنفاني، وسمعنا عن العاصفة التي بدأت العمل من سوريا ، وسمعت في الاجتماع أخباراً أكثر لفتت انتباهي. كان العمل في الفرع رتيباً إلى حد كبير ، والطلبة مشغولين بتدبير معيشتهم، فمعظمهم استفاد من ظروف ألمانيا بعد الحرب ، حيث بدأ مشروع مارشال وضخت الأموال الأمريكية في ألمانيا لإعادة إعمارها، فخلقت فرص عمل فاقت الموجود في البلاد مما أتاح الفرصة للعمال من خارج ألمانيا للحصول على فرصة عمل هناك.

\*\*\*

كان جيلنا يعيش في مرحلة عبد الناصر وشعارات القومية العربية وتحرير فلسطين، من النهر إلى البحر، وكنا نعيش مع عبد الناصر كامل وحيد في العمل الوطني، خاصة بعد تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي، وخروجه منتصراً بدعم الشعب المصري، الذي تحمل أعباء الحرب والقتال في بورسعيد وقناة السويس. واهتجنا فرحاً بتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في عام ١٩٦٤، وخرجت فلسطين بأسرها فرحاً بهذا الحدث السعيد، بعد إلغاء الهوية الفلسطينية لعقود، وجمال الشقيري في مدن الضفة الغربية من فلسطين، وجاء إلى جنين عام ١٩٦٥ حيث خرجت المدينة تستقبله استقبال الفاتحين، وامتلأت سينما جنين بالذين استمعوا لخطابه، وكنت حاضراً، ورأيت وهو يخرج، والآلاف تهتف وتساله أن يلقي خطاباً في الجماهير المحتشدة، وأشار لهم أنه سيتحدث بعد قليل، وسار الموكب يدفع الناس، والناس تنتظر، وهو يقول بعد قليل، وظل الموكب سائراً ولكنه اختفى في النهاية بدون كلمة، وشعرت بطعنة ، وأن الرجل غير صادق في تعامله مع الناس. وكان تفجير نفق عيلبون أول عملية للعاصفة، في اليوم الأول من عام ١٩٦٥ إشارة إلى تغيير في الاتجاه، وبداية عمل فدائي جدي من أجل فلسطين. وبدأ الشباب يتناقلون الأخبار.

وجاءت نكسة حزيران ١٩٦٧ التي وقعت كالصاعقة على رؤوس الطلبة في الخارج، حيث انقطع ما كانوا يحصلون عليه من الأهل من معونات، وساهمت الحكومة الألمانية والجمعيات غير الحكومية في مساعدتهم. وأصبح الرجوع إلى البلاد ممنوعاً، حيث أجريت إحصائيات للذين يقيمون في الضفة الغربية المحتلة، وشردنا مرة أخرى من بلادنا. وكانت مأساة إنسانية جديدة للشعب الفلسطيني الممزق منذ عام ١٩٤٨، وازداد تمزقه وتشرده، فتقطعت العائلات والعلاقات الاجتماعية، وبحث الجميع عن وطن جديد للتأقلم مع هذه الحالة الجديدة.

عبد الناصر لم ينكسر ، حاول استعادة ما خسره في الحرب في حزيران ، وبدأ بتجهيز الجيش المصري لاستعادة سيناء، وكانت حرب الإستنزاف في السويس والقناة، انتهت بحرب أكتوبر بعد وفاة عبد الناصر، حيث استعاد الجيش المصري

سيناء ، وأضاعت سياسة الرئيس أنور السادات ما حققه الجيش المصري من ملاحم.

في الذكرى الأولى للحرب قرر الطلاب العرب في النادي العربي إقامة مظاهرة كبيرة في بون للاحتجاج على الاحتلال الاسرائيلي في وسط البلد في ساحة مونستر، عند تمثال بيتهوفن. كنت نشيطاً في الاتحاد ولكنني فجأة شعرت بألم شديد في البطن، وبدأت في التقيؤ، في الطريق إلى البيت كان يقع مستشفى القديس يوحنا، مررت عليه، لأرى ما المشكلة، وإذا بي أصحى في اليوم التالي وقد أجريت لي عملية الزائدة الدودية. جئني الجراح في اليوم التالي ليريني الزائدة المنفجرة، وقال أنه بالكاد لحقني قبل أن تلوث بطني وتسبب لي التسمم. المهم بقيت في المستشفى ، وأنا مشغول بالمظاهرة والتحضير لها، تحسنت تدريجياً وبدأت المشي، في اليوم الثاني قررت الخروج والذهاب إلى النادي العربي حيث تجري التحضيرات للمظاهرة، وبدأت المظاهرة عند الظهر. جاء مندوب البي بي سي يطلب حديثاً إذاعياً.

كان نور الدين عبد الهادي صحفياً من جنين، ويقيم في ألمانيا، مع عائلته، وكان قد جاء للدراسة في ألمانيا قبل الحرب، وعلق هناك، بعد زواجه. وتحدثت معه، وانتشر الحديث في البلد، وتساءل الناس عن علاقة الطب بالسياسة؟ ولكن والدي كان فخوراً.

النادي العربي كان تابعاً للسفارة المصرية، وكان من ضمن خطة عبد الناصر في تنشيط العمل العربي المشترك وتوحيد الطلبة وراء قيادته، وكان المسؤولين عنه من الطلبة "الدائمين"، يعني الذين يسجلون في الجامعة منذ مدة طويلة، ولكن لا يدرسون. ويعتبرون موظفين في السفارة بطريقة أو بأخرى . وصلت إلى النادي لأجد ورشة وخليّة نحل من الشباب من مختلف الدول العربية، فمنهم من يكتب اللافتات، ومنهم من يدبسها على العوارض، وفي زاوية يتناقش البعض عن كيفية مواجهة البوليس إذا هاجم المظاهرة، مع أن المظاهرة مرخصة من البوليس والسلطات الألمانية. ساهمت في كتابة اللافتات ، وتجمع بعض الطلبة الألمان ومعظم الطلبة العرب في بون. وبدأ وقت التحرك يقترب. كنت أهتف في المظاهرة مع الطلاب عندما بدأت ادوخ، فجلست أخذ نفساً من الإجهاد. كانت ساحة مونستر مليئة بالمتظاهرين من عرب وألمان، وقد ملأت الصور صحيفة المدينة في اليوم التالي.

كان أخي محمود اللبدي قد انضم لتنظيم فتح منذ دخوله إلى الجامعة، فقد اتصل به هاني الحسن ودار بينهما حوار طويل حول الكفاح المسلح ودور الطلبة والتنظيم في دعم ثورة الشعب الفلسطيني. ولم أشعر منذ بداية قدومي أن محمود يعمل على تجنيد الشباب الجدد في فرع بون وأنا منهم. كان محمود يكبرني ستة سنين، وكان بمثابة المثل الأعلى لي ولإخوتي الأصغر سناً، وكان طموحه وخبرته السابقة في العمل في الكويت، وعمله الشاق من أجل تمويل دراسته في ألمانيا، يجعلانه أكبر سناً مما هو عليه، وقد حافظنا على علاقة متميزة طيلة فترة الدراسة وما بعدها.

بعد سنة من الاختبار والتعبئة والعمل في اتحاد طلبة فلسطين، وكنت قد أنهيت السنة التحضيرية، وبدأت في دراسة الطب في جامعة بون، انضمت

لحركة فتح وبدأت أقرأ أدبيات الحركة عن تحرير فلسطين وأن تحرير فلسطين هو طريق الوحدة العربية و لا يجب أن ننتظر حتى تحقيق الوحدة من أجل تحرير فلسطين، وأن صراع الايديولوجيات يأتي بعد التحرير لأن التناقض الرئيس هو مع العدو الصهيوني، ويجب التركيز عليه، وبعده نبدأ بعلاج المجتمع بالأيديولوجيات ويبدأ الصراع الطبقي. كانت الأفكار تبدو لنا واقعية ومنطقية، لا تغرقنا في الظروف العربية وتتيح لنا كفلسطينيين التفرغ لقضية فلسطين وبعدها يحلها الحلال. وبدأنا نتعرف على الثقافة السياسية والمدارس السياسية، وبدأ النشاط يزيد والمسؤوليات تكبر، من خلال الاجتماعات المستمرة والمناقشات والسياسية والدراسات الفتاوية التي كنا ندرسها، لخلية فتح في بون التي كنت أحد أعضائها.

اقترح أحد الشباب عمل فرقة فنية للتراث العربي والفلسطيني، تزور الجامعات وتحيي أمسيات عربية في هذه الجامعات لزيادة الوعي بالقضية العربية والفلسطينية. وشاركنا مجموعة من الطلبة السوريين والمصريين، كما شاركت المتضامنيات الألمانية وصديقات الشباب في هذه الفرقة. رسم لنا خلفية المسرح الفنان المصري أحمد حجاب وكان يقوم بجولة في ألمانيا في ذلك الوقت، وحملنا تلك الخلفية معنا في مسارح الجامعات من ميونخ إلى هامبورغ. الطالب السوري محمود كمال<sup>٢</sup> من حلب صمم لنا الدبكات وجهاز الموسيقى العربية اللازمة من فيروز إلى الموشحات الأندلسية.

\*\*\*

في صيف عام ١٩٦٩ تقرر أن نذهب إلى عمان لحضور معسكر لفتح في جبال الأردن، كان اسمه تسعة وتسعين، وذهبنا من ألمانيا مجموعة منهم محمود وعزت وابراهيم . وجاء أبناء التنظيم من الدول الأوروبية، وبعض الدول العربية. جاءت قيادات فتح وألقوا محاضرات عن الثورة الشعبية والوصول إلى فلسطين وتطور العمل الفدائي، جاء أبو إياد وأبو جهاد وهاني الحسن وناجي علوش، ومنير شفيق وأبو نائل وقيادات الصف الأول في الأردن.

بدأنا بتقليد ممارسه كل ليلة في الاجتماع اليومي، وهو النقد والنقد الذاتي، وكان الجميع يحاول أن يكون إيجابياً، كنت منزعجاً من عدم وجود مرحاض في المعسكر والاضطرار للذهاب بين الأشجار لقضاء حاجة، وانتقدت الحالة في المساء، وبعد أن انتهيت قال أبو نزال، قائد المعسكر - حسناً في الغد يمكنك تطبيق هذا الاقتراح، وحفر الحفرة الامتصاصية وتبرع أحد الشباب بالمساعدة في ذلك.

في اليوم التالي اخترت مكاناً منزوياً بين الزيتون ومتدارياً بالصخور وبدأنا الحفر، ثم أحضرنا بعض الخشب والقماش من شلالات خط أخمر، وصنعنا الجدران، والباب بأيدينا، وأصبح المرحاض جاهزاً، وشكرنا عليه الجميع. وكان مثلاً في العمل الشعبي، اقترح ونفذ، ولا تلقي الكلام على عواهنه، وليس قل كلمتك وأمشي. بل قلها والتزم بها ونفذها.

لم يكن في المعسكر بئر للماء ، كنا نقوم بإحضاره من بئر بعيدة، ونظراً لأننا كنا مضطرين لعمل ذلك يومياً، فقد كان موعد إحضار الماء يتم فور الانتهاء من طابور

<sup>٢</sup> صيدلي عين استاذاً في جامعة حلب بعد تخرجه وعودته إلى الوطن



الصباح، حيث كان الجميع يصطفون يبعد كل واحد عن الآخر عشرة أمتار ، بحيث يصل آخرنا إلى البئر، وكان أحدهم ينتشل السطل المصنوع من عجلات السيارات المطاطية، ويعطيه للثاني ويظل السطل ينتقل من واحد لآخر حتى يصل إلى مقر المعسكر، حيث براميل الماء موجودة للاستعمال. كانت تجربة في العمل الجماهيري، وتذكرت المثل الشعبي، " الحمل إن تفرق بنشال" أي يمكن حمله إن تفرق.

لم يكن في المعسكر أي موظفين مخصصين للخدمات العامة مثل المطبخ والنظافة والحراسة وغيرها، وكنا نقوم بتوزيع المهام يومياً، فيذهب قسم المطبخ منذ الصباح لتحضير الطعام وتقديمه للجميع ، وكان كل يقوم بغسل طبقه الخاص، ويصطف بالدور لتناول طعامه، ويقف معنا في الطابور كادر المعسكر بدون أي تمييز في الخدمة أو نوع الطعام، وقسم آخر يقوم بتنظيف مهاجع النوم بعد أن يكون كل فرد قد رتب مكان نومه، وبقيّة معالم المعسكر . كما كانت نوبات الحراسة الليلية توزع على الجميع، بمن فيهم كادر المعسكر.

كان المدرب العسكري جيفارا الذي رأته في السفارة الفلسطينية التي افتتحت في إيران عشية الثورة الإسلامية بقيادة الخميني، وقال لي أنه إيراني الأصل، كان يأخذنا كل ليلة في مسار مختلف عدة كيلومترات في الليل ضمن زيادة القدرة على التحمل، كما كان يقوم بتدريبنا على السلاح في النهار . رأينا الكلاشينكوف والجرينوف، وكانت سعادتنا لا توصف عندما رأينا الآر بي جي، وقد سمعنا به لأول مرة بعد معركة الكرامة حيث تحطمت الدبابات الاسرائيلية بواسطة، واختير أحد الشباب لإطلاق قذيفة منه أصابت الصخرة وفتتها.

كان المعسكر يعتبر تجربة ناجحة في إعداد الكوادر الفتحاوية بطريقة ثورية منفتحة على تجارب الشعوب في العالم الثالث، فتعلمنا عن التجربة الصينية والفيتنامية ، كما ناقشنا الأفكار الماركسية، وإن كانت العلاقة مع روسيا ما زالت لم تتبلور بعد ، وكانت السوفييات لا يعترفون بالثورة الفلسطينية، ولم يعترفوا بها إلا بعد زيارة ياسر عرفات في رفقة الرئيس جمال عبد الناصر إلى موسكو عام ١٩٦٨. وقد تكررت التجربة مع مئات من شباب التنظيم والمقاتلين ، وبدأت تتبلور شخصية فكرية لفتح تنحو نحو اليسار وتتحالف مع التقدميين في العالم.

يقول نزيه أبو نضال عن تجربته في معسكر ٩٩"٢  
"بدأت أحضر لاختيار مكان المعسكر، واحتياجاته، ووجدت المكان المناسب وقريبا من عمان، كان بين بلدتي وادي السير وماحص، وهو عدة مغاور وشجر يغطي مساحات التدريب، ويخفيها عن طائرات العدو (لاحقاً حين أقمنا معسكر ال99، في مكان قريب، تعرض للقصف لافتقاده إلى مثل هذا الشجر الكثيف الذي حمانا يومها من القصف) في إطار تجهيز معسكر 99 طلبت اثنين لمساعدتي كمدرسين، أحدهما اسمه غيفارا والآخر

آنزيه أبو نضال هو مقاتل أردني الجنسية فلسطيني القلب والهوى في حركة فتح شارك في عدة عمليات عسكرية في الجولان والجليل وفي حيفا، ثم عمل مدرباً ومفوضاً سياسياً في الحركة، وهو كاتب وإعلامي مخضرم كان مؤسساً في إعلام حركة فتح، اختلف مع القيادة عند عسكرة التنظيم.

أنطون، وكنت قد دربتهما في معسكر الهامة، وأعرفهما جيداً وأثق بقدراتهما العالية كثيراً، والأهم أثق بتجاوبهما مع التجربة الجديدة. ثم لم يلبث بعد ذلك أن انضم أبو نائل (عبد الفتاح القليلي) كقائد للمعسكر.

وكان أن بدأت بهؤلاء: بفكرة وبمدربين، ولا أحد غيرنا على الإطلاق، كان علينا أن نعد ونجهز معسكراً كاملاً، بما فيه أسلحة الحراسة وذخائر ومتفجرات وأنواع أسلحة ورشاشات التدريب، ومستودعات تجهيزات الملابس والأحذية الرياضية والتموين والتحميل والمطبخ والجلي والتنظيف ونقل الماء، وسيارة جيب قديمة كثيرة الأعطال كان يقودها أنطون، وفشلت في تعلم القيادة عليها، عادة يكون في معسكرات التدريب كادر متفرغ للمهام الإدارية، ولكنني قلت يجب أن نعتمد على أنفسنا، وعلى الشباب الذين سيأتون للتدريب، عليهم أن يكونوا مسئولين وأن يتولوا حمل مهماتهم كاملة، هم الذين يطبخون، وهم الذين ينظفون، وينقلون المواد والمياه من بئر بعيد نسبياً، وكان ثمة مسافة جبلية وعرة تفصل المعسكر عن آخر نقطة تستطيع سيارة الجيب الوصول إليها، وبات من مهمات الدورات المتعاقبة شق طريق إلى المعسكر، وهذا ما تحقق بالفعل. وسارت الأمور جميعها بأفضل مما خططنا بكثير، كانت تلك عبقرية العمل الجماعي. ولعل ما ساعد على إنجاح التجربة أن مستوى الكادر الذي كان موجوداً، بشكل عام، كان مرتفعاً: من مسئولى التنظيم في أنحاء العالم من أمريكا ومن المغرب ومن الخليج والسعودية، حضر معظم الكادر القيادي لتنظيم فتح في العالم للمرور بهذه الدورات، وكان أقل مستوى للمشاركة عندنا كان تنظيم طلبة الجامعة الأردنية، وقد أتعبونا قليلاً لأنهم نقلوا إلى المعسكر سلوكيات الطلبة مع معلمهم، ولكننا تمكنا من استيعاب الأمر ومعالجته. هذا المستوى من المشاركين ساعدنا على اختبار التجربة وإنجاحها من دون صعوبات حقيقية.

كان برنامج الدورة موزع على عدة فعاليات تبدأ بالرياضة الصباحية وتمارين اللياقة البدنية وكانت تتم بشكل تدريجي، إلى جانب المسيرات ثم التدريبات العسكرية، وطوابير الإزعاج الليلية، ودروس العلوم العسكرية: التكتيك والاستراتيجية، والمحاضرات الفكرية والسياسية، التقنيات العسكرية المتقدمة: صواريخ، متفجرات، شراك خداعية، ألغام... إلخ. وكان أحد قادة فتح يحضر كل يوم للحديث عن الوضع السياسي العام ومواقف حركة فتح ثم يجيب عن أسئلة كوادرات الدورة القادمين من مختلف أنحاء العالم. وكان من بين أكثر المشاركين ياسر عرفات وأبو اللطف وخالد الحسن وأبو إياد وكمال عدوان وناجي علوش وماجد أبو شرار وأبو حاتم.

خلال إحدى اللقاءات سأل أحد الشباب أبو عمار: ما ضمانة أننا بعد كل هذه التضحيات والشهداء أن لا تذهبوا إلى تسوية مع الأعداء؟.

فما كان من أبو عمار إلا أن سحب مسدسه الباربلو بهدوء، وأخرج منه رصاصة، وقدمها للسائل قائلاً: إذا فعلت ذلك. أنت مكلف بقتلي بهذه الرصاصة.”

## يوميات المعسكر

في اليوم الأول للدورة كان يقدم للشباب المنهاج الكامل للمعسكر مع برنامج التدريب التفصيلي وتوزيع المهمات، كما كانت تطرح عليهم تجربة معسكر الـ99 الجديدة باعتماد النقد والنقد الذاتي، وبمنع أي شكل من أشكال العقوبة، ومن يخرج على المنهاج يكون قد اختار مغادرة المعسكر، ومن حقه أن يفعل ذلك في أي وقت.

ولتابعة طبيعة العمل لتنفيذ منهاج المعسكر نقدم عينة من تجربتنا: بعد نهار طويل من التدريبات المختلفة نجتمع كل مساء حيث نبدأ بجلسة النقد والنقد الذاتي، فمن كان قد أخطأ خلال النهار، ابتداء من قادة المعسكر يقف ويعترف بما فعل، ويختار لنفسه العقوبة التي يراها، كأن ينقل من البئر البعيد كمية من الماء، زيادة على المطلوب منه أو يضع على نفسه مهام إضافية في الطبخ أو الكنس أو تنظيف المغاور أو بمضاعفة نوبة حراسته، أو يترك لقيادة المعسكر تكليفه بأية مهمة تراها لازمة، وذلك تكفيراً عن الخطأ الذي ارتكبه.

هكذا كان يمارس النقد الذاتي من كادر المعسكر ومن المتدربين، ولكن لم يكن مسموحاً أن ينتقد أي شخص شخصاً آخر من عناصر الدورة، المسموح فقط انتقاد كادر المعسكر، وعلناً، ولكن بعد أيام من ممارسة التجربة، يسمح لمن يرغب من عناصر الدورة أن ينضم إلى كادر المعسكر لتقبل النقد من الآخرين، وليس ممارسة النقد الذاتي فقط، وخلال أيام تجد عناصر المعسكر كلهم أصبحوا مستعدين لينتقدوا أنفسهم نقدًا ذاتياً وتحمل نقد الآخرين لهم؛ وبسبب ما يضعه عناصر الدورة على أنفسهم من عقوبات، حلت مشكلات كثيرة من العمل المطلوب في المعسكر، فكان أن تحسن مستوى الأداء العام بإنجاز المهام المحددة في خطة تقسيم العمل.<sup>٤</sup>

\*\*\*

كانت التجربة فعلاً مثيرة للشباب الذين يبدو أن مسيرتهم الثورية بمثابة ونقاء، كنا نشعر أن عالماً جديداً يفتح ذراعيه لاستقبالنا، وكنا نعتقد إننا نستطيع تغيير العالم.

شعنا بقوة الثورة، ووهجها الذي يخطف الإبصار، وبدأت أسماء القيادات الفتاوية تعرف في الصحف والأحاديث. جاءنا أبو نائل القلقيلي، وحدثنا عن تجربة الصين وفيتنام، والعمل الجماهيري هناك، وكيف استطاع الشعب الصيني كسب معركته مع الحكام الصينيين الرجعيين، ومقاومة الاحتلال الياباني. أبو نائل كان سفيرنا في الصين عدة سنوات بعد ذلك. ولكنه كان قد زار الصين وفيتنام واستمع إلى التجربة من القيادات الصينية والفيتنامية.

وكانت عمان ما زالت تعيش مرحلة ما بعد الكرامة، وتنظيم الباص، حيث هجم الناس في الأردن على الكرامة للالتحاق بالثورة، وقد زاد الركاب النازلين من عمان بالباص إلى الغور بدون تنظيم مسبق وبدون الانتماء لحركة فتح يدفعهم الحماس للتطوع لقتال إسرائيل، حيث مخيم الكرامة الذي أزيل بعد ذلك.

<sup>٤</sup>مذكرات نزيه أبو نضال(من أوراق ثورة مغدورة)

كانت معركة الكرامة في آذار 1968 نتيجة تنسيق مسبق ودائم مع قوات الجيش الأردني الذي عسكر في الجبل بقيادة اللواء مشهور حديثه الجازي وأمطر الجيش الإسرائيلي بالقذائف المدفعية، التي أربكته وجعلت تقدمه مستحيلاً، فقرر الانسحاب.

وفق التقارير العسكرية التي تم تداولها بعد معركة الكرامة ، بلغت خسائر جيش الاحتلال<sup>٥</sup>: (1) خسائر العدو : بلغت خسائر العدو التي تكبدها خلال معركة الكرامة كما يأتي: ( أ ) ١ أرواح. ( 250 ) قتلى و (450) جريح . (ب) المعدات :خسائر بقيت أرض المعركة : ( أ أ أ ) ١١ دبابة مدمرة. ( ب ب ) ٣ ناقلات جنود. ( ج ج ) سيارتان ٣ طن. ( د د ) ٣ سيارات. (ج) خسائر شاهدها قواتنا مصابة ومدمرة تمكن العدو من سحبها: ( أ أ أ ) ٢٧ دبابة من أنواع مختلفة. ١٨ ناقلة جنود من أنواع مختلفة. ٢٤ سيارة جيب مختلفة. ١٩ آلية مختلفة ( شحن، جرارات، آليات). سبع طائرات مقاتلة.

٧٠ قتيلاً وأكثر من ١٠٠ جريح ٤٥ دبابة و ٢٥ عرباً مجنزرة و٢٧ آلية مختلفة و5 طائرات.

أما الثورة الفلسطينية فقد خسرت ١٧ شهيداً في حين خسر الجيش الأردني ٢٠ شهيداً و ٦٥ جريحاً و ١٠ دبابات و ١٠ آليات مختلفة ومدفعين فقط . كان للمعركة أثر كبير على معنويات الشعوب العربية خصوصاً بعد هزيمة ٦٧ وزادت شعبية الفدائيين وزاد عددهم وقامت الدول العربية والخليجية بتقديم مساعدات مالية لهم.

كان للاحتلال أهداف استراتيجية بإضعاف قوة الفدائيين واحتلال بعض المناطق الأردنية. الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية أعلنت الفوز في المعركة وقام الأردن بنصب تمثال للشهداء. واحتفلت به منظمة فتح كأول نصر بعد هزيمة ١٩٦٧. دولة الاحتلال أيضاً أعلنت الفوز في المعركة وأنها حققت أهدافها.<sup>٦</sup>

ولكن النتيجة التي لم يحسبها الاحتلال هو اندفاع الجماهير العربية بشكل عام ، والفلسطينية بشكل خاص لتبني أفكار الثورة، والاندفاع للانضمام لها لمسح عار هزيمة ال ٦٧. أما ما لم تحسبه قيادة الثورة، فهو عدم وجود هياكل تنظيمية قادرة على استيعاب هذا الهجوم الجماهيري ، والذي يحتاج إلى استيعابه تنظيمياً وفكرياً وسياسياً. وكان تنظيم الباص بداية مشاكل فتح وانضمام الكثيرين من الكوادر غير المؤهلة للعمل التنظيمي وقيادة الجماهير، بشكل أعاق التطور

<sup>٥</sup> معركة الكرامة-<http://www.jaf.mil.jo/Photos/Files/c6b14df5-d591-412b-851a-4ab7a66f80b7.pdf>

<sup>٦</sup> وقد أكدت الموسوعة الفلسطينية ومؤسسة الدراسات الفلسطينية في "الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1968" صحة تلك الأرقام.



السليم للثورة، وأفقدتها الزخم الثوري والنظري. وأصبحت الثورة تعني حمل السلاح. فسهل استغلال السلاح بدون نظرية، وكثرت أخطاء الممارسة وتراكت وأدت إلي الانفجار في أيلول 1970.

بعد انتهاء المعسكر ذهبنا لزيارة الأقارب في عمان، وذهبنا لزيارة مكاتب الثورة، وكان أهم مكتب بالنسبة لي هو مكتب جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، وكان في جبل عمان. قابلنا الدكتور فتحي عرفات على عجل، وقادنا في المبنى الذي كان في مرحلة التأسيس، وتنتشر الرفوف والأدوية في معظم الأنحاء، والشباب يسرعون في تنظيمها وترتيبها. وعيادة صغيرة تستقبل بعض النسوة والأطفال.

تبرعنا بالدم، جميعاً، وشربنا العصير بعدها، ثم تابعنا إلى جبل اللويبة حيث كانت القيادة في اجتماع. كان الجو في عمان مكهرباً، فبعد الناصر يطرح مشروع روجرز، والناس لا تثق بالأمريكان، وفي كل مكان تسمع المناقشات، تسب على أمريكا، وأنها سبب البلاوي جميعاً. وتعيد كلام عبد الناصر "ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة".

\*\*\*

عدنا إلى ألمانيا معبئين لمزيد من العطاء والمعرفة بالمشكلة الفلسطينية ووسائل حلها كما علمتنا وأقنعنا قيادة الثورة المشتعلة في عمان، وزاد اقتناعنا عندما رأينا أن الشعب الفلسطيني بأكمله متحمس ومنضم أو يتوق للانضمام إلى هذه الثورة والكفاح المسلح. وزادت نشاطاتنا في جمع الاشتراكات والتبرعات للثورة. وبدأنا نبحث عن أعضاء جدد لضمهم للاتحاد والتنظيم. أصبح الوقت ناضجاً لتأسيس لجنة فلسطين في بون، فقد زادت علاقاتنا مع الطلبة اليساريين الألمان من جميع الأحزاب، وعقدنا اجتماعاً لجميع الاتحادات الطلابية الألمانية والأجنبية في الجامعة، واقترحنا عليهم تأسيس لجنة فلسطين في الجامعة. وناقشنا أهمية المرحلة وأهمية التضامن العالمي مع الثورة الفلسطينية الصاعدة. كان الحزب الشيوعي القريب من موسكو ما زال يعتبرنا مغامرين، وأيد النشاط، ولكنه ابتعد عن المشاركة في اللجنة، فبقيت الأحزاب غير المرتبطة بأي دولة، مثل الماويين والتروتسكيين وبعض المستقلين. وشارك في اللجنة اتحاد الطلاب العرب، وصدقات الشباب العرب، الذين كانوا يعملون معنا في دعم القضية.

بدأنا حملة لجمع الأدوية من الأطباء وشركات الأدوية، وقمنا بالكتابة للجميع للتبرع لنصرة الشعب الفلسطيني، وأمتلأ النادي العربي بالأدوية والمعدات الطبية، الذي كنا قد استأجرناه بمساعدة مكتب الجامعة العربية في بون. واستلمنا إدارته.

عماد كان أحد طلاب الصيدلة العرب السوريين جائنا بفكرة تصنيع أدوية وإرسالها إلى الأردن، وصنعها في الكلية من الباراسيتامول، وكتبنا عليه أدوية فتح، وشعار العاصفة. وألصقنا الملصقات في النادي يدوياً، وقد حدثنا بعض الذين شاهدوها عن تأثيرها المعنوي في القواعد العسكرية. كما قمنا بالتعاون مع جهات أخرى بإرسال سيارة إسعاف إلى عمان.

كان عملنا إعلامياً بالدرجة الأولى، لفضح اسرائيل والاحتلال الاسرائيلي لفلسطين ثم للضفة الغربية وغزة وقررنا إصدار مجلة باللغة العربية للاتحاد سمينها "الثورة"، وكنت بحكم مسؤوليتي عن الإعلام أشرف على كل كبيرة وصغيرة ابتداء من الإسم الذي خطته بنفسي ، ثم بعد تشكيل لجنة فلسطين الألمانية أصدرناها باللغة الألمانية، بنفس الاسم. وأشرف الألماني هانس فاينغارتس على النسخة الألمانية ، وتابع إصدارها بعد طردنا من ألمانيا الغربية، وساعده في ذلك عبد الله فرنجي سفير فلسطين في ألمانيا في ذلك الوقت.

\*\*\*

كانت لدي تجربة في المدرسة الإعدادية عندما صرنا مجموعة من الطلاب "القراء"، أي أننا كنا مجموعة من الطلاب الذين احتكروا مكتبة المدرسة، وبدأنا بقراءة جميع الكتب على التوالي الواحد تلو الآخر، وبدأنا بالروايات للكتاب العالميين الروس والفرنسيين والإنكليز وطبعاً العرب من يوسف السباعي إلى إحسان عبد القدوس، وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ والروايات المترجمة من الأدب العالمي ومن وقعت كتبه في أيدينا.

بدأت القراءة بعد رحلة إلى العقبة مع والدي، في عام ١٩٥٨ ، حيث صادفت مجلة "سمير" في الطريق وبدأت التهمها سطرأ سطرأ، ثم اندمجت مع الشلة في فرقة الكشف التي أسسها الأستاذ أحمد الشريف، استاذ الرياضة والرياضيات في مدرستنا، وبدأنا نشاطنا بالتجول على الأقدام إلى القرى المجاورة ، العرقة، والهاشمية والسيلة الحارثية ورمانة، وتعنك، ويعيد وعرابة. وزاد إدراكنا لواقعنا ومحيطنا في القرية، والمنطقة، وتعرفنا على المواقع الأثرية في البلد، مثل خربة الشيخ محمد، والخرب المحيطة، مثل تعنك، والتي تحوي كلها آثار كنعانية، زادت وعينا بالكنعانيين وارتباطنا بهم.

ثم أصدرنا مجلة سمينها "حرية الفكر" ، كان سعيد أول من كتبها وأرانا إياها وأعجبنا بالفكرة وقررنا تبنيها والمشاركة في تحريرها. وتخاطفها التلاميذ بلهفة. وقد دهش المعلمون في الوهلة الأولى. من هذا النشاط بغير تشجيع منهم ولا تدخل.. كنا نكتب المجلة بأنفسنا ، وكان أحسننا خطأ هو سعيد عبد الرحمن، من نفس الصف، وكنا نختار المواضيع حسب رؤيتنا واجتهادنا، واستمرت المجلة في الصدور حتى انتقلنا إلى المدرسة الثانوية في جنين. إدارة المدرسة تشجعت وشكلت لجنة لإصدار مجلة حائط طلابية، سيطرنا عليها بمواضيعنا ونشاطنا.

ولا يمكن أن أنسى انقلاباً مهماً في البلد، فقد قررت مجموعتنا أن نفتح مدرسة البلد في الصيف للشباب لقضاء وقت الفراغ، وإتاحة الفرصة لهم للعب في ملاعب المدرسة والاستفادة من كتب المكتبة في الصيف. طبعاً، لم يجرؤ أحد على اتخاذ القرار ، وقال لنا مدير المدرسة أبو فاروق(فؤاد نزال) أنه لا يستطيع التصرف بدون إذن من مدير التربية والتعليم في نابلس، وذهبنا إلى قائم مقام جنين ودخلنا إلى مكتبه ثلاثة صادق وسعيد وأنا، وحدثناه عن فكرتنا ، والحقيقة أنه تفاجأ وسر من الاقتراح، وطلب منا أن نذهب إلى مدير التربية في نابلس ونقنعه بالفكرة، وقال إنه يؤيدنا وسيتحدث مع مدير التربية . وذهبنا إلى مدير التربية في نابلس، ثلاثة أولاد في الإعدادية نطلب مقابلة مدير التربية في اللواء،

ولم يطل انتظارنا، ودخلنا إلى مكتبه بتردد، وسألنا عن إدارة المدرسة وكيفية السيطرة على الطلاب، وعن المحافظة على المكتبة، وعدنا خيراً، وزحلقنا. ولكننا فوجئنا بعد عدة أيام بالقائم مقام يدعونا لمقابلته، وذهبنا لبشرنا بالقبول، وأوصانا بالحفاظ على ممتلكات البلد والدولة، والاهتمام بالقرأة والشباب. اتصلنا فوراً بمدير المدرسة الذي وصلته الموافقة وأصدر الأمر لأذن المدرسة "أبو أسعد" الذي كان يقيم فيها ويشرف على حراستها بإعطائنا حق الدخول واستعمال المكتبة والملاعب. وهكذا كان.

قاربت العطلة على الانتهاء، وقررنا عمل شيء جديد، فجلسنا تحت شجرة زيتون في الويدان، في جلسة عصف فكري، وفكرنا في عمل تمثيلية عن فلسطين، طبعاً لا يملك أحد من الشباب فكرة عن المسرح، ولم يشهد أحد مسرحاً من قبل، ولكنني فعلت، فقد شاهدته في مدرسة الفرير في حيفا حيث كنت أدرس قبل قدومي إلى اليامون، وتكفلت بنائه، وظهرت مشكلة الكراسي، فلم يكن في المدرسة العدد الكافي من الكراسي لجلوس المشاهدين، الذين اشتروا التذاكر، فجمعنا الطلاب الأصغر سناً، ووزعناهم على حارات البلد لجمع الكراسي من البيوت، وكلفناهم بإعادتها بعد الانتهاء من الحفلة. وهكذا كان. واتفقنا على التمثيلية والأدوار، والحوار الذي حفظناه في الحال، فقد كان الموضوع من حياتنا وبيئتنا، عن فدائي (كنا في العام ١٩٦٢) يقوم بعملية فدائية ويعتقله اليهود ويقومون بتعذيبه ويرفض أن يعترف في التحقيق في التمثيلية، ويقوم الفدائيون بتحريره. ثم قدمنا وصلة هزلية عن الثلاثي المرح في تلك الأيام. وهي "دكتور الحقني"، وظل أهل ذلك الجيل يتذكرون الدكتور الذي مثلت دوره.. بعدها أصبحت الفرقة الفنية تدعى لعرض تمثيلياتها في الأعراس، ولكنها انتهت بعد انشغالنا بالمدارس في ذلك الوقت. القائم مقام حضر المسرحية وأعجب بها كما قال المدرسين الذين استقبلوه وتحدثوا معه، وتم جمع مبلغ محترم تبرعنا به لبناء مئذنة جامع البلد الوحيد في تلك الأيام. وأضفنا للنادي فتح صف لمحو الأمية لكبار السن ممن فاتهم ركب الالتحاق بالمدرسة. وقد استمر طيلة عطلة الصيف. شارك فيها متطوعون آخرون من الشباب.

فكرنا أن القرية متأخرة، وحبذا لو أنشأنا جمعية تعاونية زراعية لشراء تراكتور مثلاً ومساعدة الفلاحين على زيادة إنتاجهم وحل مشاكلهم، وبدأنا نجمع التواقيع لتأسيس الجمعية، كانت فترة عيد أعتقد أنه عيد الأضحى وقررنا زيارة جميع بيوت القرية ومعايذتهم والحصول على توقيعهم. وهكذا كان، ولكن أحدهم أحبط حماسنا في النهاية. وهناك دائماً من يعيقون التقدم بأي حجة.

تفرقت الشلة بعد ذلك، والتحقنا بالجامعات، فسعيد درس الطب في الاسكندرية، وصادق درس الزراعة في القاهرة. وجميع الشباب وجدوا مستقبلهم الناجح.

\*\*\*

كان تنظيم فتح قد بدأ في ألمانيا بنشاط مجموعة من الكوادر الرئيسية في فتح مثل خالد الحسن أبو السعيد، وهائل عبد الحميد (أبو الهول) ويحيى عاشور،

وهاني الحسن وعلي الحسن،<sup>٧</sup> وتوسع التنظيم في مختلف الجامعات الألمانية التي يدرس فيها طلبة فلسطينيين، وامتد الاتحاد إلى النمسا حيث كان له فروع في غراتس، وفيينا، التي خرج منها يحيى عاشور.<sup>٨</sup> وقد تشكلت في تلك الفترة كونفدرالية للتنسيق بين فروع النمسا وفروع ألمانيا، وكانت مقدمة لإنشاء كونفدرالية بين فروع أوروبا لاحقاً. كما انتشر بين العمال وأنشأ اتحاد العام لعمال فلسطين أيضاً في المدن التي يوجد فيها تجمع عمالي كبير مثل ميونخ ومنطقة الراين وشتوتغارت.

كانت أفكار فتح في اعتماد الحرب الشعبية لتحرير فلسطين قد بدأت باجتذاب الشباب الفلسطيني، الذي آمن أن تحرير فلسطين سيعمل على إذابة التناقضات بين الدول العربية، ويعمل على توحيد الجهود العربية من أجل تحرير فلسطين. وكان فرع ألمانيا من الفروع المغضوب عليها نتيجة هذا الموقف حتى أن الفرع قد جمد نظراً لعدم توافق مواقفه مع مواقف الهيئة التنفيذية في القاهرة، والتي كانت تعتبر نفسها قاعدة من قواعد منظمة التحرير الفلسطينية، والتي كان يرأسها الشقيري في ذلك الوقت ويشكل استمراراً لسياسة الدول العربية.

كان الهدف يعني تعميق الوعي الثوري، من خلال شرح رؤية فتح للكفاح المسلح، والاطلاع على تجارب الشعوب المناضلة من أجل حريتها مثل الجزائر التي كانت تخرج من تجربة ناجحة، والشعب الفيتنامي الذي كان يخوض حرباً بطولية ضد المستعمر الأمريكي وشعوب أمريكا اللاتينية. وقد اعتمد كتاب فرانس فانون "العنف الثوري"، الذي كان يدرس في حلقات التنظيم واجتماعاته، كما كان الأعضاء يتدارسون مجلة فلسطيننا التي كانت تصدر في الكويت والجزائر، وبيانات حركة فتح التي تصدر في المناسبات والعمليات العسكرية، وكان العضو مكلف بجمع قصاصات الجرايد والصحف اليومية التي تتحدث عن القضية الفلسطينية والشرق الأوسط ليقوم بدراستها وتحليلها.

كان عضو التنظيم يعتبر جاهزاً لممارسة الكفاح المسلح في أي وقت إذا دعت الحاجة إلى ذلك وتقرر القيادة هذه الحاجة، وعلى الكادر أن يستجيب للنداء. كان التنظيم يمر بثلاثة مراحل، هي النصير ويخضع لمراقبة ممارساته اليومية والتأكد من التزامه بالقضية والتنظيم في النشاطات التي يقوم بها التنظيم. ، و ثم يرقى إلى نصير، حيث توكل إليه بعض المهام التي يبدأ بالتدرب عليها، ويزداد نشاطه والطلب منه بتنفيذ نشاطات أكثر وأكبر. ثم يصبح عضواً كامل العضوية بعد سنة من التجربة، وكان النشاط في اتحاد الطلبة يشكل مصفاة للأعضاء واجتذابهم للتنظيم. وهنا تبدأ مرحلة السرية، حيث لا يجوز له البوح بانتمائه للتنظيم، ويكون مستعداً للتحاق بالكفاح المسلح.

وقد كان التنظيم في ألمانيا من أوائل الفروع التي أرسلت الكوادر للالتحاق بالكفاح المسلح بعد حرب ١٩٦٧، حيث أرسل التنظيم حوالي ٧٠ مقاتلاً من ألمانيا وفرنسا وإيطاليا، وقد دخلوا الأرض المحتلة وقاموا بعدة عمليات، وتم إلقاء القبض على بعضهم، ودخلوا السجون منهم غازي الحسيني، وزهير مناصرة،

<sup>٧</sup> أصبح جميعهم أعضاء في اللجنة المركزية لحركة فتح، ما عدا علي الحسن.

<sup>٨</sup> يحيى عاشور، أمين سر تنظيم فتح في لبنان حتى ١٩٧٠، وعضو لجنة مركزية.



وعدنان أبو عياش وعبد الله فرنجي وغيرهم. ، وقد وصل الكثير من أعضاء التنظيم في ألمانيا إلى مراتب قيادية في حركة فتح. وقد استشهد منهم في ١٩٦٧ الشهيد محمد سمارة، وكان لبعضهم دور لا ينسى مثل الشهيد ربحي، الذي فجر نفسه في أول دبابة إسرائيلية في معركة الكرامة، فأوقف تقدم رتل الدبابات وأدى ذلك إلى تغيير مسار المعركة.

وكان للكادر الفتحاوي دور في إقناع الجماهير بصحة نهج الكفاح المسلح وإقناعهم بالانخراط فيه، كما ساهموا بتطوير فكر الثورة، كما كانوا بحكم التربية الثورية المنفتحة، وبحكم تغليب التناقض الرئيس على التناقضات الثانوية، منفتحين على كل التنظيمات والأفكار الأخرى المساعدة والمعارضة للثورة.

وعارض التنظيم انضمام الحركة لمنظمة التحرير الفلسطينية، حتى لا تعيق الارتباطات مع الحكومات العربية أي توجه ثوري يتعارض مع المواقف الرسمية للحكومات العربية، وطالب بالحفاظ على نقاء فتح وعدم تشويه الكفاح المسلح. واستقلالية الحركة وكسب الجميع للثورة، وقد عارض هذه الفكرة في نقاشه مع خالد الحسن (أبوالسعيد)، عام ١٩٦٨. كما ناقش التنظيم في ألمانيا طويلاً قضية عسكرية التنظيم التي طرحت بعد أيلول ، وانتشرت في بيروت، وجاء أبو الصلح (السفير الحالي في إيران)المبتعث من قيادة الثورة لإقناع التنظيم في ألمانيا. وقد جرى العمل على تدجين هذا الكادر الفتحاوي، وتم إدماجه في الحركة كما أرادت لها القيادة. وكان هذا نتيجة التربية الفتحاوية التي تؤمن بالديموقراطية المركزية، والتي تبيح النقاش والمعارضة ضمن التنظيم، ولكنها تطلب الالتزام بقرار القيادة في النهاية. وقد تغيرت نتيجة لذلك مع الوقت وبعد اتساع التنظيم، طبيعة العلاقة بين الكادر والقيادة وكان هذا التغيير بداية نهاية التنظيم القوي والثوري. وحل محله العلاقة الوظيفية، والمعتمدة على الرشوة بالوظائف والمواقع، وبالتالي الطاعة الكاملة بدون تفاعل ثوري.

كان الاتحاد والتنظيم خير سفراء للقضية الفلسطينية، وكان يمثل الثورة بنقائها وطهوريتها، وكان يقيم العلاقات مع الجامعات والتنظيمات الألمانية ويقيم الندوات والمحاضرات للطلاب الألمان في كل ألمانيا، أكثر من أي سفارة في ذلك الوقت، كما أصدر العديد من المجلات في فرانكفورت وبون باللغة الألمانية لشرح قضية فلسطين للطلبة الألمان.

لقد استطاعت فتح من خلال التزامها بمبادئها الثورية وممارسة الكفاح المسلح بصدق ، ومبادئ الطهر الثوري، اكتساب الجماهير الفلسطينية والعربية بل والعالمية أيضاً، في فترة بسيطة. ويبدو أن هذا النجاح الهائل، وربما غير المتوقع، قد سهل مهمة تغيير النظرة للتنظيم، فلم تعد القيادة بحاجة له إلا كجزء من الفولكلور الحركي، وكان تدفق الأموال العربية وسيلة أخرى لإفساد الثورة وإبعادها عن الطهورية الثورية والانحراف عن التناقض الرئيس في الإعداد لثورة شعبية تزيل الاحتلال الإسرائيلي، الذي يتحكم بطريقة أو بأخرى بالقرار العربي.<sup>٩</sup>

\*\*\*

<sup>٩</sup> حديث مع زهير مناصرة (وهو أحد الكوادر المؤسسة في فرانكفورت وألمانيا) في عمان بداية ٢٠٠٦.

كانت معارك أيلول في الأردن ١٩٧٠ قاسية علينا جداً، فظلم ذوي القربى أشد مضاضة، ولم نعرف أسرار الحرب في ذلك الوقت، ولكن ما همنا هو النتيجة المفزعة وهي خروج الثورة والفدائيين من الأردن، وتموضعهم في لبنان وساعد في ذلك وجود اتفاق القاهرة مع الحكومة اللبنانية، ووجود قواعد للثورة في لبنان. بعد معارك أيلول اكتسبت صداقة المنظمات الطلابية الألمانية، إذ ذهبت اليهم لاحتهم على التضامن مع الثورة الفلسطينية التي تذبح في الأردن في أيلول الأسود . فعقدت اجتماعات مع الحزب الشيوعي الموالي لموسكو، والحزب الشيوعي الماوي والمتطرفين، وكانت اللقاءات تتابع من قبل رئيس الفرع محمود اللبدي، وهو لم يكن لديه مشكلة في الأفكار الماركسية، فقد كان يدرس الاقتصاد وهو يتعلم هذه الأفكار في الدراسة الجامعية. وبدأت من أجل إنجاح التواصل بتعلم المفردات الثورية الألمانية وقراءة الأدبيات الثورية الماركسية وثورات العالم الثالث في فيتنام وأنغولا وموزامبيق التي كانت في ذلك الوقت تخوض كفاحاً مسلحاً ضد الاستعمار البرتغالي. وتعرفت على أفكار تشي غيفارا وكاستروا وقرأت كتبهما، ثم هوشي منه، وماو تسي تونغ، أكثر من إنشغالي بدراسة الطب في ذلك الوقت. وشعرت بضعف الثقيف السياسي الذي يخضع له الشباب الفلسطيني سواء في التنظيم الفتحاوي أو غيره، وربما كانت التنظيمات اليسارية أكثر ثقافة من فتح بسبب طبيعتها الايديولوجية ، ولكن مصيبة فتح كانت في انعدام الثقافة اليسارية، وقد لفت نظري وأثار دهشي عند اللقاء مع أبو السعيد خالد الحسن سعة ثقافته العامة والماركسية خاصة، فسعيت إلى زيادة ثقافتني اليسارية للوقوف أمام المحاورين اليساريين.

\*\*\*

في تلك السنة ١٩٧١ ترشحت لخوض الانتخابات للبرلمان الطلابي، لم أنجح، لوقوف اليمين الألماني ضد الفلسطينيين، وأصبحت عضواً في منظمة الطلبة الألمان Asta، مندوباً عن الطلبة الأجانب، الذي يختاره الأجانب. أتاح لنا ذلك الاستفادة من خدمات الجامعة للطلاب في الطباعة، حيث قمنا بطباعة مجلاتنا العربية والألمانية في الأستا، كما زادت علاقاتنا مع الطلاب من مختلف انحاء العالم. وزادت اتصالاتي مع الطلبة الفلسطينيين في المدن الألمانية الأخرى، إذ دعيت لإلقاء محاضرات عن فلسطين في عدة مدن منها مونستر وكولونيا.

بدأ يتكون في ألمانيا محورين محور فرانكفورت وهم تلاميذ هاني الحسن الذي تفرغ في الثورة وأصبح مسؤولاً في الأمن ، ثم عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح، وكان شباب فرانكفورت أكثر اتصالاً بقيادات الوطن، وبالتالي تعرضاً للإفساد، فقد تدفقت عليهم أموال الثورة لدعم الطلبة وضمان ولائهم، والمحور الآخر هو محور بون آخن، والذي كان مستقلاً، وتطهيرياً، ويحاول أن يكون حنبلياً مع مبادئ التنظيم وشفافية العمل والإخلاص في التطهر.

وبرى زهير مناصرة وهو من القدامى في التنظيم أن فرانكفورت لم تكن تنظر للأمور بهذا الشكل، ولم تشكل محوراً ضمن التنظيم ، وأن وجود عبد الله فرنجي في الواجهة سهل اتخاذ هذا الموقف، وكانوا سعداء بتولي الفروع الأخرى نشاط الاتحاد العام لطلبة فلسطين، وكانوا يشاركون في جميع النشاطات، ومن ضمنها

الاعتصام في الجامعة العربية في بون ١٩٧٢، بعد منع الاتحاد، وأنه كان في الامتحانات النهائية حينها وأنه قد أجرى الامتحان في منزله أثناء هروبه من ملاحقة البوليس.<sup>١٠</sup>

وطبعاً رأينا انتصار فرانكفورت بتعيين عبد الله فرنجي مندوباً لمنظمة التحرير الفلسطينية في مكتب الجامعة العربية في بون، وقد تم هذا بعد طردنا من ألمانيا ١٩٧٢ و فراغ الساحة من معارضة لهذا التعيين، والذي لم يكن ليفيد نظراً لعلاقة عبد الله بالقيادة الفلسطينية عن طريق شقيقه في غزة. في عام ١٩٧١ عقد المؤتمر الوطني السادس لاتحاد طلبة فلسطين في الجزائر، وعقد اجتماع للتنظيم في ألمانيا وتم انتخابي لأمثل فرع ألمانيا في المؤتمر مع عبد الله فرنجي من فرانكفورت وعزت الأسمر من هايدلبرغ وعدنان أبو عياش من هامبورغ. وانتعشنا لمقابلة الإخوة من بقية فروع الاتحاد وخاصة فرع بيروت الذي كان نشيطاً، وخلاقاً في عمله السياسي والتنظيمي. وأذكر منهم إدي زنانيري ومحمد الدجاني. وقد اكتسبنا ثقة بأنفسنا وصحة عملنا في الاتحاد. عام ١٩٧١ عقد مؤتمر الاتحاد في آخن، التي كانت السكرتاريا، وكان يرئسها طالب الهندسة عكرمة عفاني وانتخب فرع بون لسكرتارية التنسيق في ألمانيا والنمسا، وانتخبنا في بون محمود اللبدي رئيساً، وإبراهيم عدوان نائباً للرئيس وسكرتيراً، وكنت أنا مسؤولاً إعلامياً، وسليمان مسؤولاً مالياً. اعتبرنا هذا انتصاراً لمحور بون /آخن.

قمنا بجولات على معظم الفروع (إبراهيم وأنا) لتتعرف على الشباب الذين لم نتعرف عليهم في المؤتمرات، فزرنا ميونخ وتوبنغن وفرانكفورت ومونستر وآخن وبريمن وهامبورغ وبرلين، وشعرنا بحاجة الشباب إلى زيادة النشاط والمعلومات فانعكس ذلك في مجلتينا العربية والألمانية التي وزعناها على جميع الفروع، وجدنا أنه من الضروري عقد صلات أقوى مع فروع الاتحاد في أوروبا، فقمنا بالكتابة اليهم ودعونا لحضور مؤتمراتهم، وذهبنا إلى لندن إبراهيم عدوان وأنا، وسافرنا بسيارة جديدة من شركة التأمين التي صرفتها لنا بعد حصول حادث سير لسيارتي القديمة أثناء التواجد في دوسلدورف من أجل الفيزا البريطانية، وكان أن ذهبنا بسيارة داف جديدة، وسقناها على اليسار مثل الإنكليز، كان مؤتمرهم في الجنوب في (برايتون) حيث أقمنا حتى انتهاء المؤتمر وتعرفنا على الشباب النشيطين واتفقنا على إنشاء كونفدرالية للاتحاد في أوروبا، ثم جائتنا الدعوة من إيطاليا، ولبيناها عارف من آخن وأنا، حيث ذهبنا بسيارتي القديمة عبر جبال الألب في النمسا إلى إيطاليا، وكانت مدينة البندقية على الطريق فبتنا فيها ليلة نتفرج على المدينة الساحرة. ثم تابعنا إلى بيروجيا، حيث عقد المؤتمر في قاعة البلدية، والتي كانت تساند الفلسطينيين، كما جميع الطليان. وديع أبو عيدة كان رئيس الاتحاد وهو الذي استقبلنا وسهل لنا الإقامة. وكذلك مصطفى والقريوتي من شباب الاتحاد. وكان فرع فرنسا قريباً منا واتفقنا مع عز

<sup>١٠</sup> حديث مع زهير مناصرة بداية ٢٠٠٦ في عمان.

الدين القلق<sup>١١</sup> في ذلك الوقت على أهمية إنشاء كونفدرالية لأوروبا. كان الجميع يتدفق حماساً ، فالثورة في صعود ، وقد اكتسبت كل الشباب الفلسطيني الذي شعر أن هذه الثورة تمثله وتسعى لتحقيق أهدافه. ولم يكن لطموحنا حدود. ولكن طردنا من ألمانيا ومنع الاتحاد هناك وضع حداً لهذا التطور المستمر والطموح.

عندما انتخبت مسؤولاً للإعلام في سكرتارية التنسيق، كان قد وصلنا كتاب منير شفيق "حول التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية" وكان اكتشافاً مذهلاً في ذلك الوقت للشباب إذ يقرب الفكر اليساري ويجعله أداة للتحليل الاجتماعي والثوري. وقد قمت بتوزيعه على الشباب لقراءته، بل وقررنا في الهيئة الإدارية عمل دورة في نهاية أسبوع لمناقشته؛ وقمت بطباعة مائتي نسخة ، على عدد الطلاب في الاتحاد وبعناه لهم "خاوة" بحيث يستلم كل فرع نسخ بعدد أعضائه. كانت الطباعة بالتصوير ، ولكنها مقروءة. وعقدنا دورة في نهاية أسبوع في "غوتينغن" ، استمرت يومين ، وقد دفعت مصاريف الندوة من ريع الكتاب. وكانت تجربة مثيرة سعد بها الشباب وطالبوا بتكرارها، ولكن ظروف عملية ميونخ حالت دون ذلك. كان الكتاب بسيطاً والشرح واضحاً، بل ومفهوماً بدون مشاكل الغوص في الماركسية العميقة والفلسفة المادية وغيرها من الأفكار الماركسية التي شكلت القاعدة الفكرية في ذلك الوقت لشرح تناقضات الثورة الفلسطينية. يقول منير شفيق "

"عندما تندلع ثورة مسلحة ضد احتلال أجنبي، تواجه عدة تناقضات، خصوصاً، في البلدان المتخلفة التي ما زالت ترزح تحت نير أنظمة رجعية، شبه إقطاعية، وشبه استعمارية.

وهذه التناقضات ليست على درجة واحدة من حيث الأهمية، أو الحدة، أو العمق، بالنسبة إلى مرحلة الصراع الوطني ضد الاحتلال الإمبريالي الأجنبي لذلك، مسألة تحديد التناقض الرئيسي والتناقض الثانوية ومسألة كيفية معالجة كل هذه التناقضات وحلها، منفردة ومجمعة، هما المسألتان اللتان تحظيان بالدرجة الأولى من الأهمية والخطورة في تقرير مصير الثورة، نجاحها أو فشلها، في حقبة تاريخية محددة، وضمن ظروف محلية وعالمية محددة.

إذا خلطنا بين كل هذه التناقضات، ووضعناها على مستوى واحد من حيث الأهمية، وعالجناها بأساليب غير صحيحة، أو إذا أخطأنا في تقييم دور كل تناقض وأهميته، في مرحلة تاريخية محددة، فسوف تتخبط الثورة، ويصبح من المحال قيادتها إلى النصر، إلا إذا تمّ تدارك ذلك الخلط بأسرع ما يمكن.<sup>١٢</sup>

١١ عز الدين القلق، ولد في حيفا، كان رئيس اتحاد الطلاب الفلسطينيين في فرنسا، أصبح معتمد حركة فتح في فرنسا واغتيل في باريس آب ١٩٧٨ على يد الموساد.

١٢ منير شفيق "حول التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية"



ان فهم التناقضات التي تحيط بالثورة الفلسطينية مهم جداً في عملنا الجماهيري والطلابي، وكان منير شفيق يقدم لنا حلاً نظرياً سهلاً، وقاعدة للتفكير المنطقي يمكن البناء عليه.

وبعد عملية ميونخ ١٩٧٢ تم طرد الأعضاء النشيطين في اتحاد الطلبة الفلسطينيين، وكان الاتحاد مسجلاً رسمياً لدى السلطات الألمانية وكل فرع يسجل الأعضاء الجدد المنتخبين في كل سنة. ولذلك سهل عليهم جمع الطلاب النشيطين وطردهم من ألمانيا، وكثيرون كانوا في السنة النهائية، واضطروا لإكمال دراستهم في ألمانيا الشرقية التي كانت على علاقة جيدة بمنظمة التحرير الفلسطينية، واستقبلت جميع المطرودين من ألمانيا الغربية لمتابعة دراستهم ، وقد تم الاعتراف بالشهادات الغربية.

\*\*\*\*\*

كنت عائداً من بيروت ذلك الصيف ١٩٧٢ بعد حضور مؤتمر لطلاب فتح من مختلف الأقاليم في سوق الغرب، مدرسة أبناء الشهداء التابعة لمنظمة التحرير لفلسطينية. وذلك بعد أن حضرت معسكر مصيف في سوريا،(بقية الشباب توزعوا على معسكرات أخرى) الذي كان أبو عمر حنا ينظمه لطلاب التنظيم من الغربي.١٣

كان أبو عمر من أبرز كوادر مسار الواقعية الثورية ، الذي يرى أنه من الطبيعي أن تكون التسوية هي نهاية كل حرب، وأن الحرب لا تكون إلا لتحقيق هدف سياسي، وأن التسوية في فترة ما، هي انعكاس لميزان القوى في تلك الفترة، وبما أن ميزان القوى الآن راجح تماماً لصالح العدو، فإن أية تسوية الآن ستكون لصالحه.

وبعد استشهاده تكون في فتح ما يعرف "بالتيار الديمقراطي" الذي تشكل أساساً من معتنقي المسار الواقعي وعدد من الذين كانوا يعتنقون المسارين الآخرين بنوايا حسنة.

رغم بعض التباينات بين أعضاء هذا التيار إلا أنهم جميعاً يشيدون بأبي عمر ويعتبرونه قدوة في المسلك والتواضع والالتزام بالرؤية الديمقراطية.١٤

كانت دورة مكثفة ركزت أكثر على العمل التنظيمي والفكري، بالإضافة إلى التدريبات العسكرية التقليدية، وقد نوقشت أكثر القضايا الملحة في ذلك الوقت، وهي مسألة العودة لأي شبر ينسحب منه العدو الصهيوني، وإقامة السلطة

١٣ ولد(أبو عمر) حنا ميخائيل في رام الله عام ١٩٣٥، انضم لحركة فتح في الأردن عام ١٩٦٩، إلتحق أبو عمر بدورة عسكرية في فينتام سنة ١٩٧٥ مدتها ستة شهور ، ذهب إلى الشمال عن طريق البحر لحل مشاكل التنظيم، لكن المجموعة إختفت ولم يعثر لأحد منهم على أثر.

١٤ عبد الفتاح القلقيلي، <http://www.abu-omar-hanna.info/spip/spip.php?article19>

الوطنية، وكان المرحوم كمال عدوان<sup>١٥</sup> من معارضي السلطة، ومع استمرار الكفاح المسلح.

كان الحاضرون من فروع التنظيم المختلفة من البلدان العربية والأوروبية. وتبادلنا الخبرات في التنظيم والعمل للقطاع الغربي. وتكونت لدي فكرة عدم جدوى العمل في الغربي، مع أنني كنت أكن احتراماً عظيماً لأبو عمر حنا، ( كنت قد تعرفت عليه في مؤتمر اتحاد الطلبة في الجزائر عام ١٩٧١ وكان قادماً من أمريكا).

كانت أخبار عملية ميونخ<sup>١٦</sup> قد انتشرت، ولكنني قررت العودة لمتابعة دراستي، كنت في السنة الخامسة في دراسة الطب. وعبرت التفتيش و عدت إلى بون حيث كنت أدرس. كان فرع بون يقود العمل الطلابي في ألمانيا الغربية، باسم سكرتارية التنسيق لفروع ألمانيا والنمسا والتي كانت تنتخب كل سنة . وكان الرئيس هو شقيقي محمود اللبدي، الذي تأخر في بيروت بعد المؤتمر، وقاد الاعتصام الطلابي أمام جامعة بيروت العربية منددين بمنع فرع اتحاد لطلبة الفلسطينيين في ألمانيا، وكنت أنا مسؤول الإعلام في الهيئة الإدارية.

برزت مواهب محمود في بيروت، فهو يتقن ثلاثة لغات هي الإنكليزية والفرنسية والألمانية، بالإضافة إلى العبرية، وكان حضوره يسهل الحديث مع الصحفيين من معظم أنحاء العالم. فحجز مكانه في العلاقات الخارجية في فتح، ثم تولى مسؤولية الإعلام الخارجي طوال إقامته في بيروت، وقدم مثلاً خاصاً في الصمود في أثناء حصار بيروت عام ١٩٨٢ وأصبح الناطق الرسمي باسم منظمة التحرير الفلسطينية، حيث بقي في منطقة الفكهاني بعد إخلائها من جميع المكاتب وهجرة جميع القيادات، ويحدثني الزملاء عن معرض القذائف الذي كان يعرضه على مدخل البناية التي كان يعمل فيها ، حيث أصر أن يزوره الصحفيون الأجانب في الفاكهاني وفي مكتبه، ورفض المغادرة إلى مكان أكثر أمناً مثل الحمرا، أو غيرها.

فور وصولي صدرت رسالة من بوليس بون باعتقالي لترحيلني من ألمانيا، وتركت بيت الطلبة الذي كنت أسكن فيه، وذهب للنوم عند أصدقائي الألمان اليساريين الذين رحبوا بي، وساعدوني في تدبير محامي لمنع الطرد ولإعطائي فرصة لإكمال دراستي. وتم إجراء لقاء تلفزيوني في برنامج بانوراما في البرنامج الأول ،

---

<sup>١٥</sup> كمال عدوان (١٩٣٦ - ١٠ أبريل ١٩٧٣) سياسي فلسطيني كان أحد أهم قادة حركة فتح قبل أن يغتاله الإسرائيليون في بيروت. ولد كمال عدوان في قرية بربرة القريبة من مدينة عسقلان. لجأ مع عائلته إلى قطاع غزة بعد حرب ١٩٤٨. درس في مصر وتخرج كمهندس بترول واشتغل في السعودية وقطر. شارك في انطلاقة حركة فتح وانتخب في لجناتها المركزية سنة ١٩٧١. اختير عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني سنة ١٩٦٣. لعب دوراً مهماً بصفته مسؤولاً عن مكتب الإعلام في منظمة التحرير الفلسطينية. اغتاله كوموندوس إسرائيلي في ١٠ نيسان ١٩٧٣ في عملية استهدفت أيضاً كمال ناصر. وأبو يوسف النجار

<sup>١٦</sup> عملية ميونخ هي عملية احتجاز رهائن إسرائيليين حدثت أثناء دورة الأولمبياد الصيفية المقامة في ميونخ في ألمانيا من ٥ إلى ٦ أيلول سنة ١٩٧٢ نفذتها منظمة أيلول الأسود وكان مطلبهم الإفراج عن 236 معتقلاً في السجون الإسرائيلية معظمهم من العرب بالإضافة إلى كوزو وأكاموتو من الجيش الأحمر الياباني. انتهت العملية بمقتل 11 رياضياً إسرائيلياً و5 من منفذى العملية الفلسطينيين وشرطي وطيّار مروحية ألمانيين.

كمسؤول للإعلام في اتحاد طلبة فلسطين في ألمانيا، وسئلت عن عملية ميونخ، وأوضحت أننا طلاب ندرس في ألمانيا ، وليس لنا علاقة بالعمليات العسكرية.

اتصلت بالأخوة في بقية الفروع مثل فرع آخن بالأخ عكرمة عفاني،(مهندس كهربائي، أصبح رجل أعمال ناجح في الخليج والأردن) وفي فرانكفورت بالأخ عبد الرحمن علاوي،( أصبح سفيراً للمنظمة في الدنمارك ثم صاحب دار نشر في ألمانيا). اتفقنا على الاعتصام في الجامعة العربية في بون احتجاجاً على منع الاتحاد في ألمانيا والذي صدر بعد الأمر بطرد النشطاء. بقينا في مقر الجامعة حوالي الثلاثة أسابيع مضربين عن الطعام. وأصبح مكتب الجامعة العربية بعد إخلائه من موظفيه الذين تضامنوا معنا، غرفة عمليات لاتحاد طلبة فلسطين، توكلت الاتصال بجميع الفروع للاتحاد وحفزناهم على التظاهر تضامناً معنا وضد القرار الجائر لحكومة ألمانيا الغربية التي خضعت لضغوط الحكومة الاسرائيلية. وكنت أعرف من الفروع المندوبين الذين حضروا المؤتمر السادس لاتحاد الطلبة الفلسطينيين في الجزائر ١٩٧١ وقد خرجت تظاهرات للتضامن معنا في كراتشي وبيروت ودمشق والقاهرة والجزائر ولندن ونيويورك. وتوكل عبد الرحمن علاوي من فرانكفورت بالاتصال بالمنظمات الألمانية والأجنبية في الجامعات الألمانية وتكلف عكرمة عفانة بالاتصال بالصحف الألمانية والتحدث باسم الطلبة الفلسطينيين .

أصبح مقر الجامعة محجاً للطلاب الألمان اليساريين من كل الاتجاهات تضامناً معنا وجاءت الاتحادات الأجنبية أيضاً مثل اتحاد الطلاب الإيراني سيسنو، المناهض للشاه في تلك الأيام، وطلبة أمريكا اللاتينية، الذين كانوا يتظاهرون يومياً أمام الجامعة العربية آتين من كل مدن ألمانيا. كان يتم عقد مؤتمر صحفي يومياً في الجامعة العربية، وجاءت محطات التلفزة والأذاعة الألمانية المختلفة.

أهم مقابلة أجراها عكرمة عفاني الذي سئل عن سبب الإضراب في الجامعة العربية، فتلى بيان الاتحاد عن عدم شرعية منع الاتحاد، وعن عدم شرعية طرد الطلبة الفلسطينيين ، وعدم إعطائهم حقوقهم القانونية، فأجاب الوزير غينشر الذي كان وزيراً للداخلية من الحزب الألماني الحر ، في نفس البرنامج أنه يتم إعطائهم حقوقهم القانونية، ولكن المذيع أجاب- ومع ذلك يتم طرد الطلبة الفلسطينيين بدون قرار قضائي.

وتصاعد الموقف حتى أصيب الأخ عكرمة بعد ثلاثة أسابيع بهبوط من جراء الجوع، وكان يعاني من قرحة في المعدة، ورفض تناول الطعام مما اضطرنا إلى طلب سيارة إسعاف لنقله إلى المستشفى الجامعي في بون. واتفقنا بعدها على إنهاء الإضراب، وفكرنا في كيفية إنهائه، خاصة وأن البوليس يحاصر المقر ومعظمنا مطلوب للتسفير من ألمانيا.

كان فكرة محمد أبو سرور(مهندس ناجح في السعودية) أن نخرج فرداً فرداً مع الوفود الألمانية التي تزورنا، ويبقى وحده في المقر، وبعد خروج الشباب، يعقد مؤتمراً صحفياً يعلن انتهاء الإضراب. فيأتي البوليس ويقبض عليه ويسفره على حساب الحكومة الألمانية. وهكذا كان وخرجنا تدريجياً، وعقد أبو سرور مؤتمره الصحفي، ولكن البوليس لم يقبض عليه، ولم يسفره. وسافر على حسابه الشخصي، فقد كان قد أنهى دراسته. وانتهى الإضراب بدون تحقيق مطالب رفع المنع عن الاتحاد، وخرجنا هاربين جوعانين من المقر، ولكننا حققنا حملة إعلامية

شاركت فيها جميع فروع اتحاد طلبة فلسطين، من باكستان إلى نيويورك ولندن. افتقدنا هذه الحملة عند حدوث التطورات المأساوية التي لاحقت الشعب الفلسطيني بعد ذلك.

اتفقنا على عمل جولة في ألمانيا للقاء الشباب والبحث في كيفية استمرار عمل اتحاد الطلبة الفلسطينيين رغم المنع، وتنقلت مع عكرمة بسيارة الفولفسفاجن الصغيرة في معظم الفروع مثل هامبورغ وبرلين ومونستر وكولون، واتفقنا على عقد مؤتمر مصغر لفروع الاتحاد في فرانكفورت. ثم في المؤتمر اتفقنا على تكليف فرع آخن بمتابعة العمل للتنسيق بين فروع الاتحاد، أو من بقي من الشباب. واستمر العمل في ألمانيا ولكن بصورة أقل وأضعف من ذي قبل.

لم يعد لي أي سبب للبقاء في ألمانيا الغربية، فقررت أن أسافر إلى برلين الشرقية بالقطار، حزمت ملابسي، أما كتبي وخاصة ما يتعلق بالسياسة وفلسطين، فأهديتها للشباب، واحتفظت بغيثارتي، التي كنت أتعلم عليها في وقت الفراغ قبل البدء بالعمل السياسي بعد هزيمة ١٩٦٧، وتوجهت إلى برلين. وكانت دهشتي كبيرة أن التفتيش الألماني عبر الحدود لم يسألني، في الوقت الذي كانت صحافة مدينة بون تتابع تحركاتي يومياً، وتنشر أخباري. وتابعت السفر بهدوء.

\*\*\*

في برلين الشرقية، ذهبت إلى السفير الفلسطيني، وكان السفير في ذلك الوقت هو أبوعماد الكردي، الذي رحب بنا، وكان يقيم لديه طالبان آخران عدنان ونبيل من هامبورغ ثم جاء سليمان بعدي من بون. فأصبحنا أربعة. ونظراً لأن عائلته لم تكن مقيمة في برلين، فقد استضافنا أبو عماد في بيته طيلة فترة الإقامة في برلين حتى جاء توزيعنا من وزارة التعليم الألمانية الديمقراطية كل حسب تخصصه.

كانت برلين الشرقية فقيرة مقارنة بالانتعاش الاقتصادي في ألمانيا الغربية التي نهضت بعد الحرب بفعل خطة مارشال الأمريكية<sup>١٧</sup>، حيث استثمرت الولايات المتحدة في الشركات والصناعات الألمانية مما أدى لإنعاش الإقتصاد الألماني الغربي، ورفع مستوى الحياة في ألمانيا الغربية وجعلها بؤرة لجذب العمال والطلاب من العالم الثالث خاصة. كانت برلين الشرقية كثيفة تشعر بالفقر في مناظر الأبنية، ملابس الناس والسيارات الشرقية التي اندثرت بعد إعادة توحيد

١٧

مشروع مارشال هو المشروع الاقتصادي لإعادة تعمير أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية الذي وضعه الجنرال جورج مارشال رئيس هيئة أركان الجيش الأميركي أثناء الحرب العالمية الثانية ووزير الخارجية الأميركي منذ يناير 1947 والذي أعلنه بنفسه في 5 يونيو من ذلك عام (1947) في خطاب أمام جامعة هارفارد وكانت الهيئة التي أقامتها حكومات غرب أوروبا للإشراف على إنفاق 12.9925 مليار دولار أميركي قد سميت " منظمة التعاون والاقتصادي [https://ar.wikipedia.org/wiki/مشروع\\_مارشال](https://ar.wikipedia.org/wiki/مشروع_مارشال) الاوربي" وقد ساهمت هذه الأموال في إعادة اعمار وتشغيل الاقتصاد والمصانع الاوربية

ألمانيا، ولكن محاولات الدولة للنهوض بالبلد كانت واضحة فالإنشآت في كل مكان والطرق السريعة والجسور.

كنا نقضي معظم الوقت في ميدان ألكسندر. ويسمى شعبياً أليكس، أليكس كان سوقاً للماشية في العصور الوسطى، وهي ساحة العرض العسكري والأرض مكرسة للثكنات العسكرية المجاورة القريبة من قصر الملك. حتى منتصف القرن التاسع عشر.

وسميت الساحة ألكسندر تكريماً لالكسندر الأول، قيصر روسيا، في زيارته إلى برلين في ١٨٠٥ .

و طبقة فوق طبقة يتوضع التاريخ الحضري في برلين في ميدان ألكسندر، تتشابك قرون من التاريخ الاجتماعي والسياسي والمعماري ومرارا وتكرارا كان موضوع النقاش العام ومسابقات التصميم الحضري.

التحول من ساحة ألكسندر إلى مفترق طرق العبور ومنطقة التسوق كان حديثاً حول وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر مع التطورات مثل بناء القطار العلوي (S-بان)، و شبكة السكك الحديدية في برلين في عام ١٨٨٢ والسكك الحديدية تحت الأرض(U-بان ) من عام ١٩١٣. دمرت الساحة خلال إعصار الحرب العالمية الثانية ، وتحولت الساحة تدريجياً إلى منطقة مشاة متطورة خلال الستينات من القرن الماضي لتصبح منطقة حضرية شعبية. كان البناء مستمراً في الساحة، وكنا نلاحظ الحواجز المقامة لمنع المارة من الإقتراب من ورشات الحفر والعمل، وكان برج التلفزيون قد افتتح منذ ثلاث سنوات عام ١٩٦٩، ولكن إقبال الناس كان ما زال كبيراً، فكلما حاولنا الدخول لزيارته ، كنا نجد صفاً طويلاً من المنتظرين الذين يقضون ساعات في الانتظار للصعود إلى البرج. ولم نكن قد تعودنا على الطوبير بعد، ولكننا تعودنا بعد الإقامة في ألمانيا الشرقية.

كانت رؤية طوابير الانتظار كثيرة، نعرف منها أن هناك بضاعة جديدة أو غريبة تعرض في المحل، مثل الموز الذي كان يأتي من كوبا أحياناً ، وخاصة في فترة عيد الميلاد، أو الخضروات الشرقية من البلقان في الصيف، والمتعارف عليه كان في ألمانيا الشرقية هو أنك يجب أن تقف وراء أي طابور تجده، فهناك شيء جيد حتماً.

قضينا وقتاً ممتعاً في برلين، وكنا نعيش على ما استطعنا إحضاره معنا من ألمانيا الغربية، وكان يصرف في السوق السوداء بأربعة أضعافه، لهذا كان للقليل الذي معنا بركة المضاعفة ، بالإضافة إلى رخص الحياة بشكل عام في الدولة الاشتراكية. صرفت لنا الحكومة الألمانية الشرقية منحة طلابية ، وهي تصرف لجميع الطلبة الذين يدرسون في الجامعات الألمانية الشرقية الأجانب والألمان أيضاً. ولم نشعر بالمشاكل التي كان الشرقيون يعيشونها ، لا نقص الموز، ولا مشكلة الجينز التي كان الغرب يحاربهم بها.

سليمان وأنا ذهبنا إلى جرايفسفالد في الشمال، على بحر البلطيق، لمتابعة دراسة الطب، وكان سليمان أيضاً مسجلاً في كلية الطب في السنة الأولى. كانت جرايفسفالد مدينة صغيرة في آخر الدنيا، تبعد عن برلين حوالي ٢٠٠ كلم، وكنا أول طلاب فلسطينيين يدخلون المدينة، وفي خلال فترة الدراسة تحولت المدينة إلى مناصرة لفلسطين، فلم يخل احتفال جماهيري في المدينة أو



الجامعة من حضور فلسطيني، فقد عزفت على الجيتار، وكونا فرقة شعبية مع الطلبة العرب وجلهم من اليمينيين. وألقيت المحاضرات عن فلسطين في الجامعة، وفي المحافظة، حتى جزيرة روغن في أقصى الشمال. وكنت في ذروة امتحاناتي النهائية في دراسة الطب. وفي رئاسة اتحاد الطلبة في ألمانيا الشرقية.

أحببت ألمانيا الشرقية لتواضع أهلها واحترامهم للأجنبي، خاصة وأن جميع الأجانب هم سياسياً من نفس اللون السياسي للدولة تقريباً، والدولة هي التي أحضرتهم، في الغالب كمنح دراسية للعالم الثالث، لذلك كان الناس بشكل عام يعتبرونهم مقربين من الدولة وأصحاب امتيازات. فقد كانوا يعاملون معاملة جيدة في الجامعة، وعند السلطات. خاصة من كان يمكنه الذهاب إلى برلين الغربية للتسوق. ولكننا اكتشفنا بعد الإقامة في ألمانيا الشرقية أن معظم المبتعثين من الأحزاب الشيوعية العربية لا يفقهون شيئاً في الشيوعية أو الماركسية، وإنما جاؤوا للدراسة عن طريق الأحزاب الشيوعية التي لم تكن تجد من أعضائها أحداً للذهاب والدراسة في الدول الاشتراكية فكانوا يرسلون من تيسر لتعريفهم على الدول الاشتراكية وكسبهم إلى صف الأحزاب الشيوعية العربية، ولكن بدون فائدة. فوجئت بضحالة ثقافتهم الماركسية في اجتماعات اتحادات الطلاب التي حضرتها مع الاتحادات العالمية بعد انتخابي رئيساً لفرع ألمانيا الشرقية في اتحاد طلبة فلسطين في ألمانيا الشرقية. وفي صيف تلك السنة حضرت المؤتمر السابع للاتحاد العام لطلبة فلسطين الذي عقد في الجزائر عام ١٩٧٤ مندوباً عن فرع ألمانيا الديمقراطية، وكان التناغم مع فرع بيروت، والذي حضر عنه مجموعة من الشباب والشابات الذين أثاروا انطباعاً جيداً لدى الشباب من ألمانيا، وكانوا يمثلون فكراً يسارياً أيضاً.

## ٢- لبنان

لبنان، البلد الجميل الذي يشكل امتداداً لفلسطين إلى الشمال والذي كان في تاريخه الطويل متصلاً بفلسطين في التراث الفكري والديني وحتى المعيشي، والاتصال قائم منذ التاريخ الكنعاني (الفينيقي) و كان امتداداً لحكم فلسطين أو مقرأً لحكمها في العصور المختلفة.

لقد اضطر الفلسطينيون في منطقة شمال فلسطين ومن منطقة الجليل الأعلى والأوسط، إلى ترك قراهم ومدنهم والتوجه إلى المناطق الداخلية في فلسطين واضطروا إلى الهجرة إلى الدول المجاورة، وخاصة من القرى والمدن الشمالية في فلسطين والتي ترتبط بلبنان عن طريق القرابة والاقتصاد والأشياء المشتركة الكثيرة بينهم، وقد أقيمت لهم مخيمات مؤقتة في تلك الفترة، ولم يتخيل أحد منهم أن الإقامة ستكون دائمة.

يقول د. سمير أيوب<sup>١٨</sup> "قدر عدد الفلسطينيين في لبنان بنهاية عام ١٩٧٦ بحوالي ٤٦١،٥٠٠ نسمة، يشكلون حوالي ١٢٪ من سكان لبنان، بعد أن لم يكن عددهم ليزيد عن عام ١٩٥٢ عن ١٤٠،٠٠٠ نسمة، يشكلون ١٠٪ من سكان لبنان. وهذا مما يشير إلى تزايد أهميتهم النسبية للمقيمين في لبنان. وقد بدأت هذه الأهمية النسبية للفلسطينيين بالتزايد بعد أحداث سياسية معينة، مثل حرب السويس ١٩٥٦، وحرب حزيران ١٩٦٧، وأحداث أيلول ١٩٧٠ في الأردن."

وسكنوا في عدة مخيمات في لبنان<sup>١٩</sup>:

- مخيم ضبية:

يقع المخيم على بعد ١٢ كم شرقي بيروت وتأسس في العام ١٩٥٦، وكان يسكنه حوالي ٤٠٠٠ لاجئ.

- مخيم برج البراجنة:

يقع المخيم في الضاحية الجنوبية لبيروت، وتم بناء المخيم بواسطة بعثة الصليب الأحمر، والمخيم من أكثر المخيمات التي تعرضت للدمار خلال مجمل الحروب في لبنان، يسكن المخيم ١٧٠٠٠ لاجئ.

<sup>١٨</sup> د. سمير أيوب، البناء الطبقي للفلسطينيين، ص. ١٧٣، صامد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، بيروت

١٩٨٤

<sup>١٩</sup> سامر عبده عقروق منسق مركز الديمقراطية وحقوق الانسان

<https://www.najah.edu/ar/page/907>

- مخيم مار إلياس:  
أقيم مخيم مار إلياس في المنطقة الجنوبية لبيروت، وهو من أصغر المخيمات الفلسطينية، تم تأسيس هذا المخيم في العام ١٩٥٢، ويسكن المخيم حاليا حوالي ١٧٠٠ لاجئ.

- مخيم شاتيلا:  
تم بناء المخيم بواسطة الصليب الأحمر في الجزء الجنوبي من بيروت، وذلك في العام ١٩٤٩، والمخيم من أكثر المخيمات الفلسطينية التي تعرضت للهجمات، من مختلف الجهات، وهو المخيم الذي شهد الجريمة والمذبحة التي نفذها جيش الاحتلال في شهر أيلول من العام 1982 بقيادة مجرم الحرب شارون، وذهب ضحيتها مئات الأطفال والنساء والشباب والرجال، يسكن المخيم حوالي 7500 لاجئ.

- مخيم عين الحلوة:  
تم بناء المخيم في العام ١٩٤٨ في منطقة جنوب شرق مدينة صيدا في الجنوب اللبناني، ورحل إليه مجموعة من الفلسطينيين من مخيمات بيروت وطرابلس أثناء الحرب الأهلية في لبنان، يسكن في المخيم حوالي ٤٥٠٠٠ لاجئ.

- مخيم المية مية:  
يقع المخيم في شرق مدينة صيدا في جنوب لبنان، وقد دمر المخيم في العام ١٩٩١ تدميرا جزئيا، يسكنه حوالي ٤٢٠٠ لاجئ، الفلسطينيون الذين هجروا من منطقة الجليل.

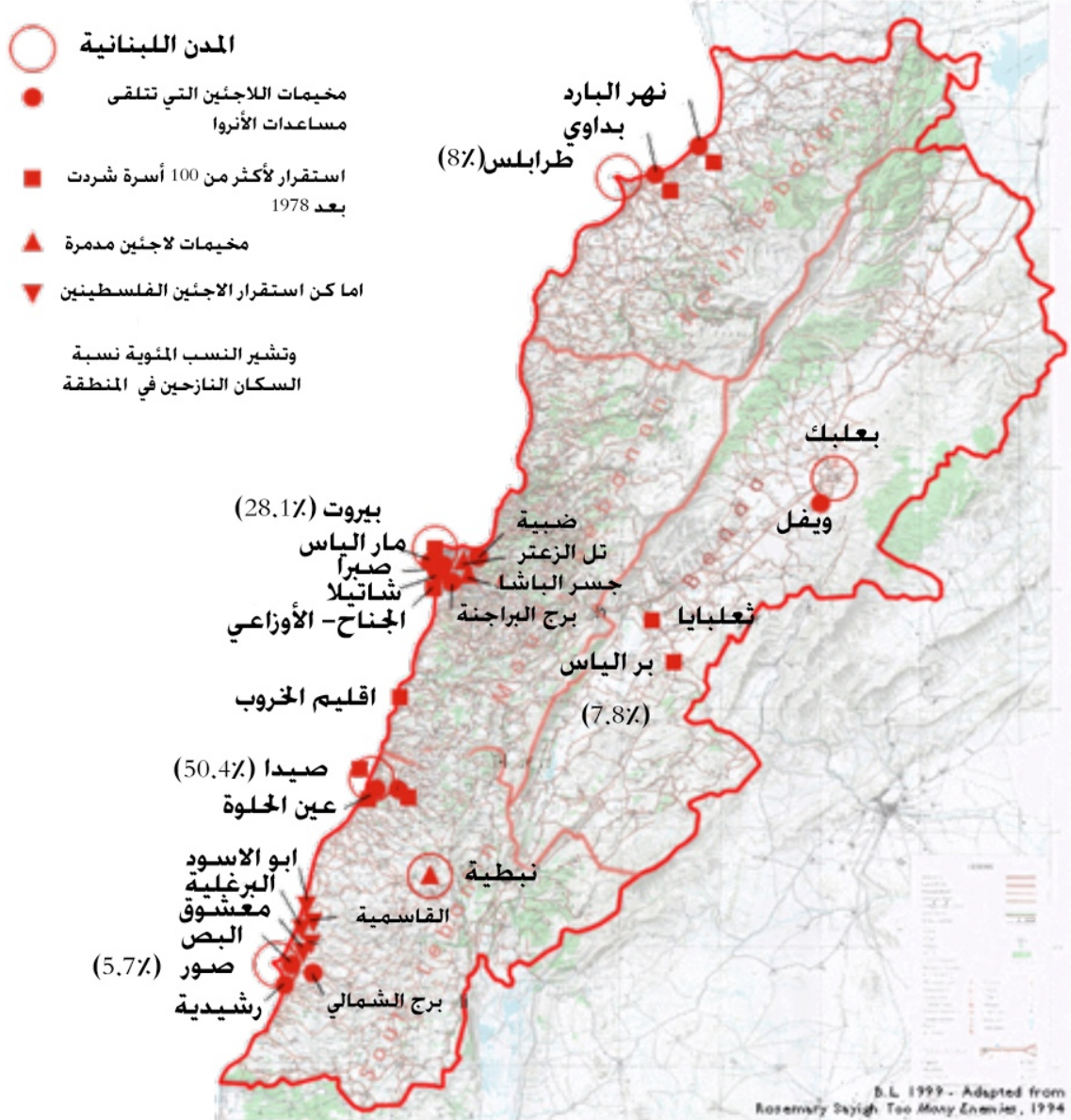
- مخيم نهر البارد:  
يقع مخيم نهر البارد على الطريق الساحلي بالقرب من مدينة طرابلس في شمال لبنان، أسس المخيم بواسطة الصليب الأحمر في العام ١٩٤٩، تعرض المخيم للكثير من الدمار أثناء الحروب المختلفة في لبنان، يسكن في المخيم ٢٦٠٠٠ لاجئ. وقد تهدم في حرب المنظمات الاسلامية، عام ٢٠٠٧. وهناك محاولات لإعادة بنائه.

- مخيم البداوي:  
تم بناء المخيم في العام ١٩٥٥ في منطقة شمال طرابلس، يسكنه ١٤٠٠٠ لاجئ.

- مخيم البص:  
يقع المخيم بالقرب من مدينة صور الساحلية في جنوب لبنان، يسكنه حوالي ٨٢٠٠ لاجئ.

- مخيم برج الشمالي:  
يقع المخيم شرق مدينة صور، بني في العام ١٩٤٨، يسكنه حوالي ١٧٠٠٠ لاجئ.

- مخيم الرشيدية:  
يقع مخيم الرشيدية جنوب مدينة صور في جنوب لبنان، جرى تدمير أجزاء كبيرة من المخيم، وقتل عدد كبير من شبابه وسكانه في الأعوام ١٩٨٢-١٩٨٧، واضطره الآلاف من سكانه إلى الهجرة من المخيم نتيجة استمرار القصف الإسرائيلي على المخيم، حيث دمر حوالي ٦٠٠ بيت من بيوته، ويسكن المخيم حوالي ٢٣٠٠٠ لاجئ.



- مخيم الدكوانة: ( تل الزعتر)، ويقع شرقي بيروت بالقرب من منطقة الدكوانة، وكان يقطنه حوالي ٣٠ ألف منهم ١٧٠٠٠ من الفلسطينيين والبقية من الجنوب اللبناني وسوريا .

- مخيم جسر الباشا: يقع المخيم في شرق بيروت، وكان يقطنه حوالي ١٧٠٠ لاجئ فلسطيني.

إضافة إلى المخيمات المشار إليها، فان هناك مخيم ويفل في بعلبك، وقد أقيم في الثكنة الفرنسية القديمة على مدخل المدينة ويسكنه بضع مئات من اللاجئين الفلسطينيين.

- مخيم النبطية، وكان يقع غرب مدينة النبطية في جنوب لبنان، ودمر بهجمات من الطيران الإسرائيلي.

وكان هناك حوالي ٦٠,٠٠٠ لاجئ يعيشون في مناطق مختلفة في لبنان، إما حول المخيمات، أو في المدن اللبنانية المختلفة. ولا بد من الإشارة إلى أن أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان تعدّ الأسوأ من جوانبها جميعها: الصحية، والتعليمية، والاقتصادية وارتفاع نسبة البطالة إضافة إلى المشاكل البيئية. ولا بد من الإشارة إلى أن الفلسطينيين في لبنان، وبقوانين معمول بها ممنوعون من مزاوله ما يزيد عن ٧٦ مهنة، منها: الهندسة، والمحاماة، والطب، والمحاسبة، والبنوك، كما تفتقد المخيمات إلى المدارس الثانوية، التي بدورها تغلق الطريق أمام أعداد كبيرة من الشباب والفتيات لإكمال تحصيلهم العملي، والالتحاق بالتعليم العالي، وهذا أدى كذلك إلى محدودية فرص العمل المتاحة أمامهم وانحصارها في المهن

اليديوية أو التي تحتاج إلى القوة العضلية، كأعمال المياومة في قطاع البناء والخدمات الأخرى. أضف إلى ذلك افتقار هذه المخيمات إلى الخدمات والرعاية الصحية، حتى وفق معايير الحد الأدنى، ولا بد أن نضيف إلى ذلك الدمار البيئي في البنية التحتية والسكن، ذلك أن السلطات اللبنانية، وحتى وقت قريب، كانت تمنع دخول مواد البناء إلى المخيمات.

ويجب أن نشير إلى أن المخيمات في لبنان، كغيرها من المخيمات الفلسطينية في الوطن والشتات تعتمد في تسيير أمورها على التمويل الذي توفره الأمم المتحدة، وبعض الدول الأوروبية، والجدير بالذكر هو الإشارة إلى تواجد أعداد كبيرة، في جميع المخيمات، من المراكز الشبابية والنسوية والثقافية غير الحكومية التي تقوم بدور التعويض عن الخدمات غير المتوفرة، فهذه المراكز والمؤسسات تقوم بأعمال دعم التعليم والصحة، وتنفيذ أعمال التدريب المجتمعي للشباب والفتيات، وكذلك بالعمل التطوعي في هذه المخيمات، ولعل أهمها التثقيف الخاص بالحفاظ على استمرار المطالبة بحق العودة إلى الوطن.<sup>٢٠</sup> وساهمت رؤوس الأموال الفلسطينية المهاجرة والعمالة الفلسطينية الخبيرة في تقدم وبناء الاقتصاد اللبناني وفي نهضة لبنان؛ سواء في الزراعة، حيث ما يزال قسم كبير من عمال بيارات الحمضيات في الجنوب من أصول فلسطينية، أو في البنوك حيث أسس بنك إنترا الفلسطيني ببيدس<sup>٢١</sup>، وقد انهار البنك لأسباب لامجال لها هنا. وقد حصل الكثير من العائلات الفلسطينية الميسورة منها خاصة

<sup>٢٠</sup> سامر عبده عقروق منسق مركز الديمقراطية وحقوق الانسان

<https://www.najah.edu/ar/page/907>

<sup>٢١</sup> بنك إنترا، مصرف لبناني أسسه يوسف بيدس سنة ١٩٥١. أصبح أكبر مصرف في لبنان في خضم سنوات قليلة، قبل أن يشهر إفلاسه في ظروف بقيت مثيرة للجدل وذلك عام ١٩٦٦ في عهد الرئيس شارل حلو. <https://>

[بنك\\_إنترا](https://ar.wikipedia.org/wiki/بنك_إنترا) [ar.wikipedia.org/wiki/بنك\\_إنترا](https://ar.wikipedia.org/wiki/بنك_إنترا)



على جنسيات لبنانية في عهد شمعون في محاولة لتغيير الديموغرافيا اللبنانية عند بروز الطائفية كعامل مهم في السياسة اللبنانية. ولكن القوانين اللبنانية تمنع أي اندماج للاجئين الفلسطينيين في السوق اللبنانية، وتمنع حق العمل في لبنان، وحق امتلاك بيت أو أرض، أو غيره، وكانت المخيمات تقع تحت قبضة المكتب الثاني (الاستخبارات العسكرية اللبنانية) الذي يضيق كل الظروف ويمنع النشاط السياسي وحتى الاجتماعي. والطريف أن فلسطين كانت مقراً للكثير من المهاجرين اللبنانيين الذين كانوا يعملون في فلسطين أيام الانتداب البريطاني، حيث كانت فلسطين تستقطب المهاجرين العرب من جميع الفئات.

الطوائف المنتشرة في لبنان هي امتداد للطوائف المختلفة المسيحية والاسلامية في المنطقة جميعها، فلا تخلو دولة من تنوع طائفي لا يفسد للود قضية. ولكن الهيمنة المارونية في لبنان، والذين لا يشكلون أكثرية انتخابية وحدهم، هي التي حاولت وتحاول السيطرة على الحالة السياسية في لبنان بعد أن اكتسبت هذه الصفة من المستعمر الفرنسي. وبعد اتفاقية سايكس بيكو المشؤومة. وقد تكرر التقسيم الطائفي في صيغة ١٩٢٠ وأعطيت الرئاسة للموارنة ورئاسة الوزراء للسنة ورئاسة المجلس التشريعي للشيعة. وتعتبر هذه الصيغة مقدسة وغير قابلة للطعن. رغم التغييرات الديموغرافية التي حصلت مع الوقت. ورغم المشاكل الكثيرة التي تنتج عنها مثل المحاباة في الوظائف والمحسوبية والرغبة في احتكار السلطة وتركيزها بيد الطبقة الحاكمة.

\*\*\*

كانت هزيمة الجيوش العربية في حرب ١٩٦٧ مدمرة للجيوش العربية ومثيرة لاستنكار الشعوب العربية، وكان البديل الموجود والذي بدأ يزيد جهوده للظهور هو الحركة الفلسطينية الفدائية والتي بدأت بحركة فتح، ثم انضم إليها بقية التنظيمات الفلسطينية لتساهم في زيادة الوعي بأهمية الكفاح الشعبي المسلح في مواجهة الجيش المحتل، وفي تعويض النقص الحاصل بعدم كفاءة الجيوش العربية وتسليحها، خاصة وأن العرب لا يملكون إمكانيات لصناعة الأسلحة. وبعد فشل التجربة الفلسطينية في الأردن وخروج المنظمات الفلسطينية الكامل عام ١٩٧١، اتجه الفدائيين إلى قواعدهم في لبنان التي كانت مؤهلة بحكم اتفاق القاهرة لاستقبالهم.

كانت استشهاد خليل عز الدين الجمل وهو شاب لبناني أول من استشهاد من اللبنانيين في سبيل القضية الفلسطينية، سقط في الأردن في نيسان ١٩٦٨ م فيما عرف بمعركة تل اربعين. وكانت بعد معركة الكرامة. كان استشهاد الشراة التي شجعت شباب عرب من غير الفلسطينيين على

المشاركة في الكفاح إلى جانب الفلسطينيين. وكانت جنازته فرصة لإظهار التعاطف والتأييد للثورة الفلسطينية،<sup>٢٢</sup> آنذاك شيع اللبنانيون الشهيد في جنازة استغرقت 5 ساعات. واستقبل موكبه الذي عبر الأردن إلى سوريا ثم لبنان بقرع أجراس الكنائس ممزوجة بندايات "الله أكبر" المنبثقة من المآذن. قررت القوى الوطنية اللبنانية تشييعه من الجامع العمري في بيروت، حيث خرج في تشييعه ١٠٠ ألف شخص وقد حمل نعشه على الأكف من مجدل عنجر إلى بر الياس فإلى جديتا ومكسي وصوفر وعاليه الكحالة الحازمية والضاحية والطريق الجديدة، وواكبته بعد الصلاة عليه من منزل أبيه إلى مقبرة الشهداء.

واندفع اليسار اللبناني والعروبيين من اللبنانيين، في تأييد الثورة الفلسطينية ودعم المقاومة وعجز الجيش اللبناني عن السيطرة على المظاهرات وقمعها. ووفر إبرام إتفاق القاهرة وموافقة مجلس النواب عليه بشبه إجماع لحل تلك الأزمة.<sup>٢٣</sup>

ويتابع سمير قصير " وكان الانتقال من الأردن إلى لبنان انتقالاً سياسياً في الواقع، واستقرت هيئات قيادة المقاومة ومختلف تنظيمات الفدائيين كلها في لبنان، حتى لو أن المقر الرسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية كان في دمشق. فمنظمة التحرير الفلسطينية كانت على وشك أن تصبح طرفاً كبيراً في سياسة الشرق الأوسط. وسرعان ما أدت هذه الديناميكية إلى تجاوز الإطار الذي رسمه

<sup>٢٢</sup> عند الساعة التاسعة من مساء يوم العاشر من نيسان ١٩٦٨، تلقت مجموعة فدائية فلسطينية إشارة من احدى وحدات المراقبة الامامية بدخول القوات الإسرائيلية إلى منطقة "تل الأربعين". ذ أقاموا جسراً حديدياً متحركاً بالقرب من "بيارة أبو فريديس" في منطقة الأغوار ودفع على هذا الجسر دبابة وعدداً من السيارات المصفحة. كما قامت طائرة هليكوبتر بإنزال أكثر من ٣٠ مظلياً في المنطقة. اخترقت الدبابة والسيارات الحدود وتقدمت داخل الأراضي العربية حيث كانت وحدة مراقبة تابعة لقوات "العاصفة" ترصد تحركاتها وما أن وصلت إلى "زبارة" قرب "تل الأربعين" حتى أبلغت وحدة المراقبة مجموعة من "قوات العاصفة" كانت ترابط في كمين خلفي. كان خليل من أفراد هذه المجموعة فتوزعوا على ثلاث وحدات وبحركة التفاف حاصروا قوات العدو وفاجأوها بنيران غزيرة من رشاشاتهم والقنابل اليدوية، فارتبك رتل العدو المتقدم وكان يضم ٧٥ جندياً من المظليين والمشاة فتجمعوا خلف الآليات المصفحة بعد أن سقط منهم ١٠ جنود بين قتيل وجريح. وأمام صمود الفدائيين، بدأت قوات العدو بالتهقير وهي تحمل قنابلها وجرحاها من منطقة الاشتباك. كان خليل بين عناصر المجموعة التي طاردت فلول العدو المنحدرة وهي تتراجع إلى مواقعها داخل الأرض الفلسطينية المحتلة، واستمروا في مطاردة القوات المتقهرة حتى وصلوا إلى نقطة متقدمة من خط وقف اطلاق النار حيث كثرت مراكز النجدة التابعة للعدو، فأمر قائد المجموعة رفاقه بالانسحاب إلى مواقعهم بعد أن أوقعوا في صفوف العدو ١٥ جندياً بين قتيل وجريح. واستمرت رماية قوات العدو من داخل الأرض المحتلة على المجموعة التي لاحقتها، وبينما كان خليل يحمي انسحاب رفاقه وتراجعهم إلى مواقعهم أصيب في كتفه فحاول عنصران من رفاقه مساعدته في التراجع ولكنه رفض الانسحاب وأصر على البقاء في موقعه ليحمي انسحاب بقية رفاقه وكان أن عاد بقية رفاقه إلى قواعدهم سالمين وسقط خليل بالإضافة لشهيد فلسطيني آخر هو علي عبد القادر حيان في أرض المعركة.

<sup>٢٣</sup> حرب لبنان، سمير قصير ص. ٧٣ دار النهار

اتفاق القاهرة، خصوصاً في جنوب لبنان وحول المخيمات، وأججت الكراهية التي كانت تعتمل في نفوس القادة العسكريين وبعض شرائح المجتمع اللبناني.<sup>٢٤</sup>

\*\*\*\*

ذهبت إلى شقيقي محمود اللبدي الذي كان قد سبقني إلى بيروت إذ أنه قد أنهى دراسته في العام السابق في السياسة والاقتصاد، وكتب أطروحته في جامعة لايبزيغ التي تابع بها دراسته هناك بعد طرده من جامعة بون في ألمانيا الغربية أثناء كتابة رسالة الدبلوم الأخيرة . وعاد إلى بيروت للتفرغ في فتح. وعمل في العلاقات الخارجية، تحت قيادة الأخ أبوحاتم<sup>٢٥</sup>. وكنت أذهب إلى زيارته في المكتب حيث تعرفت على معظم الشباب العاملين في العلاقات الخارجية. وكان قد سبقني إلى بيروت عزت الأسمر وهو من المطرودين من ألمانيا الغربية من جامعة هيدلبرغ حيث كان يدرس الطب وعلى وشك التخرج، فذهب مع المطرودين إلى ألمانيا الشرقية حيث تخرج من جامعة ماغديبورغ، وعمل منذ قدومه إلى بيروت في عيادة صبرا التابعة لجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، كانت عيادة صغيرة، يعمل فيها ممرضتان مع الطبيب، وكان أهل صبرا يندفعون للاستفادة من هذه الخدمة الجديدة في ذلك الوقت ، والتي توسعت بفعل الحاجة ليصبح هناك مستشفى غزة ذي الطوابق التسعة ومستشفى رام الله إلى جانبه، وذهبت إليه مراراً في زيارات متعددة أراقب الوضع وناقش المكان الأفضل لي.

نصحتني بعض الشباب بالتوجه للخدمات الطبية العسكرية لفتح ، وحدثني عن الحاجة إلى أطباء شباب للعمل مع القوات العسكرية. وذهبت في اليوم التالي إلى النبطية للبحث عن مكتب الخدمات الطبية العسكرية. وتبرع أحد الشباب بأخذي لمشاهدة بقايا مخيم النبطية قرب المدينة.

ومخيم النبطية هو أحد مخيمات اللاجئين الفلسطينيين المدمرة في لبنان. تم إنشائه في العام ١٩٥٦، على مساحة ١٣ ألف متر مربع على تلة مرتفعة، تبعد نحو ٣ كم غربي مدينة النبطية . كانت غالبية سكان المخيم من منطقة الحولة في فلسطين، خاصة من قرى الخالصة والناعمة وقيطية وعين الزيتون والزوية والزوق التحتاني والزوق الفوقاني ولزازه وصلحة وهونين وسحمانا. وقدر عدد سكان المخيم حين تأسيسه بنحو خمسة آلاف نسمة.

تم تدمير المخيم بالكامل عام ١٩٧٤ من قبل الطائرات الحربية الإسرائيلية. وكان المخيم قد تعرض للتدمير الجزئي في غارات متعددة بدأت عام ١٩٦٩، حين جرى استهداف بعض مواقع الفدائيين الفلسطينيين في المخيم. وتمت الغارة الأولى في أثناء عقد الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات اجتماعاً لقيادة حركة فتح في مقرها في المخيم، قبل أن تتوالى الغارات في السنوات اللاحقة ما ألحق ضرراً

<sup>٢٤</sup> حرب لبنان، سمير قصير ص. ٧٥ دار النهار

<sup>٢٥</sup> محمد أبو ميزر عضو المجلس الثوري ومسؤول العلاقات الخارجية لحركة فتح، بدأ في فرنسا وأوروبا ، ثم انتقل إلى بيروت.

ودماراً جزئياً في المخيم؛ لكن في العام ١٩٧٤ دمرته الطائرات الإسرائيلية تدميراً كاملاً عن بكرة أبيه.

توزع أبناء المخيم بعد تدميره في عدة مناطق، منها مخيم تل الزعتر ومخيم البداوي في شمال لبنان، وشحيم في قضاء الشوف، علاوة على مناطق في صيدا ومخيم عين الحلوة وبلدة النبطية.

كان مكتب الخدمات الطبية العسكرية ضمن الاماكن السكنية في البلدة، وجلست أنتظر قدوم الضابط المسؤول، كان المكتب فارغاً، فرشات اسفنجية على الأرض، وبعض الشباب يجلسون كسالى على الفرشات ، يتحدثون بأحاديث لا طائل منها وينتظرون قدوم الضابط المسؤول. وطال الانتظار وصنع الشباب بعض المأكولات من المعلبات الموجودة وأكلناها بصمت، وشربنا الشاي، وبعد الغداء جاء الضابط الصيدلي عبد الكريم. سررت بقدومه وتوقعت الترحيب والسرور لقدوم متطوع جديد، ولكنه كان متعباً وقد مل من الحديث كما بدأ يشكو من قلة الموارد وقلة التموين ، وقلة الإمكانيات، وعجزهم عن عمل أي شيء في مصلحة القوات العسكرية. كان انطباعاً سلبياً انطبع في ذاكرتي طيلة الوقت. لم أتوان عن توديعه وقد قررت أن لا أعود لهذه القيادة والظروف المحبطة.

الخريج الجديد يملؤه الطموح ويعتقد أنه سيغير التاريخ بعد تخرجه. وليس أن يجلس في بؤرة يملؤها الملل والخنوع. خاصة القادم من نشاط طلابي لا يعرف الملل.

\*\*\*

في اليوم التالي كنت في مقر الهلال الأحمر الفلسطيني في بير حسن قرب مستديرة المطار. ذهبت مشياً على الأقدام من الجامعة العربية حيث أسكن إلى بير حسن، في الطريق كان يمشي إلى جانبي شاب طويل يحمل أوراقه أيضاً، وسألته: - هل تعرف مستشفى عكا؟؟ وابتسم وقال نعم أنا ذاهب إلى هناك، وتعارفنا - اسمه أحمد أبو غوش، خريج باكستان في العلوم الطبية، (أصبح مديراً للمختبرات في الجمعية) ومن خريجي اتحاد الطلاب هناك أيضاً، وتذكرت فرع باكستان إبان الإعتصام في مقر الجامعة العربية في بون والإضراب عن الطعام لمدة ثلاثة أسابيع، وبرقيات التأييد والمظاهرة التي نظموها في كراتشي، وصديقتي الألمانية التي بكت عندما شاهدتني وقد برزت عظام وجهي.. ثم أحضرت لي الشوكولاتة بالسر.. وكان فرع باكستان من الفروع النشطة في التضامن معنا ونظم مظاهرات في كراتشي .

ودخلت عند الدكتور عبد الله أبو حسان<sup>٢٦</sup> ، رئيس الجمعية في ذلك الحين، وبعد التحية، قلت له:

- باختصار، خلصت دراسة الطب في ألمانيا وجمت لأعمل في الهلال.

نظر الدكتور عبد الله إلى وقال بهدوء،

- وأين شهادة التوصية من الأخ نبيل قليلات.. كان الدكتور عبد الله خريج القاهرة، ويعرف نبيل قليلات أثناء وجوده في الهيئة التنفيذية لاتحاد طلبة فلسطين)

<sup>٢٦</sup> (الدكتور عبد الله أبو حسان ،خريج كلية الطب، جامعة القاهرة. الرئيس الثالث لجمعية الهلال الأحمر

الفلسطيني،سلم الرئاسة في مؤتمر الجمعية في القاهرة ١٩٧٧ حيث انتخب الدكتور فتحي عرفات رئيساً.

حكايته مع تل الزعتر

فقلت وقد أثارني  
- شهاداتي هي التوصية، فإذا كانت لا تكفي فالسلام عليكم وقمت لأمشي.  
ضحك الدكتور عبد الله وقال  
- على مهلك الشهادات تكفي ، لكن في مشكلة مع نبيل؟  
فقلت - نعم في مشكلة لنبيل مع التنظيم .  
فضحك وقال - أهلاً وسهلاً، وأكملت تعبئة الأوراق اللازمة، ثم أرسلني إلى  
مستشفى حيفا في مخيم برج البراجنة.  
\*\*\*\*

أنشأ مخيم برج البراجنة للاجئين الفلسطينيين اتحاد جمعيات الصليب الأحمر  
عام ١٩٤٨، لإقامة اللاجئين من الجليل شمالي فلسطين، وتكبد المخيم أضراراً  
بالغة بالممتلكات، وتشرد ربع سكانه تقريباً خلال سنوات الحرب الأهلية.  
وقد قيل بأن هذا البرج نسب إلى قوم عرب عرفوا باسم عرب البراجنة، الذين  
تمردوا على الأمير فخر الدين الثاني (١٥٩٠-١٦٣٥م) والذين قتلوا عبداً له ورموه  
في بئر يُعرف لغاية الآن باسم بئر العبد. (في الضاحية الجنوبية)  
مساحته حوالي ٧٥ كيلو متر مربع، ويعتبر من أكبر المخيمات في العاصمة  
بيروت، ويقع على الطريق الرئيس المؤدي إلى مطار<sup>٢٧</sup> بيروت الدولي. ينتشر فيه  
البؤس، والفقر، والشوارع الموحلة، فيما يكتظ المخيم بساكنيه. يبلغ عدد سكان  
المخيم حوالي ٢٥ ألف نسمة، بحسب إحصاءات وكالة الغوث لسنة ٢٠٠٨ ،  
يعمل معظم الرجال كعمالة مؤقتة أو يدوية، بينما تعمل النسوة في مصانع  
الخطاطة أو كعاملات نظافة،  
في المستشفى تعرفت على الأخت نضال الناطور<sup>٢٨</sup> من حيفا، المسؤولة  
الإدارية، وسعدت بالتعرف على أبناء حيفا، وعدت بذاكرتي لأيام حيفا.  
جاء الدكتور نبيل نصار مدير الخدمات الطبية للقائي، وهو زميل قديم من ألمانيا  
الغربية إذ كان يدرس في فرانكفورت. وكان قد التحق بالهلال الأحمر بعد تخرجه  
 وخروج اتحاد الطلبة الفلسطينيين من ألمانيا بعد منعه بعد حوادث ميونخ ١٩٧٢ .  
٢٩

كان المستشفى متواضعاً، ليس به إمكانيات جراحية كالتي أريدها، لممارسة  
التخصص الذي أحبه، ولكن المستشفى كان مخصصاً لمجموعة من الجرحى  
المزمنين من ذوي الإعاقة المؤقتة والدائمة مثل قطع الأطراف والذين يستعملون  
العربات للتنقل، وكان فيه مركز للعلاج الطبيعي والتأهيل للجرحى. (كان يعمل به  
الأخ حسام العوضي، وهو بداية مصنع الأطراف في مستشفى عكا، التابع

<https://ar.wikipedia.org/wiki/><sup>٢٧</sup>

<sup>٢٨</sup>نضال الناطور من عائلة مناضلة، من تل الزعتر، قد كان زوجها وأشقائها يعملون مع فتح، وقد استشهد  
زوجها في معارك الجنوب ١٩٧٨ ثم استشهدت في حرب المخيمات.

<sup>٢٩</sup>من مواليد القدس ، توفي في عمان .



للجمعية لاحقاً) وطبعاً كان فيه عيادة يومية للناس عامة. وقد كان الناس يندفعون للانتفاع من خدمات الهلال نظراً لعدم كفاية عيادة الأنروا ونظراً لتوزيع الأدوية المجاني في عيادات الهلال. لم تكن جميع الأدوية متوفرة، ولكن يتم توزيع ما تقدمه الدول العربية من تبرعات للجمعية، ومع ما تقدمه الجمعية من ميزانية متواضعة.

أحسست بأني في مؤسسة تحاول صنع معجزة في تحسين الأوضاع الصحية للشعب الفلسطيني. وأدركت رسالة الثورة الفلسطينية والاجتماعية في عمل الهلال والتغييرات التي يحاول إحداثها في المخيمات والمجتمع الفلسطيني. كان مدير المستشفى الدكتور محمد اللوباني، من لوبية في شمال فلسطين، خريج سوريا، ولم نتقابل كثيراً، فقد كان مشغولاً بعيادات أخرى وفي إجازات للنهر البارد حيث تقيم عائلته، بينما أقيم في المستشفى في غرفة بسيطة. لم أبق طويلاً في برج البراجنة، فقد كان الدكتور حسان الشريف (مسؤول الخدمات الطبية في الجنوب) يريدني في صور في مستشفى البرج الشمالي، مستشفى الجليل.

مستشفى الجليل مقام في جنوب مخيم البرج الشمالي في أطراف صور، المدينة الساحلية الجميلة في جنوب لبنان.

أنشئ المخيم عام ١٩٥٥ على مساحة ١٣٦ دونم، وهو يبعد ما يقارب ٥ كم إلى الشرق عن مدينة صور. وقد اشرف على التأسيس مديره الأول الحاج نايف عزام أبو جمال وبقي يديره حتى سن تقاعده. يحده من الجهة الشرقية مزرعة شرناي ومنطقة بساتين ومن الجهة الغربية تجمع المعشوق ومن الجنوب بلدة برج الشمالي ومن الشمال منطقة الرمالي وبساتين حمضيات.

ويبلغ تعداد سكانه حوالي ٢٠ ألف نسمة، وأصل معظمهم من منطقة الجليل في شمال فلسطين ونزحوا عنها سنة ١٩٤٨. وهم من قرى الحسينية. حطين، حواسة، الخالصة، الخصاص، ديرالقاسي، ديشوم، الزوق التحتاني، الزوق الفوقاني، سعسع، شعب، صفورية، الكساير، لوبية. وتوجد في صور عدة مخيمات فلسطينية كانت تستفيد من خدمات مستشفى الجليل مثل منطقة المعشوق القريبة من البرج الشمالي، ويعتبر تجمع المعشوق إحدى التجمعات الفلسطينية المنتشرة في منطقة صور، ويعيش في المعشوق قرابة ٣٠٠٠ لاجئ فلسطيني. ومثل بقية التجمعات الفلسطينية يعاني من حرمان شديد، فهي غير مشمولة بخدمات الأنروا لإنها لا تصنف على أنها مخيم، بل تعتبر بلدة لبنانية تسري عليها القوانين اللبنانية. يوجد في تجمع المعشوق مركز صحي تابع للأنروا "عيادة" لكنها تعمل ليومين فقط في الأسبوع، وهي لا تحوي مختبر، أو أشعة، أو أطباء مختصين، بل هناك مراجعة صحية عامة للأطفال والحوامل، ويضطر المرضى لزيارة عيادة مخيم البص. ثم مخيم الرشيدية الذي يقع على مسافة خمسة كيلومترات إلى الجنوب من مدينة صور اللبنانية ويقع على شاطئ رملي أبيض مدهش في جماله، ويعد الأقرب إلى فلسطين بين الإثني عشر مخيماً الموجودة على الأراضي اللبنانية، إذ يبعد عن الحدود الفلسطينية اللبنانية مسافة ٢٣ كلم فقط.

يقسم مخيم الرشيدية إلى قسمين: القديم والجديد. تم بناء القسم القديم من قبل الحكومة الفرنسية في عام ١٩٣٦ لإيواء اللاجئين الأرمن الذين فروا من أرمينيا إلى لبنان. وقامت الأونروا ببناء القسم الجديد عام ١٩٦٣ لإيواء اللاجئين الفلسطينيين الذين تم إجلاؤهم من مخيم جورود في منطقة بعلبك في لبنان. ينحدر معظم سكان مخيم الرشيدية أصلاً من قرى دير القاسي والنهر والقرى الأخرى في شمال فلسطين. وقد زرته في الصيف الماضي (١٩٧٤) مع وفد ألماني كان يصور فيلماً عن المخيمات الفلسطينية في لبنان. ورافقنا في المخيم الأخ علي معروف رئيس اتحاد الطلبة الفلسطينيين في المخيم وجنوب لبنان.<sup>٣٠</sup> وقضيت وقتاً جميلاً على شاطئ البحر .

ثم مخيم البص. ويقع مخيم البص للاجئين الفلسطينيين إلى الجنوب من مدخل مدينة صور . تم بناء المخيم بالأساس من قبل الحكومة الفرنسية في عام ١٩٣٩ من أجل اللاجئين الأرمن القادمين من أرمينيا. و في عام ١٩٤٨ استقبل فيه لاجئي فلسطين القادمين من منطقة الجليل. تبلغ مساحة مخيم البص نحو ٨، ٠ كلم مربع. ويبلغ عدد الفلسطينيين في المخيم المسجلين في سجلات الأونروا نحو عشرة آلاف لاجئ، معظمهم من قرى ومدن شمال فلسطين كالنهر، وأم الفرج، والزيب، وميعار، والدامون، وكفركنا، والجش وحيفا. يعمل سكان المخيم بشكل عام في أعمال الزراعة والإنشاءات الموسمية. ويعيش سكان المخيم في مساكن مبنية من الطوب الاسمنتي، وبعضها تم بناؤه من قبل اللاجئين أنفسهم. وكان به مستشفى الدكتور سعد الله الخليل الطبيب الجنوبي الذي كرس حياته لخدمة فلسطين واللاجئين الفلسطينيين في صور. وكان المستشفى يجري جميع الولادات في الجنوب تقريباً، ومعظم العمليات الجراحية المطلوبة ، وقد استلمته جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني بعد تقدم الدكتور سعد الله في السن ، وبقي يداوم فيه جزئياً، كما عمل فيه الدكتور سعيد الدجاني ابن يافا الذي جاء إلى صور في أيام النكبة ، وكان استاذاً في الجامعة الأمريكية في بيروت يدرس الصحة العامة. وعمل مع الدكتور سعد الله في تأسيس المستشفى وعمل معه حتى استلام الجمعية للمستشفى حيث استلم مسؤولية الطب الوقائي والرعاية الصحية الأولية في بيروت، ولكن صور كانت هواه الذي لم يتوقف. مدير مستشفى الجليل الدكتور حبيب عمران من العراق، وهو شاب نحيف، يبتسم باستمرار ( تخصص لاحقاً في جراحة العظام) وفي المستشفى أربعة أطباء أحدهم مصري والآخر عراقي أيضاً هو الدكتور صلاح صاحب النظارات السمكية، وأنا . كان المتطوعون العرب يؤمنون بالثورة الفلسطينية وحق الفلسطينيين في العيش بكرامة واسترداد حقوقهم المسلوبة في فلسطين. بدافع من الإيمان القومي والانساني. وكانوا يبذلون جهداً جباراً في التأقلم مع مجتمع المخيمات وتقديم أفضل خدمة ممكنة. وكان معظمهم من اليساريين. وهذا سهل التعامل معهم واندماجهم في البيئة الثورية الفلسطينية ، التي كانت يسارية التوجه بعدائها للامبريالية الأمريكية واسرائيل،

<sup>٣٠</sup> علي معروف: درس الطب في ألمانيا ، واصبح رئيس الجمعية الطبية الألمانية الفلسطينية في برلين ، وهو

اختصاصي جراحة أطفال

رغم بعدها الوطني الفلسطيني. وكانت النقاشات السياسية القليلة التي تتم في الأمسيات، تدل على توجههم الفكري والسياسي. كان معظم أطباء جمعية الهلال في البداية من الإخوة العرب، كما كثير من المقاتلين، وكانت الثورة الفلسطينية تؤمن بعروبة القضية، فهي عربية القلب، فلسطينية الوجه. وكانت تطالب جميع العرب الالتحاق بها لنصرة فلسطين وتحريرها من الاحتلال الصهيوني، الذي لا يكتفي بفلسطين بل يطمح لاحتلال بلدان عربية أخرى. كما في مصر وسوريا ولبنان. ولم نكن نشعر كفلسطينيين بأي تمييز، بل بالشكر والعرفان للإخوة العرب الذين يشاركوننا همنا وطموحنا. عبر الشارع كانت قيادة منطقة صور لقوات فتح، وكان قائدها الأخ بلال الأوسط<sup>٣١</sup>، الذي تعرفت عليه للمرة الأولى مع أننا من نفس القرية وذهبنا لنفس المدرسة، ولكنه كان من حارة أخرى وكان يكبرني بسنتين، لذلك لم تتقاطع خطواتنا. ولكن وجوده أشعرنني بالاطمئنان والثقة، فلم أعد وحيداً في بلد جديد. وتكونت بيننا صداقة هادئة تعززها علاقة سياسية، وكنا نقوم سوياً بزيارة القرى الجنوبية ونتحدث مع الأهالي عن بناء التنظيم واللجان الشعبية والصمود، وكان يأخذني إلى المواقع الاستراتيجية العسكرية ويشرح لي الأوضاع العسكرية والاشتباكات التي حصلت مع العدو في كل منطقة.

كان قد ذهب إلى الجزائر بعد الدراسة الثانوية حيث عمل معلماً، وكانت الجزائر تعتمد في فترة ما بعد الثورة على المعلمين العرب لبرنامج التعريب الحكومي الذي أعاد الثقافة العربية إلى الجزائر بعد عقود الاستعمار والتثقيف الفرنسي. والتحق هناك بحركة فتح، والكلية العسكرية في شرشال، حيث تخرج ضابطاً التحق بقوات فتح واسندت إليه قيادة قوات القطاع الأوسط في جنوب لبنان ومقرها في صور. وقد استشهد بلال رحمه الله في حرب ١٩٨٢ في قتاله ضد الاحتلال الاسرائيلي لجنوب لبنان، ومكان قبره موجود في الزرارية<sup>٣٢</sup>. وتروى الأساطير عن مقاومته للعدوان الاسرائيلي بالاشتراك مع قوات المقاومة اللبنانية، والتي تحولت إلى حزب الله فيما بعد. تعرفت على الزملاء وكانوا يقومون بعمل جبار من خلال مساعدة الناس في العلاج ورفع الوعي الثقافي الصحي للناس. كما تعرفت على اللجنة الشعبية في المخيم وبدأنا الحوار كيف نفيد المخيم أكثر من مجرد العلاج. كنت أذهب في الصباح إلى مخيم القاسمية. والقاسمية إحدى البلدات الساحلية القريبة من مدينة صور، تتبع لقضاء صور في محافظة لبنان الجنوبي. وهي المنطقة التي تحيط بمصب نهر الليطاني في البحر الأبيض المتوسط. وغالب أراضيها عبارة عن بساتين للحمضيات. وقد بنيت في أطراف القرية بعض البراكيات للاجئين الفلسطينيين، ومعظمهم يعمل في البساتين المجاورة، وهو غير معترف به كمخيم في وكالة الغوث الأنروا.

بدأت أشعر بالثقة في ممارسة الطب أثناء العيادة، وكنت أسعد عندما تأتي إحدى العجايز من سكان المخيم وتسال عني شخصياً، كنت أتحدث باللهجة الفلسطينية المميزة مما استرعى انتباه كبار السن خاصة، فالشباب لا يلمون

<sup>٣١</sup> بلال الأوسط هو الشهيد محمود سمودة من اليامون/ جنين.

<sup>٣٢</sup> الزرارية في جنوب لبنان، معلومات الأخ معين الطاهر.

بهذه اللهجة القديمة، ولا يتقنونها، فمعظمهم يتحدث لهجة فلسطينية قريبة من اللبنانية، ولكنها ليست لبنانية. جئتني فاطمة من اتحاد المرأة لاساعدها في تنظيم دورة للاسعاف الأولي لبنات المخيم، وبدأنا بالتحضير عندما جاءني الأمر بالتوجه إلى بيروت إلى مستشفى القدس.

مستشفى القدس يقع في الحازمية أي في المناطق المسيحية، كان مستشفى القدس مطلقاً على بيروت الغربية والجنوبية قريب من الطريق الدولي إلى عاليه ويمكن منه مراقبة مخيمات جنوب بيروت أي برج البراجنة وحرارة و حريك حتى بير حسن، حيث مقر جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني. المستشفى عبارة عن فيلا قديمة أضيف إليها أقسام جديدة لتفي بالتوسع في أعمال المستشفى نتيجة زيادة عدد الجرحى. وكان مدير المستشفى الدكتور أحمد مراد، وهو استاذ في الجراحة العامة، كان يعمل في الولايات المتحدة، وكان أستاذاً ماهراً يجري جميع الجراحات ويعلم الكثير من الأطباء. وفي المستشفى نخبة من خيرة الأختصاصيين اللبنانيين والفلسطينيين في لبنان، من الجامعة الأمريكية في بيروت مثل موريس سابا جراح الأعصاب، وأليكسي زخريا جراح القلب، وغيرهم كثيرون. وكان يتم فيه إجراء العمليات الجراحية في مختلف الاختصاصات، كما كان يحوي نخبة من أفضل الممرضين والكوادر الصحية. ولكن عندما ذهبت إليه كان شبه فارغ فيه بعض الكوادر الذين أصبحوا أصدقائي لأننا بقينا فترة بعدها في بيروت مثل الدكتور عماد طروية (أصبح نائباً لرئيس جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، ثم وكيلاً لوزارة الصحة في السلطة الفلسطينية) خريج سوريا والدكتور أحمد أبو غوش خريج الباكستان في علوم المختبرات. والممرض أحمد أورفلي الذي لحقني بعد ذلك إلى مخيم تل الزعتر بعد أن تطور المستشفى هناك وأصبحنا بحاجة إليه، وهو من سكان المخيم، فجاء ملبياً الحاجة واستشهد هناك يوم الخروج. كنا نقضي الأمسيات على الشرفة المطلة على بيروت الجنوبية والمطار، ونستذكر أيام الدراسة، كما بدأت تتكون شلة شباب تريد الاستمتاع بالحياة، رغم الحرب. وكان المرضى قد أخلوا إلى بيروت الغربية حيث افتتحت الجمعية مستشفى في جامعة بيروت العربية.

صرت أشعر بالحرب اللبنانية، ففي صور كنت بعيداً عن التناقضات المحلية فالجو صديق وآمن، وبعض الحذر يكفي في أثناء التنقل إلى بيروت عبر الدامور، حيث أصبح القتل على الهوية هو العادة. واستمتعت بكوني أحمل جواز سفر أردني، يحترمه الجميع. كثيراً ما كنت أذهب إلى بيروت لزيارة أخي محمود، وزيارة إحدى خالاتي التي رماها اللجوء إلى بيروت، ورمي الأخرى إلى طرابلس وأخرى إلى صيدا والأخيرة في اللاذقية أما أخوالي فقد استقروا بعد خروجهم من حيفا في جبلة قرب اللاذقية في سوريا. وكان محمود يقيم في حي أبو شاعر، أي حي جامعة بيروت العربية، حيث تتجمع مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية والتنظيمات الفلسطينية المختلفة. في نفس الشارع كان مكتب اتحاد طلبة فلسطين. وكان به مجموعة من الشباب النشيط.

في بيروت عرفت أصل تسمية الحي بأبو شاعر، فهو اسم ابراهيم قليلات مؤسس حركة الناصريين المستقلين أو المرابطون، وكانت قواته في منطقة الجامعة العربية، والطريق الجديدة، ومقره بالقرب من جامع عبد الناصر على كورنيش المزرعة. وكان اسمه قبل ذلك حي القصة تيمناً بالقصة في الجزائر،

التي قاومت الاحتلال الفرنسي، ولكن اسم أبو شاكر غلب عليه. وإبراهيم قليلات من الوطنيين اللبنانيين الذين ساندوا عبد الناصر منذ تأميم قناة السويس وبداية اشتباكه مع الغرب، ثم اتهم باغتيال أحد الصحفيين اللبنانيين الذي هاجموا جمال عبد الناصر. وعام ١٩٦٧، بعد خروجه من السجن، ألف جماعة الناصريين المستقلين مع من قدروا نضاله ومبادئه الناصرية. إنضم الناصريون المستقلون إلى الحركة الوطنية اللبنانية بزعامة كمال جنبلاط، وشارك مقاتلوها في التحالف مع قوات الحركة الوطنية في المعارك ضد ميليشيات الجبهة اللبنانية اليمينية بزعامة كميل شمعون وبيار الجميل، خصوصاً في بيروت الغربية وعيون السيمان. وكنت أرى شعاراتهم ويافطاتهم في كورنيش المزرعة، عند زياراتي لبيروت. وكان اندماج حركة المرابطون صادقا. في كتابه "آه يا بيروت" يروي الكاتب رشاد أبو شاوور عن لسان صلاح خلف "أبو إياد" :

-الحركة الوطنية لا تقوم بالدور المطلوب، وإن كان الوضع يتحسن بعض الشيء.. يجب أن تعلموا أن مخازن الأسلحة عند بعض أطراف الحركة الوطنية مغلقة، والوحيد الذي سلاحه فوق الأرض هو إبراهيم قليلات، أبو شاكر.

### ٣ - الهلال الأحمر الفلسطيني

كانت جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني إفرازاً طبيعياً لوضع سياسي/اجتماعي يعيشه الشعب الفلسطيني منذ النكبة عام ١٩٤٨، ويزيد فيه التراكم الكمي للأحداث، والوعي لوجود جهاز صحي اجتماعي وطني فلسطيني، يتولى رعاية الشعب الفلسطيني اجتماعياً، ويقدم له الخدمات الصحية اللازمة حسب الحاجة المباشرة، وحسب قراره غير الخاضع لأي اعتبارات سياسية لا علاقة له بها، وقد



حاول الشعب الفلسطيني منذ تعرفه على أفكار جمعية الهلال والصليب الأحمر الدولي إنشاء جمعيات في فلسطين منذ ما قبل النكبة، وقد اندمجت بعد النكبة في جمعية الهلال الأحمر الأردني في الضفة الغربية، وبقيت الجمعية في غزة محافظة على اسمها واندثرت الفروع في المدن الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٤٨.

لقد أدركت الثورة منذ انطلاقتها أهمية العمل الصحي والاجتماعي ، فأنشأت حركة فتح مؤسسة الشؤون الاجتماعية والخدمات الطبية، والتي بدأت بافتتاح العديد من المراكز الصحية في المخيمات الفلسطينية في الأردن والعيادات المتنقلة في القرى والمدن حيث يتواجد المقاتلون. وقد أنشئت جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني عام ١٩٦٨ .

وفي عام ١٩٦٩ كرس المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في القاهرة شرعية جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني لتكون مسؤولة عن تقديم الرعاية الصحية والاجتماعية للشعب الفلسطيني، وقد قدمت حركة فتح جميع مستوصفاتها ومستشفياتها للجمعية، لتكون نواة للجهاز الطبي لمنظمة التحرير الفلسطينية.

كان لا بد بالإضافة إلى تلبية احتياجات الشعب الفلسطيني الصحية والاجتماعية، أن تقوم مؤسسة تظهر على المستوى الدولي أيضاً، وتقوم بتمثيل الشعب الفلسطيني في المحافل الدولية، مدافعة عن حقوقه وموجهة النظر إلى العدوان المستمر على هذا الشعب الذي حرم من حقوقه الأساسية في تقرير المصير، وإقامة دولته المستقلة على أرضه نتيجة معادلة دولية لم يشارك في صنعها، بل وتحمل نتائجها مرغماً، وما زال حتى الآن يرفض هذا الواقع، ويحاول استعادة حقوقه من خلال كفاحه المستمر، ولعل درجة الوعي والتنظيم التي وصل إليها الشعب الفلسطيني هي التي أفرزت المؤسسات الكثيرة، التي تحاول خدمة أهدافه وتمنع ذوبانه في محيطه. وقد اعترفت المنظمات الدولية بالمؤسسات الفلسطينية، كالأمم المتحدة ومنظماتها، والصليب الأحمر الدولي، بالإضافة إلى الجامعة العربية والهلال الأحمر العربي.

إن ظروف الشعب الفلسطيني الخاصة في التشرذم ، وعدم تواجده على أرضه ، تفرض عليه مواجهة نوعية خاصة من المشاكل المتعلقة بهذه الظروف، بالإضافة إلى المشاكل العادية التي يواجهها أي جهاز حكومي.

إن الاستقرار هو المقدمة لإنشاء وعمل أي جهاز مدني متكامل، ولكن الظروف السياسية فرضت على جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني أن يكون فلسفة خاصة، تنبع من ظروف الشعب الفلسطيني وثورته المسلحة، أساسها عدم الاستقرار والمرونة، حتى أصبحت له القدرة على مواجهة أقسى ظروف الحرب، مستفيداً من التجربة وتراكم الخبرات، كما يحدث عند كل عدوان اسرئيلي، كما فرضت أيضاً الانتشار لتغطية التواجد الفلسطيني حيثما أمكن، فقد امتدت الفروع في لبنان وسوريا ومصر واليمن والسودان وتونس والكويت والعراق، لتضم المتطوعين من مختلف الجنسيات العربية، بالإضافة إلى المتطوعين الأجانب.

جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني جمعية منظمة لها دستور ونظام دقيق يحدد المسؤوليات ويحاسب على الأداء، وينتخب القيادات ديموقراطياً، وقد ألفت كتاباً فيما بعد عن الجمعية ونشأتها ومشاكلها.<sup>٣٣</sup>

كان المقر الرئيس للجمعية في بيروت يقع في بير حسن، فوق مستشفى عكا. وقد توسعت الجمعية في بناية يعقوبيان، فأنشأت مستشفى الناصرة للأطفال بعد الخروج من تل الزعتر وابتدأ بعلاج الأطفال الذين خرجوا من تل الزعتر بدون أهالي، ثم انتقلوا إلى دار إسعاد الطفولة في بير حسن أيضاً. كما أنشئ مركز العلاج الطبيعي ومصنع الأطراف في الطابق الأرضي بعد خروج المستأجرين. وكان مقر الجمعية يحتوي على مكتب الرئيس ومكاتب الإدارة العامة، ومعرض دائم للتراث الفلسطيني تشرف عليه أم الوليد وجدان صيام، مسؤولة الشؤون الاجتماعية في الجمعية. كما كان هناك مكتب الإعلام للجمعية ويديره الدكتور سمير أيوب، ومعه الطاقم الإعلامي، والذي أسس أول أرشيف للجمعية من الوثائق والصور للنشاطات المختلفة. وكان في الطابق العلوي مركز أبحاث الإصابات التابع لاتحاد الأطباء العرب، يرأسه الدكتور إميل الرياشي ويديره الدكتور ابراهيم صهيون، طبيب الأسنان، وابن يوسف صهيون العضو في الهيئة العربية لفلسطين برئاسة الحاج أمين الحسيني.

جاءت دعوة لحضور اجتماع لفتح في جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني في الطابق الرابع من عمارة يعقوبيان، فوق الإدارة. وفوجئت بوجود أكثر من مائة شخص لم أعرف معظمهم، فقد كنت جديداً في بيروت، ولم أتعرف عليهم بعد. بدأ الاجتماع رئيس الجمعية الدكتور عبد الله أبو حسان، فأكد أهمية اجتماع أبناء التنظيم وأهمية التنظيم في العمل الاجتماعي وأعطى صورة عن الوضع السياسي، وعن الجمعية والظروف التي تمر بها، وفتح الباب للنقاش.

رفعت يدي وكنت أجلس في آخر القاعة الكبيرة، وقلت عند إعطائي الكلام - أنا سعيد بحضور اجتماع لفتح في بيروت، وهذا أول مرة أتشرف فيها بحضور اجتماع كهذا، ولكن معتاد على هيكلية في الاجتماعات التنظيمية، ولكني لا أرى اجتماعاً تنظيمياً، بل أرى "طوشة عرب"، ولا أعرف أحداً من الشباب، ضحك الشباب عند ذكر طوشة العرب، وهنا احتج الدكتور فتحي عرفات نائب الرئيس، وأصر أن أعتذر عن الكلمة، فتحي عرفات القاهري المنشأ والتربية لم يفهم الكلمة وظنّها إهانة، خاصة مع ضحك الشباب، ولم يفهم كيف تكون طوشة العرب، حيث لا يعرف أحد أحداً، بل يشارك في الطوشة والضرب بدون أي معرفة. أجبت

- هذه ليست إهانة لأحد وإذا أحس أحد بالإهانة فأنا أعتذر له، فليس ذلك قصدي، بل أقصد غياب الأطر التنظيمية التي تعودنا عليها في تنظيم فتح. و تابعنا الاجتماع بدون نتيجة طبعاً، وكان الاجتماع الأخير الذي أشهده للتنظيم. ولكن الشيء الوحيد الذي بقي من الاجتماع هو كلمة طوشة العرب، التي ظل يذكرني بها الشباب باستمرار. وبعد الخروج من تل الزعتر تم انتخابي عضواً في المكتب التنفيذي، وكذلك الدكتور يوسف عراقي، فقد كنا ورقة

<sup>٣٣</sup> جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، د. عبد العزيز اللبدي، دار الكرمل عمان ١٩٨٤، ودار بلسم في

انتخابية مهمة أثناء الانتخابات التي جرت في الجمعية للتحضير للمؤتمر الرابع لجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني الذي عقد في القاهرة، وتم انتخاب الدكتور فتحي عرفات رئيساً للجمعية، وبقي في رئاستها حتى المؤتمر السابع في غزة ١٩٩٦. حيث انتخب الأخ الدكتور يونس الخطيب. وكنت قد فرزت إلى الخدمات الطبية العسكرية للسلطة الفلسطينية ، نائبا للمدير الصيدلاني بشير السنوار ومسؤولاً عن الضفة الغربية.

## ٤- الحرب اللبنانية

تبدأ النزاعات عند اختلال التوازن المتفق عليه والمعاش وتتأثر مصالح الفرقاء ، دوافع النزاعات تختلف من العوامل الاقتصادية إلى العوامل الشخصية مثل الطموحات والقناعات والحسد وغيرها، ويجب البحث في هذه العوامل والتعمق بمعانيها وأهدافها<sup>٣٤</sup>. لقد فرض الاستعمار الفرنسي فصل لبنان عن سوريا بعد قدوم غورو القائد العسكري الفرنسي، وبعد هزيمة ميسلون، وكان المسيحيون مهيون لذلك بفعل المدارس التبشيرية العريقة في لبنان، والعلاقات القديمة مع فرنسا "الأم الحنون"، التي كانت تعتبر حامية لبنان، وقد ساد لبنان جو من العلم بفعل وجود الجامعات ونسبة مرتفعة من المثقفين، وأصبحت بيروت مقراً لأهم الصحف العربية ولدور النشر العربية .

وكانت إثارة النزعة الطائفية لدى المسيحيين سهلة نظراً للخوف من التحول إلى أقلية وفقدان مصالح الطبقة البرجوازية .

الحرب اللبنانية هي تعبير عن أزمة سياسية، جذورها اجتماعية واقتصادية، بل وتاريخية أيضاً. وأخذت بعداً طائفيًا، للتغطية على النواحي الأخرى. لقد استطاعت السياسة الطائفية أن تفرض عزلة لبنان عن محيطه العربي، والإندماج في الصراع العربي الإسرائيلي بعد عام ١٩٤٨، وأن تعزله عن التطورات الفكرية والقومية المستمرة في المحيط العربي، بتحالف غير مكتوب مع الكيان الصهيوني. بعد أن لعب دور القيادة في بداية تطور الأفكار القومية العربية والاستقلال عن تركيا والاستعمار. وقد استمر التعايش وفق اتفاق ١٩٤٣، والتقسيم الطائفي بطريقة سلمية، حتى دخول المنظمات الفلسطينية. يقول د. سمير أيوب في خلاصة تحليله للأوضاع في لبنان: " إن الاقتصاد اللبناني قد

<sup>٣٤</sup>لبنان: تعايش في زمن الحرب من انهيار الدولة إلى انبعاث الأمة بروفسور تيودور هانف،

دار النشر:- مركز الدراسات العربي-الأوروبي-باريس

وصل إلى درجة من التشبع لم يعد معها بقادر على المزيد من النمو ضمن السياسات الاقتصادية الحالية. وإن الاقتصاد يشكو الآن بحدة من خلل بنيوي داخلي وعجز في الميزان التجاري، يظهر من التفكك الحاصل بين مختلف القطاعات الاقتصادية، وينتج من هيمنة القطاع الثالث على حساب قطاعي الزراعة والصناعة المتواضعين. وقد أدى هذا الخلل إلى ارتباط عضوي للاقتصاد اللبناني بالخارج واعتماده على الاستيراد وارتباطه بتقلبات أوضاع الأسواق العالمية والاقليمية ، وهذا ما يفسر ازدياد التضخم حوالي ١٥٪ من مجموع العاملين في لبنان”

” ثم إن التفاوت الملحوظ في توزيع الدخل المحلي على القطاعات الاقتصادية وعلى مختلف الفئات الهئية الاجتماعية أدى إلى استمرار تفريغ الريف من سكانه، وإلى توزيع السكان بنسبة غير متوازنة بين مختلف المناطق لصالح العاصمة بيروت وضواحيها حيث تتمحور الحياة الاقتصادية وعل الأخص الموجهة منها للخارج. وفي الوقت الذي وصل فيه قطاع الخدمات إلى حد الاكتفاء ولم يعد قادراً على امتصاص جديد لليد العاملة. فبدأ جزء من اليد العاملة العاطلة عن العمل في الهجرة إلى الخارج. وزادت الاعتدات الاسرائيلية المتكررة على لبنان من هجرة سكان ريف جنوب لبنان. فتدهورت مجمل شروط الحياة وتراكت سلسلة من التوترات الاجتماعية البالغة العنف والتي جابهتها السلطة بقمع بوليسي، كمقتل عاملين صناعيين في تشرين الثاني ١٩٧٢، ومقتل مزارعي تبغ في كانون الثاني ١٩٧٣، وصرف مئات من معلمي المدارس في شباط ١٩٧٣، ومجزرة صيادي السمك في صيدا في شباط ١٩٧٥.

وقد وصلت هذه الصراعات الاجتماعية في تسارعها إلى الذروة التي عبر عنها الحرب الأهلية الأخيرة، والتي يحاول بعض المنظرين، عن عدم وعي وجهل بالحقائق الموضوعية حيناً، وعن رغبة في التزييف أحياناً أخرى ، إلباسها الطابع الطائفي مقدمين لها تبريرات دينية لا تصمد أمام التفسيرات لهذه الحرب، فالطائفية في لبنان ليست ظاهرة دينية، بل هي واقع اجتماعي سياسي يتجاوز الأسباب الديموغرافية. إنه واقع مرتبط بمجموعة من القواعد الحقوقية التي تشكل هوية اجتماعية تقليدية تترجم في الواقع بأشكال طبقية كثيرة”<sup>٣٥</sup>

وقد عاش لبنان تحولاً اجتماعياً ظهر في ازدياد الفقر في الجنوب، وفي نمو طبقة طفيلية رأسمالية في الجانب المسيحي ، وتدهور أوضاع الطبقة الوسطى. وللتغطية على هذه المشاكل كان الغريب هو كبش الغداء.

كان اللبنانيون سعداء بالعيش في هذه الفقاعة المصطنعة، كالنعامة تضع رأسها بالرمل متعامية عما يدور حولها، وعن التطورات الاجتماعية التي تحدث في لبنان. ولم يخطر ببال اللبنانيين، التعامل مع اسرائيل ، بالرغم من وجود اتصالات قديمة مع اسرائيل. ولكن قدوم الفلسطينيين إلى لبنان وتغيير ميزان القوى فيه أدى إلى وعي الخطر المحدق بالبلد. وفي محاولة الحفاظ على أمن لبنان كما بدى لهم كان لا بد من الحرب ضد الفلسطينيين ، وهذا قادهم في مرحلة معينة إلى التحالف مع اسرائيل، فاكشفت اسرائيل أهميتهم في إشغال الفلسطينيين عن هدفهم في الحرب ضد اسرائيل. وقد حاول الجيش اللبناني

<sup>٣٥</sup> د. سمير أيوب البناء الطبقي للفلسطينيين ص. ٢١٨ ، صامد

في ١٩٧٣ القضاء على القوات الفلسطينية في لبنان، وبعد فشله في أداء المهمة تشكلت الميليشيات المسيحية الحزبية لتتابع المهمة. ولكن انضمام فئة مهمة من الشارع اللبناني إلى الجانب الفلسطيني، جعل المهمة أصعب، خاصة مع الخوف من انقسام الجيش المركب على أساس طائفي، إذا دخل في مواجهة مع الفلسطينيين.

### اتفاق القاهرة

بدأت المنظمات الفدائية بعد نجاح عملياتها الفدائية من الأردن بعد عام ١٩٦٧ في الامتداد إلى لبنان وشنت عمليات في الجليل الأعلى. في سنة ١٩٦٩ نشبت أزمة بين الجيش اللبناني والقوات المسلحة الفلسطينية التي بدأت تنتشر في لبنان وتقوم بعمليات فدائية ضد إسرائيل. حاول الجيش اللبناني ضبط الوضع إلا أنه تطور إلى مواجهات عسكرية مما جعل العديد من الدول تتدخل ليجاد حل وبخاصة الرئيس جمال عبدالناصر. في تشرين الثاني ١٩٦٩، وقع لبنان اتفاق القاهرة مع منظمة التحرير الفلسطينية. لقد وافق بيار الجميل وكميل شمعون وشارل الحلو على اتفاقية القاهرة للعام ١٩٦٩. كان كمال جنبلاط وزير الداخلية اللبنانية في ذلك الوقت وهو نصير الثورة الفلسطينية. وفي هذا الاتفاق ينظم لبنان علاقته بالمقاومة الفلسطينية في منطقة العرقوب وانطلاقاً من بلدة كفرشوبا التي شهدت بدايات وتأسيس الحركات الفدائية، ويبيح منها للعمل الفدائي حرية التحرك من هذه المنطقة ضد إسرائيل.

أيدت الحركة الوطنية والقوى الإسلامية هذا الإتفاق ودعمته ، كما أيدته مصر عبد الناصر في ذلك الوقت. الذي كان يحضر ويخوض حرب الاستنزاف لتحرير سيناء والحرب مع إسرائيل، وكان وجود المقاومة الفلسطينية في لبنان يعني جبهة جديدة ضد إسرائيل في لبنان مما يتفق مع أهدافه، إضافة لإيمانه المطلق بالحقوق الفلسطينية وهو الذي حارب مع الجيش المصري في فلسطين عام ١٩٤٨.

وحصل الفلسطينيون حسب اتفاق القاهرة على عدة حقوق منها وجود نقاط للكفاح المسلح الفلسطيني داخل المخيمات تتعاون مع لجان محلية لتأمين علاقات حسنة مع السلطة اللبنانية، والسماح للفلسطينيين في لبنان بالمشاركة في الثورة الفلسطينية ضمن حماية سيادة لبنان، وتسهيل مرور الفدائيين وتأمين طرق العرقوب على سفوح جبل الشيخ، وتعيين ممثلين عن الكفاح المسلح في الأركان اللبنانية يشتركون في حل بعض الأمور. كما أكد الاتفاق أن الكفاح المسلح الفلسطيني عمل يعود لمصلحة لبنان كما هو لمصلحة الثورة الفلسطينية والعرب جميعهم.

تشكلت لجنة فلسطينية كتائبية عام ١٩٧٠ ، ولم يوافق عليها الأمريكان خشية انتقال الكتائب إلى الطرف المعادي.<sup>٣٦</sup>

<sup>٣٦</sup>(كريم بقرادوني) الجزء الثالث <https://www.youtube.com/watch?v=TEBzCXrq7OA>



تغيرت الظروف بعد ذلك واعتبرت الجبهة اللبنانية هذا الاتفاق احتلالاً فلسطينياً للبنان، ورفعت شعار تحرير لبنان من الاحتلال الفلسطيني، الذي رأو فيه بطريقة ما نهاية لنفوذهم في لبنان، وزاد من دور وأهمية الحركة الوطنية اللبنانية وخاصة المضطهدون في جنوب لبنان، ودور حركة أمل (أفواج المقاومة اللبنانية) بقيادة الإمام موسى الصدر، رغم حرص القيادة الفلسطينية على عدم تجاوزهم ومراعاة دورهم المهم في السياسة اللبنانية. وتركيز التوجه الفلسطيني نحو الحدود الفلسطينية في الجنوب. وهذا ما استدعى تغيير التحالفات والتحضير للحرب اللبنانية التي استمرت حتى اتفاقية الطائف ١٩٨٩ ثم إصدار العفو من مجلس النواب عام ١٩٩١ عن كل الجرائم التي حصلت منذ عام ١٩٧٥. ولكنها منعت الفلسطينيين من ممارسة أي أعمال لتحقيق هدفهم الأساس وهو تحرير فلسطين.

ولعل معظم الذين شاركوا في الحرب في الجهة الغربية، كانوا يعتقدون أنها حرب كتائبية طائفية رجعية ضد المحور الفلسطيني والتقدمي. وكان التناقض واضحاً أننا نقود حرباً للدفاع عن أنفسنا ضد هجمة اسرائيلية بواجهة كتائبية لبنانية. ولم يكن هناك أي كره للمسيحيين أو أي شعور ديني لدى أي كان، كان المسلمين يتمتعون بقدر هائل من التحمل وسعة الصدر والمرونة، (لم تكن التنظيمات التكفيرية قد ظهرت بعد) وكان بيننا الكثير من المسيحيين الفلسطينيين واللبنانيين، بل كانوا في قيادة العمل السياسي والعسكري. فالدين آخر ما نفكر به في هذه الحرب المجنونة. فالدين لله والوطن للجميع. كما كان التفكير بـ"سايكس بيكو" غير وارد، فالجميع عرب والثورة أساساً ضد الاستعمار الغربي والتقسيم. ولذلك كنت ترى الجنسيات العربية المختلفة في صفوف المنظمات الفلسطينية، ويرتقي الشهداء من مختلف الجنسيات، ترى صورهم على الجدران في بيروت والمدن اللبنانية تحت سيطرة الحركة الوطنية، فتفصح جنسياتهم.

ويقول أبو إياد<sup>٣٧</sup> على أن سيرة الجيش ظلت تسترعي انتباهنا. ففي الحين الذي كنا فيه نتخذ إجراءات لتهدئة الأوضاع، تبين لنا أن قيادة الجيش العليا تضاعف الاستفزازات كما لو أنها تريد سفك الدم وبلوغ نقطة اللارجوع. وهكذا فإن المعارك الدامية التي اندلعت في بيروت في مطلع شهر مايو/أيار، امتدت بسرعة إلى بقية البلاد. وتدخل الطيران اللبناني للمرة الأولى في الثالث من أيار ليصف مخيم برج البراجنة. في حين تعرضت التجمعات الفلسطينية الأخرى لقصف المدفعية" ويتابع " وبسبب الضغوط المتضاربة التي كانت تمارسها مصر وسوريا حرصاً منهما على استتباب السلام الأهلي في لبنان تحسباً للحرب التي تعدان لها في شهر تشرين الأول /أكتوبر، فإننا توصلنا إلى عقد اتفاق ملكارت في ١٧ أيار/مايو. وهكذا فإن هذه التسوية التي كان قوامها إنشاء وسائل تهدف إلى تطبيق - اتفاقية القاهرة - تطبيقاً أفضل، قد أفلحت في إيجاد تعايش بين الفلسطينيين واللبنانيين سيدوم حتى مطلع عام ١٩٧٥".

اتفاق القاهرة كان إذن تعبيراً عن الوضع السياسي العربي في ذلك الوقت، عهد عبد الناصر بعد هزيمة ٦٧ وحرب الاستنزاف، والتحضير لحرب أكتوبر ٧٣، وكانت

<sup>٣٧</sup> صلاح خلف أبو إياد، فلسطيني بلا هوية ص، ١٥٧

مصر القوة الرئيسية في العالم العربي بحاجة للمقاومة الفلسطينية، وكان الوضع في لبنان ضعيفاً، ولم تفلح قوة الجيش اللبناني في حسم الموضوع كما حصل في الأردن ١٩٧١، ولم تكن الميلشيات المسيحية قد تشكلت بعد، فرضي الوضع اللبناني بالاتفاقية، وعندما اشتد عود الميلشيات بقيادة الكتائب، طالبوا بإلغائه.

### الجبهات المتصارعة:

الأطراف كانت تتقاتل ضمن محاور طائفية وسياسية غير ظاهرة، هذه الأطراف تمثلت في المسيحيين الموارنة الذين كانوا في محور الجبهة اللبنانية، الطوائف الاسلامية، المنضمون للحركة الوطنية، منظمة التحرير الفلسطينية، والإسرائيليون وكذلك الجيش السوري وأطراف أخرى متفرقة.

في البداية كانت هناك ثلاث جبهات رئيسية :

- الجبهة اللبنانية بزعامه كميل شمعون. هذا الفصيل كان يهيمن عليه المسيحيون الموارنة. وسرعان ما حصلوا على المعونة من اسرائيل ثم من سوريا لاحقاً. كانت للميليشيا التابعة للجبهة المسماة القوات اللبنانية بقيادة بشير الجميل<sup>٣٨</sup> دور أساسي في الحرب. وكانت الجبهة اللبنانية تشمل أيضاً بالإضافة إلى الكتائب والأحرار؛ حراس الأرز، وجيش بركات ، وجيش التحرير الزغرتاوي والرابطة المارونية وقد أطلق عليها لقب القوى الانعزالية.

- مجموعات الحركة الوطنية اللبنانية بقيادة كمال جنبلاط، السياسي الدرزي البارز. وتضم الحزب التقدمي الاشتراكي. الحزب الشيوعي اللبناني. منظمة العمل الشيوعي. الحزب السوري القومي الاجتماعي. حزب البعث (التنظيم الموالي لسوريا). حزب البعث (التنظيم الموالي للعراق). وحركة الناصريين المستقلين. التنظيم الشعبي الناصري. إضافة لتنظيمات ناصرية صغرى.

- منظمة التحرير الفلسطينية بجميع قواها واطيافها والتي تحالفت مع الحركة الوطنية اللبنانية . حيث كان الاقتتال في بداية الأمر ما بين الجبهة اللبنانية وتحالف الحركة الوطنية اللبنانية مع منظمة التحرير الفلسطينية. بشكل عام لم تكن أطراف الصراع في لبنان متميزة تماماً وكانت التحالفات تتغير خلال الحرب.

- في الخلف كان الصراع يبدو بين اسرائيل وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية. سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية، كانا يرتبطان بعلاقة غير عادية فهما متحالفتان رسمياً، ويقفان في نفس الخندق ضد اسرائيل والخطة الأمريكية في الشرق الأوسط، ولكن العلاقات الشخصية بين الرئيسين عرفات والرئيس الأسد ليست جيدة، فالأسد يعتقد أن فلسطين هي جنوب سوريا ، وعليها أن تكون هكذا ضمن الاستراتيجية السورية السياسية والعسكرية، وجزء من الاستراتيجية العربية انطلاقاً من إيمانه القومي في حزب البعث العربي

<sup>٣٨</sup> عين بشير الجميل بعد اغتيال وليم حاوي في تل الزعتر في آب ١٩٧٦ .

الاشتراكي. ويأسر عرفات يتصرف على أساس أن فلسطين دولة مستقلة، لم يستطع العرب تحريرها ، وأن المسؤولية الأساس تقع على عاتق الشعب الفلسطيني. وينادي باستقلال القرار الفلسطيني، واستطاع في مؤتمر القمة عام ١٩٧٤ انتزاع قرار بكون منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في جميع أنحاء العالم .

اسرائيل ترى الجميع أعداء لها حتى حلفائها، فهي حسب الإيديولوجية الصهيونية تريد أن تبني دولتها من الفرات إلى النيل. وفي أعماق عقولهم وعقيدتهم أن جميع من في العالم خلقهم الله لخدمة اليهود. وهي مسلحة بالولايات المتحدة الأمريكية التي تقف رهن إشارتها كما يبدو في الظاهر، وهي في الواقع تؤدي دور الشرطي والبعبع لأمریکا في الشرق الأوسط. وتسير حسب الخطة الأمريكية منذ بداية عصر البترول في الشرق الأوسط. وهي تعيق أي تطور اجتماعي أو اقتصادي أو حضاري في المنطقة العربية بحجة المواجهة مع اسرائيل. وهذا الهدف تتفق عليه مع الولايات المتحدة . والهدف المباشر هو استمرار احتلال فلسطين، ولهذا الهدف لا بد من تفتيت المنطقة العربية وإشغالها بالحروب الدائمة لمنع أي انشغال بالتطور والتقدم. ولا بد من ضرب التعايش المسيحي المسلم في لبنان، لأن أي هدوء في المنطقة يعني البدء بالتطور، ويعني الوصول إلى حالة من القوة قد تدفع أي قائد عربي حتى لو كان عميلاً، للتفكير في تحرير فلسطين. ولهذا تراها وراء كل الأحداث والحروب التي وقعت وتقع في المنطقة العربية. وكان هدفها دائماً جر المنطقة إلى معارك داخلية بعيداً عن وظيفتها الرئيسية وهي الكفاح ضد الكيان الاحتلالي الصهيوني، فجميع الدول العربية بها مشاكل داخلية تقف اسرائيل ورأئها : ابتداء من السودان إلى اليمن والسعودية والعراق والجزائر والمغرب وليبيا وتونس، ومصر، بهدف استنزاف قدراتها العسكرية والسياسية ، وإشغالها بحرب تنسج خيوطها خارج المنطقة. فمن الغريب أن جميع العالم الذي يواجه نفس مشاكل الأقليات والقوميات والأديان لا يوجد به مشاكل ويتعايش الناس بطريقة حضارية تتلائم والقرن الواحد والعشرين، وعندما جاءت اسرائيل والغرب، لم نعد قادرين على حل مشاكلنا بقدره قادر، ولم تعد المنظمات الدولية التي يرهاها الغرب تفيد شيئاً، سبحان الله..

وفي الخلف تشاهد الصراع الأمريكي السوفيياتي على المصالح ومناطق النفوذ في العالم. ورغم أن الاتحاد السوفيياتي يقف مع سوريا ومنظمة التحرير، إلا أنه لم يدعم دخول سوريا إلى لبنان، ولا يبدو لهم الأسد جديراً بالثقة، خاصة بعد سياسة أنور السادات في مصر الذي تخلص من الخبراء الروس والعلاقة السوفيادية قبل حرب أكتوبر. كما أنهم لا يدعمون منظمة التحرير بالأسلحة اللازمة لتطوير قوتها العسكرية. بل يكتفون بالبعثات الدراسية العسكرية والمدنية، وقد درس آلاف الطلبة الفلسطينيين في الاتحاد السوفيياتي على نفقة الدولة بمنحة من منظمة التحرير الفلسطينية. وهي مرتبطة أكثر بالتوازن مع أمريكا وبالإتفاقيات المعقودة وغير المعقودة ، من خلال توازن الحرب الباردة في العالم، ولا يريدون تغيير ميزان القوى في المنطقة. فلديهم ما يكفي من مشاكل اقتصادية وداخلية ، تلهيهم عن

الالتفات لما يجري في العالم، بينما تحاول الولايات المتحدة الأمريكية أن تكسب النقاط في جميع المناطق، مثل مصر التي طردت الخبراء السوفيات. وتقف الولايات المتحدة خلف دول الخليج التي كانت في ذلك الوقت تدعم سياسة الأسد في لبنان. وتسانده بالدعم المادي للوقوف أمام التقدم المصري الذي يريد أن يكون الدولة القائدة في الشرق الأوسط. وربما لإبعاده عن حليفه السوفياتي، والولايات المتحدة تربط الخيوط مع معظم الدول العربية وليس دول الخليج فقط، من اليمن إلى المغرب العربي، فكل الخيوط تؤدي إلى واشنطن.

### ١- الجبهة اللبنانية

١:١ - المسيحيين في لبنان امتداد للمسيحيين في البلاد العربية، وهم سكان البلاد المقيمين فيها منذ رسالة المسيح عليه السلام، والمسيحيين كانوا أجداد المسلمين الحاليين، الذين تحولوا للإسلام مع الفتوحات الإسلامية. لذلك لا يوجد عداً مستأصل ضدهم لا عرقي ولا ديني، لأنهم عرب وبقية السكان العرب من المسلمين لا يعتبرون المسيحية دين عدو، بل هو جزء من الحضارة المشرقية، والإسلام يحترم الرسالات السماوية الثلاث، لذلك لا يوجد صراع ديني، ولم يقم صراع ديني في الماضي. وقد كان دور المسيحيين بناء ومهماً في بناء الحضارة الإسلامية العربية في عهد الخلافت الأموية والعباسية وغيرها من الخلافت الإسلامية. وكان منهم العلماء والمترجمين والأطباء، وكان أطباء الخلفاء في الغالب من المسيحيين، وعندما جاء الصليبيين الغربيين باسم المسيحية ليحتلوا فلسطين، وقف المسيحيين العرب مع إخوانهم من المسلمين ضد العدو الخارجي.

وفي بداية الاستعمار الغربي للمنطقة العربية، حصلت الدول الغربية على امتيازات من الدولة العثمانية لفتح إرساليات مسيحية وكنائس ومدارس ومستشفيات تبشيرية في البلاد العربية، وكان للبنان وفلسطين نصيب كبير منها، مما أعطى المسيحيين في بلادنا فرصة التعليم وسبق بقية المجتمع، في إشغال الوظائف للدول المستعمرة. وقد أدى ذلك إلى ارتباط مصلحي مع المستعمر، كان أكثر ظهوراً في لبنان، حيث قدمت فرنسا نفسها كحامية للموارنة. ولم تنشأ نفس الظروف في فلسطين لتعدد الطوائف واستقلالها وانتمائها لبلد المسيح، أكثر من البلدان المستعمرة، كما أنهم لا يشعرون بالخوف الذي يشعر به المسيحيون اللبنانيون على نفوذهم.

٢:١ - الخوف كان القوة المحركة للمسيحيين اللبنانيين، تخوف المسيحيون اللبنانيون كما تخوف عدد كبير من مواطنيهم المسلمين من الغارات الانتقامية الإسرائيلية رداً على العمليات العسكرية التي يمارسها الفلسطينيون انطلاقاً من الأرض اللبنانية.

وكانت قوة الفلسطينيين وعددهم في لبنان تشكل تهديداً ديموغرافياً أيضاً لأن إضافة نصف مليون فلسطيني مسلم سيحدث تغييراً في غير صالحهم،

وسيزعزع أسس ومقومات الدولة الوحيدة ذات النظام الديموقراطي الليبرالي الظاهري في الشرق الأوسط .  
كان دخول الفلسطينيين إلى لبنان مهدداً للسلم الأهلي والتوازنات المتفق عليها، فقد زاد من عدد المسلمين بشكل عام، كما زاد قوة الحركات التقدمية والوطنية في لبنان والتي لم تستطع إظهار قوتها والسيطرة على التوجه السياسي للبنان. وقد كانت تحتل الجزء الأكبر من لبنان عشية دخول القوات السورية إلى لبنان ١٩٧٦.

٣:١-العلاقة مع اسرائيل: بدأت علاقة الكتائب مع اسرائيل عند لجوء الكتائب لجهة لتمويلها بالسلاح، بعد انسداد جميع الجبهات العربية والعالمية، وأول من بدأ العلاقة هو بشير الجميل عام ١٩٧٥، وبدأ تدريب العناصر في الأردن وألمانيا واسرائيل.

ويقول العميد ريمون إده "إن المصلحة الوطنية اللبنانية تقضي أن يتفق اللبنانيون على نقطة رئيسية، هي أن الاسرائيلي هو العدو. ولسوء الحظ فإن هناك فئة تتعاون مع الاسرائيلي. ويعود تعاون الكتائب مع الاسرائيليين الى العام ١٩٥١، كما فهمنا من وثائق الخارجية الاسرائيلية التي أفرج عنها في العام ١٩٨١. ثم تعزز هذا التعاون في سنوات ١٩٧٤ وما بعدها".<sup>٣٩</sup>

ولكن اتصال كميل شمعون والكتائب باسرائيل لم يتخط الاتصالات المسكوت عنها، ولكنها بفعل تطور الحرب والحاجة الكتائبية للسلاح تحولت إلى اتصالات حول التعاون والتسليح بقيادة بشير الجميل.

"كتب عاموس غلبوع، رئيس قسم الأبحاث في شعبة الإستخبارات العسكرية سابقاً، في صحيفة "معاريف" أنه في الأشهر الأولى من عام ١٩٧٦، وبينما كانت الحرب الأهلية في لبنان في أوجها، وصل للمرة الأولى إلى البلاد بشكل مفاجئ، عن طريق البحر، البعثة الأولى من عناصر الكتائب".

"ويتابع أن عناصر المجموعة توسلوا بإسرائيل لمساعدتهم من خلال تزويدهم بالسلاح. بعد ذلك بعدة أيام، وفي ساعات بعد الظهر، أبحرت سفينة "دبور" من ميناء حيفا، وكانت وجهتها ميناء جونيه. وكان على متن السفينة، إلى جانب طاقم سلاح البحرية، أحد كبار المسؤولين في الموساد في حينه، وبمعيته بنيامين بن إيعازر، وكان الهدف مقابلة قائد الكتائب في حينه بشير الجميل".

"بعكس أمين الجميل، تماماً كان بشير الأصغر. رجل حميمي وقاسي القلب في الوقت نفسه، وذو شخصية كاريزماتية بشكل غير عادي. وقد قابلته في مطبخ سفينة الصواريخ قبالة شواطئ جونيه، بعد فترة قصيرة من لقاء شقيقه أمين".

"ومنذ ذلك الحين التقينا مرات كثيرة على متن السفينة في ميناء جونيه، وفي باريس وتل أبيب أيضاً. وفي إحدى المرات، وبعد اجتماع مع عيزر فايتسمان، وزير الأمن في حينه، جلسنا نتناول الغداء في أحد مطاعم هرتسليا، بعد ذلك سافرنا إلى حيفا، ومن هناك على متن سفينة الصواريخ توجهنا شمالاً نحو لبنان".<sup>٤٠</sup>

<sup>٣٩</sup>February 28, 2014مجلة الكفاح العربي

<sup>٤٠</sup>منتديات شبكة أفواج أمل للإعلام.



يقول سمير قصير " هذه العلاقات التي بدأها وسطاء هامشيون صيف ١٩٧٥، شهدت انطلاقها الحقيقية في النصف الثاني من آذار/مارس ١٩٧٦، في سياق الزيارة التي قام بها إلى حيفا وتل أبيب جوزيف أبو خليل، رئيس تحرير صحيفة العمل الكتائبية، والمساعد القريب لبيار الجميل ونجله بشير. وقد التقى جميع المسؤولين في المؤسسة العسكرية، ولا سيما وزير الدفاع شيمون بيرز<sup>٤١</sup>. ويقول في مكان آخر "وحتى المواطن العادي، كان يعلم بوجود الاسرائيليين مع الفريق المسيحي. وزادت دبابات السوبر شيرمان الاسرائيلية من قوة نيران الميليشيات المسيحية. ، كشف اجتماع عقد قبالة ساحل جونية في آب / أغسطس ١٩٧٦ بين رابين من جهة ، وبيار الجميل وكميل شمعون من جهة ثانية عن التدخل الاسرائيلي، الذي انتشرت أصداؤه كانتشار النار في الهشيم."<sup>٤٢</sup>

"على الصعيد العسكري الصرف، كان العقيد بنيامين بن أليعازر، الملقب بـ "الجنرال فؤاد" ، يدير خلية تضم أربعة ضباط من أمان(جهاز المخابرات العسكرية الاسرائيلية). كان هذا يهودياً عراقياً الأصل، فكان يتحرك بسهولة في شوارع بيروت ، حيث راح ينظم تعاوناً منتظماً مع الميليشيات المسيحية منذ آب ١٩٧٦ إبان حصار مخيم تل الزعتر الفلسطيني،.."

".. كان ضباط اسرائيليون يأتون بانتظام إلى بيروت، لكن الموساد هو الذي ينظم حركة "مهمات التعاون هذه" . ، كان عملاؤه يؤمنون الاتصال بين حيفا وجونية، معقل آل الجميل. كان الموساد يأمل من خلال لعب ورقة بشير الجميل، أن يصنع كامب ديفيد ثانياً، أي عقد صلح منفرد بين اسرائيل ولبنان مسيحي يسيطر عليه حزب الكتائب<sup>٤٣</sup>.

صرح الجيش الإسرائيلي بعد سنوات من مجزرة تل الزعتر : أنه كان لدى الكتائب بنيامين بن اليعازر مهندس مجزرة تل الزعتر عام ١٩٧٦ ، -٤٤ ويقول أبو أياد<sup>٤٥</sup> " ولم يعد ثمة حاجة اليوم إلى البرهنة على التعاون الوثيق الذي قام بين اليمين المسيحي وبين إسرائيل طوال الحرب الأهلية. فقد اعترفت بذلك حكومة مناحيم بيغن رسمياً إبان صيف عام ١٩٧٧ مشيرة إلى اتساع حجم المعونة المقدمة إلى حلفائها اللبنانيين. ثم أن هؤلاء الأخيرين تبجحوا في مرات عدة بتحالفهم مع الصهاينة مبررين ذلك بضرورة تأمين بقائهم. فالمقدم سعد حداد، المسؤول عن الميليشيات المارونية في الجنوب لم يعد أكثر من عميل مأجور. كما أن بشير الجميل قائد القوات الكتائبية أقر أمام شهود بأنه ذهب إلى بلدة نهاريا الإسرائيلية للتشاور مع مسؤولي تل أبيب. ولدينا كذلك الدليل على

<sup>٤١</sup> سمير قصير ص. ١٩٩

<sup>٤٢</sup> سمير قصير ص. ٢٣٠

<sup>٤٣</sup> <http://www.alfikralarabi.net/vb/showthread.php?t=11153>

<sup>٤٤</sup> مجزرة إهدن، ريشار لا بيفيير، ترجمة ميشال كرم، ص ١٨١، ١٨٠- دار الفارابي- لبنان ٢٠٠٩

<sup>٤٥</sup> صلاح خلف أبو إياد، فلسطيني بلا هوية ص <http://alma3raka.net/IMG/pdf/> ١٧١

أنه التقى بصحبة داني كميل شمعون - ابن رئيس حزب الوطنيين الأحرار - بضباط إسرائيليين مرات عدة. وكانت المباحثات بينهم تجري في وسط البحر على متن مركب سياحي خاص، عندما لا تدور على الأرض اللبنانية ولا سيما في مرفأ جونيه، مقر قيادة اليمين المسيحي. وفي جونيه أيضاً نزل شمعون بيريز في نهاية شهر كانون الثاني - يناير ١٩٧٦ عندما كان وزير الحربية في وزارة رابين، وذلك لإجراء محادثات مع شمعون وقادة مسيحيين آخرين. ولم يمتنع عن الاتصال المباشر بالإسرائيليين، سوى الرئيس سليمان فرنجية وبير الجميل زعيم حزب الكتائب تاركاً هذه المهمة لاتباعه".

٤:١- كانت الجبهة اللبنانية التي وافقت على اتفاق القاهرة منزعجة من عدم تطبيقه، ومن سيطرة الحركة الوطنية وامتدادها تحت طموح جنبلاط المعروف لديها، وانسياق منظمة التحرير معه في تغيير الموازين السياسية في لبنان. وتدخلت الكتائب عسكرياً في مكان الدولة اللبنانية لوضع حد لهذا التعدي على الدولة اللبنانية.

وحاولت تمرير سياستها عبر التمسك بالصيغة اللبنانية القديمة ، وبالتالي رفض أي تعديل في صيغة ١٩٤٣ وتنظيم الحياة النيابية علي أسس طائفية. وهذه الصيغة تعني أيضاً عدم الاعتراف بالحركة التقدمية الجديدة والتغييرات السياسية والاجتماعية على الساحة اللبنانية، وكان حزب الكتائب لا يعترف إلا بالتشكيلات السياسية القائمة على أسس طائفية، تمثلاً بالصهيونية في دمج الوطنية بالدين.

ورغم المعارضة المسيحية لهذا النهج، إلا أن الكتائب واصلت الفرز الطائفي وارتكاب المذابح الجماعية على الهوية كما حدث في عدة مناطق مثل المسلخ والكرنتينا وضبية. وواصلت الكتائب التعبئة الفاشية والطائفية ضد جميع المسلمين في لبنان. ودغدغة مشاعر الشبيبة بالتاريخ الفينيقي، كأن الفينيقيين جاؤوا من القمر..

ويعود أصل الفينيقيين حسب النظريات الحديثة إلى الجزيرة العربية، جاؤوا من اليمن عبر البحر الأحمر منذ فجر التاريخ، فالفينيق تعني اللون الأحمر، وكذلك الحميريين في اليمن، البحر الأحمر، والأدوميين(الحمري)، والكنعانيين(الحمري)، ولكن استعمال تعبير الجنس الأحمر اختفى لاندماجه مع الجنس الأبيض والأسود خاصة. وكذلك الارتباط اللغوي بين جميع لغات المشرق منذ الأزل. فالآرامية والكنعانية هي اللغات العربية القديمة، رغم اختلاف التسمية ولكن الكلمات القديمة ما زالت تستعمل حتى الآن في المشرق، ولم تندثر جميع الشعوب القديمة، بل تحولت إلى العروبة، واندمجت مع أقربائها القبائل العربية، أحدث القادمين من الجزيرة العربية ، وهي آخر طبعة ما زالت باقية حتى يومنا هذا، وقد يتحول الاسم لشيء آخر مع الوقت.

٥:١- كانت نتيجة خوف الكتائب وحربها ضد الفلسطينيين والحركة الوطنية هي إشغال منظمة التحرير وجرحها إلى معارك جانبية لا تستطيع معها التفرغ لقتال إسرائيل.

جرى وصف الفلسطينيين بالاحتلال الفلسطيني، وهدد بالتقسيم والكونفدرالية والتدويل. ولذلك اعتمدت دعايتهم على الترويج للاحتلال الفلسطيني للبنان، وأصبحت اتفاقية سايكس بيكو تحدد من هو الغريب في البلد. رغم مرونة الحدود عبر التاريخ، وأذكر جمرك فلسطين عند السعديات قرب قصر شمعون، حيث كان اللبنانيون يحدثوننا عن حدود وجمرك فلسطين الجزائر في السعديات حتى بداية القرن العشرين (قبل قدوم سايكس وبيكو).

كانت الجبهة اللبنانية إذن تريد منع التطور الحادث في لبنان والذي يمثله طموح الحركة الوطنية لتغيير صيغة ١٩٤٣، والمحافظة عليها، وعلى الهيمنة المارونية. استعانت بإسرائيل والغرب، الذي كان يريد تدمير الثورة الفلسطينية حفاظاً على إسرائيل. كما لوحث بالخطر الاسرائيلي لسوريا لوقف التمدد الوطني اللبناني والفلسطيني ثم انقلبت عليها. وكان طموح بعض القيادات المسيحية إنشاء كيان مسيحي في جبل لبنان. ولكن تغير الظروف ساهم في نسيان المشروع. يقول سمير قصير "وقد اتخذت الحرب التي وصلت إلى قلب بيروت منعطفاً جديداً. وبإقدامه على تدمير الأسواق الصغيرة الإسلامية، كان حزب الكتائب يقوم بأكثر من عرض للقوة لحمل الجيش على التدخل. فقد كان يعبر بأقصى درجات الوضوح عن خياره بالتقسيم، ويصدر حكماً نهائياً على لبنان الموحد."<sup>٤٦</sup>

كانت القوات اللبنانية تشكل إيديولوجية فاشية، على غرار حزب الكتائب، وهو أحد أبرز الأحزاب اللبنانية. تأسس كحركة قومية شبابية على يد بيار الجميل. كانت الحركة مستوحاة من الحزب النازي الألماني وذلك بعد زيارة مؤسسه لألمانيا خلال الحقبة النازية ليشارك بالألعاب الأولمبية سنة ١٩٣٦. واستفاد هناك من خبرة المنظمات الشبابية النازية، وكان لها تأثير كبير على تقاليد حزب الكتائب الذي كان أعضاؤه يلبسون في البداية قمصان بنيه تشبه التي كان يلبسها مجموعات القمصان البنية النازية. وكان أعضاء الحزب يستخدمون تحية النازي في بداية انشاء الحزب. تحول إلى حزب سياسي سنة ١٩٥٢. ووقف الحزب مع الرئيس كميل شمعون خلال أحداث ١٩٥٨.

والكتائب أصبح حزب الأقلية الغنية والمكونة من الملاكين وأصحاب المعامل وشركات الاستيراد ووكالات التجارة والسياحة والخدمات الذين يقومون بدور الوسيط بين المنتجات الفرنسية والسوق الداخلي في لبنان، فورث الحزب الانتداب الفرنسي الراحل.<sup>٤٧</sup>

وقد تمكنت تحت شعار الله-الوطن-العائلة وعبر شعارات الوفاق الوطني والتلويح بسيف الابتلاع من المحيط العربي والإسلامي من التأثير على نطاق واسع وفئات اجتماعية متباينة من المواردية وخلق حزب الكتائب رداً على التجمع الفلسطيني والثورة على الغرباء وسماه الاحتلال الفلسطيني، العدو الخارجي الذي يقاتله ويشجذ الهمم للقضاء عليه. ونسج أمتن العلاقات مع إسرائيل تحت حجة مساعدة الأقلية المسيحية من الذوبان، كما شرع في الاتصال مع الأمريكيين للفصل في قضية لبنان والقضية الفلسطينية، وفي كل ذلك سعى

<sup>٤٦</sup> سمير قصير، حرب لبنان ص. ١٤٥

<sup>٤٧</sup> حصار تل الزعتر، علي حسين خلف، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٦

الحزب إلى التقريب بين مشروعه الخاص والمشروع الاسرائيلي في لبنان، والخطة الأمريكية في الشرق الأوسط. الجبهة اللبنانية اعتبرت الوجود الفلسطيني في لبنان احتلالاً، رغم أن الجبهة الوطنية اللبنانية لها رأي آخر وتقف في الجانب المقابل مع الفلسطينيين، والهدف المعلن هو إنهاء الوجود الفلسطيني في لبنان. وكانت تسعى لإنشاء كيان انعزالي للمسيحيين في لبنان.

الهدف المرحلي للجبهة اللبنانية هو تطهير المنطقة الشرقية من الوجود الفلسطيني. وكانت تقع في المنطقة الشرقية المسيحية عدة مخيمات أهمها، تل الزعتر و جسر الباشا وضبية، والأخيرين معظم سكانهما من المسيحيين الفلسطينيين، والحاصلين في معظمهم على الجنسية اللبنانية، منذ فترة رئاسة شمعون، الذي منح الجنسية اللبنانية لمعظم المسيحيين الفلسطينيين، لزيادة عدد المسيحيين اللبنانيين عند الانتخابات وتغيير التركيبة السكانية في لبنان حسب التوزيع الديني. ولكن الهدف تغير بعد معركة تل الزعتر، فقد " أفصح بيار الجميل وابنه بشير عن عنصرين جديدين من خطة الكتائب، الأول فك تحالف المقاومة مع الحركة الوطنية اللبنانية، والثاني الإعلان عن إلغاء اتفاقية القاهرة من طرف واحد وتصفية الوجود العسكري والسياسي والتنظيمي للثورة الفلسطينية في لبنان".<sup>٤٨</sup>

لقد تلقت الجبهة اللبنانية الدعم المالي من دول الخليج، يقول سمير قصير "يلاحظ وليد الخالدي أن المواجهة مع الفلسطينيين ، كانت في نظر هذه البلدان، وفي مقدمتها السعودية ، تحمل خطراً على النظام السوري ، يمكن أن يفيد البعث العراقي من جهة، ويشجع من جهة أخرى على تصعيد النزاع في الشرق الأوسط والحرب العربية الباردة. نجم عن ذلك تأرجح بين موقفين قضيًا بالسعي إلى ضبط اندفاع الأسد والتغاضي عنه. لكن قيامها بتحريك مثير كان يصطدم بالعقبة التي كان ما زال يشكلها العداء المصري - السوري. ولعجزها عن خفضه ، اختارت ألا تفعل شيئاً لوقف سوريا، لأنها كانت تتخوف فعلاً من تسلّم اليسار السلطة في لبنان بسبب ما يمكن أن ينجم عن ذلك من تأثيرات يتعذر ضبطها. ما عدا ذلك ، كانت دول الخليج قدمت منذ البداية دعماً مالياً للمليشيات المسيحية، ولم توقف دعمها المالي لمنظمة التحرير الفلسطينية،"<sup>٤٩</sup>

## ٢- الحركة الوطنية

<sup>٤٨</sup> حصار تل الزعتر، علي حسين خلف، دار ابن رشد للنشر والتوزيع ، عمان ١٩٨٦ ص، ٢٠.

<sup>٤٩</sup> سمير قصير، حرب لبنان ، دار النهار ص. ٢٠١.

١:٢- الجانب الآخر في لبنان هو الحركة الوطنية اللبنانية، والتي استفادت من وجود منظمة التحرير الفلسطينية، والتي تتشارك معها في الأهداف والرؤيا للمنطقة ومستقبلها، فقد زاد وجود المنظمة عدد القوات المساندة لهم وزادت قوتهم السياسية والعسكرية. نظراً لأنهم يمثلون الشريحة الأكثر فقراً في لبنان، واستعدادهم للتضحية في سبيل أهدافهم والمشاركة في أهداف الفلسطينيين في تحرير فلسطين، كما مثلت منظمة التحرير إنعاشاً اقتصادياً لمناطقهم في بيروت الغربية.

أن اللبنانيين قبل الحرب، كانوا يعتمدون على تطبيق هادئ للاستراتيجيات الخاصة بكل طائفة من طوائفهم، وأن الجميع كان يدرك أن تنفيذ أية استراتيجية بشكل كامل هو أمر غير ممكن إلا بالعنف وبكلفة باهظة على الجميع، لذا عمد جميعهم إلى تحسين نسبي لوضعهم الطائفي القائم ضمن نظام لبناني شامل، ومن ثم فإن لبنان ما قبل الحرب قام على تخويف، وتخويف معاكس لاستراتيجيات معاكسة، مما أفنع المسؤولين السياسيين بأن الحصول على جزء من قطعة الجبن، هو أفضل من الحصول على القطعة كاملة، أنه عندما طبق النموذج بطريقة سلبية، حدثت النزاعات اللبنانية، وأنه حتى وإن حلت تلك النزاعات بالطرق السلمية إلا أنها سرعان ما انهارت تسوياتها عندما حاول أحد الفرقاء أو إحدى الطوائف، استخدام استراتيجيتها الخاصة للحصول على كل شيء، وليس للحصول على مكاسب نسبية. أن لبنان "الميثاق الوطني" عرف بصورة عامة مرحلة من الزمن لم تكن خالية إطلاقاً من الأمراض، ولكنها كانت بالإجمال مرحلة سعيدة، كما يرى أن "لبنان الميثاق" هذا قد اغتيل وأنه لا يمكن إصاق التهمة بالمغدور، ولكن لا يمكن أيضاً تبرأته من المشاركة في اغتيال نفسه.<sup>٥٠</sup>

٢:٢- الساحة الإسلامية لم تكن متجانسة ومتوزعة بين عدة أطراف؛ الطرف السني الذي يدعي ويقود المسلمون في لبنان منذ الاستقلال بصفته أكثرية، والطرف الشيعي المضهد والأكثر فقراً، والأقل امتيازات في الساحة السياسية، والذي يعتبر الأكثرية في مرحلة الحرب، والأكثر أهمية نظراً لوجوده في الجنوب اللبناني في مواجهة إسرائيل، وفي الأحياء الفقيرة التي على تماس مع القوات الانعزالية.

وبالرغم من وجود جنبلاط على رأس التحالف اليساري الاسلامي في مواجهة القوى الانعزالية، إلا أنه لم يستطع توحيد الأطراف المشاركة معه في التحالف، والتي تتميز بالتشظي واختلاف شديد بين الزعامات التقليدية وزعامات الأحياء، بينما كانت الجبهة الانعزالية أكثر تماسكا وانضباطاً، وقد قاد حزب الكتائب الشديد التنظيم هذه الأحزاب بشكل فعلي.

<sup>٥٠</sup> لبنان: تعايش في زمن الحرب من انهيار الدولة إلى انبعاث الأمة  
اسم المؤلف :- تيودور هانف، دار النشر:- مركز الدراسات العربي-الأوروبي-باريس  
ترجمه للعربية "موريس صليباً".



٣:٢- كان كمال جنبلاط يقود الحركة الوطنية وهو أحد أهم زعماء لبنان في فترة الحرب الأهلية وما قبلها، وهو أحد زعامات الطائفة الدرزية في جبل لبنان إضافة لكونه مفكراً و فيلسوفاً و داعماً للفكر القومي العربي، كمال جنبلاط نصير فلسطين وشعب فلسطين، يتحدث باسم الشعب الفلسطيني في العديد من المؤتمرات الشعبية، يكرم سجناء الثورة في المهرجانات، ويتفقد المخيمات بين الحين والحين يحمل القضية الفلسطينية ويتكلم عنها في شتى المجالات، وليس سرّاً القول أن العروض انهالت عليه مقترحة عليه أن يقاوض دعمه للثورة الفلسطينية بما يشاء من وزن سياسي، لكنه كان يرفضها كلها، صامداً عند الموقف السياسي الصلب القائل بأن أي توازن سياسي لبناني لا يؤدي إلى دعم كفاح الشعب الفلسطيني هو توازن لا طمع في الحصول عليه. كما أن أية حماية لهذا الكفاح لا يمكن أن تتم عملياً من غير تحقيق توازن سياسي تحتل فيه الحركة الوطنية اللبنانية وزناً راجحاً<sup>٥١</sup>.

جنبلاط كان صلباً في موقفه من التفاوض مع السوريين والجبهة اللبنانية "ربط انتهاء النزاع بسحب الجيش السوري، كما ربط إقامة طاولة مستديرة بتبني برنامج الإصلاحات التي تطالب بها الحركة الوطنية، وتمسك جنبلاط على الأخص بضرورة إقرار نقطتين: إلغاء الطائفية في النظام اللبناني، وتطبيق التمثيل النسبي لانتخاب النواب."

يقول كريم بقرادوني في تقييمه لكمال جنبلاط "من ينظر إلى الزعيم الاشتراكي يراه دائم التفكير بحلمه المدمر الخائب: فقد مر بالقرب من النصر الذي به علل الأمل طويلاً. إته يريد تغيير المعادلات الطائفية والنظام السياسي. فهو يتمرد، بوصفه درزياً على ما يسميه؛ "بالامتيازات المارونية" ويثور على خمول السنة والشيعه". ويطمح إلى رئاسة الجمهورية المكرسة عرفاً للموارنة إلا أنه قد يرضى برئاسة الحكومة المخصصة للسنة إذا ما فاتته الرئاسة الأولى، لكن النظام اللبناني لا يسمح له بأن يطالب، بالنسبة إلى انتمائه الطائفي بأكثر من منصب وزاري يحتقره ويعتبره لا يليق به<sup>٥٢</sup>

والواقع أن الإطار الدرزي كان ضيقاً على رجل في مثل حجمه، فهو من فئة الرجال الذين يفوقون طائفتهم حجماً، إقطاعي بالولادة، أصبح زعيم اليسار اللبناني بالممارسة، بل أكثر من ذلك زعيم يسار عربي، ومع أنه ماركسي وغير فلسطيني فقد تولى رئاسة الحركة الوطنية التي تضم أحزاباً شيوعية، وقاد الجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية، ونال جائزة لينين عام ١٩٧٢.

٥٣

ولفت نظري ما كتبه كريم بقرادوني عن لقاء سركيس والأسد " بعدئذ سأل الياس سركيس حافظ الأسد عن موقفه من كمال جنبلاط، وإذا ما كان قطع الأمل منه نهائياً؟ فجاء جواب الرئيس السوري حاسماً وقاطعاً كل إمكانية تفاهم مع

٥١ مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، العدد 65، سنة 1977. منظمة التحرير الفلسطينية

٥٠ السلام المفقود، كريم بقرادوني، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ٢٠١٠ ص. ٢٩.

٥٣ السلام المفقود، كريم بقرادوني، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ٢٠١٠ ص. ٢٩، ٣٠.

الزعيم الاشتراكي. وقد روى الأسد لسركيس لقاءه الأخير مع جنبلاط فقال: " قلت له أننا هدف لمؤامرة ترمي إلى تقسيم لبنان وإضعاف المقاومة الفلسطينية، فوافقني على هذا المنطق، فشرحت له أن الوسيلة الفضلى لنجاح المؤامرة هي استمرار القتال، وبالتالي يجب وقف النزاع المسلح لإفشال المؤامرة. هذه معادلة حسابية، ولكن جنبلاط رفض هذه الحقيقة البديهية وسألني أن أعطيه بعض الوقت فأمهله خمسة عشر يوماً حداً أقصى لينتصر على الانعزاليين، فرفضت طلبه باسم الاسلام والخلقية الثورية والتقدمية. وحذرت من الوقوع في التجارب ومن التماذي في طلب الحل العسكري. وبينت له أننا نواجه كارثة قومية إذا ما تدخلت اسرائيل لإنقاذ بعض العرب، أي المسيحيين اللبنانيين، من التهديد الذي يوجهه اليهم عرب آخرون. أعني الفلسطينيين والتقدميين، ولكن جنبلاط كان يفكر تفكيراً آخر. كان يعتقد أنني أنتزع منه نصراً في تناول يده، وكان متعطشاً إلى السلطة والدم." ٥٤ اغتيل كمال جنبلاط في ١٦ آذار ١٩٧٧، واتهمت سوريا بالوقوف وراء الاغتيال. وخلفه ابنه وليد جنبلاط، الذي يختلف عن أبيه شخصية وفكراً، وركز على دوره كزعيم درزي بمواقف متذبذبة خاصة من سوريا. وفقدت الحركة الوطنية اللبنانية الكثير من دورها، وتغيرت التحالفات في لبنان، خاصة بعد الاجتياح الاسرائيلي عام ١٩٨٢.

٢:٤- الحركة الوطنية قويت بوجود المنظمات الفلسطينية ورأت فرصتها لتغيير لبنان ومعادلة ١٩٤٢ ولكنها لم تستطع موازنة التحالف مع سوريا، والجبهة اللبنانية، فخسرت نتيجة تصلبها سوريا التي وقفت مع الجانب الآخر. أجلت الصراع مع الصهيونية من أجل حسم الوضع في لبنان، فلم تفلح في كسب لبنان، ولا عادت لعراك الصهيونية. وخسرت تحالفها مع سوريا، وتفككت الحركة الوطنية بعد وفاة كمال جنبلاط، وقل وزنها العربي والدولي. وضعفت أكثر بعد خروج التنظيمات الفلسطينية من لبنان عام ١٩٨٢، وخروج عرفات من طرابلس ١٩٨٢. لقد تصرف جميع الأحزاب حتى القومية منها ملتزمين بسايكس بيكو، ولم يتصرفوا كأبناء المنطقة كلها. فكانت نقطة في غير صالحهم. العلاقات مع سوريا ترممت بعد وصول الرئيس بشار الأسد إلى السلطة في دمشق، وخاصة مع بروز حزب الله الذي تحالف مع سوريا في استراتيجية مشتركة للنضال ضد الاحتلال الاسرائيلي لجنوب لبنان وتحريره الكامل (ما عدا مزارع شبعا) عام ٢٠٠٦. والواقع أن ثلاثة من القادة العظماء كانوا يتصارعون في لبنان هم حافظ الأسد، وكمال جنبلاط، وياسر عرفات، طموحهم كان لدور تاريخي يغير وجه المنطقة والعالم، وحسمها في النهاية حافظ الأسد لصالحه، ضمن ميزان القوة والمعادلات الدولية المتاحة.

\*\*\*

٥٤ المصدر السابق كريم بقرادوني ص. ٤٢

### ٣- منظمة التحرير الفلسطينية

١:٣- بعد الأحداث المأساوية في أيلول الأسود وهو الاسم الذي يشار به إلى شهر أيلول من عام ١٩٧٠ م في هذا الشهر تحرك الجيش الأردني بناء على تعليمات الملك حسين لوضع نهاية لوجود المنظمات الفلسطينية المتواجدة في المدن الأردنية. لم تكن العلاقات بين الملك حسين وجمال عبد الناصر جيدة الأمر الذي اعطى منظمة التحرير قوة دافعة داخل الأردن وظنوا ان الأنظمة العربية المجاورة للأردن سوف تتدخل إلى صالح المنظمات الفلسطينية إذا ما نشب الصراع مع الجيش الأردني إلا أن ذلك لم يسمح به. فقد أوقف التدخل العراقي والسوري في أوله بقرار دولي. واضطرت بعدها القيادة الفلسطينية ان تنسحب من عمان إلى أحرش جرش في الشمال بعد انعقاد مؤتمر القاهرة بين الملك حسين وياسر عرفات برعاية جمال عبدالناصر قبيل وفاته بأيام فقط ، إلا أن الصدام تجدد بين منظمة التحرير والحكومة الأردنية في تموز ١٩٧١.

كنا نعقد المؤتمر السادس لاتحاد طلبة فلسطين في الجزائر، عندما جئنا خبر معركة جرش، واستشهاد أبو علي إياد في الأحرش في ٢٧/٧/١٩٧١. انتشر شعاره عند استشهاده، وهو يقول " نموت واقفين ولن نركع". انتخب عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح في مؤتمر الحركة الثاني ، كذلك كان عضواً في القيادة العامة لقوات العاصفة. شارك ضمن الوفود الفلسطينية التي زارت الاقطار العربية والاشتراكية وكان آخر زيارته مع وفد الثورة إلى الصين. اسهمت علاقاته الودية مع القادة العراقيين في تسهيل امداد الفدائيين في الكرامة بالسلاح. كما واسهمت علاقاته الوطيدة بالسوريين في ظهور ما عرف باجازة فتح وهي الورقة التي كانت الدائرة العسكرية في فتح تصدرها لتسهيل التحرك بين الاقطار العربية. كان الشهيد أبو علي اياد متحمساً، حيث كان يدرك ان مهمته الأساسية التدريب والتحضير والاعداد، ليشكل بذلك الرصيد الأساسي للقواعد الارتكازية والعمليات البطولية. وكان أبو علي اياد، رجل العمل والممارسة، يحضر لدوريات القتال والاستطلاع ودوريات العمق، ويشرف بنفسه على التفاصيل والأهداف، وكان يجسد بنضاله وحركته الدؤوبة الفكر الوطني الذي اطلقته حركة فتح، فكان مع المقاتلين منذ انطلاقة الثورة وحتى سقط شهيدا. ترك تاريخاً حافلاً بالتضحيات والامجاد، وظل امثولة حية في نفوس الرجال، الذين يستمدون منه ومن ذكراه استمرار المسيرة النضالية نحو تحقيق النصر.

أدت هزيمة الأحرش إلى خروج قوات الثورة الفلسطينية من الأردن نهائياً ومعها جميع الفدائيين وأسلحتهم إلى لبنان. وخرج معهم الجزء المنشق من الجيش الأردني الذي عرف فيما بعد بكتيبة اليرموك بقيادة العميد سعد صايل. كانت منظمة التحرير الفلسطينية قد وقعت اتفاق القاهرة مع الحكومة اللبنانية، بمساندة الحركة الوطنية التي كانت بحاجة إلى قوة المنظمة العسكرية، كما كانت المنظمة بحاجة لنصير عربي. ولكن اتفاق القاهرة لم يتم الالتزام به كما تقول الجبهة اللبنانية، فقد انتشرت المنظمات الفدائية في كل مدن لبنان وفتحت المكاتب والمقرات.

عقد المؤتمر السادس لاتحاد طلبة فلسطين في الجزائر، بعد أحداث أيلول في الأردن، وافتتح بحضور ممثل الرئيس الجزائري هواري بو مدين (جلول ملايكة) وصلاح خلف (أبو اياد) وذلك في الجزائر، في قصر الصنوبر، وقد التقينا بأبو إياد ليحدثنا عن الأوضاع في الثورة بعد أحداث أيلول في الأردن والوضع الحالي في الأحرار، ووجهنا لمزيد من العمل في تنظيم ألمانيا.

٢:٣- برزت خطة الهجوم الكتائبي ونمو الأحرار وحراس الأرز بعد وقت قصير من الصمود البطولي لقوات الثورة الفلسطينية في العرقوب جنوب لبنان وعلى مقربة من سفوح جبل الشيخ، ومشاركتهم في القتال خلال حرب تشرين، في نفس الوقت الذي تنامي فيه دور وشأن م.ت.ف في المحافل الدولية، وكان الهدف إضعاف هذا الدور بإظهار الخطر الفلسطيني على لبنان، وإشغالهم في حرب داخلية، تزامنا مع رغبة انعزالية باقتلاع المخيمات الفلسطينية من قلب مناطق الوسط المسيحي الانعزالي.

ما أن استقرت منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان حتى اشتعلت الحرب الأهلية عام ١٩٧٥ وتورطت فيها فصائل المقاومة الفلسطينية بالتحالف مع الحركة الوطنية وبدلا من أن يتوجه رصاص المقاومة إلى إسرائيل توجه نتيجة لهذه الفتنة إلى صدور اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين.

٣:٣- كان للحركة الوطنية اللبنانية مشروعها الوطني في تغيير الدستور الطائفي في لبنان وإنشأ دولة علمانية لا طائفية تنقلب على اتفاق ١٩٤٣، وقد وقفت منظمة التحرير الفلسطينية معها في هذا الصراع، نتيجة التحالف القوي بين عرفات وجنبلاط رئيس الحركة الوطنية، وكما يقول كريم بقرادوني : كانت العلاقة بين ياسر عرفات وكمال جنبلاط ، وما تزال لغزاً. والأكيد أن أبو عمار كان يبحث عن حليف سياسي لبناني منذ عام ١٩٧٠ ، إذ تلقى درساً من التجربة الأردنية عندما قام الملك حسين بسحق المقاومة الفلسطينية فيما سمي بأيلول لأسود، ومنذ أيار ١٩٧٣ أن أبو عمار ياسر عرفات قد قال له عند بدء الحرب "لم تكن هزيمتنا في الأردن عسكرية، إنما هي أولا سياسية، قاومنا في عمان طوال أسابيع عديدة، إلا أننا فقدنا الدعم السياسي. لم يقف في وجه الملك أي رجل سياسي" لذلك كان هم عرفات الأول في لبنان أن يجد ذلك الرجل السياسي، فكان كمال جنبلاط، ولكن في ١٩٧٦ انقلبت الأدوار ، فأصبح كمال جنبلاط هو المحتاج إلى عرفات ليواجه سوريا والجبهة اللبنانية.<sup>٥٥</sup>

٤:٣- كانت محاور السياسة الفلسطينية في لبنان ترتكز على ثلاث محاور  
أ- تنوع التحالفات مع اليسار والاتجاهات الاسلامية السنية والشيعية.  
ب- التحالف مع المسيحيين.  
ج- الموقف من الوضع الإقليمي وعملية السلام.

<sup>٥٥</sup> كريم بقرادوني. السلام المفقود ص.59 شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت لبنان.

وكانت سياسة عرفات بعد حرب ١٩٧٣ وبالاتفاق مع السادات هي التوجه لعمل سلام مع إسرائيل ، وبدأت تتبلور فكرة السلطة الوطنية الفلسطينية على أي أرض تتحرر أو تنسحب منها إسرائيل.

كان عرفات بحاجة لحرية التحرك في لبنان، ولهذا يحتاج الدعم السوري، وبخاجة لعملية السلام، ولهذا فهو بحاجة للسادات، الذي كان بحاجة إلى إشغال المنطقة بحرب أخرى تبعد النظر عن الاتفاقيات الاستسلامية ، وحاول عرفات الموازنة بين الطرفين طيلة الوقت حتى تسهيل دخول القوات السورية إلى لبنان بموافقة مصرية وبتسهيل مصري، رغم الاعتراض الإسرائيلي، ويبدو أن السادات قد هدد بإبطال اتفاقية سيناء الموقعة في أيلول ١٩٧٤، التي تنص على تعهد البلدين بعدم اللجوء إلى القوة والامتناع عن القيام بأي عمل عسكري.

٥:٣- كانت منظمة التحرير الفلسطينية قد بدأت في بناء مؤسسات اجتماعية في لبنان بفعل الحاجة الماسة للسكان الفلسطينيين الذين عانوا من الحرمان طيلة فترة غيابها ، وقبل قدومها إلى لبنان. فانتقل الهلال الأحمر الفلسطيني معها إلى لبنان وبدأ بتأسيس العيادات والمراكز الطبية لتغطية حاجات المقاتلين، وتكونت الخدمات الطبية العسكرية التي انفصلت وأتبعته للقوات العسكرية. وتكفل الهلال الأحمر الفلسطيني بالمدنيين في المخيمات ، وتم تأسيس العيادات والمستشفيات ، ثم تطورت الخدمات إلى خدمات وقائية وعلاجية وتأهيلية . وأصبحت تقوم بحق بدور وزارة الصحة للشعب الفلسطيني في الخارج، وقد امتدت إلى القاهرة وسوريا. كما تأسست جمعية أبناء الشهداء صامد، والتي قامت بدور اقتصادي مهم في تشغيل الفلسطينيين، وفي الاستثمار في الخارج، وقد استثمرت في عدة دول أفريقية. وتوقفت الاستثمارات لسبب أو لآخر بعد إنشاء السلطة الفلسطينية.

كان هدف الثورة الفلسطينية الأساس هو التوجه لقتال العدو الصهيوني في جنوب لبنان، أو "فتح لاند" كما سمته الصحافة في الغرب. ولكنها اضطرت للانجرار لمعارك جانبية في لبنان . وهذا أثر في نفسية وحماس المقاتلين والمناضلين من أجل فلسطين، وأتاح البقاء في بيروت التعرض للمفاسدات في جميع المجالات، وتعرض اندماج قسم من تنظيم الباص بملاهي بيروت لأمراض جديدة، فأصيبت الثورة بالأمراض الاجتماعية والثورية مما غير أخلاقياتها وقيمها الأساسية التي رافقتها منذ البداية. والانحراف الاستراتيجي أدى إلى انتهاج سياسات تكتيكية وردات الفعل ، وأصبح التكتيك هو سيد اللعبة. وغابت الاستراتيجية والتحضير لتحرير فلسطين.



٤:١- كان الحكم السوري يشكو دائماً من «المؤامرات» العربية والغربية التي تحاكّ ضده في لبنان. وينقل أحياناً معاركه مع خصومه، إلى الأراضي اللبنانية، كما كان الحكم اللبناني يشكو، حيناً، من التدخل السوري المباشر على أراضيه، ويتعاون، حيناً آخر، مع دمشق، في إجهاض ما يحاكّ ضدها من مؤامرات على أراضيه. ومن خلال هذه المرحلة من العلاقات اللبنانية - السورية المتقلبة بين التوتر والتعاون تكونت لدى حكام دمشق النظرية القائلة ان حماية الأمن والاستقرار في سورية، تتطلب مراقبة أو سهرّاً خاصاً وعن كثب للأمن في لبنان وللأوضاع السياسية فيه. وجاءت الحرب اللبنانية لتجبر دمشق على تطبيق هذه النظرية عملياً، فكان الدخول العسكري السوري الأول عام 1976، ثم التدخلات العسكرية والسياسية المستمرة والمتصاعدة التي عطلت كل المشاريع الإسرائيلية والأميركية والعربية والفلسطينية والحزبية الطائفية اللبنانية، وأبقت على الكيان الوطني اللبناني المستقل وانتهت بتكريس الإصلاحات السياسية في اتفاق الطائف. هذا الاتفاق الذي ربما ما كان لينفذ لولا التدخل العسكري السوري المباشر لإزالة العقبات من طريقه.<sup>٥٦</sup>

٤:٢- على الرغم من أن سورية لم تمنح اللاجئين الفلسطينيين الجنسية السورية، فإنه لم يكن لعدم حصولهم عليها أي تأثير يذكر، بالنظر إلى طبيعة معاملتهم على المستوى الداخلي. فقد استطاع الكثيرون منهم ولوج مراتب عليا في الوظائف الحكومية، وفي الخمسينيات صدرت سلسلة من القوانين والقرارات جعلت الفلسطينيين على قدم المساواة تقريباً مع المواطنين السوريين في مجالات حيوية، كالتوظيف، والنشاط التجاري، والتعليم. وقد وصل اللواء خالد الحسين إلى هذه الرتبة في الجيش السوري، وهو الذي أنقذ الرئيس حافظ الأسد من محاولة اغتياله عام ١٩٨٠ أثناء زيارة رئيس النيجر لسوريا<sup>٥٧</sup>. لقد استطاع اللاجئون الفلسطينيون في سورية الاندماج في بنية الاقتصاد والمجتمع السوريين إلى درجة أبعد مما استطاعوه في أي بلد عربي آخر، باستثناء الاردن الذي اعتبر فيه الفلسطينيون اردنيا بعد حصوله على جواز سفر اردني.

والمظهر الوحيد للخصوصية الفلسطينية في سورية هو وجود المخيمات. وتقيم في هذه المخيمات الشرائح الاجتماعية كافة، فهي ليست مكاناً للفقراء من الفلسطينيين، بل مفتوحة للآخرين وليست مغلقة على ذاتها أو "غيتو" فلسطيني، إذ يقيم فيها سوريون أيضاً، كما أنها مندمجة في محيطها السوري. وهنا لا بد من التوضيح أن من يقيم في المدن السورية من اللاجئين الفلسطينيين هم أكثر ممن يقيمون في المخيمات.

تحتضن سوريا حوالي نصف مليون لاجئ فلسطيني منذ العام ٤٨، كما كانت دمشق هي المكان الذي انطلقت منه شرارة الثورة الفلسطينية المسلحة عام

<sup>٥٦</sup> الشرق الأوسط ٢٠٠١ ٤ نيسان باسم الجسر.

١٩٦٥ بقية فتح، وكانت دمشق بمثابة القاعدة الآمنة للقيادات والكوادر الفلسطينية منذ بدايتها. وقد حصلت بعض الأحداث والخلافات بين القيادة الفلسطينية والقيادة السورية، وكان أبو عمار وأبو جهاد من الذين أقاموا في السجون السورية فترة من الزمن نتيجة هذه الخلافات. واستمر الخلاف بين القيادات، بل وكان الخلاف يأخذ طابعاً شخصياً في عدم التمازج بين الأسد وعرفات.

٣:٤- كانت حافظ الأسد يحكم سوريا، فهو الذي يسيطر على كل مقدراتها وسياساتها تجاه السلم أو الحرب، وكان يحيط نفسه بطاقم يتناسق معه في الإيديولوجيا والتفكير والاندفاع في الدفاع عن القومية العربية من منظور قومي بعثي.

وترتكز سياسة الأسد على قاعدة بثلاثة حدود هي أولاً، يعتقد أن إسرائيل تريد السيطرة بمساعدة الولايات المتحدة على كل المنطقة العربية الممتدة من الفرات إلى النيل. إذن فإسرائيل عدو حقيقي والولايات المتحدة حليفة لهذا العدو. وثانياً، يظن أن كل اتفاق مع إسرائيل في الوقت الحاضر يعتبر استسلاماً، بسبب تفوق الدولة العبرية عسكرياً، فلا مجال للتحالف مع إسرائيل أو الولايات المتحدة الأمريكية. وثالثاً، يبذل جهده لتكوين جبهة عربية تضم سوريا ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية لتكون الرد الاستراتيجي على إسرائيل في ما يختص بحل أزمة الشرق الأوسط، ويعتبر أن هذه الشعوب تؤلف حلفاً طبيعياً تعود قيادته لسوريا.<sup>٥٨</sup>

ويقول الرئيس سركييس " ويظهر أن حليفه السوفياتي لا يؤيده في تدخله في لبنان، والولايات المتحدة الأمريكية لم تعطه الضوء الأخضر"<sup>٥٩</sup> شارك مع السادات في حرب تشرين واختلف معه عندما توجه السادات وحده للاتفاق مع أمريكا وإسرائيل. وقد شرح سبب خلافه مع السادات<sup>٦٠</sup> كما يلي: إن خلافاً مع مصر ناجم عن اتفاقيات سيناء، ولسوريا أربعة مآخذ أساسية على مصر في هذا المجال أولاً، أن حرب تشرين معركة مشتركة خضناها معاً، لذلك لم يكن جائزاً للسادات أن يعمل منفرداً ومن جانب واحد بتوقيع اتفاقية منفردة. ثانياً، أن القضية الفلسطينية هي مسألة مشتركة بين العرب جميعاً، ولم يكن من حق السادات أن يتصرف وحده بها. ثالثاً، اكتفى السادات من حرب تشرين الكبيرة باتفاقية سيناء الصغيرة. رابعاً، لقد استسلمت مصر بالفعل إذ قبلت من خلال الاتفاقية بفصل الجبهة المصرية عن الجبهة السورية في مواجهة إسرائيل. وكان الرئيس الأسد يرى " أنه ليس من المعقول ولا المقبول أن تتحول المقاومة الفلسطينية إلى فصيل من فصائل الحركة الوطنية، فإذا شاءت المقاومة أن تتحد بالحركة الوطنية كأنها منها وفيها وتلتصق بها لحد الانصهار، فإنه تصبح شبيهة

<sup>٥٨</sup> السلام المفقود، كريم بقرادوني ص. ١٠٦ شركة المطبوعات للتوزيع والنشر- بيروت - لبنان

<sup>٥٩</sup> السلام المفقود، كريم بقرادوني ص. ٤٣ شركة المطبوعات للتوزيع والنشر- بيروت - لبنان

<sup>٦٠</sup> السلام المفقود، كريم بقرادوني ص. ٢١ شركة المطبوعات للتوزيع والنشر- بيروت - لبنان

بأي حزب من الأحزاب السياسية اللبنانية، وتفقد طابعها الثوري والفلسطيني، وفي مثل هذه الحالة سأعاملها كما أعامل الأحزاب اللبنانية الأخرى"<sup>٦١</sup> ويقول أبوإياد " غير أننا لم نياس من مصالحة سوريا مع اليسار اللبناني. وهكذا فقد ذهب وفد من منظمة التحرير يضم ياسر عرفات وأنا ونايف حواتمه وزهير محسن، إلى دمشق في 16 أبريل - نيسان حيث أجرينا محادثة جديدة طويلة مع الأسد. وبيديهة الحال فإن الرئيس السوري لم «يغفر» لنا أبداً لا حركة الأحذب ولا مواصلة المعارك في الجبل المسيحي، بعد أن جعلنا مسؤولين عن الأمرين معاً. كما أنه كان يرتاب كذلك - برغم انكارنا واحتجاجاتنا - بإقامتنا علاقات مشبوهة مع الرئيس السادات برغم قيام هذا الأخير بعقد الاتفاقية الشهيرة حول سيناء. ومذ ذاك، راح الأسد يعزز تعاونه مع «جبهة بيار الجميل وكميل شمعون اللبنانية» مبرراً ذلك بسلوك جن بلاط الذي اعتاد على وصفه «بتاجر ثورة وتقدمية» من جهة، وباهتمامه هو بالحفاظ على وحدة وسلامة أراضي لبنان من جهة أخرى."<sup>٦٢</sup>

وكانت حرب الأسد على عرفات ضمن الحرب على مصر فهو يريد تعطيل السلام المصري ولا يستطيع، فحرب هز عرفات من أجل إضعاف جبهة السادات.<sup>٦٣</sup> كان موقف عرفات دقيقاً، فهو لا يريد أن يخسر الأسد ولا السادات وحاول التوفيق بين الاتجاهين، كما حاول من جهة أخرى التوفيق بين توجه الأسد في الدفاع عن الطائفة المسيحية في لبنان، وتطلعات كمال جنبلاط، الذي كان يريد مع الحركة الوطنية تغيير النظام في لبنان وتغيير الصيغة التعاقدية السائدة منذ عام ١٩٤٣. كان عرفات على علاقة جيدة ببيار الجميل وبشير وأمين الجميل. وعقدت عدة اجتماعات بينهم لبحث القضايا العالقة ومن بينها تل الزعتر. وقد توصلوا لعدة اتفاقات كانت تحبط في النهاية لسبب أو لآخر.

بقيت المحاولات مع عرفات حتى حرب طرابلس عندما فقد الأسد الأمل بانحياز عرفات لخط التشدد معه، وترك خط التصالح مع إسرائيل الذي يمثله النظام المصري.

أخيراً، يمكن القول أن الصدام في لبنان بين قيادة "فتح" والقيادة السورية كان، مرآة للصراع المصري السوري على النفوذ في المنطقة. وفور اتفاق القيادتين في جدة واعتراف القاهرة بلبنان منطقة حيوية واستراتيجية لسورية، توقف الصدام وعادت العلاقات الفتحاوية-السورية إلى طبيعتها.

٤:٤- النظام السوري، كان موقفه من الحرب طوال عام ١٩٧٥ موقف محايد حريص على الظهور بمظهر الحياد والحفاظ على توازن معين بين القوى المتصارعة في لبنان يحول دون توريث سوريا في صدام مع إسرائيل (حال انتصار اليسار والفلسطينيين) كما يحول دون تكريس الهيمنة الإسرائيلية على لبنان

<sup>٦١</sup>السلام المفقود، كريم بقرادوني ص. ٢٣ شركة المطبوعات للتوزيع والنشر- بيروت - لبنان

<sup>٦٢</sup> صلاح خلف أبو إياد، فلسطيني بلا هوية ص ١٧٨. <http://alma3raka.net/IMG/pdf/falasteeni-2.pdf>

<sup>٦٣</sup> كريم بقرادوني RT من الذاكرة. <https://www.youtube.com/watch?v=TEBzCXrq7OA>

(في حالة انتصار اليمين الماروني). ومع الانتصارات الحاسمة لمعسكر اليسار في مطلع ١٩٧٦ حدث تحول هام في السياسة السورية التي اندفعت في التحالف السافر مع اليمين، سياسياً وعسكرياً. وكانت النتيجة سقوط تل الزعتر في تلك المرحلة التي لم تستمر طويلاً.

من الخلف كان صدام حسين يغذي الصراع بين عرفات والأسد، بمساندة أبو نضال المنشق عن فتح ، ففي عام ١٩٧٦ نظم أبو نضال باسم منظمة حملت اسم "حزيران الأسود" عملية خطف رهائن ضد سوريا في فندق "سميراميس" في دمشق أسفرت عن سقوط خمسة قتلى، واستغلت العملية في تبرير الهجوم على القوات الفلسطينية في الجبل.

واعتداء على فندق "انتركونتيننتال" في عمان قتل فيه ثمانية أشخاص وضد سفارتي ايطاليا وباكستان. وقد اغتال بعد ذلك مجموعة من قيادات فتح في الخارج مثل سعيد حمامي، سفير المنظمة في لندن، وعصام السرطاوي في البرتغال (١٩٨٣) وكانوا مسؤولين عن المفاوضات مع إسرائيليين.

كان الأسد ينظر إلى سوريا كقوة إقليمية وقد أصبحت منفردة بعد صلح السادات مع اسرائيل في كامب ديفيد، وكان يريد الحفاظ على الصيغة اللبنانية وعدم تغيير الوضع في لبنان، خوفاً من تدخل اسرائيلي في لبنان. وبالتالي إضعاف الجبهة السورية في مواجهة اسرائيل ولذلك منع تقوية الحركة الوطنية في لبنان التي استفادت من وجود القوات الفلسطينية، وكان يرى أن المعركة في المنطقة معركة واحدة، ويجب توحيد الجبهة الشرقية ضد اسرائيل، فأراد ضبط الحركة الفلسطينية ضمن خطه الاستراتيجي، وضمن الردع المتبادل مع اسرائيل، وكان يريد تجنب التوريط في حرب مع اسرائيل ليس مستعداً لها. وكان عرفات يرفض ذلك بحجة القرار الفلسطيني المستقل، والذي ساندته العرب حتى يتحللوا من التزاماتهم تجاه فلسطين.

لم يشارك النظام السوري مباشرة في الهجوم على تل الزعتر، أو المذابح في المخيم، ولكن الغالب أن الانعزاليون ، وقد تحالفوا مع سوريا، أمنوا ظهرهم، واضطرت القوات الفلسطينية أن تقف في مواجهة القوات السورية بدلاً من التوجه لنصرة تل الزعتر .

وقد استفادوا من هذا الحلف لتنفيذ مجازرهم والاستفراد بالمخيم المعزول. وقد تعرض الجميع للعبة استخباراتية شديدة الذكاء من كيسينجر وزير الخارجية الأمريكي في ذلك الحين. فقد أدارت واشنطن لعبة الخطوط الحمراء ، وهي غير مكتوبة في الشكل وغير معترف بها رسمياً، ودمشق تنكر وجودها، لكن الأطراف المعنيين يعملون بموجبها، وأهميتها أنها قلبت في الأساس الموقف الإسرائيلي رأساً على عقب. ففي حين كانت اسرائيل ترى في دخول الجيش السوري إلى لبنان تهديداً مباشراً لأمنها، أفنعهها كيسينجر بضرورة الموافقة على هذا الدخول . ودافع عن وجهة نظره من الناحيتين العسكرية والسياسية. عسكرياً ، انتشار الجيش السوري في لبنان يخفف ميدانياً من قدراته في الجولان. أما سياسياً، فإن هذا الدخول يورط دمشق في الأزمة اللبنانية المعقدة، ويلهيهها عن شؤون المنطقة ويحملها مسؤولية المنظمات الفلسطينية وحلفائها اللبنانيين، فتضطر ، وهي الدولة الصديقة لموسكو ، أن تضرب الفلسطينيين خوفاً من غزو إسرائيل، وأن تضبط التحالف اليساري الاسلامي المؤيد للعمل الفدائي. وقد دفع جنبلات

غالياً ثمن جهله الخطة الكيسنجرية. وكان يتصور أن الطيران الاسرائيلي سيضرب الجيش السوري ما أن يتجاوز الحدود السورية اللبنانية في المصنع. من جهة أخرى أخبر كيسنجر شاوشيسكو ، الذي أبلغ أبو عمار بموافقة الإدارة الأمريكية على خطة الإصلاح للحركة الوطنية، مما شجع أبو عمار على تقوية تحالفه مع جنبلاط، كما سحبت اسرائيل دعمها بالسلاح للانعزاليين للضغط عليهم لقبول التدخل السوري. ووقع الجميع في مصيدة كيسنجر.<sup>٦٤</sup> لقد وقع الجميع ضحية الأعيب السياسة الكيسنجرية الصهيونية والمحابية لإسرائيل الذي ضرب الكل بالكل، وخرج منتصراً.

## ٥- الحرب

كان لبروز الطائفية في لبنان جذور تاريخية منذ العهد العثماني، حيث كان الولاة يشجعون الانقسام والافتتال الطائفي والعشائري لفرض سيطرتهم، وبرز ذلك في

---

<sup>٦٤</sup> لعنة وطن، كريم بقرادوني ص. ٨١، ٨٠، دار المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت- لبنان ٢٠١٠  
٦٩  
حكايتي مع تل الزعتر



حرب ١٨٦٠ بين الدروز والموارنة، حيث فرضت فرنسا نفسها حامية للموارنة، وروسيا حامية للروم الأرثوذكس، وبريطانيا حامية للدروز. واستمرت الطوائف في التشكل والفرز وحصلت على امتيازات وتحول النظام في لبنان إلى شركة طائفية بالتراضي، وجاء الاستعمار الفرنسي وكرس ذلك في صيغة الميثاق الوطني الذي قسم الغنائم بين الطوائف. وما زالت القيادات الطائفية تستعمل الطوائف كسلاح لتحقيق مآربها الشخصية والسياسية. وكانت الطائفية المستغلة بشكل قوي من الطائفة المارونية هي التي تؤثر في الشارع المسيحي. فاستخدمت للقتل على الهوية وللحرب ضد الغرباء الفلسطينيين، وحلفائهم من اللبنانيين. كما استخدمت لتبرير كل المخالفات من السرقة إلى الخطف والقتل.

هدف الحرب كان القضاء على المقاومة الفلسطينية وإشغالها بمعارك جانبية، وإضعاف الحركة الوطنية وتحجيمها، بفك تحالفها مع الفلسطينيين. أن كل اطراف النزاع الداخليين والخارجيين وقعوا عند بداية الحرب في لبنان في حسابات خاطئة. المنظمات الفلسطينية وحلفاؤها اعتقدوا ان المسيحيين هم شعب مدلل يهتمون بالرخاء وسيهربون منهم او يستسلمون لهم. كذلك اعتقد حزب الكتائب انه يكفي استدراج الجيش الى اشتباكات مع الفلسطينيين كي يستسلم هؤلاء لارادة الدولة. واعتقدت سوريا ان القصف المدفعي سيرغم القوى المسيحية على الاعتراف بالسيطرة السورية، لكن الخوف من التهميش والانحلال والتهجير زاد شعور التجمعات اللبنانية بالتهديد ودفعها للجوء الى العنف للدفاع عن هويتها المهددة وخسارة مكتسباتها. وهكذا انتشر العنف بكل أشكاله من القصف المدفعي الى القتل على الهوية والقنص والاغتيالات والتهجير، وكلها تندرج تحت عناوين الرعب والخوف في يوميات الحرب اللبنانية.<sup>٦٥</sup>

حاول اتفاق القاهرة احتواء الخلافات وتوجيه الصراع في وجهته الطبيعية ضد الاحتلال الاسرائيلي، ولكن الاحتلال الاسرائيلي لا يغفل عن عدوه الرئيس وهو منظمة التحرير الفلسطينية والشعب الفلسطيني، وضمن الحرائق التي يشعلها لحرف النظر عن العدو الرئيس في كل المنطقة، كان لا بد له من اشعال الحرائق في لبنان وإشغال الفلسطينيين بالمعارك الجانبية، وحصل تحالف المصالح بين الجبهة اللبنانية واسرائيل .

هناك اختلاف حول تاريخ بدء الحرب، لكن يتفق الكثيرون أنها بدأت في ١٣ نيسان ١٩٧٥ حيث كان هناك محاولة فاشلة لاغتيال الزعيم الماروني بيار الجميل قام بها مسلحون وأدى إلى مقتل مرافقه جوزيف أبو عاصي , أنطوان ميشال الحسيني، ورداً على هذه الحادثة حصلت حادثة عين الرمانة التي هوجمت فيها إحدى الحافلات المدنية وكان يتواجد فيها ركاب فلسطينيين ولبنانيين مما أدى إلى مصرع ٢٧ شخص.

<sup>٦٥</sup> لبنان: تعايش في زمن الحرب من انهيار الدولة إلى انبعاث الأمة

اسم المؤلف :- تيودور هانف، دار النشر:- مركز الدراسات العربي-الأوروبي-باريس

ويروي حسين فارس تفاصيل المجزرة كما يلي:٦٦" في تمام الساعة السابعة من صباح الأحد في ١٣ نيسان من العام ١٩٧٥م كانت عدد من الباصات والسيارات قد أقلت عدداً من المقاتلين من مخيم تل الزعتر إلى منطقة شاتيلا للمشاركة في مسيرة جبهة الرفض في الذكرى الأولى لعملية الخالصة التي نفذتها مجموعة فدائية تابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين -القيادة العامة.

في ذلك اليوم كان سكان عين الرمانة وفرن الشباك وأنصار حزب الكتائب مبهجين ، وعلى موعد من افتتاح كنيسة البشارة من قبل رئيس الحزب بيار الجميل، وكانت عين الرمانة من المعابر التي كان ينفذ منها أهالي تل الزعتر وجسر الباشا إلى المنطقة الغربية من بيروت.

في الساعة الحادية عشرة وبعد الانتهاء من افتتاح الكنيسة ظهرت سيارة فيات بيضاء وفتحت النار على الحشد الملتف حول بيار الجميل، وأردت قتيلين هما فؤاد وحلمي الشرتوني من حراس بيار الجميل وهما عضوان بارزان في حزب الكتائب، وفي مجموعة الصخرة، وهي الوحدة المعنية بحراسة الشيخ بيار الجميل . هذا الحادث أدى إلى إخلاء الشوارع في المنطقة وسيطر جو من الغليان والحداد.

وبعد الانتهاء من مسيرة شاتيلا وعند الساعة الواحدة والنصف مرت سيارة الباص التي تقل مقاتلين من جبهة التحرير العربية من عين الرمانة، فوجئوا بكمين مدبر من قبل حزب الكتائب اللبنانية بإمرة جوزيف أبوعاصي الذي تلقى ومجموعته أوامر من قيادة حزب الكتائب لإطلاق النار على الباص الذي كان يقل حوالي ٤٠ شخصاً . وما أن وصل الباص إلى آخر شارع المراية في عين الرمانة من جهة الشفريه حتى أخذ الرصاص ينهمر على الباص ومن فيه من جانبي الطريق ومن أسطح المنازل مما أدى إلى استشهاد ٢٢ مقاوماً وجرح ١٦ من مخيم تل الزعتر، خلصهم رجال الشرطة الذين حضروا على الفور إلى مستشفيات بيروت الغربية وخاصة مستشفى المقاصد، وقد قتل في هذا الحادث المدعو جوزيف أبو عاصي نفسه." وهناك روايات مختلفة عن الحادث. ويقول أبو إياد مسؤول الأمن الفلسطيني " كان كل شيء يشير، في الظاهر على الأقل ، إلى أن حزب بيار الجميل قد أعد العملية ونفذها. وعلمنا بين جملة ما علمناه أن اثنين من القتلة كانوا كتائبين، ولكن الغريب هو أن مسؤولي الحزب سلموهم في اليوم التالي إلى البوليس. ثم أن الشك بدأ يتسرب إلى نفسي عندما عرض عدة أعضاء من المكتب السياسي في حزب الكتائب وخاصة كريم بقرادوني وجوزيف شادر اللذين لا يرقى إلى نزاهتهما كمتقفين شك أثناء لجنة تحقيق محايدة لتحديد المسؤوليات. كما أكد لي في الحين نفسه وبصورة قاطعة بأن قيادة حزب الكتائب بريئة بالكامل من هذه الجريمة التي أدانوها بلا هوادة، وإنما عرفت الحقيقة بعد ذلك بشهور، فكان أن اعتراني الذهول. فبعد تفكك الجيش اللبناني في ربيع ١٩٧٦، وضع ضباط لبنانيون مسلمون بين يدي وثائق دامغة. وتبين من الوثائق أن مجزرة عين الرمانة قد نظمت ونفذت بصورة مشتركة

٦٦ تل الزعتر، حسين فارس، ذاكرة فلسطينية خالدة دار الندى للطباعة والنشر- بيروت ٢٠٠٧ ص. ٥٧

بين المكتب الثاني اللبناني الذي يرأسه العقيد جول بسناتي وبين حزب الوطنيين الأحرار الذي يرأسه كميل شمعون.<sup>٦٧</sup> وفي مكان آخر يقول<sup>٦٨</sup> " ولا أعتقد فيما يعنيني أنه كانت لقيادة حزب الكتائب في مطلع الحرب الأهلية صلة ما مع إسرائيل. وبالمقابل فإن لدى بعض الأسباب التي تجعلني أعتقد أن كميل شمعون ومعه عدد من ضباط المكتب الثاني اللبناني، كانوا يقيمون علاقات وثيقة مع المخابرات الإسرائيلية والأميركية والبريطانية. فمجزرة عين الرمانة لم يخطط لها وترتكب من أجل إشعال الاشتباكات وحسب بل ولجر الكتائب إلى النزاع أيضاً. فليس من قبيل الصدفة أن تقع المذبحة في اللحظة التي كان فيها ببيير الجميل يدشن كنيسة في حي عين الرمانة، وأن يكون اثنان من مرتكبي العملية من أنصار كميل شمعون المندسين بين صفوف الكتائب".

\*\*\*

المحاولة الأولى لتفجير الوضع في لبنان، كانت في اغتيال الزعيم الصيداوي معروف سعد أثناء تظاهرة مناهضة للحكومة نظمها نقابة الصيادين. في ٦ آذار ١٩٧٥، ولما تم استيعاب المحاولة، أعيدت الكرة بمحاولة اغتيال بيار الجميل في كنيسة مار مخايل في بيروت<sup>٦٩</sup> في ١٩٧٦ تتحالف الأحزاب والتيارات المسيحية اليمينية وهي حزب الكتائب بقيادة بيار الجميل، تيار المردة بقيادة سليمان فرنجية، حزب الوطنيين الأحرار بقيادة كميل شمعون، حراس الأرز بقيادة إتيان صقر والتنظيم، مكونة الجبهة اللبنانية. بينما تتكون القوات اللبنانية وهي الجناح العسكري للجبهة اللبنانية من الميليشيات التابعة لتلك الأحزاب ويتولى بشير الجميل نجل بيار الجميل قيادتها.

\*\*\*

<sup>٦٧</sup> صلاح خلف ، أبو إياد ، فلسطيني بل هوية ص. ١٥٩. <http://alma3raka.net/IMG/pdf/falasteeni-2.pdf>

<sup>٦٨</sup> صلاح خلف ، أبو إياد ، فلسطيني بل هوية ص. <http://alma3raka.net/IMG/pdf/falasteeni-2.pdf>

<sup>٦٩</sup> معروف سعد (١٩١٠-٦ آذار ١٩٧٥)، سياسي قومي عربي من لبنان، كان يعد من أبرز شخصيات مدينة صيدا قبل أن يتوفى إثر إطلاق النار عليه.

ومعروف سعد كان مناضلاً لبنانياً عمل ضد الاحتلال الصهيوني لفلسطين منذ ما قبل النكبة، وأمّن بالمقاومة طريفاً لمواجهة أطماع العصابات الصهيونية. هرب السلاح إلى المقاتلين في فلسطين بالتنسيق مع عبد القادر الحسيني. كان السلاح ينقل بالسفن إلى صيدا فيقوم معروف بتفريغه ليلاً قبالة كلية المقاصد، ويخبئه في أقبيتها ويكلف المختصين بتصليحه، ثم يقوم بتفريغه برأ إلى داخل فلسطين. سنة ١٩٣٧، التحق بالثورة العربية في فلسطين معسكرات طولكرم، ونفذ عمليات عسكرية ضد الصهاينة فمنحته الثورة لقب "مجاهد".

في كانون الثاني ١٩٧٦ شنت القوات الانعزالية هجوماً واسعاً على المناطق الفلسطينية واللبنانية في الكرنيتينا والمناطق المعزولة داخل المناطق المسيحية، وجاءت الخطة في أعقاب مناقشة مجلس الأمن للقضية الفلسطينية في أواخر ١٩٧٥، بهدف إضعاف موقف منظمة التحرير الفلسطينية وتسمية الوجود الفلسطيني في لبنان بالاحتلال الفلسطيني للبنان. وكانت المحاولة بهدف اقتلاع المخيمات الفلسطينية من المناطق المسيحية، كما أرادت الكتائب الهيمنة على بقية التنظيمات المسيحية، وتشكيل قوة عسكرية بعد فشل توريث الجيش في الحرب اللبنانية. وبدأ الحزب فرض الحصار على هذه المناطق الشرقية (تل الزعتر والنبعة وبرج حمود وجسر الباشا وضبية) في بداية عام ١٩٧٦. كان الحصار يهدف إلى تجويع الأهالي ودفعهم للخروج من هذه المناطق والتهديد بالإبادة الجماعية. وهذا ما حصل في مخيم ضبية في ٧ كانون الثاني ١٩٧٦ والذي كانت تقطنه أغلبية مسيحية فلسطينية، وتم تدمير المخيم بالكامل والتنكيل بالسكان وهدم ما تبقى من المخيم. ثم بعد أسبوعين حصلت مجزرة المسلخ بحق سكانه الفقراء من اللبنانيين والفلسطينيين. وتم هدم المخيم أيضاً، كخطوة في طريق التقسيم. ورداً على هذه المجازر احتلت الحركة الوطنية الدامور (١٧/١/١٩٧٦) والسعديات، كما تابعت التقدم في الجبل، وحصل وقف إطلاق النار في ٢٥ كانون الثاني ١٩٧٦. يقول سمير قصير "وغداة احتلال الكرنيتينا، شنت القوات التقدمية والفلسطينية (بما فيها الصاعقة)، هجوماً حاسماً على الدامور التي احتلوها مع بلدة الجية. وشن الهجوم بقيادة أبو موسى الضابط في حركة فتح، وشارك فيه مختلف الميليشيات، ولا سيما منها مليشيات الحزب الشيوعي في لبنان ومنظمة العمل الشيوعي اللبناني والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. وهنا أيضاً، كانت العملية أسهل مما حملت على افتراضه المواجهات السابقة التي استمرت أشهراً. وباستثناء المتاريس الأولى، كانت المدينة خالية من التحصينات. وقتل في الهجوم عشرات الأشخاص من المدافعين ولا سيما من المدنيين، وإذا لم تحصل مجزرة جماعية منظمة، بكل ما للكلمة من معنى، كما قيل في الحروب الكلامية التي غالباً ما أحاطت بتلك الواقعة، فقد كان ثمة قرار، أشد خطورة على الصعيد السياسي على الأقل يقضي بإفراغ المدينة وتهجير سكانها، وقبيل الهجوم، وفيما كان التطويق شبه تام، تركت طريق مفتوحة تؤدي إلى السعديات، التي دعا الجيش المنتشر هناك إلى التوجه إليها، ولجأ ستة آلاف شخص إلى السعديات التي كان متحصناً فيها كميل شمعون، ونقلوا في اليوم التالي بالمروحيات والزوارق".<sup>٧٠</sup>

بدأ الاستعداد الانعزالي للهجوم على المخيم، فتدفقت الأسلحة من عدة دول مثل بلجيكا واسرائيل، ووصلت عدة شحنات إلى ميناء جونبة، وقالت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية أن حزب الكتائب يستورد أسلحة جديدة استعداداً لجولة أخرى من الحرب الأهلية التي ستكون أمراً لا مفر منه ما لم يهزم الراديكاليون الفلسطينيون واللبنانيون.

<sup>٧٠</sup> سمير قصير، حرب لبنان ص. ١٥٧

كان حزب الكتائب اللبنانية مبادراً بإشعال الحريق، بقيادة بشير الجميل<sup>٧١</sup> قائد القوات اللبنانية لتحميل الفلسطينيين المسؤولية في الصراع القائم في لبنان، وحصلت عدة أحداث تصاعدت ضد مخيم تل الزعتر بقتل عدة أفراد من عدة تنظيمات فلسطينية من المخيم على حواجز الكتائب، وحادثة الباص المذكورة، وتكرار القصف العنيف للمخيم من الدكوانة وسن الفيل، وتكرار القنص من الحازمية والدكوانة.

كان الكتائب ينشئون المعسكرات لتدريب كوادرمهم، ويتسلحون بكل الأسلحة، وصادروا أسلحة قوى الأمن الداخلي، والرابطة المارونية تقيم معسكرات للتدريب وأخرها في منطقة غزير في كسروان، ويخرج اختصاصيين في حرب العصابات. لقد أرادت الجبهة اللبنانية من حصار تل الزعتر تحقيق عدة أهداف كما يقول علي حسين خلف :<sup>٧٢</sup>

«-اعتماد تل الزعتر كنموذج لتأديب التحالف الفلسطيني- اللبناني، بحكم التكوين المختلط لسكان المخيم (١٧ ألف فلسطيني، و١٤ ألف لبناني) ولمقاتلي التنظيمات الفلسطينية واللبنانية.

- أرادوه نموذجاً لاصطياد نصر طائفي رخيص على منطقة محاصرة ومعزولة عن مراكز الإمداد والاتصال.

- الخارطة: اللواء/محمود الناطور (ابو الطيب) « كتاب زلزال بيروت »

- أرادوه نموذجاً للانتقام من الطبقة العاملة ، لأن الغالبية العظمى من سكان المخيم، لبنانيين وفلسطينيين هم من عمال المصانع المجاورة.

- أرادوه نموذج الحد الأقصى للمصير الفلسطيني في لبنان، عبر تجريد الفلسطينيين من حق العمل وتكوين النقابات وتشكيل الأحزاب والمنظمات وحمل السلاح من أجل تحرير وطنهم، وإعادة إخضاع المخيمات إلى ما كانت عليه قبل الوجود العلني للثورة على الأرض اللبنانية. حيث طبقت الحكومات اللبنانية المتعاقبة النموذج الاسرائيلي في التعامل مع الفلسطينيين المقيمين على أرضهم عام ١٩٤٨، ولكن في إطار مخيمات لبنان ، حيث منعت الانتقال من- مخيم إلى- آخر. إلا بإذن رسمي وحظرت استقبال الضيوف إلا بعد تبليغ المخفر وموافقته، وإباحة للدرك اللبناني حق القمع الكيفي وفرض الأتاوات والغرامات ، وحظرت أي إصلاح في المنزل تحت طائلة القانون، بما في ذلك دق مسمار أو إصلاح باب أو إضافة لوح زينكو، كما حظرت القوانين من التجول بعد الساعة التاسعة مساءً وحرمت اللقاءات الجماعية.

<sup>٧١</sup> كان بشير الجميل هو محامي جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، وقد حضر المؤتمر الخامس في القاهرة، ١٩٧٤ وهو ابن خالة د. ابراهيم صهيون عضو المكتب التنفيذي لجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني- سمير أيوب.

<sup>٧٢</sup> حصار تل الزعتر، علي حسين خلف، دار ابن رشد للنشر والتوزيع ، عمان ١٩٨٦، ص ٢١-٢٢  
٧٤ حكايتي مع تل الزعتر



- أرادوه ورقة مساومة لدفع المقاومة إلى الاستسلام، حيث بذلت القيادة الفلسطينية كل جهودها عبر الوساطة العربية والحوار المباشر مع السوريين ، من أجل وقف إطلاق النار، واستطاعت التوصل إلى اتفاق ٢٩ تموز ١٩٧٦ الشهير باتفاق دمشق، حيث يضمن وقف إطلاق النار والشروع بالانسحابات المتبادلة، وبدء الحوار اللبناني الفلسطيني واللبناني الرسمي على قاعدة اتفاق القاهرة وملحقاته.<sup>٧٣</sup>

\*\*\*\*

كانت التعبئة المسيحية قد وصلت ذروتها، يقول أبو إياد<sup>٧٤</sup> " ثم أن الأب بولس نعمان، عميد كلية الفلسفة في جامعة الكسليك المارونية - والذي كنا نحسب أنه رجل دين وإنساني برغم هيئته التي تشبه هيئة الثور - جعلنا نستشعر البرد في ظهورنا حين راح يعلن علينا بكل برود: «لقد ذبحت بيدي هاتين مسلماً لبنانياً وفلسطينياً على سبيل التحذير، وأقول لكما جيداً أنني ذبحتهما ثم جمعت الرهبان ورؤساء الميليشيا التي شكلناها بقيادتي لأطلب أن يحذو حذوي على اسم الله وباسم الكنيسة المقدسة». وظللنا، عرفات وأنا، فاغري إلفاه لا ندري ما إذا كنا عدنا القهقري إلى الحروب الدينية السالفة. وعندما استعدت القدرة على النطق، لم أجد ما أقوله سوى أنني لا أؤمن بتبجح الأب بولس نعمان ولا بالتصريحات العنيفة التي يطلقها أبو أرز زعيم ميلشيات «حراس الأرز» الذي كان يدعو اللبنانيين حينذاك إلى أن يتولى كل واحد منهم قتل فلسطيني واحد على الأقل، ولا بالنداءات والدعوات إلى القتل التي كان يوجهها المطارنة من على كراسيهم الرسولية. إلا أننا اكتشفنا بعد ذلك أن ربيتنا لم تكن لسوء الحظ في محلها وأن الفظاعات التي ارتكبتها ميلشيات اليمين المسيحي تتجاوز وبكثير، ما أطلق من تهديدات".

لم تكن الحرب بحاجة إلى شرارة، فالجمر تحت الرماد قد أصبح فوقه، والجبهات أصبحت محددة ومحاور القتال واضحة ، وقيم عليها المقاتلون من كل جانب حواجزهم العسكرية ونقاط التفتيش. والتعبئة السياسية قد وصلت الذروة، ولا مناص من القتال لحل المشاكل كحل وحيد يتفق عليه الجميع..

٥٠ حصار تل الزعتر، علي حسين خلف، دار ابن رشد للنشر والتوزيع ، عمان ١٩٨٦ ص، ٢١-٢٢

<sup>٧٤</sup> صلاح خلف، أبو أياد، فلسطيني بلا هوية ص. ١٦٥ <http://alma3raka.net/IMG/pdf/>

## ٦- الذهاب إلى تل الزعتر

اتصل بي الدكتور نبيل نصار<sup>٧٥</sup> ليخبرني بالتوجه إلى مخيم تل الزعتر، حيث كان الطبيب هناك الدكتور محمد اللوباني (انتقل من مستشفى حيفا) قد ذهب في إجازة لزيارة أهله في الشمال في البداوي، وتأخر نتيجة الحواجز الأمنية على الطريق. قلت له

- ولكنني لا أريد أن أذهب إلى تل الزعتر، أريد أن أبقى في مستشفى القدس، حيث أوصل عملي في الجراحة، القسم الذي أريد أن أتخصص به. وأتابع مستقبلي ثم إن الوضع في تل الزعتر سيء للغاية، حدثني د. عبد الشولي أن الفأر قد عضه في أذنه أثناء النوم، وأنا لا أعرف تل الزعتر.

وأجابني بهدوء - ولكننا لا نستطيع ترك المخيم بدون طبيب، لقد سافر الدكتور محمد في إجازة ولا بد من ذهابك. سكت ثم قلت- ولكنني سأعود لمستشفى القدس مرة أخرى عندما يعود الدكتور محمد.

- حسناً، إلى اللقاء، وضعت السماعة وشعور بالفراغ يملؤني، وركبت سيارة الإسعاف مع السائق أبو الليل الذي أسرع إلى المخيم، في وادي الحازمية، رنت رصاصة قرب أذني وضربت السيارة، وسمعها أبو الليل، ولكنه أسرع يناور حتى قطع الوادي وبدأنا في الوصول إلى منطقة جسر الباشا.

---

<sup>٧٥</sup>د. نبيل نصار خريج ألمانيا وتنظيم ألمانيا، أصبح مديراً للخدمات الطبية للهلال الأحمر الفلسطيني في بيروت

- الحمد لله على السلامة دكتور. قالها أبو الليل وهو يزفر بشدة. الله ستر . كنت قد سمعت الرصاصة، ولكنني لم أشعر بشيء، كانت الإثارة في سرعة السيارة، التي طارت في تلك اللحظات مسرعة.

وقفت السيارة في أول المخيم ، ونزلت أمشي حتى وصلت المسجد وكان المستشفى في الطابق الأرضي ، أما المسجد فكان في الطابق الأول. كان الشارع الرئيس المؤدي إلى المستشفى يتكون من براكيات صدئة ، وتجلس النساء على أبوابها يحضرت بعض الطعام أو يكنسن الطريق و الأطفال يتراكون بين الأرجل، ويلعبون ألعابهم الخاصة. مبنى المسجد كبير له مدخلان من الجنوب والشمال ويقع بين ملتقى طريقين يلتقيان في الشارع الرئيس المفضي إلى مدخل المخيم. المسجد مدخله من الجهة الجنوبية، والعيادة حتى ذلك الوقت ، من نفس الجهة. ومن الجهة الشمالية الأخرى كان يجري العمل على إنهاء المستشفى المتوقف لعدم توفر الإمكانيات.

وقفت برهة بباب المستشفى أدق الباب الحديدي، وإذا بفتاة تأتي من البيت المقابل وتفتح الباب أخيراً، ورداً على سؤالها أجابت - لقد قيل لنا أنك طبيب جديد، لقد شاهدناك في الطريق. دخلت إلى الإدارة حيث جلست أنظر إلى الجدران الفارغة ، ثم سألتها أن تريني المستشفى.

لم يكن هناك مستشفى، كان مشروع مستشفى، كان البناء ما زال جديداً ، الإدارة فيها ثلاث كنبات جيدة، ومكتب فخم خلفه كرسي خشبي متحرك، وكتب كثيرة باللغة الإنكليزية في مكتبة جيدة عليها بعض العظام البشرية الجافة، وعلى الحائط علقت خريطة فلسطين. أما غرفة العيادة فكانت تحوي على كل شيء، طاولة كشف في الوسط، وبجانبها اسطوانة أوكسجين وطاولة للطبيب، عليها كثير من الأدوية والسماعات وأجهزة الضغط، ولا بد من إزاحة لأكوام والأدوية حتى تستطيع الكتابة. الحائط الخلفي ممتلئ بالرفوف والأدوية المتنوعة، وأمام الغرفة ينتظر المرضى .

بجانب غرفة العيادة قاعة طويلة فارغة فيها بعض النفايات المكومة في الزوايا، وفي الزاوية البعيدة يطبخون ويعدون الشاي. وفي مدخل القاعة مكان للغيار على الجروح، وإعطاء الحقن. هذه كانت قاعة اتحاد العمال. عدت إلى الإدارة حيث جلست، كانت القهوة قد حضرت، وبدأ الممرضين يتوافدون على العيادة مرحبين بطبيبهم الجديد والتعرف عليه. كانوا يتصرفون كأصحاب البيت، وعرفت منهم أنهم جميعاً من المتطوعين، تعلموا التمريض في العيادة بالعمل مع الأطباء، وتعلموا أسماء الأدوية وغيار الجروح. كانوا يضحكون بصوت عالٍ، وأنا جالس باسترخاء أراقب الجميع، ولا أكاد أتكلم، إلا عندما يوجه لي الحديث. وسألت بتكاسل وأنا أشرب الفنجان الثاني من القهوة.

- هل جرت العادة على فتح العيادة بعد الظهر؟؟  
ورد أحمد عوض بلا مبالاة - حسب رغبة الطبيب عادة، كما تشاء إن شئت نفتحها أو لا نفتحها.

وقفزت بسرعة ومشيت صوب العيادة ماراً بقاعة الانتظار غير المستعملة، وجلست خلف المكتب أتفحص الخزائن والأدوية الموجودة، وقد جلس أحد الممرضين يحدثني عن العمل خلال الأحداث، وكيف أنجزوا الأعمال الضخمة وأنشأوا اللجان الصحية، وأجروا العمليات الجراحية. كانوا في العيادة القديمة في أول الشارع، وبعدها بدأ العمل بالتعاون مع اللجنة الشعبية للمخيم على إنشاء مستشفى للمستشفى والقسم العلوي للمسجد وقد تم إنهاء المسجد وهو قيد الاستعمال حالياً، ساندهم تنظيم فتح في جمع التبرعات كما حصلوا على بعض الدعم. من قيادة المنظمة لبنائه، ولكن هذه الأموال لا تكفي حتى الآن لإكمال البناء. وهم بانتظار الهدوء الأمني لمعاودة محاولات تدبير التمويل اللازم.

كانت العيادة في حالة من الفوضى، وبالكاد وجدت مكاناً أجلس فيه. وتجمع بعض المتطوعين حولي، ثم جاءت فاديا، فقادتنا إلى غرفة الإدارة. كانت غرفة كبيرة وقد وضع فيها مكتب كبير وكرسي كبير للمدير، واصطف بعض الكنبات لجلوس الضيوف .

سألتهم عن مكان الفأر الذي عض الدكتور ، وانفجروا ضاحكين ، وحدثوني عن الدكتور الذي يشرب الشاي بلا انقطاع ، ويدخن الجيتان الفرنسي، وكيف عضه الفأر عندما كان نائماً، وحلف بالطلاق، كما يحلف كل يوم مئة مرة ، أنه لن يعود إلى تل الزعتر، وضحكت، كنت أعرفه، وقد حلف لي بالطلاق أيضاً أنه سيسافر إلى الصومال ، وأنه لن يعود إلى تل الزعتر. كانوا يجلسون على طاولة الفحص باسترخاء أو يقفون متكئين على أي شيء بجانبهم، شباب وشابات في السادسة عشرة أو أقل

- دكتور في مريض برة.. هل أدخله؟؟

- طبعاً ولماذا تظنين أنني جالس هنا.

دخل المريض ، وجلس على الكرسي بجانبني، ولم يتحرك الشباب، بقوا كما هم، نظرت اليهم وأنا محرج ثم بدأت في سؤال المريض عن حاله، وكتبت له الدواء. ثم قمت أبحث عن الدواء بين الرفوف والأدوية المتراكمة. عند المريض الثالث بدأت أطلب منهم الخروج من الغرفة حتى أستطيع التفرغ للمريض، وفحصه. كان هذا أول تقليد أكرسه، أن يخرج الشباب عند دخول مريض، وأن ينفرد المريض بالحديث إلى الطبيب. إلا المرضى من الإناث، فقد كنت أفضل وجود إحدى الأخوات في الغرفة.

كانت الغرفة المعدة للنوم خالية إلا من بعض البطانيات المكومة، وبحثت عن المكان الذي يمكن أن تأتي منه الفئران. الغرفة جديدة ونظيفة، ولم يكن هناك أي سرير، وسألت عما إذا كان بالإمكان إحضار سرير من القاعة الكبيرة. وفعلاً أحضر السرير ، ونمت عليه تلك الليلة نوماً غير مريح، وأنا أنتظر الفأر، نمت عليه حتى اعتدت على الجو ثم تركته لأنام على بطانية على الأرض وأتغطى ببطانية أخرى ، وأكور بطانية تحت رأسي.

لكنني انتقلت بعد ذلك إلى غرفة في الطابق العلوي مقابل المسجد، كانت قد جهزت للتو، حيث أصبحت غرفتي الخاصة بعد ذلك. حتى جاء الدكتور يوسف عراقي، فشاركني فيها.

انشغلت في العيادة اليومية التي تستقبل عدداً كبيراً من المراجعين، وتقدم لهم ما تيسر من الأدوية، وطلبنا المزيد من الأدوية. وبعد الدوام كنا نجلس جميع العاملين في غرفة الإدارة الجميلة، نناقش الوضع ونقترح الحلول للمشاكل العالقة، وأعجبتني مكتبة في الغرفة كانت قدمتها للمستشفى الأخت ليلي شهيد، مع أثاث غرفة الإدارة<sup>٧٦</sup> بعد وفاة والدها الطبيب الجراح في الجامعة الأمريكية، كانت تحتوي على مجلدات الجراحة العسكرية في حرب فيتنام، وقد وثقها الجيش الأمريكي. وقد استفدنا جداً منها في أثناء الحصار الأخير وغياب المشورة الطبية المتقدمة.

بدأت أتعرف على الممرضين في الأيام الأولى، كانوا ثلاثة متفرغين، وعدداً من المتطوعين الذين يأتون ويذهبون كما يريدون.

فاديا سالم: رئيسة التمريض، والمتفرغة الوحيدة المحسوبة على كادر العيادة. وزعيمة العيادة بلا منازع، شخصيتها طاعية، سمراء مكتنزة، لها عزوة بشقيقتها علي سالم وهو من قيادات حركة فتح في المخيم يهابها الجميع، وهي أقدم ممرضة في العيادة وتعمل فيه منذ تأسيسها في العام 1973 مع الدكتور نبيل نصار. ويتجمع حولها فريق من المتطوعين الذين يعملون تحت إمرتها وينتظرون إشارة منها.

وتقول فاديا أنها استلمت العيادة من نضال الناطور، التي كانت قد تعلمت التمريض في غزة في المستشفى المعمداني مع وكالة الغوث للاجئين الفلسطينيين، ورجعت إلى لبنان بعد حرب ٦٧ وكان من أوائل تنظيم فتح في لبنان. وكانت العيادة تتكون من غرفتين من الزينكو، وأن الجميع كانوا عائلة واحدة، وخاصة أثناء المعارك. وتذكر الأطباء الذين عملوا في العيادة من الدكتور نبيل نصار وعزت الأسمر، والأطباء المتطوعين من الجامعة الأمريكية، د، بهاء ورجاء.<sup>٧٧</sup>

هيثم: شاب في البكالوريا (التوجيهي)، ربعة، متطوع وعملي ولا يجد صعوبة في إحضار لبن العصفور. دائم الانشراح والابتسام والضحك. عطله اندماجه مع الكادر في العيادة عن دراسته، أفضل أصدقائه من البنات.

ممدوح رسلان: شاب طويل يعمل نجاراً في العادة ولكنه أيضاً متطوع للعمل في العيادة في وقت فراغه، يهتم بالأجهزة وإصلاحها. تعلم الصيدلة وكان يساعد في الإدارة، ضحكته تجلجل في المستشفى في كل وقت، لا تراه إلا وهو يعمل، أو يأكل، وعيناه تلمعان ذكاءً وتعباً.

أحمد عوض: شاب ضعيف البنية، يعاني من حرق في فخذه، وهو يهتم بالعمل اليومي ويعتبر المنظر للمتطوعين والمتحدث باسمهم. وكان يسكن جاراً مباشراً

<sup>٧٦</sup> أصبحت أول سفيرة لفلسطين في فرنسا في التسعينات من القرن الماضي ١٩٩٣-٢٠٠٥، وكانت صديقة للمستشفى وتل الزعتر، منذ أيام دراستها في الجامعة الأمريكية في بيروت.

<sup>٧٧</sup> فاديا سالم في حديث خاص نوفمبر ٢٠١٥ في بر الياس.



للعيادة عبر الشارع الجنوبي، ويحمل مفتاح العيادة، كان يجري جميع الفحوصات الروتينية في المختبر وشخصيته القوية المحببة تلاقى إعجاب وتجاوب الجميع. يروي أحمد حادثة وهو متأثر " نقلنا جريح في سيارة الإسعاف إلى مستشفى القدس، وكان الطريق آمناً، ولم نتوقع الاعتراض، وعلى مفرق الحازمية وقف حاجز مسلح طيار ونزلونا من السيارة وصفونا على الحائط، وتشاهدنا، وسمعنا كلام باللغة الفرنسي أو لغة أجنبية وتوقعنا الموت ، وبعد ربع ساعة جاء أحد المسلحين وأمرنا بالصعود إلى الإسعاف، وقال تسهلوا... ولم يتمالك أحمد من إمساك دمعته- ،وقلنا الحمد لله،، وصلنا مستشفى القدس ومنعونا من العودة من نفس الطريق وذهبنا إلى مخيم صبرا، وعند وصولنا غاليري سمعان وكنيسة مار مخايل انطلق الرصاص يلاحق سيارتنا المسرعة ، بتنا تلك الليلة في صبرا، وفي اليوم التالي ذهبنا إلى تل الزعتر عبر المسلخ.<sup>٧٨</sup> فاطمة عوض: وهي شقيقة أحمد عوض، سمراء هادئة تبتسم باستمرار. وتعمل كمتطوعة في التمريض مع فاديا وتقوم بمعظم الأعمال لمساعدة المرضى والتسجيل للعيادة.

كان أحمد أورفلي في تلك الفترة يعمل في مستشفى القدس ، وبعد أن بدأ مستشفى تل الزعتر يتطور نقل إلى تل الزعتر حيث كانت عائلته. فهو متزوج ولديه طفلين وهو الوحيد الذي درس التمريض وحصل على شهادة معترف بها ، وعمل في مستشفيات كبيرة آخرها مستشفى القدس في الحازمية. أصبح مسؤول التمريض ، ثم أوكلنا له الإدارة ، ثم عاد إلى التمريض مع بداية الحصار الأخير.

\*\*\*

<sup>٧٨</sup> أحمد عوض في حديث خاص نوفمبر ٢٠١٥ في بر الياس.

## ٧- المخيم

كان هيثم أكثرهم حديثاً، وخفة دم، وقد اصطحبني في جولة تعريفية على المخيم للتعرف على الحارات والمواقع العسكرية. اتجهنا إلى مدخل المخيم حيث بدأ بالتعريف، هذا دكان العيوطي ، وهذا مكتب الكفاح المسلح ، مكان الشرطة اللبنانية القديم ، هنا توزيع الإعاشة الانروا ، هنا مبنى قدورة ، ومصنع جورج متي ، ومحور الناصرية. وحي النور. ورجعنا عائدين إلى الهلال الذي يقع في وسط المخيم ، وقبله يقع مستوصف الجبهة الشعبية ومعسكر فتح وحي الحاووز، والغوارنة. توجهنا إلى الأحياء الشمالية حيث فرن فتح ومعمل الزعتر وحي أهل علما وصيانة فتح حيث كان العمل الطبي في أثناء المعارك عام ١٩٧٣ حيث تحول إلى مستشفى ووضع به حوالي عشرة أسرة للجرحى، وقد كان يعمل به الدكتور نبيل نصار والأطباء من الجامعة الأمريكية من التنظيم. كانت اللجنة العلمية فيه حتى بداية الحصار وقد طوروا سبطانة الكلاشن لضرب قذائف الأنريجا، ونقلت التجربة لقوات الثورة في بيروت . وتابعا في الطريق إلى راس الدكوانة، وحي البعلبكية، حيث العمارات الحديثة والتي يسكن معظمها لبنانيون من الجنوب ومن تحسنت أحواله من أهل المخيم. وتابعا إلى البرج العالي في الشرق ، ومدرسة بيسان وحي فرادة والصاعقة والجبهة العربية. وقمنا بزيارة سريعة لقوات شهداء أيلول حيث شربنا الشاي، عند الرائد نصر يوسف، وكنت قد تعرفت عليه في مستشفى حيفا في برج البراجنة.<sup>٧٩</sup> وقد قدم لنا شرحاً مفصلاً عن الأوضاع العسكرية والحالة السياسية. وقفنا عند أبو ابراهيم ضابط المدفعية، وشرح لنا:

<sup>٧٩</sup> أصبح لواء وعضو في اللجنة المركزية لحركة فتح، كما أصبح وزيراً للداخلية في السلطة الوطنية، ونقل بعد

- ما نراه من الشرق ترى المكلس والمصانع المختلف، ثم المنصورية، حيث كان يقيم الحاج أمين الحسيني القائد الفلسطيني السابق ويقضي آخر أيامه...، وعين سعادة ثم دير مار روكز . ومن الغرب ترى الأشرفية بعد سن الغيل وحرش ثابت. ثم استدار إلى الشمال وقال - وهنا الدكوانة وسلاف. وأقرب شيء رأس الدكوانة، ثم استدار باتجاه الجنوب - وهناك ترى أيضاً جزء من المكلس وجسر الباشا وهناك الحازمية. ثم توجهنا إلى الأحياء الجنوبية حيث معمل البلاط والمقبرة وحي أهل هونين والعراقية . وأكملنا الجولة بالعودة من الملعب إلى المستشفى. وكان هيثم لا يبخل في رواية الطرائف عن هذه الأحياء وخصائصها وخصائص العائلات المقيمة، مما أعطاني فكرة عامة عن المخيم. ولاحظت البراكيات التي تكون الكتلة الرئيسية للمخيم، إلى جانب العمارات في رأس الدكوانة والتي يسكنها الكثير من اللبنانيين والقادرين من الفلسطينيين. منذ تأسيسه كان يعيش المخيم حياة فقر وبؤس، فقد لجأ إليه الأسوأ حظاً من اللاجئين الفلسطينيين في لبنان بعد أن أغلقت الأبواب في وجوههم، فمنهم من جاء بحثاً عن عمل في المنطقة الصناعية القريبة في المكلس. هرباً من الهجمات الاسرائيلية أو من مخيمات هدمت مثل مخيم النبطية<sup>٨٠</sup>، أو من الأهالي الذين قدموا من المسلخ عام ١٩٥٦ بعد حريق المسلخ ، وحدث حريق آخر في المسلخ، نقل على أثره بعض العائلات الفلسطينية إلى تل الزعتر مثل آل العراقي من عرب الرمل في حيفا، وقد ساهموا في تطوير المخيم فأضافوا بعض الحرف مثل صناعة الجلود ، كما كان لهم تأثير في الحياة الرياضية فقد أسسوا نادي لكرة القدم، كان ينافس في الساحة اللبنانية، كما قدموا العديد من الأكاديميين من أطباء ومهندسين وغيرهم، وكان مصطفى عراقي عضو في لجنة المخيم. وبعض اللبنانيين من القرى السبع في شمال فلسطين وقرى الجنوب اللبناني، وساهم الجميع في النهضة الاقتصادية والعمراية في لبنان.

لم يكن هناك حركة سياسية أو تنظيمات فلسطينية سوى بعض رجال الهيئة العربية العليا بقيادة الحاج أمين الحسيني، التي كانت على وفاق مع الدولة اللبنانية ، وبعض الشباب من القوميين العرب المثقفين . لقد أسست حركة القوميين العرب مجموعة من الشباب العربي الذي تواجد في عام ١٩٤٨ في الجامعة الأمريكية في بيروت،<sup>٨١</sup> ولكن الجو السياسي في المخيم بدأ يتكون بعد قدوم فتح إلى الساحة اللبنانية وبعد اتفاق القاهرة ١٩٦٩.

كانت قيادة فتح في المخيم تتكون من مجموعة من الشباب المدرسين في مدرسة تل الزعتر مثل أبو العواصف وأبو أشرف دبور وعمر أورفلي (أبو السعيد) وأبو محمد فريجة وغيرهم . أبو العواصف كان أول مسؤول عسكري في

<sup>٨٠</sup> ان العدو الإسرائيلي كان قد أباد مخيم النبطية عام ١٩٧٤ وهجر أهله شمالاً، لكن المخيم لا يرد في تعداد منظمة «الأثروا»

<sup>٨١</sup> وكان من أبرز المؤسسين: الدكتور جورج حبش والدكتور وديع حداد من فلسطين وهاني الهندي من سوريا والدكتور أحمد الخطيب من الكويت.

المخيم ، وكان يزرع في الطلبة الروح الوطنية ويعرفهم على تاريخ فلسطين. وكان النشيد اليومي الصباحي هو نشيد فلسطين.

الدكتور محجوب عمر<sup>٨٢</sup>، من أوائل الأطباء في الثورة الفلسطينية، لا تفارقه الابتسامة، ويحمل كل هموم الوطن في عينيه ، كان من أوائل المصريين الذين انضموا للعمل في الثورة الفلسطينية، وعمل في الأردن مع المقاتلين في الأغوار وعمل في مركز التخطيط كموجه سياسي، كان يأتي إلى المخيم دورياً. كموجه سياسي عام للمخيم، وقد تعذر حضوره عند بداية المعركة بدون تعليمات. ومنعه الحصار من العودة.

\*\*\*

”بداية لجأت عائلة محمود رعد من قرية الخالصة إلى منطقة خالية في الدكوانة مباشرة بعد نكبة ١٩٤٨، ولحق بها تباعاً عائلات أخرى من نفس القرية ، ومن ثم لجأ مختار قرية اللزاة إلى تلك البقعة وتبعه مواطنون من اللزاة وأقاموا في نفس المكان. وفي العام ١٩٤٩ تقرر إنشاء مخيم تل الزعتر على مساحة قدرها ٥٦ دونم بعد اتفاق الدولة اللبنانية مع وكالة الغوث للاجئين الفلسطينيين. حيث تم الاتفاق لإقامة المخيم على بقعة أرض قريبة من حرش ثابت لإيواء اللاجئين على أرض الوقف الماروني. وقد جرى نقل المقيمين في بقعة الدكوانة إلى تلك البقعة التي عرفت فيما بعد باسم تل الزعتر، ومن الطريف أن اللاجئين الذين نقلوا من بقعة الدكوانة، رفضوا الإقامة في البيوت التي باشرت الأنزوا بتشبيدها وشيدوا بدلاً منها عدداً من البيوت من الصفيح، بينما سكن أهل يافا في تلك البيوت بعد أن نقلوا إليها من منطقة فردان“<sup>٨٣</sup>.

ويقول علي حسين خلف” اختير المكان عام ١٩٥٠ لاستخدام بقايا معسكر إنكليزي في الحرب العالمية الأولى من براكات وتنك وأرضيات باطون، حيث كان المكان مسرحاً للعقارب والثعالب حين وصلت ستون عائلة فلسطينية بعضها من يافا. بدأ المخيم بحوالي ٤٠٠ نسمة فقط ، وظل يتنامى إلى أن وصل حوالي ٣١ ألف مواطن(١٧ ألف فلسطيني و١٤ ألف لبناني، عندما حوَصر، وينحدر السكان الفلسطينيون من أصول ٧٧ قرية ومدينة فلسطينية“<sup>٨٤</sup>

وقد سمي بهذا الاسم لوجود معمل للزعتر في المنطقة، وزاد عدد السكان بالتدريج لعدة أسباب أهمها تكون المنطقة الصناعية في المكلس والقريبة من المخيم، فنزح العديد من الفقراء والعمال من اللبنانيين الجنوبيين، والعمال السوريين ، الباحثين عن العمل في المنطقة الصناعية في المكلس القريب والتي كانت تضم عام ١٩٦٨، ٢٩٪ من عدد المعامل في لبنان و٢٢٪ من عدد

<sup>٨٢</sup> اسمه الأصلي رؤوف نظمي ميخائيل عبد الملك صليب. كان شيعياً، انتظم مقاتلاً في حركة فتح في الأردن، ثم عمل في مركز التخطيط الفلسطيني، من سنة 1977 حتى سنة 1982

<sup>٨٣</sup> حسين فارس في كتابه عن تل الزعتر \* \* (تل الزعتر ، ذاكرة فلسطينية خالدة، حسين فارس ،ص.٢١ دار الندى- بيروت ٢٠٠٧) “

<sup>٨٤</sup> علي حسين خلف ، حصار تل الزعتر ص. ٦ دار ابن رشد، عمان ١٩٨٦

العمال. واشتغل الكثيرين من سكان المخيم في المصانع المجاورة، بحقوق وأجر أقل. وقد ساهم اللبنانيين والسوريين من سكان المخيم في الدفاع عنه عبر مختلف التنظيمات التي انضموا إليها، وسقط منهم شهداء كثيرون. كان انتقال الناس للعيش في تل الزعتر قراراً فردياً، فبالإضافة إلى توفر العمل، فقد نزح الكثيرين أيضاً هرباً من العدوان الاسرائيلي المستمر على الجنوب على القرى والمخيمات، وتهجير مخيم النبطية. ثم هجرة من مخيمات الرشيدية والبرج الشمالي في صور نتيجة قصف الطيران الإسرائيلي المستمر. كما نزح العديد من اللبنانيين من منطقة بعلبك، بحثاً عن عمل وسكنوا في محيط تل الزعتر في حي كركبا والأشهب، وأصبح المخيم يعاني من اكتظاظ السكان فيه، ويعاني من مشاكل الاكتظاظ الصحية والاجتماعية مثل بقية المخيمات في لبنان. وكان هذا التنوع عاملاً هاماً في تطور الأفكار السياسية والتحرر من الروابط والأفكار القديمة، مما ساهم في صمود المخيم وإثراء تجربته الثورية. كان الاضطهاد الواقع على الفلسطينيين في لبنان عاملاً آخر في إذكاء روح التمرد، فالقوانين اللبنانية لا تسمح للفلسطيني أن يعمل في لبنان في المؤسسات الكبرى بدون الحصول على رخصة عمل، كما كان العامل الفلسطيني محروماً من الضمان الصحي والاجتماعي بكافة أنواعه، رغم اشتراكه بدفع الرسوم المترتبة عليه لصندوق الضمان الاجتماعي. ولم يكن العامل الفلسطيني يتمتع بأي حقوق قانونية، فيمكن صرفه والاستغناء عنه بسهولة وإنهاء خدمته بدون تعويض. فيصبح العامل الفلسطيني في لبنان تحت رحمة رب العمل وسماسرة رخص المهن والمقاولون وضغوط الدولة. فالدولة اللبنانية هي التي تضغط على المؤسسات للتشدد في قبول تشغيل الفلسطينيين، وتهدد بفرض غرامة عن كل يوم عمل للذين لا يحملون رخصاً للعمل، وبنفس الوقت تمارس مباشرة دوراً متشدداً بزرع العقبات والعراقيل أمام الراغبين في الحصول على رخص عمل وإذلالهم بالمماطلة والروتين الإداري، وإرهاقهم بتكاليف متابعة الحصول على الرخصة من حيث الرسوم، وأيام العمل المهدورة وتكاليف الرشاوي، وللمزيد من التعقيد فإن الدولة لا تمنح رخصة العمل إلا لمكان واحد ويجب استبدالها عند ممارسة كل عمل جديد، وتفرض غرامة على المتأخرين وتهدهم بالسجن.<sup>٨٥</sup>

\*\*\*

وتصف الكاتبة رحاب كنعان في كتابها "تل الزعتر: مملكة التنك وجمهورية الثوار" الحياة في المخيم فتقول: "في الصيف تشتعل جدران الصفيح ناراً تجعل الجلوس داخلها مهمة شاقة في ظل غياب الكهرباء وشح المياه. وفي الشتاء يتضاعف الجحيم حيث الأرضية الترابية للبيوت وتسرب مياه الأمطار من سقف وجدران التنك لتسيل في قنوات ومزاريب من السطح تتجمع لتغرق الموجودات وتقتض مضاجع النائمين الذين كانوا يهبون يحملون أطفالهم دون معرفة لمكان أفضل

<sup>٨٥</sup> حصار تل الزعتر، المصدر السابق، علي حسين خلف.



ينتقلون إليه ليقوموا في اليوم التالي برمي قطع القماش التي تبللت وتلوثت من السيول الطينية دون أن يعرفوا أيضاً من أين يحصلوا على بديل ملائم لها رغم كونها قطع ثياب قديمة. وإذا عبثت الريح بسطح منزل أو جدرانه فإن ذلك يتطلب الانتظار في تلك الأحوال الجهنمية حتى الحصول على إذن من المكتب الثاني كي يسمح بتصليحه أو دق المسامير في حيطانه من الصفيح التي تعجز عن الصمود أمام الريح والمطر والشتاء وأحياناً كان صاحب البراكية أو أبنائه يجلسون وظهورهم إلى ألواح الزينكو بهدف تثبيتها كي لا يقتلعها الريح".<sup>٨٦</sup>

وكان يحكم الفلسطينيين في المخيم شرطي من المكتب الثاني (المخابرات اللبنانية) كان اسمه أبو عبود وجماعته من مكتبه في مدخل المخيم، يراقب السكان في تحركاتهم نشاطهم السياسي والمهني، ولا يسمح بالتجول بعد الساعة التاسعة مساءً أو وضع سقف اسمنتي على البيت، ولا حتى إجراء تصليات على البيت، ولا التجمع في البيوت أو الطرقات لأكثر من خمسة أشخاص ولا الانتقال من مخيم إلى آخر بدون إذن رسمي، ولا يسمح الحديث في السياسة حتى لو كانت القضية الفلسطينية..

حسين عيادي من مخيم تل الزعتر، يروي:  
«نقلونا إلى تل الزعتر في شوادر. كان وقتها أول الشتوية، والوحد للركب، أرض حمرا والهواء يطير الشوادر. يعني طلّعونا من مرض جينا على مرض ثاني. وما شفنا يوم هني. قعدنا ست شهور بالشوادر. وبعدين في بداية الصيف بدأ الدرك ينقل الناس الى داخل المخيم. وقعدونا بغرف تنك. يعني من تحت الدلفة لتحت المزراب: تسكر الباب، بالليل هوا يطيروا ما تلقى باب. وشغل ما في...».

يتابع حسين قصته:

«التنكة تصير تدلف بالليل نجى نغيرها، يجيلنا الدرك. تغيير تنكة بدها استدعاء؟»

لكن مضايقات المكتب الثاني لم تتوقف عند هذا الحد، بل كان عناصر هذا المكتب يجولون بين بيوت المخيم ويترصدون من يستمع الى اذاعة صوت العرب أو اولئك الذين يستمعون إلى خطابات جمال عبد الناصر فيعتقلونهم.<sup>٨٧</sup>

ورغم ذلك اندفع الشباب بعد هزيمة حزيران للتطوع للتدريب العسكري مع الجيش اللبناني كما وعدت الحكومة اللبنانية، ولكن معظمهم انتهى في الأردن مع الفدائيين والتنظيمات الفلسطينية المسلحة. وبدأت التنظيمات الفلسطينية تجد من يصغي لها في المخيمات، وكثر عدد المنتمين إليها. كانت النتيجة أن تغلغت التنظيمات الفلسطينية في المخيم، وتغيرت أوضاع المخيم بعد اتفاقية القاهرة نوفمبر ١٩٦٩، فأصبحت التنظيمات الفلسطينية هي المشغل الأكبر للفلسطينيين في لبنان.

<sup>٨٦</sup> رحاب كنعان، "تل الزعتر مملكة التنك وجمهورية الثوار" تونس 1994 م . عاشت مأساة سقوط تل الزعتر، وفقدت (51) شهيداً من أسرتها بينهم الأب والأم وخمسة أخوة وثلاث أخوات، خلدتهم في شعرها ضمن ديوان "البسمة المجروحة" طبع في تونس عام 1994 م، ويطلق عليها لقب "خنساء فلسطين".

<sup>٨٧</sup> سمير قاسم، <http://palestine.assafir.com/Article.aspx?ArticleID=2320>

بعد اتفاقية القاهرة قرر الاهالي الاستيلاء على مكتب الجيش اللبناني، لم يكن سوى فتح في الساحة وبعض القوميين، بعدها جاء الجميع. لم يعد مجال للسماح لأبو عبود وجماعته بالتحكم بالمخيم، وتشكلت ثلاث مجموعات ، لمهاجمة المكتب من ثلاث جهات ، وفي الليل هاجموا المكتب وأجبروا أبو عبود على إرسال برقية لقيادة الجيش " أن الفلسطينيين قد استولوا على المكتب، وأنه لا يمكن أي مقاومة" ، وصدرت له الأوامر بمغادرة المخيم، وبعد يومين جاء سيارة نقل وأخذت بقية الأغراض. في اليوم التالي استيقظ الناس ليروا علم فلسطين يرفرف على المكتب في مدخل المخيم، وارتفعت الزغاريد وتغير اسم المخيم ليصبح معسكر الكرامة. بدأت تقام الدورات العسكرية لتدريب الشباب وكنت ترى حوالي الألف شاب يسيرون في طوابير التدريب في شوارع المخيم والزغاريد تملأ السماء ترحيباً وفرحاً بهم.

تأسست في المخيم خلايا لتنظيم فتح ولمختلف التنظيمات وزاد الاهتمام بعد هزيمة ٦٧ ، وطلب الشباب من الجيش اللبناني المساعدة في التدريب . وبظهور العمل الفدائي تشجع لشباب وبدؤا بالمشاركة في القتال في الأردن والجنوب اللبناني. والتنظيم كان يمتد إلى المناطق الفلسطينية القريبة من المخيم مثل جسر الباشا وضبية، ثم الكرنيتينا وبرج حمود والمسليخ. بالإضافة إلى الريف اللبناني في شرق بيروت مثل انطلياس وحي كركبا ، وضم التنظيم الأولي مجموعة من الشباب مثل جهاد ضاهر، وأبو أشرف دبور وأحمد صليبي وأبو العواصف ومجموعة من الخلايا.

كان أول أمين سر للتنظيم في المخيم هو راجي النجمي ومعه أبو أشرف دبور وعمر أورفلي(أبو السعيد) قبل عام ١٩٦٧ . لم يكن التركيز في ذلك الوقت على العامل الفلسطيني فقط، بل كان يشمل التنظيم كل من يؤمن بتحرير فلسطين من العرب والعالم، فقد ضم التنظيم العديد من الأخوة اللبنانيين والعرب من جنسيات مختلفة، بل وضم بعض الأشخاص من دول أخرى غير عربية. ولم يكن للتنظيم أي بعد طائفي أو ديني. وبقي العمل سرياً حتى اتفاق القاهرة ، حيث تحول إلى العلنية وانتقل من مرحلة العمل الفردي للعمل ضمن اتفاقيات مع الدولة اللبنانية.

تنظيم المنطقة الشرقية كانت قاعدته هي مخيم تل الزعتر ، لأنه المخيم الأكبر والذي يحتوي أكثرية الكوادر المنظمة، والكادر القيادي في المنطقة. راجي قاد مظاهرة ضد القيادة بعد الانسحاب من الأردن ، فقد بدأت مرحلة تهميش التنظيم في لبنان وعسكرته، وعارضها تنظيم لبنان كما عارضتها بقية الأقاليم ومنها ألمانيا. ولكن لبنان الذي أصبح مقراً لقيادة فتح والمنظمة، لم تحتل التمرد. وصدر قرار باستجلابه لأبو عمار ، كما جرت محاولة لاغتياله، في منزله في تل الزعتر وأصيب بجروح خطيرة ، وتم نقله إلى مستشفى المقاصد حيث عولج ونجا من الموت. والغالب أن هذا عطل تقدمه في الحركة والمنظمة. كانت القيادة تريد تغيير التنظيم في لبنان والبدء بعمل تراتبية عسكرية للتنظيم، أي عسكرة التنظيم، ربما لضمان الولاء، والسمع والطاعة.

في مخيم تل الزعتر أقيم أول معسكر أشبال في لبنان ، أشرف عليه يوسف الناطور وأبو فاخر الأسعد وسامية الحسين زوجة جهاد أبو ظاهر. يوسف الناطور كان يدير العمل في المخيم وقد دربوا في المدارس، الأولاد الذين يحبون التدريب ، وتطور الموضوع وصار الأهالي يبعثون أولادهم للتدريب، افتتح أول معسكر أبو شحثة ثم افتتح معسكر تدريب في المنطقة الجنوبية في المكلس، كار معسكراً كبيراً وصار اللباس عسكري رسمياً، بعد بداية متواضعة. وتم تخريج مجموعة من الشباب، هم من قاتلوا في المخيم، بالإضافة إلى الصمود العام في الحصار . بعد ذلك صاروا يدربون القوى الوطنية أيضاً تدريب سلاح بشكل خاص، حتى جزء من الأرمن تدرب في المعسكر. كان يدرب في المعسكر مجموعة من الشباب منهم يوسف الناطور، وأبو الفواخر . وكان الأهالي يأتون للتفرج على الشباب أثناء التدريب، وقد أخذ يوسف الناطور الشباب مرة إلى معمل بوظة الكورتينا وفتح يوسف الثلاثية وأدخل الأولاد فيها وأغلق الباب من ورائهم، وجن علي صاحب المصنع، - هل تريد أن تقتلهم؟؟ حرام عليك، وبعد خمس دقائق فتح يوسف الباب ، وإذا بالشباب مستغرقين بأكل البوظة، وضحك صاحب المصنع، وكان معهم مجموعة من الفتيات مثل زينب ووردة الخطيب . وبعدها صارت سيارة البوظة تزور المعسكر باستمرار.

وجاء لزيارة المعسكر الشهيد أبو علي إياد، وأعجبه تنظيمه ودرجة وعي الأولاد، فقرر أن يحوله لمركز رئيس لتدريب الأشبال وتخريج مقاتلين المستقبل في حركة فتح. وكانت الدورة الأولى هي التي أصبحت مقاتلي المخيم الذين صمدوا في الهجوم الأول على المخيم. وكانت أول دورة عسكرية ليوسف في الهامة عام ١٩٦٨ مع أبو العواصف وأبو الفواخر.

ويتذكر يوسف الناطور أنه أثناء تدريب الأشبال .كان الأولاد واقفين في الشمس عندما مرت شقيقته نضال الناطور، وسألته لماذا يقفون في الشمس، فرفع الكلاشينكوف عليها، وأن الأمر لا يعنيتها، وبلغ الموضوع إلى أبو علي إياد ، ونقلني إلى الأردن، ونقلت إلى القطاع الشمالي في إربد. في قاعدة الشهيد خالد أبو العلا. وبقيت حتى معارك أيلول، ثم انتقلنا إلى الجولان عند نصر يوسف، وتحولنا إلى لبنان في كتيبة بيت المقدس، وذهبت في دورة إعادة تأهيل إلى مصيف. <sup>٨٨</sup>

تكون في المخيم فصيل الآباء من المناضلين القدامى الذين حاربوا ضد الإنكليز واليهود في فلسطين. وكانوا فريق طوارئ يهبون عند الحاجة وعند النداء. وكانوا يشاركون في الحراسات الليلية في محاور المخيم. وقد تلقوا تدريباً عسكرياً وبسيطاً وعلى السلاح. وكانوا يفضلون بندقية السيمينوف لأنها تشبه البندقية الإنكليزية القديمة التي حاربوا بها في فلسطين.

التنظيم النسائي لفتح ، أسسته نعمة الناطور (نضال) ، والتي أصبحت المديرية الإدارية لمستشفى حيفا في برج البراجنة، التي كان أول من تنظم في فتح من المخيم، وقد انضمت لحركة فتح في أثناء دراستها التمريض في غزة مع وكالة

<sup>٨٨</sup> حديث خاص مع يوسف الناطور في نوفمبر ٢٠١٥ برلين.

الغوث، ومعها فاطمة شحير الأولى والثانية وهما قريبتان متقاربتان في السن، وسامية الحسين.

وبدأ العمل في التدريبات العسكرية ، والاهتمام بأمور الإسعاف والأمور الطبية، وأرسلت عدة فتيات إلى موسكو لتعلم التمريض مثل فاطمة مهاوش، وفريال ، وأمنة سيف ، وبعد عودتهم من موسكو، عملت فاطمة مهاوش وفريال في مستشفى الهلال الأحمر في المخيم ، بينما عملت أممنة سيف في عيادة الديموقراطية، مع الدكتو كامل مهنا. وكان دورهن في الحصار مهماً ورائعاً. فقد وضعن الأسس العلمية للتمريض في المستشفى وقمن بتدريب المتطوعات والإشراف على العمل في المستشفى. كما قمن بتجهيز غرفة العمليات. وتزوجت فاطمة مهاوش - التي أصيب في الأيام الأخيرة للحصار - أحد مقاتلي وضباط فتح وهو ابراهيم منشاوي، الذي استشهد بعد ذلك في المعرك الأخيرة. تم تشكيل لجنة شعبية في مخيم تل الزعتر مثل باقي المخيمات في لبنان منذ ١٩٦٩. كان يرأس اللجنة في أيام الحرب أبو محمد فريجة، وهو من سكان المخيم من قرية الخالصة في فلسطين، وكان يعمل مدرساً في المخيم.

وكان مسؤول تنظيم فتح في المنطقة الشرقية هو نبيل معروف المعروف بعبد المحسن، وهو من دير القاسي في الجليل، وكان يعمل مدرساً أيضاً وقد عين بعد الخروج مندوباً للمنظمة في المؤتمر الإسلامي قي جدة، ثم سفيراً لفلسطين في اسبانيا ثم تركيا وممثلاً للسلطة الفلسطينية في كندا . كانت اللجنة تبذل قصارى جهدها في حل مشاكل المخيم مع الحكومة ومع منظمة التحرير، وحل مشاكل الأهالي والأشياء اليومية في المخيم، وكانت اللجنة تضم ممثلين عن التنظيمات الفلسطينية في المخيم.

نبيل معروف كان يتمتع بخبرة عسكرية أهله للعب دور مهم في تل الزعتر، فقد أرسل في دورة عسكرية إلى الصين عام ١٩٧٤. بدأ مشواره في حركة فتح في السعودية حيث انتظم في خلية أثناء إجازته في بيروت عندما تحدث إليه زكريا أبو يحي في البنك العربي(أول ممثل للمنظمة في قبرص). في بيروت، وكان أول لقاء له أمام المحكمة العسكرية في بيروت والتقوا بعد ذلك في السينمات وغيرها ،وفي السعودية كان ضابط الاتصال هو الحاج حسن القائد العسكري الذي استشهد في بشري في شمال لبنان. وبقي في بيشا / أبها في السعودية حتى طرد منها .وعمل في برج حمود واستلم المنطقة الشرقية بعدها . وقد إبعد من السعودية في المرة الثانية في حرب الخليج ١٩٩٠، وتابع دراسته في التاريخ في جامعة بيروت العربية.

كان بشير الجميل الشاب عائداً من الكحالة بعد اشتباكات حصلت بهجوم عناصر من الميليشيات المسيحية على جنازة فلسطينية يرافقها الكفاح المسلح. وكان الحاجز على مدخل تل الزعتر يفتش السيارات المارة، فوقفت سيارة بشير الجميل، وبعد تفتيشها وجدت فيها بعض طاسات الكفاح المسلح، فقبض عليه ، بدون معرفة شخصيته. وجرت اتصالات مع الحكومة وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية للإفراج عنه ، وأطلق سراحه، ولكن الحادثة لم ينسأها. بشير، ولا سكان المخيم الذين رووها لي فيما بعد.

كان تناقض المناطق المسيحية المحيطة بالمخيم مع المخيم تناقض طبقي، فبينما كانت المناطق المحيطة غنية واثقفة ويسكنها الكثير من الرأسماليين

وأصحاب المصانع والمصالح الاقتصادية، كان معظم سكان المخيم من الفقراء والعمال، الذين يعيشون في مستوى حياة أقل، وانضم اليهم فقراء اللبنانيين من الجنوب، بحثاً عن العمل في المصانع القريبة في المكلس والدكوانة. وقد بدأ المسيحيون يشعرون بالخوف من الفلسطينيين بعد بداية تسليحهم في المخيمات.

ابتدأت ظاهرة التحاق الشباب والفتيات بخلايا الثورة السرية حتى تحول الأمر إلى ظاهرة علنية، وتم افتتاح معسكرات التدريب والدورات العسكرية وظهور معسكرات الأشبال والزهرات، ومراكز الإسعاف التابعة لجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، ومنذ ذلك الحين بدأ المخيم يخلع ثوبه الصفيحي الصدى ليرتفع فيه البنيان الحديث، وتم إنشاء معامل صامد للخياطة، كما تم إقامة معمل لصيانة السلاح وتطور المصنع إلى مصنع علمي تحت إشراف اللجنة العلمية، وصار ينتج الكثير من الأسلحة خاصة المتفجرات، وحين قام العدو بشن غارة على بيروت عام 1973م لتنفيذ عملية ربيع فردان التي استشهد فيها القادة الثلاثة كان المصنع أحد أهداف العدو، حيث قام بنفسه وتدميره عن طريق إرسال قوات خاصة له.<sup>٨٩</sup>

\*\*\*

عادت أمينة عراقي. كان البنات في المستشفى فرحات وينقلن الخبر لبعض. كن فخورات بها. أمينة عراقي من أوائل أشبال فتح في المخيم، انضمت إلى أول معسكر للأشبال في المخيم، وبدأت تتعرف على فلسطين والثورة، في التنظيم النسائي، منذ كانت في السنة الثامنة من عمرها.

“أسسنا المعسكر ونظفناه وقلعنا الشوك والبلان من الأرض وقد جاء أبو علي إباد وافتتحه، وكان مدربنا أبو الليل، وقد جاء على حصان من الأردن في إجازة وأصبح مدرباً في المخيم، وبعد أحداث الأردن طلبت صاحبة الأرض استعادة أرضها، فتركناه لها، وقد بني مصنع في مكانه”  
وقد كانت تمارس رياضة لعبة تنس الطاولة، وانتخبت للذهاب إلى الصين وذهبت في أولمبياد عالمي مع مجموعة من الشباب الفلسطيني منهم عجاج، ومهند اليماني. وقد بقيت في الصين حوالي ثلاثة أشهر في جولة على المحافظات والتدريب. وقد كانت قبل ذهابها من النشيطات في دورات الإسعاف والمرشدات وحملة التطعيم. وكان المخيم عند حضورها خاضعاً للحصار والطرق مغلقة. ولكنها استطاعت الدخول عن طريق المونتي فيردى، ثم أكملت الطريق للمخيم على الأقدام. واستقبلت استقبال الأبطال، وفي المخيم عادت أمينة إلى قواعدها، فانضمت إلى نقاط الإسعاف. تقول أمينة “لقد تتلمذنا على يد فاديا سالم في العيادة، ونضال الناطور في الاتحاد النسائي، وأول من أسس الزهرات

<sup>٨٩</sup> <http://natourcenter.info/portal/2015/08/17> /اللواء-محمود-الناطور-ابو-الطيب-يكتب-ف/



في فتح كانت عطاق أخت أبو خليل، وجاءت أم عمر وشاديا الحلو وأخذونا في  
دورة إلى مصيف، مع فتيات التنظيم من كل لبنان حوالي ٣٠٠ فتاة، وقد حضر  
القائد العام أبو عمار التخرج في مصيف .كانت الدورة سياسية وعسكرية.<sup>٩٠</sup>

## ٨- الهلال في المخيم

---

<sup>٩٠</sup> حديث خاص مع أمينة عراقي في برلين ٢٠١٥

مع انتقال ثقل الثورة الفلسطينية إلى لبنان، واستمرار المؤامرة على الشعب الفلسطيني هناك، بدأت قصة الهلال الأحمر الفلسطيني في المخيم. عام ١٩٦٩ كانت نضال الناطور من اتحاد المرأة الفلسطينية قد جهزت العيادة ودعت الدكتور فتحي عرفات لافتتاحها في وسط المخيم، وكان يفرز لها باستمرار طبيب يداوم صباحاً، وغالباً ما يعود ظهراً عندما ينتهي من معاينة المرضى. وقد داوم عدة أطباء منهم الدكتور نبيل نصار، والدكتور حسان الشريف والدكتور عزت الأسمر ومحمد اللوباني في عيادة المخيم فترة من الوقت.

في أيار ١٩٧٣ انهارت القذائف على المخيم واستمر القتال ١٤ يوماً، وقصف الجيش المخيم بالهاوزر، ولكن الطريق بقي "سالكاً وآمناً" أي قابل للعبور، وتطايرت ألواح الزينكو التي تشكل بيوت المخيم، وشاركت اللجان الشعبية في المعركة. كان للمعركة أثر كبير على الناس، جعلهم يفكرون في الصمود في معارك قادمة.

خرج الناس من معارك ١٩٧٣ بدروس كثيرة منها: تأليف اللجان الصحية، ضرورة بناء مستشفى مستقل في المخيم لإمكانية تعرض المستشفى للحصار، وقد شكلت لجنة لجمع التبرعات من الأهالي واتحادات العمال. بدئاً في بناء المستشفى عام ١٩٧٣ في مكان المسجد القديم، على أن يبقى للمسجد طابق فوق المستشفى. وكان واضحاً منذ البداية أن المسنشفى في ذلك الموقع يجب أن يكون محصناً، وأن يكون قادراً على الصمود في وجه القصف المعادي، لذا فقد صمم على أن يكون المستشفى تحت الأرض في طابق يحوي غرف العمليات والأقسام الداخلية والأشعة. أما الطابق الأرضي فقد كان مخصصاً للعيادات الخارجية والإدارة والصيدلية وقاعة محاضرات لاتحاد العمال، وعندما بدأنا العمل في حزيران لم يكن جاهزاً غير العيادة الخارجية والتي كانت الغرفة المخصصة لاتحاد العمال.<sup>٩١</sup>

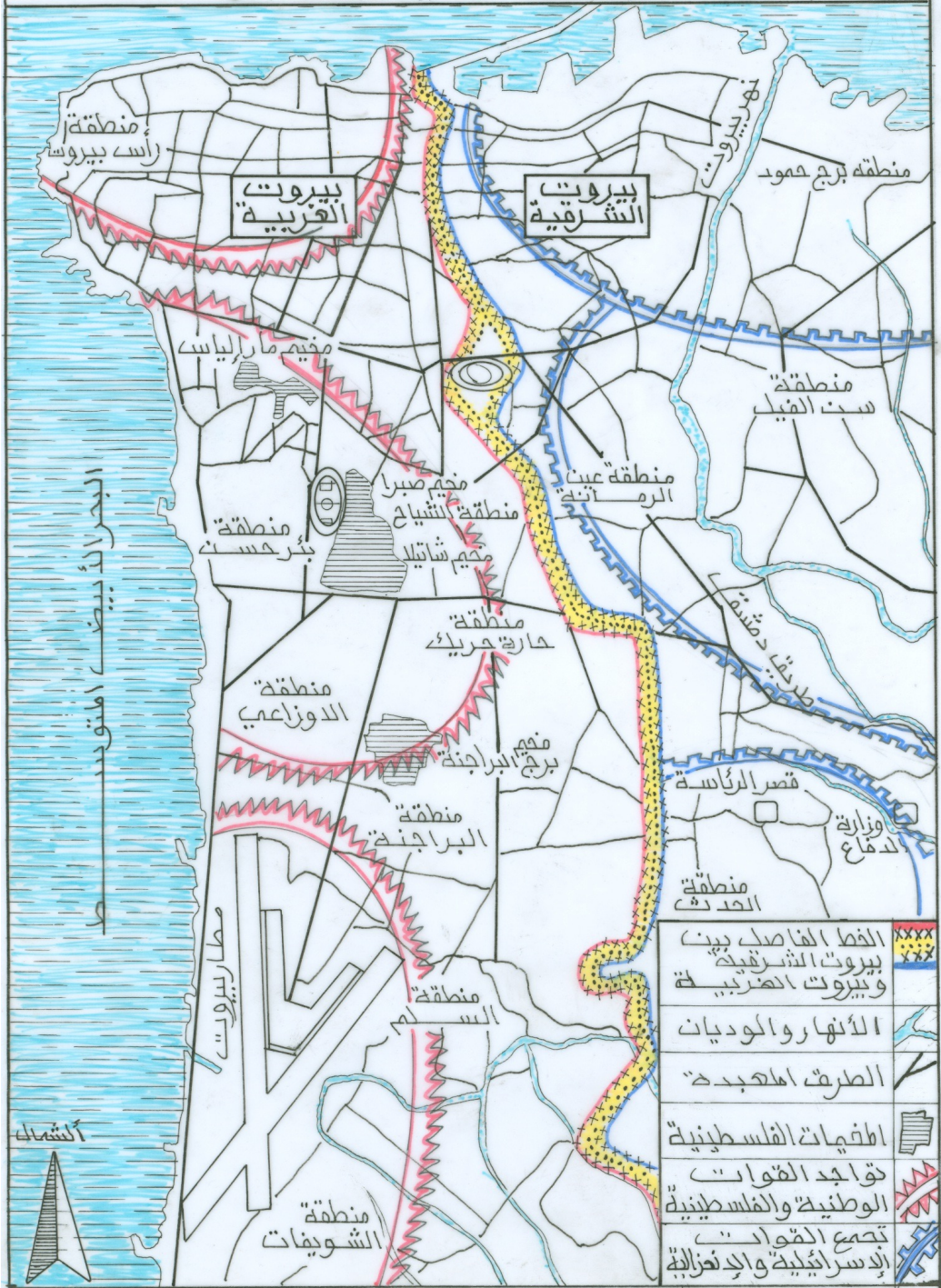
كانت معارك ١٩٧٣ قد أفرزت عملاً شعبياً على المستوى الصحي، طوره الدكتور نبيل نصار الذي كان في المخيم وقتذاك، وجاء معه مجموعة من طلبة الطب في الجامعة الأمريكية من أبناء تنظيم فتح في الجامعة. بدأ يتراخى مع الوقت، ولكن الارتباط النفسي بالعمل الشعبي بقي موجوداً، فكثير من الإخوة والأخوات الذين عملوا بقوا على ارتباط بالعيادة ومنهم من كان يعمل باستمرار في وقت الفراغ. منهم خالد صديق أحمد عوض الصغير، وعلي. كنا نسميهما مليشيا أحمد عوض، فقد كانا المرافقين الدائمين له واللذان يأتمران بأمره في كل شيء. كانوا يشكلون فريق عمل جيد في الطوارئ.

\*\*\*

يتحدث عارف طه بحماس عن تجربته في حرب ٧٣ عندما كان خارج المخيم في مستشفى القدس وقرر الهلال إرسال قافلة سيارات لإخراج الجرحى من تل

<sup>٩١</sup> الهلال الأحمر الفلسطيني . التجربة الطبية في تل الزعتر . د. عبد العزيز اللبدي دار الكرمل للنشر

عمان ١٩٨٦



الزعر كان الدكتور نبيل نصار والدكتور بهائي والدكتور رجاء مع القافلة ، حيث أوقفها مسلحون الانعزاليون ، وكان فيه الطاقم الطبي فقط، ونزلونا على الأرض ودخلنا في محطة بنزين والكادر الطبي صف على الحيط ، وقد تشاهدنا ، وتعاملوا معنا بطريقة بشعة بالمسبات والشتائم، وكان معنا مندوب فرنسي من الصليب الأحمر الدولي، فطلب منهم السماح له بالاتصال ، واتصل ربما بمركزه، ثم عاد وقال: خالص سنكمل المسيرة إلى المخيم. ، ودخلنا المخيم وحملنا الإصابات الصعبة، وبعد أن قطعنا الحاجز بدأت الرماية علينا، وأصيب أبو الليل سائق الهلال بجانبى إصابة بالغة ، ولم أرى أثر الإصابة ولا أي نزييف، ولكن نفسه بدأ يضيق حكايتي مع تل الزعتر

وبدا يتنفس بصعوبة ، فطلبت منه أن يتوقف على جانب الطريق، وفحصته بعد أن توقف، ووجدت أن رصاصة قد اخترقت صدره ، وأن النزيف في الصدر قد بدأ يضيق نفسه، كان مدخل الرصاصة في الظهر لا يكاد يرى ، ثم أكملنا الطريق إلى مستشفى القدس في الحازمية حيث عولج أبو الليل من إصابته. ثم عاد عارف إلى المخيم مع بداية الحصار الأخير وتدرّب على التخدير في العمليات، وتابع دراسته في الموضوع بعد الخروج.<sup>٩٢</sup>

\*\*\*

جاء بعض المرضى الأجانب للعيادة، وعرفت أنهم يقيمون معسكراً في مدرسة الوكالة في أول المخيم، كانوا هولنديين، وتحدثت معهم بالألمانية . وتكونت علاقات سريعة مع النشطاء منهم والمسؤولين عن المخيم، وقد دعوني لزيارتهم في المدرسة، وذهبت وتحدثت معهم في الحالة السياسية والحالة الصحية في المخيم وطرق تقديم الخدمة لتحسين الأوضاع الصحية في المخيم. وتطوع واحد منهم مهنته التمريض بالعمل معنا في المستشفى وبدأ الشباب يعلمونه العربية وأطلقوا عليه اسم "القريعي".

لفتت نظري فتاة مرافقة للوفد الأجنبي من الطالبات في الجامعة الأمريكية، وكانت تتحرك بهدوء وتبتسم ابتسامة ساحرة. وتتحرك برشاقة، كان شعرها كثيفاً وطبيعياً، وغير ممشط، ولم أكلمها، ولم تحدث أي مناسبة للقاء، جاءت مرة مع إحدى المريضات، وذهبت بسرعة وكنت منشغلاً ، فلم تتح فرصة للتعرف. ولكن صورتها لم تفارق خيالي ، وعندما التقيتها مرة أخرى قررت أنها هي، طبعاً حصلت أمور كثيرة حتى ذلك الوقت.

\*\*\*

كنت ما زلت أدخن في ذلك الوقت، ويصيبني بين الغينة والأخرى زكام شديد ولكن هذه المرة أصابني أكثر من ذلك وبقيت في الفراش، فقد ارتفعت درجة حرارتي، وشعرت بهبوط عام لم أقو على النهوض. ولم أستطع حتى النزول إلى العيادة لأطمئن الشباب. لم تتجاوز الساعة العاشرة عندما دق الباب، ودخلت الحاجة أم راجي النجمي، وسألت عن حالي وأن الناس بانتظاري في العيادة، وقد سألت الشباب فقالوا لها إني في غرفتي بعد. فشرحت لها حالي وعذري، فقالت، - طيب أنا عندي الحل. كاسات الهواء . وذهبت إلى بيتها وعادت حاملة العدة لعمل كاسات الهواء، كنت ابتسم وأنا خجل من عدم الموافقة وقد أتعبت نفسي، فلم أرد أن أكردها. نمت في السرير على بطني ووضعت كاسات الهواء على ظهري، وهي تقوم بوضعها بحرفية ظاهرة، وهي تقرأ القرآن. ما حصل أني شعرت بالتحسن وقمت معها فعلاً ونزلت إلى العيادة. تعرفت على الحاجة أم راجي في بداية مجيئي إلى المخيم، فقد كانت حفيداتها من الصبايا النشيطات في اللجان الصحية، وتربطني علاقة بأحد أنسابها في الضفة الغربية في جنين، وقد دعنتني لتناول المغتول في أول شتوية أقضيها في المخيم.

<sup>٩٢</sup> لقاء خاص مع عارف طه بر الياس، نوفمبر ٢٠١٥.



\*\*\*

يستمر العمل بعد إغلاق العيادة واستدعى لزيارة المرضى في بيوتهم. وكنت أستمع كثيراً لخبرة الشباب في معارك ١٩٧٣ وتكوين اللجان الشعبية، وقررنا عمل دورة للبنات للإسعاف الأولي. وطلبت من بنات التنظيم التحدث مع التنظيم وإرسال البنات لحضور دورة الإسعاف. حضر مجموعة مختارة من الطالبات الجامعيات وبنات من الصفوف النهائية في المدرسة من التنظيم، وبدأنا العمل. لم ننه الدورة بسرعة، وفي منتصف الدورة قررنا عمل حملة تطعيم لأطفال المخيم نظراً لتوقف خدمات الوكالة والحكومة في التطعيم ضد شلل الأطفال. ونجحت الحملة، وتم تطعيم أطفال المخيم. وجاءت مزيد من البنات أصغر سناً لتعلم الإسعاف الأولى، وأضفنا للدورة أسبوع من التدريب في المستشفى وخاصة في استقبال الجرحى. كنا نشعر أن المخيم محاصر، رغم فتح الطرق وسهولة الحركة في عام ١٩٧٥. وكان التدريب يعني المساعدة في استقبال الجرحى من القصف على المخيم، وتحضير غرف الطوارئ لاستقبال الجرحى وتحضير المواد الطبية اللازمة. في هذه الفترة عاد الدكتور محمد من إجازته ولم يلبث أن سافر، وبقي في الشمال، حيث أنه لم يستطع العودة إلى بيروت نظراً لإغلاق الطرقات.

أصبح المستشفى مركز الحدث في المخيم، وقبله الإهالي من المرضى والأصحاء المهتمين بالمرضى وبمستقبل العمل الصحي في المخيم لضمان احتمال حاجتهم للعلاج الطبي وزيادة احتمال الإصابات من خلال القصف المستمر للمخيم، ونقص الأدوية المتزايد. وكان الكادر الطبي يحظى باحترام زائد، نتيجة مبادراته الخلاقة لتحسين الأوضاع الصحية في المخيم، والتي أحس بها الناس مباشرة. وكان الجميع يحاول المساعدة في تأمين الأدوية، أو التموين، أو الشمع. كان الجميع يشعر بالرعاية الخاصة التي يحظى بها المستشفى، والتقدير الخاص لعمله.

المرحوم الدكتور نبيل نصار في الوسط وإلى يساره الأخت فاديا سالم وأمامه أحمد عوض، في أول عيادة في تل الزعتر ١٩٧٣.





## ٩- الدكتور يوسف عراقي

كان يوم أحد من شهر تموز، والأحد هو العطلة الاسبوعية في لبنان، وقد خرجت مجموعة شباب مستشفى القدس في رحلة إلى ملتقى النهرين قرب الدامور، ولحققتهم مع المهندس عمر خريج الإتحاد السوفيياتي، والذي تعرفت عليه في أحد المعسكرات، هناك كانوا يغنون ويرقصون تحت ظلال الأشجار الضخمة على ضفاف النهر الجاري، نهر الدامور، بعضهم وضع الكراسي في النهر وخلع حذائه ووضع ساقيه في الماء البارد، وبعضهم وضع الأرجيلة إلى جانبه وقد اتكئ على صخرة في الوادي، كان الجو وادعاً، وسرعان ما انضمنا اليهم ننشد أناشيد العاصفة، وانطلق بعض الإخوة والأخوات يرقصون على أصوات الموسيقى من المسجلات. كان يوسف يجلس هادئاً، وأسرع عمر يعرفنا، فقد كان يعرفه من موسكو، من العمل في التنظيم واتحاد الطلبة الفلسطينيين، وسررت أنه طبيب وبدأنا نتحدث عن العمل في الهلال والعمل السياسي، عن الدراسة والثورة والعمل الجماهيري، ودعوته لزيارة المخيم الذي كان يعرفه.

يوسف عراقي، سكن في بيروت الغربية وهو من قرى حيفا، وتخرج من مدرسة المقاصد الاسلامية في بيروت وكان في فريق كرة القدم، وقد درس في جامعة

الصدقة في موسكو، ١٩٨٨-١٩٧٥، ثم عاد إلى لبنان في صيف ١٩٧٥. وكان الكثير من أقاربه يعيشون في تل الزعتر بعد قدومهم من المسلخ. يعد أيام كان في زيارة لنا في المخيم وقرر البقاء في المستشفى، وبدأ العمل في ١١ آب، وأصبحنا مع الأيام متفاهمين على كل شيء بالرغم من اختلاف طباعنا. ولكننا اكتشفنا قاسماً مشتركاً من الخلفيات السياسية والاجتماعية لكلينا بالإضافة إلى هوايات كثيرة مشتركة. ولولا تفاهمنا لما استطعنا أن نطور العمل بشكل موضوعي جيد خصوصاً أن بعضهم حاول أن يلعب على التناقضات كالعادة. وكان التفاهم بيننا تلقائياً، وبدون كلام. مما أضفى على الجو روحاً من التفاهم والمحبة والإيثار، وقد شرفني بدعوتي للتعرف على المختار والده مختار عرب الرمل، وإخوانه، في بيروت الغربية، وأصبحوا جميعاً أهلاً لي، وما زالت العلاقات مميزة مع الجميع.

كانت شخصيته الهادئة قريبة من القلب مما جعل الشباب يتقربون منه، ويبدعون في تطوير العمل الطبي، الذي أشرف عليه سواء في الطوارئ أو الأقسام، أو بعد الانتقال إلى المقر الجديد. بينما صرت أوجه اهتمامي إلى الأمور الإدارية والتقدم في إنجاز المستشفى.

كان العمل في المستشفى يسير قدماً، وبدأ نظام العمل يختلف وحل النظام والدوام الرسمي محل العمل التطوعي، وأصبح هناك قواعد وأنظمة مختلفة بالإضافة إلى وجود الأطباء بشكل دائم في المستشفى. فأصبحت العيادة يومية، فيها طبيبان باستمرار، وفيها تحضير لنظام المستشفى القادم.

كنا نقضي وقتاً مع أبو عماد ظاهر المشرف على العمال لشرح متطلبات المستشفى والمواد التي نحتاجها في البناء، ونوعية الدهان في غرفة العمليات والتكييف الكهربائي الضروري لأن غرفة العمليات كانت في الطابق السفلي ومغلقة من جميع الجوانب بلا شبابيك على الشارع، ونوع الأسرة المطلوبة.

جاء المهندس جبران عدة مرات يشرف على سير العمل في تجهيز أقسام المستشفى، وبدأت أهتم بالعمال، فأصبحت لي جولة يومية عليهم قبل البدء في العيادة. وبدأت علاقتي معهم تدفع بالعمل قدماً، وأصبحوا يستشيرونني في كل شيء بالإضافة إلى مشاكلهم الصحية.

كان أبو عماد ظاهر موظف في وكالة الغوث، وكان متطوعاً للإشراف على العمل ومراجعة المقاولين والإنجازات في الخطة. وكان لا يتأخر عن تذليل كل الصعوبات للمضي قدماً في تجهيز المستشفى، فقد عاش خبرة الحرب السابقة في المخيم ويريد إنهاء العمل بأسرع وقت، لأنه يعرف أن الحرب قادمة.

نقلنا العيادة والصيدلية إلى الجانب الآخر للمبنى بعد أن أفرغنا الصيدلية الجديدة من محتوياتها، حيث كانت تستعمل مخزناً لمواد البناء واللوازم الأخرى، وشارك الجميع في العمل. لم يمضى النهار إلا والصيدلية جاهزة، ومدهونة بلون جديد. كان نقل الصيدلية عمل تطوعي نموذجي، فقد اشترك فيه الجميع من الشباب والشباب فترى الجميع يتحرك، رتبوا الرفوف في البداية، وكانت خبرة ممدوح ضرورية مع أدواته العزيزة، يحملون الصناديق بينما يقف البعض في الصيدلية يفرز الأدوية على الرفوف، وأحدهم يحضر الشاي للجميع. عاطف عدوان الصيدلي الذي قدم إلى المخيم من بيروت الغربية بعد نقله إلى المخيم، وهو متزوج من

إحدى بنات المخيم. كان منهكاً فقد كان عليه أن يشرف على الجميع ويراقب الجميع، ولكنه تنفس الصعداء بعد أن انتهى العمل في نفس الليلة.

جهزنا قسم الطوارئ أيضاً ، والذي كان غرفة نوم للجميع، حيث نقلنا الأسرة إلى الطابق العلوي أمام المسجد.

كانت غرفة النوم تشرف على طرق المخيم، وقد التقط العديد من الصور منها، بل لقد سعدت إلى سطح المسجد وصورت المخيم بكاميرا سوبر ٨ سينمائية. كانت أسطح المنازل التنيكية تنم عن الحالة الاجتماعية للسكان. بدأت أدرك في تلك الفترة حقيقة أوضاع المخيم مما دفعني لإلغاء فكرة الانتقال من هناك.

لقد كان مخيماً فقيراً معظم سكانه يعملون في المصانع المجاورة بدخل أقل من المتوسط، كانوا فقراء. معظم بيوت المخيم من التنيك الصديء، وإن كانت في داخلها نظيفة ومرتبة. وهناك بعض البيوت بنيت من الحجر بعد دخول الثورة واتفاقية ١٩٦٩، فقد كان ممنوعاً على سكان المخيمات أن يبنوا بالحجر أو أن يسقفوا بيوتهم بالإسمنت.

وكانت المجاري في المخيم مفتوحة، تشم رائحتها في كل مكان. وفي الليل من العادي جداً أن ترى الجراذين تسرح وتمرح في الأزقة أو أن تصطدم بها. ومسؤولية المجاري تقع على عاتق وكالة الغوث والحكومة التي لم تنظم هذه العملية، وتركت المزابل في جميع أنحاء المخيم بالرغم من وجود عمال للصحة في المخيم من وكالة الغوث. ولم تكن منظمة التحرير مهينة للتصدي لهذه المشاكل الحياتية.

هذه الأوضاع الصحية السيئة والمجاري المفتوحة ، المزابل، الفقر ، وما ينتج عنه من سوء التغذية، زادت في انتشار الأمراض المعدية، وخاصة بين الأطفال، وقد شاهدت في العيادة أمراضاً لم أسمع بها إلا في الكتب مثل الجرب، الذي شاهده أول مرة والإكزيما المختلفة.

بدأنا نفكر في الحلول، وكان هذا هو النقاش الأكثر شعبية لدى الجميع، فالكمل يبحث عن حل لتحسين أوضاع المخيم، ولم نجد سوى العمل الشعبي مخرجاً، أن تشارك الجماهير في حل مشاكلها ، وأن تكون هي صاحبة القرار لحل المشاكل التي تراها مهمة، بدأنا في عمل دورات للأسعاف للشباب والفتيات، ونظمنا عدة اجتماعات إدارية في تلك الفترة، كانت برئاسة عمر أورفلي أبو السعيد، وتعرفنا على النشيطين من الشباب والمستعدين للعمل التطوعي أكثر من غيرهم. وفرضنا فترة من التدريب على الخريجين ، بحيث يمارسوا عملياً ما تعلموه نظرياً. كان الجميع متحمسين، وملتزمين بالقرارات المتخذة، فالموضوع ليس وطنياً إيديولوجياً بعيداً بل يتعلق بالمصلحة الشخصية لكل مواطن من سكان المخيم، لذلك كان التنفيذ سهلاً. لقد اختفت الايديولوجيات والأفكار المطلقة، وأصبحت المصالح شخصية، وقد كان الدكتور كامل مهنا<sup>٩٣</sup> من الجبهة الديموقراطية من المشاركين في كل الفعاليات والنشاطات التي قمنا بها.

<sup>٩٣</sup>الدكتور كامل مهنا ولد في قرية الخيام ، جنوب لبنان ، في العام ١٩٤٣ - حاصل على "دكتوراه من مجلس الدولة" في الطب من جامعة "تور" الفرنسية. عمل في عيادة الجبهة الشعبية الديموقراطية.

كان الطريق نصف آمن، وقد تعرض أهالي المخيم الذاهبون إلى بيروت والعائدون إلى المخيم للخطف والاعتقال. وقد دعت لمعالجة عدة حالات من الانهيار العصبي نتيجة فقد أحد أفراد العائلة في سن الفيل أو عين الرمانة، أذكر حالة فتاة في العشرين من عمرها كانت قد تزوجت منذ شهر تقريباً ، ونزل زوجها إلى بيروت لقضاء بعض الأعمال الضرورية، وعند عودته استوقفه حاجز في سن الفيل ، ولم يعد.

وهكذا تقيدت حركتي في المخيم، كنت معتاداً أن يكون عندي سيارة أثناء فترة الدراسة، وأن أتجول باستمرار في مدن ألمانيا، وحتى عندما كنت في صور كنت أذهب إلى بيروت مرتين في الأسبوع أو أكثر، وفي بداية الفترة في تل الزعتر كنت قد اشترت سيارة الدكتور نبيل لاستطيع التحرك، ولكن لم يقدر لي الاستفادة منها، فقد بقيت واقفة في مدخل المخيم ، حتى جائتها قذيفة فاحترقت.

وهكذا أصبح المستشفى هو بيتي، وقد أحضرت معظم كتبي الطبية لأستطيع مراجعة ما يجري من حالات.

جائتني حالة ولادة، قبل تجهيز المستشفى، ولم يكن بالاستطاعة نقلها ، وكانت بكراً، وجلست في العيادة تنتظر إمكانية النقل بسيارة الإسعاف، وبدأ الطلق فجأة، ولم يكن أمامي سوى إحضار طاولة الولادة ووضعها في الإدارة، استعداداً للولادة، وأحضرت الصبايا اللوازم وعلقن المصل للولادة، ولم يكن لدينا إبر لتشجيع الولادة، فبدأنا تشجيعها نفسياً، ولكنها تأخرت، ونامت في الإدارة حتى اليوم التالي، وكان احتمال الولادة في أي لحظة وارد، وجلسنا ننتظر، وتسارعت الانقباضات، وبعد ١٨ ساعة من الانتظار ، ولدت ولداً جميلاً، وارتفعت الزغاريد في المستشفى، ألف مبروك. كانت صباح زوجة أيوب أحد المتطوعين في المستشفى، وتعرفت عليها وعلى زوجها وأصبحنا أصدقاء، ولم يتركونا طيلة الحصار .

تعرفت على المسؤول العسكري للمخيم أبو الحكم، ملازم من فتح وذلك في أول مشكلة حصلت في العيادة. عندما جاء أحد عناصره للغيار على جرحه، وكان منزعجاً ويصرخ، خرجت إليه لأهدئه، فإذا به يثور، ولم يكن أمامي سوى أن أطرده. وجاء أبو الحكم بعدها يعتذر ويقدمه لي ليعتذر. كان أبو الحكم هادئاً وصار يتردد على العيادة، وأصبحنا أصدقاء ، كان شاباً وسيماً من منطقة جنين، في الضفة الغربية. وقد تزوج من المخيم ورحلت زوجته معه إلى بلده بعد ذلك.

بعدها جاء أدهم (عبد الله عامر)، خريج الكلية العسكرية لحركة فتح، ومنذ مجيئه أتى إلى المستشفى ليتعرف علينا، كان معه أبو محمد فريجة مسؤول التنظيم وسلمان قائد المنطقة الشرقية. وبدأت العلاقة تنمو مع القيادة السياسية والعسكرية من خلال التعاون لحل المشاكل التي تواجهنا، فقد كان يهمهم أن يكون المستشفى مركزاً مجهزاً لعلاج الحالات المدنية والعسكرية، خصوصاً وأنه المستشفى الوحيد في المنطقة الشرقية. وقد بدأ الوضع الأمني يتدهور وتقل فرص تحويل المرضى إلى المنطقة الغربية.

عندما وصل أدهم إلى المخيم كنا في العيادة نقوم بعمل تطوعي مع بنات التنظيم لتنظيف مجاري المخيم، التي تمر في الوادي ولم تكن مسقوفة بل

مكشوفة تخرج منها الروائح في قيظ الصيف. وقد شاركت بنات التنظيم في الحملة، وشارك فيها الشباب الصغار الذين كنا نسميهم مليشيا العيادة. أصيب أدهم أثناء إحدى العمليات العسكرية في المنصورية، بشظايا في فخذه، وأدخلناه المستشفى حيث قضى ما يقارب الأسبوع، قلب لنا نظامنا خلاله، حيث لم تنقطع الزيارات من عنده، فقد كان محبوباً من المقاتلين وأهل المخيم، وعندما خرج كان قد أصبح صديقاً للجميع أطباء وممرضين. يقول أدهم: رافقتهم استعراضياً بدون بندقية، مع مسدس فقط، ليدركوا أنني لست جباناً ولا أخاف، وأصبت في دورية في المنصورية وأعادوني إلى المستشفى.<sup>٩٤</sup> وفي تلك الفترة جاء قرار المكتب التنفيذي بتعييني مديراً للمستشفى. كان هذا يعني مسؤوليات جديدة، وبالرغم من أنني كنت أمارس العمل ذاته قبل التعيين، إلا أنني شعرت بعبئ جديد يلقي على كاهلي، ولم أكن منزعجاً منه، فقد أصبحت الأمور واضحة بالنسبة لي، فقد قررت البقاء في تل الزعتر. ولكنني لم أعلن القرار، لعدم أهميته بالنسبة لتطور العمل في المستشفى، فبقيت الأمور سائرة بنفس الطريقة الأخوية.

\*\*\*

امتد نشاطنا إلى مخيم جسر الباشا الذي يقطنه عدد كبير من المسيحيين وكان كثيرين منهم يعملون في مصنع الزجاج الذي يملكه وليم حاوي، وافتتحنا عيادة هناك، وبدأنا بالتناوب يوسف و أنا، بالإضافة إلى الدكتور جورج ديب الذي كان يعمل هناك في عيادة الوكالة. ثم بدأنا بالتعرف على أهالي المخيم ومنهم الراهبة ماجدة وراهبتين أخريين يقمن في المخيم ويقدمن المساعدات الانسانية لأهله، والأب بولص، وقد كان يزورنا في تل الزعتر، يساعدنا في إحضار الخضروات في بداية الحصار، كما قام بنقل العديد من الجرحى من المستشفى بسيارته الخاصة، الذين احتاجوا إلى تحويل في تلك الفترة. وقمنا بتنظيم دورة إسعاف لبنات جسر الباشا، وجاءوا بعدها إلى المستشفى للتدريب على الإسعاف. وقد ساعدنا الأب بولص في إحضار أدوية خاصة كالمضادات الحيوية التي كانت تنفذ بسرعة في فترة الحصار المتقطع. وكان يتمتع بعلاقة جيدة مع أهالي تل الزعتر فالكل يعرفه ويتحدث إليه بلا رسميات، وهو يعتبر نفسه ابن المخيم، ولكن الكتاب أوقفته مرة في الطريق وأندروه بعدم تكرار الموضوع، ونصحناه بالتوقف حتى يفرجها الله.

كان يوسف يقضي وقتاً طويلاً مع الأخوات يشرح لهن أدوات الجراحة، وجراحة الحوادث والعظام بشكل خاص، كما كان يقضي ساعات في غرفة الطوارئ ينظم الأدوية ويفرزها ويعلم الشباب في الطوارئ عن استعمالاتها، ومضادات الاستعمال. ويكتب لافتات الأدوية على الرفوف، وفي الصيدلية. وعندما افتتحنا قسم العمليات كنت تراه بلباس العمليات الأخضر، وهو يجلس في استراحة

<sup>٩٤</sup> في حديث خاص مع عبد الله عامر: أدهم” في عمان ٢٠١٥



العمليات وقد تجمع حوله الأخوات ، يشرح لهن العملية ومضاعفاتها. وقد صدحت الموسيقى الهادئة في غرفة العمليات.



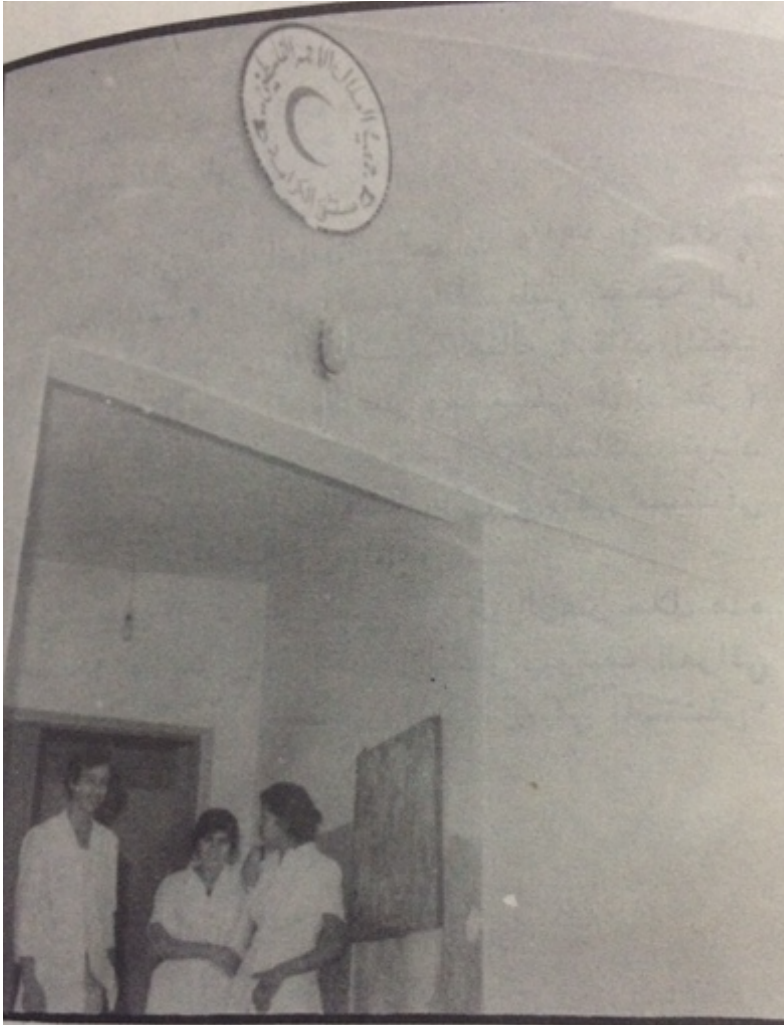




الدكتور عزت الأسمر في عيادة تل الزعتر، ١٩٧٤، وتبدو الأخت وفاء واقفة.



العمل التطوعي في المخيم





عمر أورفلي





أحمد أورفلي

## ١٠ - الحصار

بدأ الحصار على المخيم بعد حادثة الباص في عين الرمانة بتاريخ ١٣ نيسان ١٩٧٥، يزداد وينقص حسب الأحوال السياسية. أي أنه استمر لسنة ونصف تقريباً. وازدادت المهمات أمام اللجنة الشعبية عند بدء الحصار وذلك بالسعي لتأمين التموين اليومي وحاجات المخيم من المحروقات والخضار وغيرها من اللوازم. وكانت الأمور مقبولة في السنة الأولى من الحصار المتقطع، حيث كان يتاح إحضار بعض الخضروات والاحتياجات للدكاكين لتلبية حاجات الناس، ولكن الأمر ازداد صعوبة مع اشتداد الحصار حتى أصبح الإغلاق محكماً، ولم يعد يسمح بأي حركة دخولاً إلى المخيم أو خروجاً منه، وهنا بدأت الحاجة، وهي أم الاختراع.. فكرت قيادة المخيم بطرق بديلة عن طريق الجبل . وقبل الحصار الأخير قدمت قيادة المخيم مذكرة للقائد العام عن رؤيتها السياسية وأن الأمور لن تقف عند المناوشات، بل ستمتد لإقتلاع المخيم، وإلى معركة فاصلة ، وطلبت إمكانيات عسكرية وتموين لدعم صمود المخيم، ويقول عبد المحسن، وكان شيئاً لم يكن. ثم يتابع " إذا كانت الأمور واضحة ، فمن السهل التحضير للمعركة ، أو القرار بالانسحاب، لم تصل قوات إلى المخيم إلا في المدة الأخيرة ، وصلت بعض المجموعات من أبناء المخيم الذين كانوا في الخارج. المقاتلين في المخيم لم يزد عددهم عن ٦٠٠ مقاتل، والباقي من الأهالي الذين يدافعون عن بيوتهم وعائلاتهم. والناس كانت تتسائل عن النتيجة والهدف كلما زادت المعارك اشتداداً. وقد بدأت مجموعات من المدنيين تتسرب خارج المخيم عن طريق الجبل، قبل الخروج الرسمي. كنت أقول لأبو عمار أثناء الحديث على اللاسلكي أو الوضع جيد، فسمعتني مواطن ، وسب علي واتهمنا بإنكار الحقيقة وكنا قد قررنا عدم الحديث عن الاستسلام"<sup>٩٥</sup>

\*\*\*

أصبح المخيم يعاني إلى جانب الحصار العسكري على المخيم، حصاراً تموينياً، منذ نهاية العام ١٩٧٥، حيث منعت الحواجز الانعزالية أي دخول للتموين سواء التموين الجاف مثل الطحين وغيره أو التموين من الخضروات، وقد منعت القوات الانعزالية قافلة التموين المكونة من سيارات الطحين والخضار، بمرافقة ملاقات الجيش اللبناني من المرور في حرش ثابت ومن إكمال طريقها إلى تل الزعتر. كما صادروا التموين الذاهب إلى النبعة، وقد حاولت القيادة الفلسطينية تمرير القافلة بالاتصالات السياسية ، ولم تحصد سوى الوعود والمماطلة. كان المخيم يقع قرب المكلس، وهي منطقة صناعية لبنانية بها أكثر من ٢٠٪ من مصانع لبنان، وتقرر الاستيلاء على المصانع، ، ووجدنا فيها الكثير من المواد الضرورية للصمود، فقد وجدنا مصنعاً لصناعة التجهيزات الطبية مثلاً مثل عربات

<sup>٩٥</sup> في حديث مع نبيل معروف ٢٠/٩/٢٠١٥ في عمان.

نقل المرضى وعربات الغيار، والأسرة، والبارافانات، ولم نتوانى عن تجهيز المستشفى بما يلزمه منها، ووجد براد في منطقة سليك مليء بالخراف المجمدة، وقد تقرر توزيع الخراف على السكان، فاشتعلت نيران الحطب لعدم توفر الغاز والمخروقات الأخرى في كل بيت يطبخون اللحم ويحولونه إلى أورمة، والتي أمكن تخزينها فساعدت في الصمود فترة أطول، وكان إلى جانب المستودع مستودع براد للتفاح، فتوزع التفاح على الجميع، واكتشف مستودع للعدس في المكلس فتقرر توزيعه على الناس، وكذلك توزيع ما لدى جبهة التحرير العربية من تمر، على الجميع، فحصلت كل عائلة على عدة كيلوغرامات من التمر، وقد دعاني أحد الجرحى إلى كعك مصنوع من العدس المطحون والتمر. وكانت هذه المواد توزع على جميع الأهالي بغض النظر عن التنظيم السياسي. وقد وجد الشباب مخزناً للشمع الخام، والذي حل مشكلة الإضاءة في المخيم في ظل عدم توفر الكهرباء.

جمعت قيادة اللجنة الشعبية قيادات التنظيمات الشعبية وقررت توزيع المهام عليهم في أثناء الحصار.

- تقرر تكليف اتحاد العمال في حفر القبور ودفن الموتى، وقد نقلت الجثث إلى المستشفى في البداية ثم وبعد سقوط قذيفة عليها وتناثر الأشلاء قرروا دفن الجثث في البيوت الفارغة، وفي أقرب مكان تجنباً للقذائف التي تتساقط كالمطر في كل المخيم.
- استلم التنظيم تعبئة الماء، وزادت أهمية الموضوع بعد ضرب خطوط المياه إلى المخيم، والتي ظلت تقل حتى بقيت حنفية واحدة سقط عليها الكثير من الشهداء والشهيدات.
- توزيع التموين الموجود لدى المنظمات وتوزيع التمر ٥٠ طن من الجبهة العربية واللحم والتفاح من البراد، والعدس من المكلس، والمعلبات.
- اتحاد المرأة توكل بتجهيز الضمادات والأربطة والأقمشة، وتحضير الشمع للإنارة، وقد تحضر اتحاد المرأة بعمل دورات الإسعاف الأولي بالتعاون مع الأطباء في المستشفى والتي شملت فترة تدريب في المستشفى على إنقاذ الحياة والخطوات الإسعافية اللازمة لإنقاذ الحياة والنقل إلى المستشفى. وقد جهزت بعض الحملات من السلالم والخشب لنقل الجرحى.
- المعلمين، كلفوا ببناء المتاريس، والعمال كلفوا بحفر القبور ونقل الجثث، "أما قيادة فتح في المخيم والتي كانت تقود المعركة لأنها التنظيم الأكبر والأقوى، فقد قررت توحيد فتح أولاً، فمنعنا الاتصال بخارج المخيم إلا عن طريقها، ومنعت التجاوز وفتح الخطوط الخارجية مع القيادات"<sup>٩٦</sup>. ويتابع أدهم: كنا نتصل بالقيادات ونقول لهم أن يغلقوا الخط في تل الزعتر ونعرض عليهم، نحن لدينا ثلاثة آلاف مقاتل كلهم لكم، فإذا كنتم تفضلون جماعتكم القليلة فلکم ذلك، ومنعنا جميع المكاتب من الأمن ومكاتب القيادة، فأصبح لدينا تنظيم واحد، وقيادة واحدة لفتح، وكان تقدير الموقف موحد يصدر من مكتب قيادة فتح في

<sup>٩٦</sup> في محادثة مع عبد الله عامر "أدهم" في منزله بتاريخ ٢٥/٩/٢٠١٥

المخيم ومن رفض الالتزام أرسلناه إلى بيروت وبعضهم عاقبناه بحلق شعر الرأس أو السجن".<sup>٩٧</sup>  
وفي المجال العسكري اتفقوا على:

١- توزيع المحاور العسكرية على الفصائل الفلسطينية بحسب إمكانيات كل فصيل. وقد التزم الجميع بهذا التوزيع، وإن تداخلت المهمات حسب الظروف.

٢- عدم التركيز على المحاور في العمليات القتالية وتركيز مهامها بالمهام الدفاعية

٣- دفع قوات قتالية وفق حاجة كل محور أو منطقة هجوم

٤ بناء عدد من الملاجئ داخل مخيم تل الزعتر لحماية المدنيين من القصف. وأصبح لديهم خطة دفاعية ديناميكية مرنة تتلائم مع الأوضاع المتحركة في كل محور.

كان التدريب يتم وقت الحصار وتركز الاهتمام على الشباب من الطلاب وإبناء التنظيم ، ويقول أدهم أنه عندما نزل إلى بيروت أثناء الحصار المتقطع ، وبعد إغلاق الطريق عاد عن طريق الجبل، وطلب سلاح من أبو جهاد، فحمله خمسين أخمص حديدي، وبدأ التدريب أثناء الحصار، حيث درب ١٢٠ واحد من الطلاب. كانوا هم القوة الضاربة وسموهم الشبية.

المخيم تهدم في اليوم الأول حيث سقطت عشرين ألف قذيفة على المخيم المكون من بيوت تنكية في الغالب ويقع في وادي مساحته صغيرة لا تتجاوز الكيلومترين المربعين. وقد هرب السكان إلى البنايات في راس الدكوانة لتقليل الإصابات.

كان الأهالي في المخيم يلجأون إلى الطوابق السفلية في العمارات العالية، في راس الدكوانة، والأبنية المجاورة للمخيم، نظراً لعدم وجود ملاجئ أو أبنية في المخيم المبني من التنك في غالبته، ومن هذه الملاجئ ملجأ الحاج عبد الله في جنوبي المخيم بالقرب من محور الجبهة العربية، وملجأ مبنى جورج متى ، وأبو أسبر أو مدرسة جنين، وقامت اللجنة الهندسية في منظمة التحرير الفلسطينية ببناء عدد من الملاجئ بإشراف المهندس الصوفي في عدد من الأحياء منها ملجأ في حي أهل هونين تحت منزل سهام الشاويش القريب من مسجد المخيم، وملجأ في ساحة مدرسة بيسان ، وملجأ على الشارع العام إلى الشمال من حي أهل علما، وملجأ بالقرب من بيت البرغوثي والمصينة خلف العيوطي، وملجأ بالقرب من حي آل عراقي. لكن هذه الملاجئ كانت أشبه بتحصينات تصلح للحماية من القصف المؤقت فقط، مثل قصف الطيران الاسرائيلي، لكنها غير صالحة للسكن، بسبب عدم تجهيزها بالحمامات وافتقارها إلى شبكتي المياه والكهرباء، لذلك كان الأهالي يعمدون إلى إنارة الملاجئ بما توفر لهم من الشموع التي كانت تذاب في أواني وتوضع فيها الخيطان لإعادة استعمالها<sup>٩٨</sup>. كان عدد المقاتلين المتفرغين في فتح لا يتجاوز

<sup>٩٧</sup> في حديث خاص مع أدهم بتاريخ ٢٥/٩/٢٠١٥ في عمان

<sup>٩٨</sup> حسين فارس ص.٧٢ المصدر السابق.

الثلاثين مقاتلاً ، عندما وصل أدهم القائد العسكري الجديد، وخريج الكلية العسكرية لفتح .

أبناء المخيم هم الذين دافعوا عن المخيم، من التنظيم وطلاب المدارس الشباب من العمال في منطقة المكلس أو العمال المستقلون والذي رفضوا التفرغ في حركة فنح، وبدأ أدهم في إعداد دورات تدريبية للجميع، ووجه اهتمامه للطلبة وأبناء التنظيم من الشباب، ويقول أدهم<sup>٩٩</sup>؛ كان لدينا كارت بلانش من عرفات لتفريغ المقاتلين، وشراء الذخائر”.

أدخلنا ذخيرة بسيارات الخضرة ، وقد أرسلنا سيارات تموين من مستودعات المكلس قبل الحصار بناء على طلب العميد سعد صايل أبو الوليد لبيروت . من مستودعات اللبنانيين، ودفع ثمنها كاملاً. للنواطير. وذلك كل يومين أو ثلاثة. اشتد التنظيم ولم يعد هناك أي تمرد داخلي. اى تمرد عقابه بالسجن. قسم من الشباب ،عرضنا عليهم التفرغ، ورفضوا وفضلوا العمل خارج الثورة مع تقديم ما يلزم للثورة.

ويحدثنا أدهم: وأرسلنا دورات للكلية الحربية من شباب التنظيم من المخيم :محمد شحادة، والماو والمنشأوي. والقمح، وعادوا وقمت لتصليب العود وزيادة الخبرة بدوريات للشباب ومع الأجنحة بتطعيم الشباب. أرسلت ٥٠ واحد لحمل سلاح وذخيرة من الجبل إلى الزعتر، ودورة بقيادة أحمد القمح لإحضار سلاح ، وأحضروا حوالي خمسين آخمص حديدي . قبل المعركة الأخيرة صار الكتائب يقتلون من يذهب للعمل في الدكوانة، ومنع العمل في الدكوانة وتقرر قيادة عمل عسكري منظم في الدكوانة من عدة دوريات.

وتحمل الشباب الصدمة الأولى التي قام بها تنظيم الأحرار لكميل شمعون على المخيم، وقد استشهد منهم حوالي ٨٦ شهيداً،<sup>١٠٠</sup>

\*\*\*

في الساعات القليلة التي كان يتوقف القصف في المخيم، كنا نرى صورة مختلفة عن المخيم قبل الحصار، كان الجميع يتمتع بشفافية عالية ويتحركون كالملائكة، وترى روح الإيثار وحب المساعدة في أي شيء، وكان الجميع يعانق الجميع والحمد لله على السلامة.

بعدنا طيبين، قول الله، وهو البرنامج الذي كان زياد الرحباني يبثه عبر الإذاعة مع جان شمعون من المنطقة الغربية، وكان صوت المسجلات يصدح بأغاني زياد الرحباني، يا نور عينية رحنا ضحية، ضحية الحركة الثورية. وكنا نضحك ببراءة ، ونحن نرى الشباب المسلحين شباناً وشابات يشبكون أياديهم بحنان، فمن يدري فقد تكون آخر لمسة قبل استشهادهما. ومن معه سيجارة يفتسمها مع الآخرين أو القمبز أو أي شيء يدخن. وكانت اللجان الشعبية من مختلف الاتحادات تقوم بواجباتها في العمل في الملاجئ أو نقل الجثث، أو الاهتمام

<sup>٩٩</sup> حيث مع عبد الله عامر ”أدهم” في عمان ٢٠١٥.

<sup>١٠٠</sup> محادثة شخصية مع أدهم ٢٠١٥



بالجرحى، والتنظيمات لم يعد هناك فرق بينها، كأنها تنظيم واحد، وكان الشباب يتجمعون على باب القيادة يسترقون أخبار اللاسلكي من بيروت وآخر الاتصالات مع القيادة. كان أدهم يتجول حافياً في المخيم وقد ربط ذراعه على كتفه بعد إصابته في كوعه، في إحدى المعارك، وكان يحمل الكلاشن باليد الأخرى ويتجول على المحاور. كان يشكل نموذجاً للثائر الجماهيري، فهو ملتصق بالجماهير، ويتحدث مع الجميع من النساء والشباب والأطفال، يقود المعارك بتواضع وابتسامة، يتحسس حاجات الشباب ويحبهم، فأحبهوه، وبادلوه الثقة والمحبة، ورغم ذلك كان ملتزماً بقرار قيادة المخيم، وعندما يتكلم سلمان المسؤول العسكري الأعلى رتبة، يلتزم باحترام هيبه القيادة. ورغم إصابته وطلبنا له بتقليل التجول في المخيم، حرصاً على حياته أيضاً، إلا أنه كان يحمل الكلاشن الأخمص حديدي كاللعبه في يده السليمة ويتجول حافياً، حتي لا يستعمل الماء لغسيل قدميه. وعلى النقيض منه سلمان القائد الأعلى رتبة في المخيم (كان برتبة نقيب)، والذي كان يتصل بالقيادة عبر اللاسلكي لتلقي التعليمات وشرح صورة الموقف- في- المخيم، كان سلمان ابن- المجدل نموذجاً أكاديمياً. لا جماهيري، ويخجل من الحديث مع النساء، ولكنه كان قوي الشكيمة يتخذ قراراته ببرود ولا يتراجع عنه. وكان منعزلاً في غرفة العمليات والقيادة، ولم يندمج مع الناس وسكان المخيم، كما فعل أدهم مثلاً، مع أنه تزوج من إحدى فتيات المخيم. وفي اجتماعات القيادة كان أقل من يتكلم، ولكن كلامه كان النهائي.

أدهم ابن قلقيلية بلد أبو علي أياد شهيد الثورة في الأحرش في الأردن، والذي كان له دور كبير في بناء الكوادر الفتاوية وتصليب عودها قتالياً وتنظيمياً، وظل المقاتلين يحلفون باسمه مدة طويلة في الثورة الفلسطينية وظلت كلمته ترن في المسامع، "نموت واقفين ولن نركع". أدهم سجن في قلقيلية بتهمة قتل أحد المتعاملين مع العدو، ولم يثبت عليه شيء، فخرج من المعتقل وخرج إلى الأردن في نفس اليوم، وفي اليوم الثاني جاءت المخابرات الاسرائيلية تبحث عنه، فأخبرهم والده أنه قد سافر إلى الأردن. ثم سافر منها إلى دمشق وانضم إلى فتح والتحق بمعسكر الهامة.

وفي بيروت يقول أدهم "أبو جهاد فرزنا على المختارة مع اثنين، لتدريب مقاتلي الحزب الاشتراكي، وبقيت خمسة أشهر، وقال له جنبلاط: أريد مقاتلين شرسين، أي أقسوا عليهم.

ثم انتقل بعدها إلى بيروت، العميد ابو الوليد (سعد صايل، مدير غرفة العمليات) قال له أريدك في تل الزعتر، سأل عن الموقع، وعن الناس، وطلب سلاح وتموين، وأرسله مسؤول عسكري لتل الزعتر.

\*\*\*

جاء عيد المرأة في آذار، وقررنا إقامة احتفال بعيد المرأة، وجهزنا قاعة اتحاد العمال في الجهة الجنوبية من المستشفى، وتم شراء الحلويات والمشروبات من كولا وغيره، وألقيت كلمة بهذه المناسبة مشيداً بدور المرأة في الصمود والعمل الاجتماعي، ثم وزعنا شهادات تقدير على العاملين، وأخترنا أفضل



العاملين، وكانت عاملة النظافة أم حسين، وقد سرت وبكت عند ذكر اسمها، ووزعنا عليهم مبالغ رمزية من ميزانية العيادة التي كانت قد وصلت من المنطقة الغربية، تقديراً لجهودهم، وقد سر الجميع بهذه اللفتة. ولم أذكر ذلك الاحتفال بعد الخروج.



الرائد سلمان، القائد العسكري للمنطقة الشرقية بما فيها تل الزعتر



الملازم أدهم





أثناء تعليم الاسعاف الأولي لبنات المخيم ١٩٧٥

في المختبر أثناء التدريب العملي لبنات المخيم





العمل التطوعي في المخيم ويبدو الأخ ممدوح في اليمين



الشهيدة أمّنة حسن

١١- يوميات الحصار

منذ أسبوع وصل الدكتور يوسف، وبدأ العمل يأخذ شكلاً منتظماً، وقد اندمج يوسف في الجو الحماسي الذي تشيخه اللجان الصحية في المستشفى، فنحن لسنا وحدنا، بل الجميع يشاركونا في العمل الصحي، والجميع مهتم بمصلحة المخيم من القيادة إلى القاعدة. وأنست ليوسف، ولم أعد وحيداً في المخيم، ويوسف يعرف المخيم ويعرفه الكثيرون، مما يسهل العمل والاتصالات مع الأهالي. وأصبح بالإمكان النزول إلى بيروت وأنا مطمئن لعدم حدوث مشاكل في غيابي.

كان يجب أن أنزل إلى بيروت. الطريق غير آمن وغير سالكة، الأفضل أن أبقى. العمل ما زال مستمراً لإنهاء المستشفى، مررت صباحاً على العمال، غرفة العمليات جاهزة، ينقص تركيب الأجهزة. الأقسام جاهزة والأسرة مكومة بداخلها بدون ترتيب، لا بد من الإسراع في تجهيز المستشفى، فالأحوال السياسية لاتنبئ بالخير. في بيروت الغربية يجري تصعيد انعزالي للقصف، وسقط عدد كبير من الشهداء.

القصف مستمر ونحن لا ننام ليلياً إلا على أصوات الاشتباكات في النبعة وبرج حمود والشياح وعين الرمانة.

ما تزال الجبهة عندنا هادئة، ولكن من يدري إلى متى تستمر الحواجز على طريق تل الزعتر؟ وصلت اليوم حالة قنص في الرأس، وقد حولناها إلى مستشفى غزة مع الإرتباط بعد الإسعافات الأولية اللازمة. قسم الأشعة الآن أصبح جاهزاً، لقد كان سامي فني الأشعة شعلة من النشاط، عندما وصل بدأ في تجهيز غرفة التحميص، وقد صورنا بعض الحالات.

المعارك تندلع في بيروت وزحلة والدامور، وفي كل الجبهات، القصف يتجدد بكل قوة. وسط البلد في بيروت يحترق ويتعرض للسلب والنهب. وداعاً يا غرفتنا التي من غير الممكن أن نسكنها مرة أخرى. لقد رأينا الليلة القذائف تتساقط أمام أعيننا على المخيم. ولا أنسى كيف بقيت مغمض العينين عند نزول القذيفة الأولى، ولم أعتقد أنها الأخيرة، وسقطت الثانية، وهرعت إلى الشباك عندما سقطت الثالثة على بعد عشرين متراً من المستشفى. أسرعرت أحمل ملابسني وأرتديها وأنا أسرع، كنا نسكن أمام المسجد في الطابق العلوي، ولا بد أن الناس قد تجمهروا الآن. كان يوسف قد استيقظ وأسرع معي.

نزلنا إلى المستشفى، كان الناس قد ملأوا المستشفى وجميع الممرات، واندفعوا إلى الطابق السفلي وسط الصراخ والفوضى. صرخت أمنعهم، صرخت

بجنون، لا يمكن أن ينزل الناس إلى أقسام المستشفى، هذا يعني أن نبداً العمل من جديد لتجهيزه.

كان أبو السعيد واقفاً، وأسرع عندما رأني أصرخ، وبدأ في إرجاع الناس، وحصرتهم في الطابق الأرضي. كان منقذي، وسارع الشباب إلى تنظيم الأمور. تصايحت النساء، ولكن صوت أبو السعيد كان أعلى وأقوى واستطاع أن يضع حداً لذلك السيل المتدفق. كلن ممدوح قد انطلق مع الممرضة والحاملة إلى مكان القصف. أسرعت إلى غرفة الطوارئ لاستقبال الحالات، كان ممدوح يقف مغبراً من دخان القذيفة، يلهث ، كانت الطفلة الممددة على طاولة الكشف في العاشرة، وقد تدفق الدم من أطرافها وهي تبكي من الألم. كان ساقها وفخذاها قد حفرتهما الشظايا، وتدفق الدم بغزارة، وقد تعلقت الأوساخ بالجروح، تراب وقماش وحديد. انحنيت على الطفل المسجى على الأرض، كان ميتاً وأخته إلى جانبه ميتة. كان لا يتجاوز الرابعة من العمر وأخته في الخامسة، كانا متسخين من الدم والشظايا، ولكن طهارة الطفولة كانت تشع من وجهيهما.

كان الممرضون قد باشروا في العمل لوقف النزيف ، فاديا بدأت تغسل الجروح وتضمدها، خالد كان يقيس الضغط. وأحمد عوض كان يعمل بهدوء وأعصاب باردة لتعليق المصل.

ما أن أصبح الصباح حتى جئت سيارة الارتباط تنقل الأم إلى مستشفى غزة، وجاءت أختها الكبرى وهي في الرابعة عشرة من عمرها، عنبرة اسمها، لا تقرأ ولا تكتب ، ولكنها تشارك في دورات الإسعاف ، وتشارك في أي عمل في المستشفى.

كانت البنات قد أخذنها للتخفيف عنها، ثم جاءت إلى الإدارة وجلست - " أنا مش زعلانة على إختي وأخوي، أنا زعلانة على إمي، مين بدو يلمنا، ومين بدو يدير باله علينا، بس يا حبيبي يا بلال، كنت بدك تلبس الطاقية اللي من الحج، ليش ما رضيت، يا بلال مين بدو يزعلني بعد اليوم، ومين بدو يطلب مني فرنك، يا بلال مين بدو يضحك ويملى البيت علينا" .

كنت أنظر إليها بصمت، كان وجهها جاداً، لم تكن تبكي، ولم تكن تصرخ، كانت كأنها تحدث نفسها، وحديثها مليء بالعاطفة والإحساس، بقيت أنظر إليها ووجهها البرئ حتى جاءت فاديا وأخذتها للفظور.

انطلقت أرى آثار القصف، كانت أم عنبرة في طريقها إلى الملجأ عندما فاجأتها القذيفة وهي تحمل أولادها. كنت أنظر إلى الدمار الذي لحق بالتنك عندما مر سلمان يبحث عن أعقاب القذائف ليحدد نوعها، حفر قليلاً بأصبعه وأخرج الفراش وقال- ٨١ سقطت من الحازمية، قالها وانطلق بسرعة.

مررت بالبيوت الأخرى ، في البيت المقابل لبيت أبو عماد ضاهر الذي كان يعمل معنا في المستشفى من خلال صلته بالمهندس جبران ومركز الهلال في بيروت، كانت القذيفة في الفراش، واستشهد الحاج، جار أبو عماد فوراً. وأمام مستوصف الجبهة الشعبية سقطت قذيفة أيضاً ، ولكن بدون خسائر، نزلت في القسم.

كان أحمد أورفلي ما زال يرتب الأسرة والشراشف ، فالقسم ما زال جديداً، افتتحناه البارحة عندما جئتنا الحالات الأولى من النبعة، الحاجة أمينة التي اضطررنا لإبقائها ونحن ننتظر أن تموت ، كانت إصابتهما بالغة في الصدر، كان الدكتور نبيل حاضراً يومها وأجرى لها عملية فغر الصدر ، وإدخال أنبوب النزح، لم

يبقى أحد من العاملين إلا حضر عند سماع القصف. وامتلاً المستشفى دفعة واحدة بالمرضى. هذا أول قصف أشهده في المخيم ، وفي حياتي.

١٩٧٥/٩/٢٥

اليوم جئني أبو السعيد.

- يا دكتور نريد أن نفهم ما هو دورنا كلجان شعبية، ونلاحظ أن هناك فوضى في التعامل. وشرح وأسهب وانتقل من موضوع لآخر كعادته، وقلت له:  
- أبو السعيد، أرى أن تنظموا برنامجاً للمناوبات من الأخوات واللجان الشعبية، وأن يكون تعاملنا مع اللجنة الإدارية مباشرة، وأقترح أن يكون ممدوح هو المسؤول عن الموضوع، ويجب من جهة أخرى توزيع الأخوات اللواتي ليس لهن مناوبة في المستشفى على نقاط الإسعاف كالسابق، يجب أن تكون نقطة إسعاف في البرج العالي ، ونقطة في معمل الورق. اتفقنا على توزيع ست نقاط، ووضعنا المناوبات. أنا لا أفكر كثيراً بالنتائج عند القيام بعمل أكون مقتنعاً بفائدته، وهذه اللجان ينقصها تنظيم أكثر وتعبئة أكثر، ولكن هذا لا يعني أن لا نعمل معها، ونستفيد من وجودها. هي نظرة عامة للأمور، هل يجب تهيئة كل الظروف المثالية عند البدء بأي عمل؟ أو البدء بالعمل وترك تطوره للظروف. إن الممارسة هي ولا شك هي الرائد الأساس للنظرية والفكر. وكما قال ماو تسي تونغ "دع ألف زهرة تتفتح". لنمارس إذن ولنُدفع التطور بالاتجاه الصحيح، لنحاول الحصول على أفضل نتائج ممكنة. وحتى إذا لم تكن النتائج كما يجب، إلا أنها أفضل على كل حال من الانتظار. إننا بحاجة لعمل سريع، ولا شك أن تصورنا للعمل سيتطور من خلال التجربة.

الحاجة أمينة حالتها تتحسن، بلهجتها العربية الكردية تضحكننا وهي تتكلم بدون أسنان، ولكن صحتها في تحسن مستمر، فاق تصورنا. فاطمة أيضاً تتحسن، ولكننا نفكر بنقلها إلى مستشفى غزة في بيروت الغربية. كانت ذاهبة إلى النبعة لتشتري خبزاً للبيت أمام البراد اليوناني، عندما فجأتها رصاصة قنص في صدرها.

- "يا حبيبي يا دكتور ، الله يخليك اولادك، وإذا ما إلك ولاد الله يخليك أهلك" وتضحك الممرضات، وهي تعيدها كالتلميذ ينشد محفوظاته، كل مرة أمر عليها أثناء الغيار تعيدها عشرات المرات.

لا بد من تجهيز غرفة العمليات بسرعة، وفي آخر الشهر إذا أتيح لي الذهاب إلى بيروت سأحاول شرح الموضوع للمسؤولين، ولا يوجد سوى ثلاثة ممرضين، ويجب إحضار المزيد . نحن بحاجة على الأقل من أجل المناوبات في القسم الداخلي والطوارئ إلى إثني عشر فرداً ما بين ممرض و، ممرضة. وهذه مشكلة



فعلاً ، فمن يقبل أن يأتي إلى تل الزعتر في ظل الحصار والقصف؟ عندنا عدد كبير من المتطوعين، ولكن تنقصهم القدرة والدراسة. إلا أن وجودهم يحل لنا أزمة في هذه المرحلة.

١٩٧٥/٩/٢٦

أفكر كثيراً في مسألة اللجان الصحية، ولكن ما هو الهدف؟ الهدف هو الوصول إلى مرحلة متقدمة من الوعي الصحي الجماهيري الذي يؤدي إلى وقاية أفضل. إنها الوسيلة لإنشاء كادر صحي متوسط المستوى، ليقوم بدور الوسيط بين المستشفى كمركز صحي ، وبين الجماهير، كما يقوم بدور المساعدة في الحملات الصحية، والوقائية منها خاصة. ويمكن أن يكون هذا الوسيط ذو دور خطير ، إذا عرف كيف يتفاعل مع الجماهير، وإذا عرف كيف يقود الجماهير في العمل الصحي ، ثم في العمل السياسي. لذلك لا بد من أن تكون هذه اللجان مرتبطة بشكل أو بآخر بالتنظيم السياسي، ويجب أن تكون بالأحرى نتاج العمل السياسي، وتفكير التنظيم السياسي. إذا استطعنا تنظيم عشرين في العمل الصحي ، والقيام بحملات جماهيرية صحية، فإن هذا يعني أن هذه الوجوه تصبح مألوفة، ، محبوبة ، وهذا يعني أيضاً أنها ستصبح قوة مؤثرة في الجماهير، أي قيادات الجماهير، أي نوع من القيادة؟ قيادة من النوع الذي يقف في طليعة العمل الجماهيري، لا يطلب من الناس بمقدار ما يطلب من نفسه. أنها النموذج الذي يضحى، ربما كان هذا الكلام مثالياً، التجارب علمتني أن لا أتبع أي قائد يتكلم كثيراً ولا يفعل. ولا يستطيع أي إنسان أن يمارس دور القيادة أصلاً بدون أن يكون له تراث نضالي على أرض الواقع، وبدون أن يعرف معنى المسؤولية ويقدرها.

كل هذه التأملات تملي علي واجب إعادة تنظيم اللجان الشعبية. إنها ليست لعبة، فإما أن تكون منظمة مهيبة أو لا تكون. لذلك لا بد من المزيد من الكوادر، يعني مزيداً من دورات الإسعاف، ولا بد من أن تكون هذه الدورات لبنات التنظيم، ممن يملكون الحد الأدنى من الوعي السياسي والالتزام. كثير من الأخوات اللواتي فرزن للعمل في داخل المستشفى لا يقمن بأكثر من الجلوس في غرفة العمليات والكلام، بل وأكثر من ذلك، عمل المحاور، لا تهمني المحاور بذاتها، إنما أثرها النفسي على العاملين، وعلى طبيعة العمل الذي ينعكس على المرضى. علمت اليوم أن هناك اجتماعات سرية تعقد لبعض كوادر اللجان الصحية، يسمونها الحركة التصحيحية. وعلمت أنهم يريدون تغيير الوضع في تنظيم

اللجان، لم تعجبهم اللجنة الادارية، فقد كانت فعلاً غير نشيطة وعلى خلاف دائم مع الأعضاء النشيطين منهم خاصة. كان هؤلاء يعدون المشاريع العملية ، نقاط الإسعاف، دورات الإسعاف، الالتزام، العمل المستمر، كانوا أكثر حماساً واندفاعاً ولا أبالغ إذا قلت أكثر تنظيماً وتحديداً.

ضحكت في قرارة نفسي، ولكن لم لا؟؟ لماذا لا يأتي التغيير من الداخل. لنتظر على كل حال، ربما يستفيدون قليلاً من توجيهات أم أسامة التي تجتمع معهم، أم أسامة من كوادر اتحاد المرأة الفلسطينية، عرفني عليها الدكتور نبيل في المخيم. كانت مؤمنة بالعمل الشعبي، بل وتفرغت للعمل في اللجان الصحية مندفعة، أسلوبها اللبق وحديثها المثقف جذب إليها قلوب الأخوات، بل حتى الأمهات، فقد كانت أيضاً بنت بلد تعرف كيف تتعامل مع العجائز، وهكذا أصبحت محبوبة في المخيم. أم أسامة كانت من تنظيم الأردن، وكانت متزوجة من أحد المناضلين، وتفرغت للعمل في التنظيم النسائي.

لم تكن هذه الطريقة هي المثلى في التغيير، ولكن أم أسامة كانت مستاءة أيضاً من اللجان الصحية. إن تقوية التنظيم من خلال التوعية الثورية والربط بال جماهير ، من خلال الممارسة الفعالة لخدمة الجماهير هي طريقة مثلى لاكتساب ثقة الناس، وبالتالي إقناعهم بالطريق الصحيح،، الناس سهلة وتفهم مصالحها جيداً مهما حاول البعض خداعها، لذلك فإن التعامل مع مصالح الجماهير هي أقصر طريق لقلبها، وربطها بالثورة.

١٩٧٥/٩/٢٧

منذ مدة وأنا أقنع نفسي أنه يجب على أن أخرج من المستشفى. الحياة في المستشفى تكاد لا تطاق، خصوصاً أننا لا نكاد نرى الشمس، فالمرضى لا ينقطعون، ويزدادون باستمرار، ليس فقط في أوقات العيادات الخارجية بالإضافة إلى حالات الولادة. نحن لا نرفض طلباً، ويوسف يعمل أيضاً باستمرار. هناك حاجز لا بد من كسره. قد نطرح أنفسنا كما نشاء، ولكن الناس تنسى الكلام، أما العمل فلا ينساه أحد. يجب أن يعرف الناس أننا هنا من أجل خدمتهم ، أننا ننتمي إليهم، أننا منهم. ولا يمكن أن نكون منهم إلا إذا أحسنا بمشاكلهم، وضحينا من أجلهم. هناك الكثيرون ممن لا يعجبهم أسلوبنا في العمل ، ولكننا ،

يوسف وأنا متفقان على أسلوب واحد: احترام الجميع قدر احترامهم لنظام المستشفى، والتزامهم به، ونحن لا نبخل على أحد بشيء. اليوم قمنا بجولة على نقاط الإسعاف.

شعرت عندما خرجت وسط الجذر والتوجس ونحن نسير في أزقة المخيم ونتعثر بالحجارة والجرذان، شعرت كأننا نقوم بعملية فدائية، في معمل الورق خضنا نقاشاً حاداً. سألت زينب عن الأوضاع السياسية، وما هي التوقعات للمستقبل، وزينب ابنة السادسة عشرة كانت منذ التاسعة في زهرات فتح ومع اللجان الصحية، مع التنظيم، شعلة من النشاط والحيوية، نموذج للجيل الجديد، جيل الثورة. كانت تذهب لزيارة قواعد الفدائيين في المخيم، وخاصة في المناسبات مثل الأعياد. وكانت قد تعلمت الإسعاف في المزة الأولى مع الدكتور نبيل عندما كان عمرها لا يتجاوز الثانية عشرة.

كانت نقطة الإسعاف مجهزة بكمية من أكياس المصل، وبعض الأدوية المسكنة، واللفائف لربط الجروح وبعض المطهرات. ولم تكن الطريق قد أغلقت بعد. كما كانت تحتوي على جهاز ضغط وسماعة. وكان الصبايا يتباهين بحملها ويتنافسن على ذلك.

أوضحت لها طبيعة التناقض في المنطقة، بين الامبريالية والرجعية والصهيونية من جهة والثورة الفلسطينية من جهة أخرى، وكيف تستهدف المؤامرة رأس الثورة. الحرب ستطول والمؤامرة ما زالت في بدايتها.

أكثر ما هز مشاعري هو النشيد المشترك للاخوات، كانت البنات وحدهن في ذلك البناء في غرفة واحدة، لم أشعر إطلاقاً أنهن يعانين من أي مشكلة. كان الظلام شيئاً طبيعياً بالنسبة لهن، بل لقد أحضرن شايّاً ساخناً في الحال.

نظرت إلى الطاولة حيث تصطف الأشياء اللازمة للإسعاف، طلبين مصلاً، وإبراً وأدوية. وكان الحد الأدنى للإسعاف موجوداً. متحمسات جداً، وعادةً يأخذ الانسان حماسته من الآخرين.

سميرة بدران كانت نائمة عندما طرقتنا الباب في نقطة النجمي، دخلنا وجلسنا نناقشهن،<sup>١٠١</sup> ماذا تفعلن هنا؟ أجابت فاطمة النجمي بلا مبالاة "نعطي إبراً للناس فنوفر عليهم المشوار إلى المستشفى، غيار الأطفال، فنوفر عليهم المشوار وعليكم الزحمة، ونستعد إذا حصل قصف".<sup>١٠٢</sup> كنت منزعجاً من الشارع أمام البناية، فقد كان مليئاً بالقاذورات والفئران التي تتراكم بين المارة،

- وهل تقبلن أن تكون نقطتكن هذه محاطة بالمزابل والفئران؟
- وماذا نفعل؟
- عليكم تنظيف الشارع بدل أن تجلسن هنا.
- تدخلت سميرة: والله يا دكتور إحنا مستعدات، ولكن الناس ستضحك علينا.

<sup>١٠١</sup> سميرة بدران استشهدت يوم الخروج في الدكوانة

<sup>١٠٢</sup> الدكتورة فاطمة النجمي درست الطب بعد سقوط المخيم في موسكو وتعمل حالياً اختصاصي أمراض جلدية

- إذن عليكن حملهم على المشاركة في حملة نظافة عامة، حتى لا يصبح لديهم مجال للضحك.

تعهدن أن يقمن بالعمل، وشربنا الشاي مرة أخرى ، سميرة تبدو ناضجة، عملية ، ينقصها التشجيع. في نقطة جورج متى كان خالد سعيد ملفعاً بريطانية يقف على باب الغرفة، ودخل يوقظ البنات. جلسن على الأرض يتثابن، سألتهم: ماذا تفعلن؟

- كنا نلعب الورق، ثم نمنا، هناك بعض المضايقات التي حصلت من بعض الشباب وقد تدخل خالد سعيد وحلها. ولم يكن النقاش مجدياً ، ولكن الزيارة كانت مهمة. عندما تجد إنساناً يعمل فدعه يعمل، هذا إن لم تدعّمه. أبو السعيد طاقة عظيمة، ولكن مشكلته أنه لا يستطيع تركيز أفكاره ، يقوم بجولات يومية على النقاط. ولقد شعرت اليوم بعد الجولة بسعادة غامرة، وأعطتني الجولة شحنة من الحماس، ستكفيني فترة قادمة.

١٩٧٥/١٠/٢

"الطريق ساكة وأمنة"

شريف الأخوي المذيع في إذاعة لبنان لا يتعب من ترديد هذه العبارة، نظل نسمعه، حتى لو لم نثق بما يقول ، ولكنه أصبح كالمخدر وكحمام التظير عند العرب.

ولكن الاشتباكات لا تهدأ في الشياح وعين الرمانة، والخطف مستمر في معظم محاور الاشتباك.

نزلت إلى بيروت، وكان لا بد أن أنزل لأحضر طلبية الدواء والمخصصات من المقر الرئيسي لجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني.

استقبلني الشباب بالأحضان، وسمعت الكثير من الإعجاب والاستفسارات عن الوضع في تل الزعتر، ولكن الأهم إنني حصلت علي ما أريد. حماس الإخوة في المستودعات يشجعني، فقد تسارعوا لفرز الأدوية اللازمة بسرعة غير معهودة، كان محمد حجازي<sup>١٠٣</sup> وأبو جلال يبذلون قصارى جهدهم في تدبير الأدوية المطلوبة، وزادوها فوق المطلوب إكراماً لصمود تل الزعتر. كانوا مهتمين بتحليل الوضع وسماع الأخبار الداخلية، ومعنويات الناس، وهذا جعلني أفهم أننا في وضع سيء في المخيم. حصلت على كمية من دواء الجرب، ، وهذا مهم جداً للحملة

<sup>١٠٣</sup> نائب مسؤول المستودعات المركزية في الهلال، استشهد أثناء الغزو الاسرائيلي لبيروت ١٩٨٢

التي ننوي القيام بها، إذ أن الجرب منتشر، وينقصنا الدواء باستمرار، وقد أخذنا كل ما في صيدلية النجار المجاورة للمستودع، على حساب الهلال. أبو رياح مسؤول التلغونات ، وهو الذي يتصل بالمنطقة الغربية في أى وقت، كنا نحتاجه لتأمين الاتصالات المقطوعة وكان يلبي بسرعة، كان يجلس في غرفة العمليات في القيادة ، موضوع في داخل الحيط في سدة، ولا يستطيع النزول منها ، إلا إذا ساعده في النزول، ، كان معاقاً حركياً، وله حذبة في ظهره ويمشي منحني ونحيف جداً، لديه رشاش كارلو صاحب الأقسام ومستعد للدفاع عن نفسه، ولكنه كان يعرف جميع أخبار المخيم، وهو صديق لمعظم الشباب النشيطين، وعضو في حركة فتح.

١٩٧٥/١٠/١٠

قضيت فترة من الراحة في بيروت، فقد أصابني صداع رهيب في مؤخرة رأسي، بحيث كانت كل حركة مني كأنها مطرقة تهوي علي رأسي، نمت كثيراً ، وجا أحمد عوض وهيثم وفاديا لزيارتي، جاءت معهم أم أسامة أيضاً، شعرت بمدى العلاقة التي تربطني بهم. كان يوسف قد بقي وحيداً في المخيم، وبدأت أشعر بالاشتياق والمسؤولية. كان استقبال الجميع عند عوتي حميماً للغاية، شعرت أنني الأخ، بل الأب العائد من الغيبة.

يزداد الشعور لدي بالحاجة إلى عمل جماهيري ، وقد بدأت أشعر أننا يمكن أن ننجح بذلك خصوصاً عندما أرى الجميع يشتركون كل سبت بحملة النظافة في المستشفى، بل لقد أصبحت متعة لدى الجميع، وعندما أكون معهم أغسل الجدران والأواني وأتبلل بالماء، أشعر أنهم يقومون بذلك بسعادة. جميع المتطوعين أيضاً يشاركون ، في نظافة المستشفى، الكل يرعاه ، ويشعر أنه له فيحافظ عليه نظيفاً. أصبحت الظروف ملائمة لتنظيم حملة نظافة في المخيم، خصوصاً وأن الوضع الصحي لا يحتمل. منذ أيام دعت اللجنة الشعبية للمخيم لحملة نظافة ، ولم يحضر لها سلفاً، سمعنا عنها بميكروفون المسجد، ولكن لم نعلم بطريقة تنظيمية. البعض يظن أن العمل الشعبي يعني عملاً عفويًا، " طوشة عرب " وأن الجماهير يمكن أن تلبى أي نداء.

خطأ، العمل الشعبي يجب أن يحضر له، قلت للإخوة في اللجان الشعبية ذلك. يجب أن يسبق حملة النظافة هذه أسبوع كامل من التعبئة والدعاية وعمل التحضيرات اللازمة. أن تثار مناسبتها في كل بيت، وهذه ليست مشكلة إطلاقاً ، عندنا عشرة كوادر يمكن أن يذهبوا إلى كل البيوت ليعلنوا عن حملة النظافة، ويطلبوا المشاركة فيها، ثم يذاع يومياً في الميكروفون إعلان عن يوم الحملة، ودعوة الجميع للمشاركة بها، ويمكن أيضاً شرح أسبابها ونتائجها بالميكروفون.



أبو السعيد كان أشد المتحمسين لفكرة طبعاً، وذلك من خلال غرامه الشديد ، بل وتاريخه الحافل مع الميكروفون عندما كان مسؤولاً للإعلام في اللجنة الشعبية. وقد فشلت حملتهم كما هو متوقع، لقد أرسلنا لهم ما استطعنا من كوادر للمشاركة، ولكن من أين آتي لهم بعدد أكبر في هذا الوقت. المهم أننا قررنا أن نحضر لحملة نظافة.

اتصلنا باتحاد المرأة، واتصلنا بالجبهة الديمقراطية، والدكتور كامل مهنا، فهم يعربون عن استعدادهم دائماً للمشاركة في أي عمل جماعي، وأم أسامة تبدو جادة في تنظيم الحملة.

جميع الأخوات والإخوة من اللجان بدون استعدادهم أيضاً، والأهم من ذلك أن كمية الد.د.ت. قد أحضرت بطريقة ظريفة. "فرقة المشاعيط" هكذا يسمون أنفسهم، على استعداد لإحضار أي شيء وعمل أي شيء يخطر بالبال، سائقنا علي -سائق الإسعاف- تعرف عليهم ، واندمج معهم فترى بجانبه دائماً "جريح"- وهذا اسمه - مشاكس ولكنه طيب، ومستعد للعمل دائماً. كانوا حاضرين عندما ناقشنا حملة النظافة، واستعدوا طبعاً، للمشاركة، وعندما احتجنا للد.د.ت. أخذوا على عاتقهم تديره وكذلك أدوات الرش.

- كيف ومن أين؟ وأجاب جريح بثقة:

- ولا يهمك يا دكتور، سنحضرها، وغداً صباحاً تكون جاهزة.

أعرف أنهم رجال ، وأعرف أنهم فريق طوارئ فتح في المخيم ، وأنهم إنما يأتون إلينا لأننا في عمل مستمر، وهم يساعدون فضلاً عن علاقة القرابة مع الجميع. فعلي حسن شقيق أمنة حسن ورسمية، وكلهم مجموعة من الأصدقاء والشباب الضاحك، لهم فلسفة ساخرة في الحياة، ويأخذونها بسهولة بدون عقد، وهذا سر نجاحهم. أحدهم حدث هيثم أنه كلف من أحد الحاقدين بضربي وتلقيني درساً، وطبعاً ضحك هذا ونصحهم بالابتعاد عني، لم أكن أعرفه، ولكنه كان يعرفني جيداً كما قال. وهكذا أتوا بالد.د.ت. والرشاش اللازم، وعرفت بعدها أنها كانت من مستودعات وكالة الغوث.

- هيثم. إذهب إلى اتحاد العمال وأحضر عربات لنقل الزباله ، وأحضر معك رفساً، إذهب معه يا علي. وذهبا، كان الكل قد بدأ يتجمع في غرفة الإدارة. أم أسامة ذهبت تجمع الفتيات، وبدأنا لا نتجاوز العشرة نلم الأوساخ والأوراق حول المستشفى، نجتمعها في مكان واحد، وبدأت أم أنور وأم حسن العاملتان في المستشفى تغسلان الشارع حول المستشفى. جريح وطه أخذوا على عاتقهما نقل الزباله المجمعة إلى المزبلة الرئيسية في مدخل المخيم التي اقترحنا أن توضع عليها لافتة "تل الزعتر يرحب بكم"

انطلقت أم أسامة تحاور النساء، وتدعوهم للمشاركة في الحملة، وبدأنا نتوسع إلى مناطق بعيدة.

ناقشنا ونظفنا، وشاركنا عدد كبير من النساء في الحملة في الشوارع المحيطة ببيوتهن ، كنت أدور وأرجع إلى المجرور الرئيسي المكشوف، الذي يمر خلف المستشفى، عرضه أكثر من مترين، وبه كميات كبيرة من الحجارة والأوساخ، التي تعطل سريان الماء الوسخ. وصل الدكتور كامل وبعض الفتيات من الجبهة

الديموقراطية، المجرور الرئيس هدفنا. من ينزل؟؟ تباطئنا جميعاً في ذلك ، وكل واحد يدعو الآخر للبدء، نزلت أم أسامة ولحقتها فتاة أخرى، وبدأت الأوساخ تعبأ في العربات وتنقل. لم أتمالك من النزول بصندلي في الماء الأسود القذر الجاري، كنت أشعر بتقزز في البداية ثم اعتدت عليه. كان ممدوح مكلفاً بعمل الرش في المجاري، وأماكن تجمع الأوساخ، وكان قد جمع حوله فريق عمل من الأشبال. حمادة والثعلب يحل الد.د.ت. بالماء ويعبئه في الرشاش، بدأت أشعر بمتعة العمل ، وأتعود على المياه القذرة والرائحة الكريهة. كان الجميع يعمل وبدأت عربات الزباله تمتلئ وتذهب إلى المزبلة للتفريغ وتعود. تركتهم خلف المستشفى ، وتابعت المجرور عند بيت أبو علي عراقي ، كان البعوض يتطاير من ذلك المدخل كالغيم. استدعيت ممدوح الذي بدأ برش الد.د.ت. وبدأت أعمل بالرفش لإبعاد لأوساخ المتجمعة في طريق المياه المتدفقة.

كان أبو شريف جار المستشفى يقف بباب بيته وهو يعتذر، ومد يده ليأخذ الرفش مني، وأعطيته إياه.

- والله يا دكتور ، لقد أوجلتنونا، هذا واجبنا نحن. رأنا أبوعلي جار آخر ، وأسرع يشارك ونادى أولاده. دخلنا المجرور المسقوف إلى ما يزيد عن عشرة أمتار. انتبه طه وسامي للموضوع وسبقانا فوق المجرور المسقوف ليفتحا أول فتحة ، اندفع علي حسن والفتيات يتسابقون في النزول إلى داخل المجرور، حتى وفاء الرقيقة الأنيقة ، كانت تشمر وتنزل إلى المجرور. وكانت تصيح كلما توسخ طلاء أظافرها الجديد، جريح يأتي بلباسه الأزرق الخاص بعمال النظافة وينقل الزباله، وقد يكون أخذه من مستودعات الوكالة..

علي حسن يعمل في كل مكان، ممدوح يرش الد.د.ت. أم أسامة تشجع ، تعمل، تبتسم.

الجميع في مرح ونقاش وتدافع، وهكذا استطعنا تنظيف المجرور الرئيس بطول ٥٠٠ متر حول المستشفى ومساحة واسعة حول المستشفى.

عند الظهيرة عاد الجميع متعبين وكان لا بد من استراحة، وشرب البون جوس ، ثم سمح لمن يريد الاستحمام بذلك في المستشفى ، كان حماماً جميلاً.

كان الدكتور يوسف ما زال مشغولاً بالعيادة الخارجية عندما أحضر هيثم الغداء وجلسنا نقيم الحملة والمشاركين، كانوا أكثر من ٤٠ كادراً من التنظيم ومن المتطوعين ، وكانت بعض التعليقات مهمة

- لقد مرت ثلاثة بنات من اتحاد المرأة، ونحن داخل المجرور، وهن متجملات، ولم يطرحن السلام.

- فلانة لا بد أنها تريد أن تتزوج

- معظم الناس مبسوطة ، ومستغربة..

اكتشفنا كوادر مهمة اليوم تعمل بصمت : آمنة حسن، حليلة، بشرى، وسامي ، ، حسن غوز ثم جريح وعلي حسن أحمد عوض تحجج أنه مريض، وخالد أيضاً، ناديا لم تشارك أيضاً.

الحملة كانت ناجحة، كات تجربة وكانت مثل ، كنت أريد أن أكرس مقولة أن العمل ليس عيباً، حتى ولو في مجاري الأوساخ، كنت أريد أن أكرس أن العمل هو

الأساس. وأن العمل في خدمة الأهل والمجتمع ليس عيباً، بل مدعاة للفخر ،  
ودليل على الالتزام بمصالح الجماهير. والناس تحترم من يحترمها.

١٩٧٥/١٠/٢٠

منذ أتى د. صلاح إلى المستشفى تحسنت الأوضاع قليلاً. وأصبحنا ثلاثتنا نتناوب  
بالعيادة اليومية، وبعد الظهر أصبح لدينا بعض الوقت لنخرج يوسف وأنا بعض  
الأحيان ، أو ننزل إلى بيروت سوية. وأصبح لدينا الوقت لمتابعة العمل  
الجماهيري . منذ أسبوعين بدأت دورة للمرشدات الصحيات، المشكلة كانت في  
اختيار البنات اللواتي سيشتركن بمثل هذه الدورة، خصوصاً وأنها تتطلب جهداً  
عملياً محدداً. اخترت أفضل مجموعة من بنات اللجان الصحية ودورات الإسعاف  
اللواتي قد تخرجن في المستشفى، قبل الاختيار ، جلسنا جلسة عمل مطولة  
مع أم أسامة وبعض الأخوات. رسمنا خريطة للمخيم وقسمناها عفويّاً على  
الطاولة، وحددنا عشر مناطق. اخترنا البنات من هذه المناطق ، من كل منطقة  
بنتين، أكثرهن نشاطاً وقدرة على العمل الجماهيري، يعني التسليح بقدر من  
الوعي السياسي ، والأفضلية لبنات التنظيم.

دعوناهن لإجتماع ، وحضرن، شرحت لهن صعوبة العمل الذي ينتظرهن، وصعوبة  
استيعاب الدورة، ولم أنس أن أقول في النهاية - من يجد في نفسه الكفاءة  
والقدرة على الاستمرار ، فليبق، وإلا فليذهب. وبقي أربعة وعشرون بنتاً  
وشاباً، يحضرون الدروس باستمرار ، وقد قطعنا شوطاً لا بأس به من القسم الأول  
للمادة النظرية، وهو عن الأمراض المعدية.

أعترف أنني كنت قاسياً معهم، ولكنني واثق أنهم يفهمون لماذا. أشعر بهذا  
وأحس بذلك النوع الخاص من الاحترام الذي يعاملونني به، ليس عادياً، أو  
رسمياً، بل أخوياً وضمنياً.

قبل الامتحان وبمناسبة انتهاء القسم الأول ، وضعنا برنامجاً عملياً: على كل بنت  
أن تدخل عشرة بيوت في المخيم في منطقتها، وأن تسأل عدة أسئلة عن  
الأمراض المعدية التي يعاني منها أطفالهم، وأن تسجل ذلك على ورقة خاصة،  
وأن تسأل ماذا يفعل الأهل حينها. كذلك بعض الأسئلة عن أفراد العائلة والحالة  
المادية. وقد وضعنا استمارة بالأسئلة لذلك الإحصاء، وقد وجدت الفكرة  
استحساناً من مسؤولة الطب الوقائي د. نبيلة النشاشيبي في مقر الجمعية  
في بيروت، التي كانت على صلة وثيقة بنا، ولكن الوقت لم يتح لنا لإكمالها.

المطلوب هو تدريب الأخوات على الاختلاط بالجماهير، وكيفية التعامل معها، حقاً  
لقد ضجت الأخوات عند سماع ذلك. كيف تذهب أية فتاة إلى أي بيت لتسألهم

ما هي الأمراض الموجودة؟ قد يبدو هذا غريباً، ولكننا شرحنا ذلك، وعملنا وفقاً له، وساعدت أم أسامة كثيراً في ذلك. وذهبت مع بعض الفتيات إلى البيوت. في الجلسة الثالثة. فوجئت أن جميع البنات قد عملن اللازم، وقمن بالوظيفة، وأخذت كل واحدة تتحدث عن كيفية استقبال الناس لها:

- "أنا قدموا لي قهوة وسجاير، بس أنا ما بدخن، والمرأة صارت تدعي لي ولللهال وللثورة، هكذا قالت ليلي ابنة السادسة عشرة عاماً، الخجولة الرقيقة.

- أنا صاروا يورجونى زلاعيم اولادهم، قالت نهاد وضحكت بخجل. الخلاصة لقد زال الخوف من الناس، من الجماهير، وهم مستعدون أن يذهبوا مرة أخرى، لقد أصبح الجميع أصدقائهم، أخذت أم أسامة الأوراق لتقييمها.

- حسن غوز لم يذهب، خجل كشاب أن يذهب إلى النسوة، ولا بد أن أشرح سبب تسمته، فاسمه حسن قدورة<sup>١٠٤</sup>

جاءنا متطوعاً، عرفنا أنه جريح في قصف سابق، وبدأ يعمل بصمت وفي القصف منذ شهرين أصبحنا بحاجة إلى الشاش، وهرعت البنات إلى غرفة العمليات غير الجاهزة يجهزن الشاش للتعقيم، وكان حسن هو الذي ينظم العملية دائماً، حتى لاحظ الشباب وجوده هناك. فأطلقوا عليه اسم حسن غوز.

اكتشفنا له مواهب أخرى، إنه يستطيع أن يروي سيرة واحد من أشهر فشاري المخيم يرويه ويضحك حتى يضحك الجميع على ضحكه، أصبح أسطورة، ولكن لا يبدو عليه ذلك. حسن غوز أصر أن يأخذ أحسن علامة في الامتحان وتحدي الجميع علانية، وجلس في الامتحان يستخف بالأسئلة، ولكنه لم ينجح.. وقررنا أن يعيد الامتحان، ولكنه لم يحد من تحديه ووجهه يحمر أمام بقية الفتيات. المعارك تحتم في وسط بيروت، والقوات الوطنية منعت تقدم الانعزاليين في الحمرا، ومعارك الفنادق تستمر، بعد تدمير الفنادق الكبيرة في منطقة عين المريسة.

١٩٧٥/١١/٦

طغت على الأخبار قضية الأسلحة المنقولة للملشيات الانعزالية في مجمع الأكوامارينا في جونبة، وقد طلب رئيس الحكومة رشيد كرمي تفتيش الحمولة، وقيل له أنها مؤلفة من مواد غذائية، وأرسلت دورية مشتركة لبنانية فلسطينية إلى الميناء، إلا أن الكتائب منعتها من دخول الميناء. وازداد التوتر واستؤنفت الاشتباكات في عدة مناطق.

الجهة الانعزالية تخطط للتصعيد وتخزن الأسلحة وتستعد لمواجهة جديدة، بل لحرب شاملة، فالتعبئة تتصاعد، والعداء للفلسطينيين يأخذ أبعاداً وطنية ودينية، فهم ضد الفلسطينيين لأنهم مع الحركة التقدمية في لبنان، والذين باتت كفتهم ترجح، في ظاهر الأمور، ولكن دور اسرائيل لما يظهر بعد، ونحن نستشعره كفلسطينيين. فنحن نعرف اسرائيل، ونعرف كيدها وعلاقاتها مع الشيطان من

أجل هزيمة الفلسطينيين، في أي مكان، فنحن بالنسبة لهم غير موجودون في الأصل.

١٩٧٥/١١/٢٣

كان يوماً عادياً ، والعيادة تكتظ بالناس ، وثلاثتنا نعمل، حوالي الساعة العاشرة بدأ القصف. ذهبت إلى الإدارة، ثم خرجت بعد سماع الصراخ. كانت قاعة الانتظار تعج بالناس والجرحى، عبرت إلى غرفة الطوارئ، والعيادة مليئة بالجرحى. تركت يوسف في غرفة الطوارئ يسعف جريحاً، وهرعت إلى القاعة أدفع الناس وبدأت في تصنيف الجرحى ، أمر فوق الجرحى أجس النبض وأعطي التعليمات ، ثلاثة استشهدوا فور وصولهم، - هاتي المصل. ، إرفعي رجله وابقى واقفة، أدخله إلى غرفة الغيار، خذيه إلى الأشعة.

كان شعور بالفراغ يملكني وأنا أرى هذه الكمية الهائلة من الجرحى الملقين على الأرض، وتلك الضجة ، وذلك التجمع الهائل من الناس. من يبكي ، من يبحث عن قريبه، ومن يحاول التواري من القصف.

- قيس ضغطه، وناديت - أحمد جيب دم، بسرعة، أبو السعيد يزعم بالناس لكي يبتعدوا، وبدأ يحاول تنظيم الناس وحصرهم في قاعة اتحاد العمال، ذهبت إلى العيادة وبدأت بالعمل،

- أحضري وحدة جراحية، نظرت في صورة الأشعة شظايا كبيرة لا بد من استئصالها.

- أحضري كرسي، إضبطني النور ، كنت منهمكا في محاولة جس المكان واستكشافه بيدي بعد أن لبست الكفوف المعقمة. انتهيت وقلت، وقفي اللي بعده. وأدخلوه. غيرت الكفوف المعقمة وبدأت أعمل من جديد. كنت أسمع أبو السعيد جيداً وبوضوح .

- الأصوات تجعلني عصبياً ، وعصبيتي تفرغ رأساً على رؤوس البنات. خرجت إلى غرفة الطوارئ ، يوسف يعمل بهدوء، والإضاءة ممتازة

- أين وصلت؟؟ سألته وأجاب بدون النظر

- نزيه في العظم، لا أدري ما العمل؟ سأنتظر لحظة. ، نظرت حوله، الكل يقف بخشوع، وقد بدا عليه التعب، عدت لأكمل العمل.مرت اللحظات بسرعة، بدأت أشعر بمعدتي تتلوى

- كم جريحاً بقي، سألت

- لن يطول الأمر إذن.

خرجت أتصيب عرقاً ، ذهبت إلى الإدارة وأنا أشعل سيجارتي على الطريق وأشق طريقي بين الناس. جلست في الإدارة وطلبت الغداء أو العشاء على الأصح. دخلت قاعة الجرحى، إثنان وعشرون جريحاً دفعة واحدة، كانت الإدارة مليئة بالناس، كانوا يتكلمون عن القصف، وأنواع القنابل، كنت أسمعهم، ولكنني كنت مرهقاً. جاء يوسف عابساً.



- أعطني سيجارة، أشعلها وجلس. بعد العشاء جلسنا نتناقش في الإصابات، فتحت كتاب الجراحة الألماني، وفتح كتابه الروسي، وبدأنا ننقب عن الحالات. يجب تحويل المريض في أقصى سرعة، إصابة بطن، لا يمكننا فتحه، يجب الاتصال بزياد ضابط الارتباط. ورد جمال مجتهداً،
- لقد اتصلنا به طيلة النهار، وهو غير موجود ، يجب متابعة المحاولة. كان القسم مليئاً . وأحمد أورفلي يتحرك بنشاط، يعمل ويوزع التعليمات، نظيم شحورر يتصيب عرفاً ولا يتكلم. كان واضحاً أننا سننام الليلة في الإدارة.

١٩٧٥/١١/٢٤

اليوم يبلغ عدد المرضى في العيادة الخارجية رقماً قياسياً: ٢٤٧ مريضاً. كنا منشغلين، يوسف وأنا صلاح في استقبال الجرحى من برج حمود، ثم في غرفة الطوارئ والعيادة تجري العمليات. كانت أصوات الناس تتناهى إلى مسامعنا، وأبو السعيد بصوته الجمهوري والعصبي يحاول تهدئة الناس، والمحافظة على النظام.

دخل إلي، وأنا منهمك في عملية لأحد الجرحى ، وهمس برفق:- مطولين يا دكتور؟؟ نظرت إليه ، ولم أحب وأعاد محاولته وهمس- - كمية كبيرة من الناس برة. ،

أحبته وأنا منهمك " خليهم ينتظروا" وخرج بهدوء. ما لبثت أن سمعته يصرخ مثل أرخميدس

" فرجت... فرجت " وخرج أحد الممرضين يستوضح، وعاد ضاحكاً ، لقد خرج الدكتور صلاح من الطوارئ، وذهب إلى الإدارة للمعاينة.

خرجت لأجد القاعة مليئة، أشعلت سيجارتي، وذهبت أبحث عن مكان أجلس فيه، كانت الإدارة مشغولة والدكتور صلاح يعاين المرضى فيها، مررت بالطوارئ، لقد انتهى يوسف أيضاً من العمليات، ووجدت نفسي أخيراً في المختبر. وفنجان قهوة علي لهب بنسون في كأس مختبر ينفع كثيراً ويعطي متعة أفضل في بعض الأحيان.

تشعر بفرحة عندما ترى نتيجة عملك، وترضى عنه، شعور عظيم ينتابني ، وأنا أمر على الجرحى في القسم، وأرى جروحهم تلتئم. متعة الجراح في رؤية النتيجة.

صلاح يدهشني بتتبع الأخبار وأدق التفاصيل، ولا ينفك عن متابعة الإشتياك من شبك غرفتنا ليقول لي صباحاً سقطت في الليلة السابقة ٦٤٧ قذيفة على النبعة، وأن اشتباكات سن الفيل بدأت في الحادية عشرة وخمس وأربعين دقيقة، وليس في الثانية عشرة كما ذكرت النهار. فوق هذا لقد صعد إلى تلة المير ليراقب الاشتباكات بين الشياح وعين الرمانة.

ما يهمه من سيارة الارتباط هو الجريدة، يأخذها ويهرب بها إلى الغرفة ليقرأها وحده، كل سطر فيها، وإذا لم تحضر الجريدة يحتار في أمره. لهذا فهو يحرص على مصادقة السائق جوزيف الذي ينزل يومياً إلى بيروت ، ثم يأتي إلينا مسرعاً وكأن الدنيا زلزلت، ويخرج مسرعاً ، وكأن وراءه حل المشكلة اللبنانية. الدكتور صلاح عراقي الجنسية تخرج من جامعة بغداد، وتطوع في الثورة الفلسطينية، وعملت معه في مستشفى الجليل في صور، وهو من المتفوقين دراسياً، وكانت له تحليلات صائبة في الشأن اللبناني .

أخبرنا اليوم أن المخابرات المركزية الأمريكية تقول أن السلاح الغربي يتدفق على اليمين اللبناني وأن الأحداث ستتصاعد في لبنان، وأن صحيفة النيويورك تايمز تقول أن تمويل صفقات السلاح إلى اليمين اللبناني يتم عن طريق الكنيسة المارونية وبعض الأثرياء المسيحيين وبعض الحكومات العربية المحافظة. الله يبشرك بالخير.

بعد نجاح حملة التلقيح في المخيم ضد التيفوئيد، بمساعدة اللجان الصحية من الفتيات المتطوعات، أوكلت إلي مهمة التلقيح في النبعة، وقد جاء اليوم الملازم زياد ليأخذني إلى هناك بعد عدة مواعيد فاشلة.

لم أشعر بالخطر مثلما شعرت به في هذه المرة، عندما سار بنا السائق يقطع الطريق سن الفيل إلى النبعة، الطرق خالية، آثار القصف، والسيارة المسرعة بجنون. سألت الملازم زياد عما إذا كان الطريق غير آمن، فأجاب باقتضاب- لقد قنصوا علينا عدة مرات، والأفضل أن نسير بسرعة.

الشوارع مكتظة والأسلاك الكهربائية في كل مكان، والأطفال يملئو الطرقات بضجيجهم والنساء تتحرك بهدوء، ويسكن النبعة أغلبية من الفقراء، الذين يرتبطون بالإمام الصدر بطريقة أو بأخرى. وهم منظمون في التنظيمات الفلسطينية المختلفة، التي ساندتهم وأشعرتهم بأهميتهم العددية في تغيير المجتمع اللبناني.

لم تكن الأمور في النبعة جيدة من الناحية الصحية، فقد قضاوا ساعة يبحثون عن كبوجي، المسؤول الصحي في النبعة، وعندما جاء أعطاني صورة قاتمة، وأخذني إلى نادي الإخاء حيث لديهم عدد من المرضى، ويريدون تجهيزاً أفضل، كما يحتاجون لطبيب.

فكرت في ضرورة إنشاء مستشفى أو مركز صحي للمساعدة في حل المشاكل الصحية المتراكمة، نتيجة الإهمال الحكومي. لهذا العدد الهائل من السكان، ولكن الحصار وانقطاع الطرق يمنع التمادي في التفكير. تركت اللقاح والإبر، بعد شرح التعليمات، وعدت إلى تل الزعتر مع الملازم زياد، وأنا أحاول أن أرى كل شيء في الطريق. عدت إلى المستشفى وكأني كنت في غيبة طويلة، لقد افتقدته، افتقدت الجميع، ذهبت إلى الإدارة وصلاحي يستوضح رأساً عن الطريق. - الطريق مهجورة لا تكاد ترى فيها إلا سيارات عسكرية، وبعض الدشم التي تتراعى عن بعد والأسلحة المصوبة في اتجاه أي حركة جديدة. وأصر صلاح - شفتوا الكتائب؟؟ شوفتوهم..

لم نر أحداً، كان الطريق خالياً، وقطعناه في دقائق..

١٩٧٥/١١/٣٠

بدأت الأحوال تهدأ في آخر الشهر كالعادة، جئني أبو السعيد وأنا جالس في الإدارة ظهراً بعد العيادة. لم يدخل كعادته، أعطاني ورقة من الشباك نظرت فيها أقرأها. فيها إنهاء تكليفه بالمهمة الصحية من قبل اللجنة الشعبية.

ولم يلبث أن دخل، وقد نزلت نظارته فوق أنفه، وشعره أشعث كعادته، لم يجلس ، قال بانكسار:

- هل قلت شيئاً عني؟

- أبداً ليس لي علم بالموضوع، ثم ليس للجنة الشعبية الحق في منعك من دخول المستشفى، إني أقول لك ببساطة، أهلاً وسهلاً في أي وقت." وجلس أبو السعيد يقص علي خلافة معهم، ولم ينس أن يكرر أنه يحمل ثلاثة ليسانسات ليسانسن أدب عربي، وليسانسن أدب إنكليزي و ليسانسن بقلة الأدب، كان حزينا ومطعوناً . دخل ممدوح كعادته جائعاً ، وشارك أبو السعيد في اتهاماته ضد اللجنة الشعبية.

كانت قد تشكلت لجان صحية، أوكل إلى أبو السعيد الإشراف عليها، وقد أبلى ولا شك بلاء حسناً، فأنا لا أنسى انه الوحيد الذي كان لا ينام الليل، وهو يلف على نقاط الإسعاف، ويجهز لهم ما يحتاجونه، ويؤمن لهم التموين، يسهر عليهم كأبناءه. كان وجوده مبعث انشراح وسرور للجميع بشخصيته المحببة، وصراحته الحادة والجارحة أحياناً. ولهذا لم يكن محبوباً عند القيادات . بالإضافة إلى أنه كان قادراً على التركيز في عمله، فتشعب أفكاره، وسعة معلوماته ، تجعل مناقشته صعبة لمن لا يفهمه، أبو السعيد مستعد للعمل دائماً وبإخلاص.

أتسائل عن حياتي الخاصة، أين هي؟ ، ولماذا لا أذكرها عندما أكتب؟ لا شك أننا نعاني مشكلة وجودنا في تل الزعتر، ومشكلة كوننا أطباء، ومشكلة أهم هي الانقسام بين الحاصل في الممارسة والقناعات النظرية التي تجاوزت الواقع، وبين احترام هذا الواقع ظاهراً، ليبقى الانسان ثائراً نظيفاً، كما يجب أن يكون الثائر. ومع هذا أفاجأ بالدعايات والحرب الشخصية التي يخوضها البعض ممن لا يفهم أسلوب عملنا.

الدكتور يحب فلانة، وماذا في الأمر إذا كان صحيحاً، هل يجب علي أن لا أكلم أحد هنا، خصوصاً وأن طبيعة العمل تفرض وجود أكبر عدد من الأخوات. ضحكت اليوم عندما حدثني أحدهم بأسلوب جدي، يغار علي مصلحتي، تذكرت ذلك اليوم الذي جاءت مسؤولية التنظيم تحدث تلك الفتاة. كانتا تتحدثان بسرعة، والمسؤولة تلقي المواعظ. جلست أستمع ثم قلت للأخت. " اسمعي ما رأيك أن نتزوج نكايه بهم".

وهذات الحملة لتعود مرة أخرى، أعرف مصدرها، وحجمها، لذلك أقول اللهم اهدي قومي ، فإنهم لا يعلمون.

١٩٧٥ / ١٢ / ٦

كنا قد خططنا أن ننزل يوسف وأنا في نهاية الأسبوع إلى بيروت، واتفقنا مع الملازم زياد أن يأخذنا بسيارة الارتباط. ما أن وصلنا إلى بيروت عن طريق فرن الشباك حتى شعرنا أن شيئاً ما يحدث، قيل لنا أن المذابح في البلد تتم وأن مئة شخص قد قتلوا حتى الآن. كانت الشوارع نظيفة، مبلولة فالمطر يتساقط منذ فترة. والغيوم تجعل الجو داكناً.

لم يصدق أحد أننا قدمنا من تل الزعتر. وذهبنا إلى العمليات نتصل بأبو رياح. هل حصل شيء في المخيم؟

- الأحوال في المخيم هادئة، هل هناك جرحى. نظرت إلى يوسف  
- ما العمل؟؟ يجب أن نعود بسرعة. تكلمنا مع الضابط المناوب في العمليات،  
- ليس هناك إمكانية ، يجب أن ننتظر الملازم زياد.  
جلسنا نستمع أخبار السبب الأسود. والجثث الملقاة تحت الجسر في البلد،  
والقتلى في شركة الكهرباء في السعديات على الدامور. لم ندر كيف كان الوقت يمر، ونحن نتصل تارة بتل الزعتر، وطوراً بالملازم زياد.

وأخيراً سعدنا إلى السيارة، وصعد معنا ثلاثة من المقاتلين، حراسة لنا، ووصلنا إلى المتحف، حيث ترجلنا إلى مبنى الأمن العام. وقفنا بالباب، وأنا أراقب الجو، كنت أسمع الاشتباكات بين الناصرة وراس النبع، نظرت إلي الوجوه من الشرطة والناس، كنت أخشى أن أكلم أحداً حتى لا تفهم لهجتي بأني فلسطيني. على الباب كان يقف رجل مع ستة أطفال، يلهمهم ويبيكي، لقد قتلت زوجته، ويريد أن يعود إلى النبعة، ولا يدري كيف.



دخنت سيجارة ، وأخرى، سمعنا صوت ملالة وقفت أخيراً أمام المبنى. كان الملازم زياد يروح ويجيء ، ولا يكاد يهمس بأذنا كلمة تهدئة، سمعت صوتاً ينادي - وين الدكاترة؟؟ فقط الدكاترة. وتحرك زياد ومعه الحرس، وصعدنا إلى الملالة.

المرّة الأولى التي أشاهد فيها ملالة من الداخل. بدأت أتفحصها ، تتسع لإثني عشر راكباً، وتعبير الراكب صحيح في هذه الحرب، فقد أصبحت الملاطات مثل أتوبيسات، وسيلة النقل الوحيدة بين المناطق المشتعلة.

جلس يوسف بجانبني، وجلس شخص آخر كان يلبس معطفاً أزرق من معاطف شبيبة ألمانيا الشرقية، كان يبدو هادئاً ، وصعد زياد أيضاً. وسارت الملالة كان الجندي الذي يقف في البرج يهبط بين الفينة والأخرى ليقول بلهجة جنوبية: ولا يهتمكم، كل شي تمام. كان جميع الطاقم من أبناء الجنوب، حتى الضابط الذي كان يمازح الملازم زياد.

كنا ساكتين طيلة الرحلة، يخيم علينا وجوم غريب، أتفاهم مع يوسف بالنظرات فقط والتدخين. كان صوت الملالة مزعجاً ، ونحن لا نعرف أين صرنا، فجميع النوافذ مغلقة حتى لا يكتشف أحد أننا في داخلها. قطعنا فرن الشباك، قالها الجندي من البرج، وصعدنا الطريق إلى جسر الباشا. دوار الحايك. وصوت الملالة ما زال مزعجاً.

مرت أمامي جميع الصور، وشعور جارف يتملكني، الحياة والموت لا يهمان. ليس سؤالاً مطروحاً ضمن هذا الاستهتار العام بالانسان والحياة، كم من الناس فقدوا حياتهم بلا معنى، وكم سيفقدونها، ولا أحد يعلم نهاية هذه الحرب القذرة. ربما نموت على الطريق ضمن عمل غبي من أحد الطرفين. لا تحتاج المسألة أكثر من قذيفة آر بي جي . لكنني لم أكن يوماً متشائماً، وعندني شعور عام بالاستسلام لما يحدث.

وصلنا إلى قسم الدرك في القلعة، ونزلنا بسرعة، ثم بدأنا حمل الأكياس من الملالة إلى الداخل. إحداهم أحضر خضاراً وتمويناً وخبزاً. وقفت في الممر أنظر إلى حرش ثابت، وأحداهم يدلني أين يجلس القناص، وأين جرح أحداهم وهو يقطع الطريق، وكيف أن الطريق إلى المخيم معرض للقنص المستمر.

دخلنا إلى الملازم زياد الذي بدأ يجهز الوضع لنقلنا إلى المخيم بسيارة مدنية، ولكننا صعدنا أخيراً بسيارة عسكرية، أسرعنا إلى المخيم خوفاً من القناص. كان الظلام مخيماً، وقد أطفأ السائق نور السيارة.

كان صلاح في غرفة العمليات يجاهد في إخراج طلقة من الساق. هجم علينا أبو محمد عيد " أين أنتم؟؟"  
كان هائجاً ، ولده مصاب في الداخل " والله يا دكتور يجب عدم السماح لكم بمغادرة المخيم".

في الطوارئ كان جريح آخر، وبدأ العمل، صورة للأشعة جاهزة، حالة المريض جيدة. من يصدق أننا سنمر بهذه البساطة، كان يوسف ساهماً يفكر في الرحلة العجيبة. وجاء صلاح، كيف جئتم؟ كان وجهه علامة استفهام كبيرة، يريد أن يعرف كل شيء ، كل التفاصيل. وين الجريدة؟؟  
ما فيش جريدة.

كيف ما جبتوا الجريدة؟؟  
وسألناه

- كم حالة وصلت؟؟ - ثلاثة قنص ، واحد من الحازمية وحالتان من الدكوانة، حصل قصف على المخيم بدون نتيجة .
- لا بد أننا محظوظين، إذ لم يحدث شيء هذا اليوم في المستشفى. كنا نتوقع قصفاً جنونياً ، ولكن يبدو أن المذابح في بيروت حلت المشكلة. كان سبتاً أسوداً.

١٩٧٥/١٢/١٠

ما زالت أخبار السبت الأسود الذي حصل في بيروت في ٦ كانون الأول من هذا العام، حيث عشر على اربعة جثامين لأعضاء من حزب الكتائب فقامت الميليشيات المسيحية بوضع نقاط تفتيش في منطقة مرفأ بيروت وقتلت المئات من الفلسطينيين واللبنانيين المسلمين بناء على بطاقات الهوية. وصلتنا أخبار

القتلى في شركة الكهرباء على الهوية، والجثث ملقاة في البحر . الكل ما زال يتسائل عن السبب في هذا الحادث. وهل هو فتيل جديد لتغذية الحرب. عمو جوزيف (جوزيف سعادة) مسؤول المنطقة الرابعة في حزب الكتائب، قتل له ولدان في منطقة الفنادق في الحرب الدائرة بين التنظيمات الفلسطينية والانعزاليين، (وقيل في منطقة الفنادق من مرافقي بيار الجميل)، للسيطرة على بيروت الغربية والمنطقة التجارية، وكان معه أيلي حبيقة (الذي اتهم لاحقاً بمجازر صبرا وشاتيلا) . وفي أول دفعة اختطف حوالي ٣٠٠ لبناني وفلسطيني وجرى ذبح ٧٠ منهم، بدم بارد. وبلغ عدد القتلى في ذلك اليوم ١١٠ قتيلاً ، وكان بين الضحايا ٣٠ عاملاً مصرياً ظهر أن الكتائب اختطفتهم وسخرتهم لخدمتها تحت التعذيب، ثم قتلتهم.

خرج المقاتلين المسيحيين في ساحات بيروت الفاصلة بين شطري العاصمة، وبالتحديد في منطقة البور (المحاذية لمنطقة مركز المدينة "السوليدير") وقرروا في لحظة جنون الإنتقام من كل ما هو مسلم. ولسوء الحظ كانت بطاقات الهوية في لبنان تحدد ديانة المواطن. فنصب المقاتلين (المقنعين) حواجز في الطرقات . واخذوا يوقفون جميع المارة ويدققون في هوياتهم، من كان فيهم مسلماً اقتيد بكل هدوء الى نقطة مجهولة وأعدموا هناك بكل وحشية ودم بارد. رد فعل الجانب الوطني كان معتدلاً، فلم تحدث موجات انتقام وسارعت المنظمات الفلسطينية والأحزاب التقدمية اللبنانية ببذل الجهود لعدم حصول ردات فعل مماثلة.

" لقد تذرع المسؤولون الكتائبون ، لتبرير احتدام العنف ، بالعثور على أربع من جثث كقاتليهم في ضاحية بيروت، قرب تل الزعتر، وإلقوا على ذوي الضحايا وعناصر غير منضبطة، مسؤولية الأعمال الانتقامية. إلا أن المجزرة التي يكشف حجمها مشاركة كبيرة جداً لمليشيا الحزب، لم تنقلص إلى مجرد عمل انتقامي. ولا يبرر كون والد أحد القتلى الكتائبين عنصراً في الميلشيا الكتائبية تبريراً كاملاً الفرضية القائلة بأن رغبة فردية في الانتقام أفسحت في المجال لعمليات خطف وقتل جماعية. وللانقال إلى هذه المرحلة وبتلك السرعة كان ينبغي أن يكون المقاتلون مهياًين لنفي وجود الآخر<sup>١٠٥</sup>"

<sup>١٠٥</sup> حرب لبنان ١٩٧٥-١٩٨٢ - بيروت ، سمير قصير ، دار النهار للنشر ٢٠٠٧

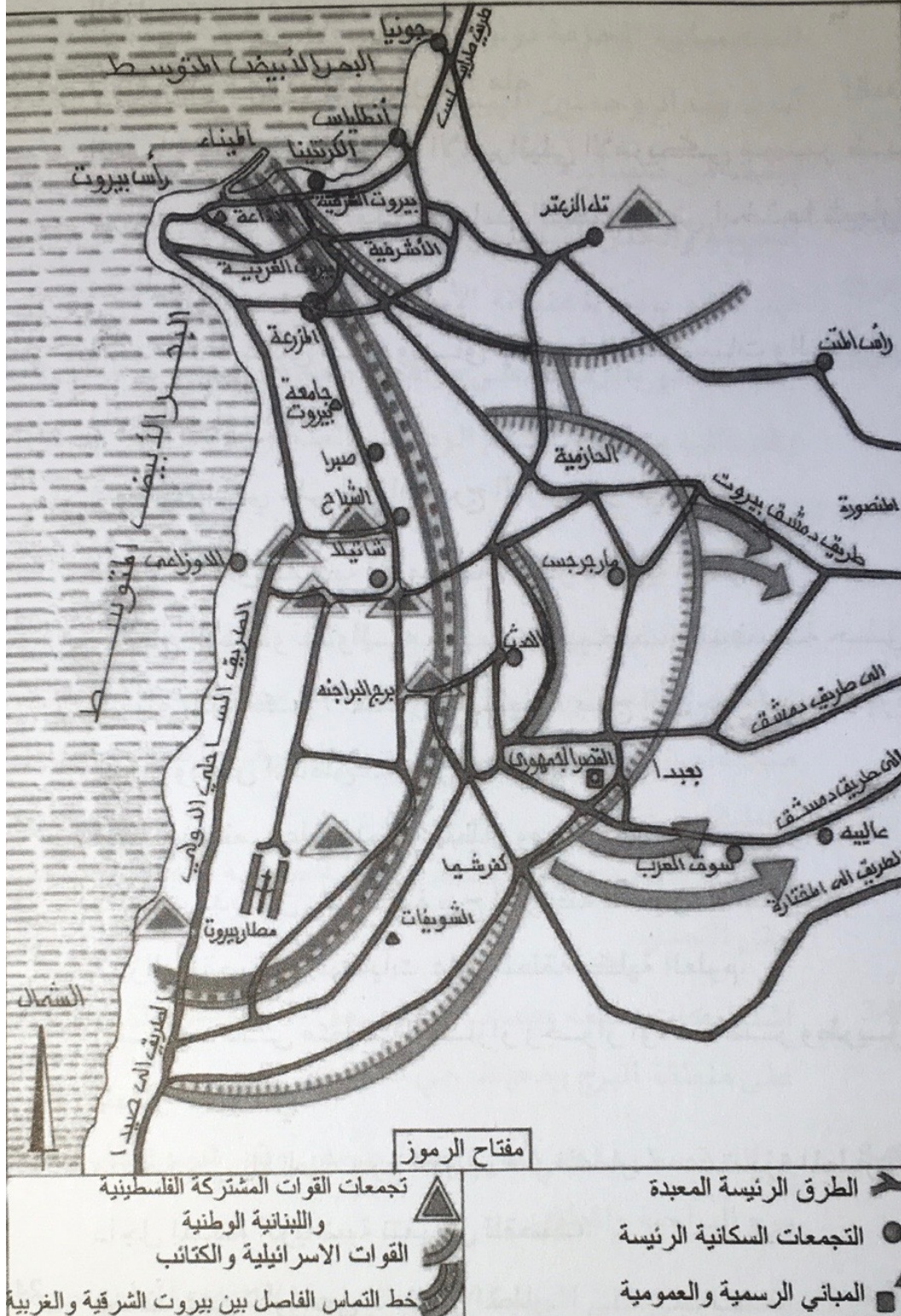
١٩٧٥ ١٢/١٢

جائني اليوم القائد العسكري للمنطقة الشرقية، سلمان لبحث الوضع الصحي ، ومناقشة الوضع العام، كالعادة. قال  
- لقد أرسلنا برقية للقائد العام نطلب تجهيز غرفة العمليات وجراحاً.  
- ولكن غرفة العمليات يكاد لا ينقصها شيء . وقال  
- يجب أن تعلم أننا بحاجة لغرفة عمليات ليس لأسباب طبية فقط، بل لأسباب معنوية. إن جميع المقاتلين يتسائلون لماذا لا تجهز، ولماذا لا يأتي جراح إلى المخيم؟؟، وقلت مبتسماً  
- المسألة ليست بهذه البساطة ، ولكن لا بأس ، إننا موعودون ببقية الأشياء آخر الشهر.  
البارحة قام الانعزاليون باحتلال حارة الغوارنة في منطقة أنطلياس، وأحرقوا ٣٠٠ من منازل المواطنين، وأسروا العديد من النساء والأطفال والشيوخ، وبدأ أهل الحارة بالهجرة إلى المنطقة الغربية، حيث تبين مقتل ١٧ من أبنائهم.  
الانعزاليون يبدون مسعورين، ويريدون أن ينفسوا غضبهم بمن تيسر من المسلمين والفلسطينيين.  
لأول مرة شعرنا بمدى الاهتمام الذي بدأ المستشفى يحظى به لدى الجميع. ناقشنا وضع اللجان الصحية ونقاط الإسعاف ومدى استعدادنا لتوزيعها.  
كانت العلاقة متوترة مع التنظيم، فقد جائتني ورقة من التنظيم في بداية عمل المستشفى فيها أمر بإدخال مريض معين إلى المستشفى، وضحكت  
عندما رأيتهما وقلت له، قل لأبي محمد أنني طبيب المستشفى وأنا من يقرر الإدخال من عدمه حسب حاجة المريض، وليس حاجة التنظيم. ورجع المريض.. ولم يعتذر أبو محمد ، ولم أره بعد ذلك.

١٩٧٥/١٢/١٣



## خريطة الوضع العسكري في بيروت وضواحيها بتاريخ 27-6-1972



عندما أرى أدهم بمعنوياته الجبارة، وأسلوبه المباشر، ولهجته القروية، أعود إلى القرية، أعود إلى أمي، أحن إلى أمي، ما تراها تفعل الآن؟ لا بد أن قلبها عند أولادها في الغربية، وتشعر بالوحشة، بالفراق. لا بد أن تحضر لي معها كمية من حلوياتها، والصابون البلدي من صنع يديها، وزيت الزيتون من المعصرة، ولا بد أن تذكرني أنني يجب أن أتزوج، أكيد أنها تفرد السجادة الآن لتصلي، وتذكرني في صلاتها ودعواتها، والإخوة ماذا عساهم يفعلون؟ أحن إلى القرية، أرى أمي.



أم العبد حريصة على مصلحة المستشفى، جأئتني اليوم تنبهني إلى مخالفات العاملين في المطبخ، وعدتني أن تبحث عن عاملة أخرى، وكانت دعوة ، وكان مفتول أعادنا إلى فلسطين. لم نذق هذه الأكلة منذ سنين، من يد أمي. وأم العبد تتحدث كثيراً عن فلسطين، وأكثر منها والدتها الحاجة أم راجي.

الحديث عن فلسطين في كل بيت ذو شجون، وحديث عن المعشوق ، ووصف جماله وخيراته. كل شيء في فلسطين يختلف عن كل العالم، حتى الخبز في فلسطين له طعم آخر، والهواء نقي، والماء صافي، تشرب منه فتشفى. والحديث عن فلسطين يدغدغ العواطف ويبعث الذكريات، وتجر الأحاديث من مختار القرية إلى بهلولها، والخلافات بين العائلات والثرات القديمة، والحنين ، الحنين الذي لا ينتهي، الحب لكل شيء في فلسطين، لكل حبة تراب ، لكل شبر من الأرض، صحراء كان أم صحراً، بيارة كان أم بيتاً، كم أشعر بإنسانيتي ، وسط هذا الدفق من الحب ، وسط هذه العواطف.

كم أشعر أنني لم أكن إنساناً عندما كنت بعيداً عن شعبي، عن أهلي، حقاً، لقد تعلمت الكثير أثناء غربتي، أثناء دراستي في ألمانيا، تعرفت على حضارة أخرى، أعجبت بالكثير، أحببت كثيراً، وتجولت كثيراً ، ولكن كنت أشعر بشيء ينقصني، كنت أحس أنني أمر بمرحلة عابرة من عمري. وأن جذوري ما زالت هناك، بين أشجار الزيتون والصخور، بين المرج وجبال نابلس، في جبل الكرمل ، وفي القدس، وليس جمال المدن يغريني، وإنما ارتباطي بهذه المدن، بهذه الأرض، ليس الارتباط الجسدي، إنما الروحي.

وقد علمنا أن صحيفة الأهرام قد دانت الحصار على تل الزعتر في ١٩٧٦.١.١١ وأعرب السادات عن حرصه على المقاومة الفلسطينية واستقلال لبنان. وعنى ذلك تغييراً في موقف القاهرة التي لم تكن قد أعلنت عن أي موقف، حتى ترجمت هذه السياسة بإرسال قوات عين جالوت التابعة لجيش التحرير الفلسطيني المتمركزة في مصر إلى لبنان .مما قوى وضع المقاومة في لبنان بشكل عام.

٩٧٥/١٢/١٥

كان اليوم اجتماعاً صاخباً، تجمع جميع العاملين، لقد قررنا يوسف وأنا أن نعلم المتطوعين في جميع الأقسام حتى نتخلص من ضغط واحتكار قسمي الأشعة والمختبر بالذات، ولكن ذلك لا يرضيهم. فهم لا يريدون تعليم أحد لمساعدتهم أو لإجراء أي من الفحوصات المخبرية أو الأشعة، وربما يكونوا محقين، فهم ليسوا بالضرورة قادرين على تعليمهم، ولا مستوى المتعلمين يكفي للتعلم الكافي،

حكايتي مع تل الزعتر

ولكننا نريد حل مشكلة غياب أحد المتخصصين كلياً، فنقوم بالتعويض المؤقت لهم بالكوادر المتوفرة. كدنا نتعارك لولا أمسكت أعصابي في اللحظة الأخيرة، يجب أن نتحمل الكثير بعد في سبيل تعليم الأساليب الصحية للديموقراطية، والنقاش الجماعي، يجب أن نتعلم النقاش بجدية ونعرف أنه يؤدي إلى التطور، أن نلتزم بما نقول، فنفعل ، نسعى لتطوير العمل من أجل خدمة الجماهير، درع الثورة، والتي بدونها لا توجد ثورة.

إن أهم المشاكل التي تصادفنا، أن هناك انفصاماً واضحاً بين ما نقول وما نفعل، فكل إنسان قادر على الحديث عن المثل العليا، وما يجب فعله من أجل الثورة، ولكن الأهم أن تكون أقوالنا نابعة من ممارساتنا، وأن تكون ممارساتنا مطابقة لأقوالنا.

التنظير سهل. وأسهل منه إلقاء النصائح، أو الأوامر للناس أن تفعل ، ونحن نتفرج ، وهذه أفضل وصفة للفشل، أما النجاح فيحتاج للمشاركة، وللعمل وإعطاء المثل في العمل والتصدي للمصاعب بدون تأفف، أو خجل.

١٩٧٥/١٢/٢٧

منذ سنة دخلت إلى بيروت، فماذا قدمت؟؟ خمسة أشهر في مستشفى الجليل. لا شك. أنها كانت القاعدة الأساس التي أركز عليها في عملي، ولا زالت. لقد بدأت أفهم ما مهنة الطب. وعلاقتها بالجماهير، وذلك من خلال الاحتكاك والممارسة مع الجماهير، من خلال ما أعطتني الجماهير من ثقة بنفسي، وبعملي وبقدرتي على عمل شيء.

لا شك أنني كنت أملك الاستعداد ، من خلال التعبئة التنظيمية لحركة فتح، والتي كانت تركز على دور الجماهير العربية بشكل عام لمتابعة الثورة حتى تحرير فلسطين، ففي ثورة شعبية طويلة الأمد، يحتاج التنظيم لحشد القدرات الجماهيرية وتنظيمها في اتجاه الهدف الأساس. ولم أكن قد مررت بدورات

جماهيرية سوى دورة الـ ٩٩ في عمان، والتي صقلت الفكر الفتاوي وركزت على أهمية الجماهير والعمل الجماهيري. وقد فهمت بعد ذلك لماذا يجب أن يكون العمل الجماهيري طويل الأمد ، لأن اكتساب الجماهير وتغييرها وكسبها إلى صف الثورة يحتاج لجهد خيالي يشمل العمل في جميع المجالات التي تهم الجماهير، والتي فيها شيء من انتهازية الجماهير. كنت أملك الاستعداد ، والاستعداد فقط، لم أكن أعرف كيف. وبقيت حائراً لفترة ، أبحث عن الطريق الأمثل في تقديم شيء، حتى اكتشفت القدرة الهائلة لأي طبيب على دخول كل بيت، والتأثير بكل فرد في المجتمع. كان الأساس هو الاستعداد والتفاني، ومنه جاء الخلق. كانت دورة الإسعاف الأولى التي دربتها ، وأتحت لها المجال للتدرب في المستشفى ، خير دليل لي ولعملي، واكتشفت من خلال العلاقة الجيدة والأخوية مع البنات مدى ما يمكن تطويره لديهن ، وبالتالي في المخيم. وبدأنا بالإعداد لدورة تمرير وبناء لجان صحية. كانت الفكرة قد اختمرت عندما جئت إلى تل الزعتر، ومن هنا إشعر الآن أنني لم أبدأ من الصفر، ولا أريد أن يبدأ غيري من الصفر، لذلك لا بد من توجيه الزملاء إلى كيفية العمل، ولا بد من وضع الأسس الصحيحة للعمل الطبي الجماهيري. ولا بد أن يعلم الجميع أن للجماهير طاقات خلاقة يجب تطويرها، وتوجيهها في الاتجاه الصحيح لخدمة الثورة ، ولخدمة الجماهير.

في السنة الماضية كان رأس السنة مثلاً، لم أشعر بجو العيد، ولم أكن أعرف أحداً ، كما كنت أنتظر أن أشاهد احتفالات عيد الثورة في الفكهاني، ، ولكنها ألغيت لظروف أمنية، ولا شك أنه في هذه السنة ستلغى أيضاً لظروف أمنية. لهذا لا أتوقع إقامة احتفالات، بل المزيد من المعارك، ومع ذلك فلا بد أن أكون في بيروت، لإحضار الأدوية والأدوات الموعودين بها، وإحضار مخصصات العاملين في المستشفى ولنرى ماذا يحدث. جاءت رسالة بنقل الدكتور صلاح إلى بيروت ، اعتباراً من أول لسنة، أملين أن يأتي البديل.

بدأت الأحوال تتحسن خصوصاً بعد توزيع العمل بين ثلاثتنا ، وقد توزعنا العمل في العيادة، والطوارئ والقسم.

صلاح العيادة الخارجية

ويوسف استلم الطوارئ،

وأنا استلمت القسم الداخلي. حيث بدأت في وضع نظام العمل والزيارة اليومية والعمل التمريضي. وكتابة التقارير ، وخاصة لتحويل الحالات إلى بيروت. أصبحت الآن أكثر ثقة في الممرضين، ولم أعد بحاجة إلى عمل الغيارات للجروح بنفسي، وقد أشرفت طويلاً على أسلوب الغيار، ونسمح الآن لأحمد أورفلي ونظيم شحور بالغيار فقط.

المتطوعون من الأخوات يحلون مشاكل كبيرة في الدوام أيضاً، ولولاهم لما استطعنا تدبير هذا القدر الهائل المتراكم علينا.

وزعنا جائزة في أول الشهر أثناء الاجتماع على أحسن ممرض ، وأحسن متطوعة، ولكننا حتى الآن لم نصرف لهم المبالغ، وكان هذا تشجيعاً لهن، حتى بدون رصيد مالي.



١٩٧٦/١/٢

كانت سهرة رأس السنة جميلة نسينا فيها عناء العمل، جلسنا في سهرة  
صاخبة مجموعة من الأصدقاء، ولكنني جلست في البداية بعيداً، أشرب كأس  
وحدي، أتذكر الماضي كالعادة في كل رأس سنة منذ أن تعودت أن أسهرها في

ألمانيا، وفي كل مرة كانت تحصل حادثة طريفة ومزعجة، فلم أعد أتفاءل برأس السنة.

أذكر مرة عندما سهرنا وخرجنا عند انتصاف الليل، نطلق الألعاب النارية ونلعب بالثلج، كنت معجباً بإحدى الفتيات، قضيت معها سهرة ممتعة وتواعدنا على اللقاء ، ولم نلتقي، كنت أشعر بذلك منذ البداية، ولكنني كنت سعيداً بالسهرة ، بالانطلاق طيلة السهرة في لهو وضحك، مما لم يعتده الأصدقاء مني، فقد كنت دائماً جدياً مشغولاً بكل شيء، بالدراسة والعمل، والسياسة. أذكر عندما ذهبت صديقتي في أعياد الميلاد لزيارة أهلها، وعدتني أن تأتي لنحتفل برأس السنة سوياً، وانتظرت لتأتي برقية منها في رأس السنة" لقد تزوجت، أسفة لعدم تمكني من الحضور"، وصعقت. ألم يخطر ببالها أن تتزوج إلا في رأس السنة؟؟

طبعاً قضينا سهرة ممتعة وصاخبة كالعادة، ولكنني لم أنس ذلك الفصل، لقد تزوجت..

كنت أعتبر أن بداية السنة ، بداية جديدة لي. ولا بد أن أنسى كل شيء عن السنة الماضية، ولكن لا بد لي أن أجلس بهدوء ، أفكر قليلاً بالماضي . يستغرب الجميع هدوئي التام في بداية كل سهرة، ولكنني عندما أنطلق ، أنطلق بقوة، أخرج من نفسي، وأنسى نفسي، لأعيش الفرق بين الواقع والحلم. لحظات لا يعيشها الانسان كثيراً، فهو مشدود إلى الواقع بحبال لا تنقطع فنحن جزء من الواقع، ولكننا نستطيع أن نحلم.

الواقع معاشية ومواجهة المشاكل اليومية، والحلم جميل رقيق، مشكلته أنه ليس موجوداً، ومشكلته الأخرى أنه يفقد جماله عندما يتحقق. ولكننا لم نبتعد عن جو العمل، وكانت الوجوه مألوفة. وكان النقاش حاداً، هو استعراض للمنجزات في المستشفى وسهرة لطيفة مع موسيقى راقصة، وعندما دقت الساعة الثانية عشرة، خرجنا إلى الشرفة ننظر إلى الألعاب النارية، ونستمع إلى طلقات وزخات الرصاص التي ملأت سماء بيروت من أقصاها إلى أقصاها، والرصاص الخطاط والإشارة يملأ السماء، في بيروت الشرقية والغربية ، كأن الطرفين متفقان على الاحتفال سوياً، وسقطت قذيفة في أول الشارع القريب، والثانية والثالثة، انطلقنا إلى الداخل جميعاً، نحسب حساب تل الزعتر. وننظر باتجاهه. كان قلبي مع يوسف الذي بقي وحده هناك، وتحمل المسؤولية، ترى كم قذيفة سقطت الآن على المخيم؟؟.

يوسف ما زال هناك وحده لعله لا يضطر للعمل كثيراً هذه الليلة، كان صلاح قد نزل معي إلى بيروت مغادراً المخيم بعد نقله إلى مستشفى غزة. وذهبت أنا إلى المستودعات لتحضير الطلبية، والأدوية الضرورية للمخيم.

هدأ الجو، وتوقف الرصاص، وعادت الموسيقى تملأ الجو، جلست أفكر في العمل. الناس لا تستوعب أن الحرب قائمة حول المخيم، وأنها مستمرة منذ سنة تقريباً ، ولا يريدون أن ينظروا إلى المستقبل الذي يبدو قاتماً، فلا أحد يعرف كيف ومتى ستنتهي هذه الحرب.

ريمون إده يصرخ دائماً بتشاؤم ، أن المؤامرة تستهدف تقسيم لبنان إلى دويلات، وأن أمريكا تريد حل قضية فلسطين، والشرق الأوسط على حساب لبنان، ولا أحد



صدقہ. والناس تبحث عن مناسبة لتنسى و لتحتفل برأس السنة مثلاً، ولا يفكر أحد بجد بالخسائر التي حصلت.

١٩٧٦/١/٤

كدنا نعجز عن إيجاد سيارة لنقل المعدات والأدوية إلى المخيم، منذ أيام نبحث عن سيارة وسائق، واستعمل أبو حسني مسؤول النقلات في الهلال كل علاقاته وصلحياته، بقيت الأدوية مكدسة في المستودعات حتى وجدنا سيارة، واتصلنا بعمليات بيروت نسأل عن إمكانية السفر. قال لنا سلمان الذي وجدناه هناك أننا نحاول إدخال قافلة تموينية إلى المخيم منذ أيام بدون جدوى، ولكننا ما زلنا نحاول الاتصال. فممنذ أيام أمسكوا سيارة تحمل بعض المواد التموينية ذاهبة إلى المخيم، ولم يسمحوا لأي رغيف أن يمر. قالوا " لن يمر رغيف إلى تل الزعتر" حسناً ، اتصلت بالمخيم ، تكلمت مع أبو رياح ومع المستشفى ، الحالة لا بأس بها.

السيارة جاهزة ، واقفة أمام غرفة عمليات بيروت، في الفكهاني، وسيارة الطحين أيضاً.

تحركنا إلى المتحف أمام الأمن العام، وصلت السيارات ، كانت بعض الأخوات من المتطوعات قد صعدن أيضاً معنا للذهاب إلى تل الزعتر.

القافلة أصبحت تضم إذن الأطباء، والممرضات ، وسيارات التموين والدواء. انضم إليها تجار الدجاج والخضرة ، وقفنا أمام الأمن العام ننتظر التحرك. بدأ المطر يتساقط خفيفاً، وعدنا إلى السيارات.

سلمان يبدو دائماً صامتاً، لا يتكلم كثيراً.

ما زلت أذكر يوم رأيتته أول مرة بعد القصف، كان مسرعاً صامتاً، رأيتته بعدها مرة أخرى، لا أذكر متى، تحدثنا عن المخيم والمستشفى، والعمل الصحي، وشرحت

له الخلافات القائمة، وسبب الحملة على المستشفى، ثم تطرقنا إلى العمل السياسي والتنظيمي.

طوال الوقت حاولنا أن نحتك بالجنود اللبنانيين الواقفين في الأمن العام. كان يأتي أحدنا ليهمس "احذروا من فلان، الذي يقف بجانب السيارة، إنه من الطرف الآخر" كان يبدو أن هناك انقساماً واضحاً بين الجنود أنفسهم. وكل منهم ينحاز إلى طرف من الأطراف من طائفته على الأغلب، تقدم مني أحد الجنود وقال:- مرحباً دكتور ، أتذكرني لقد أتيت إلى المستشفى في المخيم وأحضرت ابني، إذا أردت أي شيء ، فأنا في خدمتك..، أنا أسكن في تل الزعتر، لم أتذكر اسمه، لكن وجهه لم يكن غريباً علي.

تقدم أحد الجنود منا سلمان وأنا، ونحن نتمشى أمام القافلة ، وقال:

- حضرتك دكتور؟ وحضرتك؟ بدأت أحدثهم عن الأمراض، واستشير سلمان، لقد بدا أنهم شكوا به بالرغم أنه كان أنيقاً ، يرتدي بدلة بنية، بينما كنت ألبس الجينز ومعطفاً عسكرياً، ومنظري لا يوحي بالترتيب، مرة أخرى وجه السؤال لسلمان:

- هل تعمل في مستشفى تل الزعتر، ؟ لم أراك هناك؟ ورد سلمان باقتضاب.

- نعم. وأسرعت أجيب متطوعاً:

- إنه ما زال جديداً، ويناوب في الليل غالباً.

كان الليل قد بدأ يتقدم، ولم نزل في مكاننا، بدأنا نفقد صبرنا، ونفقد الأمل.

الفتيات كن قد بدأن يقمن علاقات جيدة مع الجنود، كما يبدو. عبرن عنها بالحلويات التي بدأ أحد الجنود يحضرها، وجاء أحد الجنود يسأل:

- الأطباء ، تفضلوا عند العقيد. نظرت إلى سلمان ، ابتسم ، وصعدنا إلى غرفة العقيد، الذي استقبلنا بترحاب معذراً عن التأخير متمنياً أن لا يطول الأمر، وبدأ يحدثنا عن مخالفات التنظيمات، والرغبة الحسنة لدى الطرف اللبناني. فهمنا أنه يظل على الحياد، ولكنه رجل دولة. وجاء صاحبنا والد مريض تل الزعتر يقدم لنا القهوة والسجائر، سألنا إذا كنا جائعين، وكلنا رفضنا شاكرين.

بدأ يسألنا طبيياً، وعن تخصصنا، عن المستشفى، كنا حذرين خصوصاً من أجل سلمان، ولكنه لم يتكلم إلا عند توجيه السؤال مباشرة له. كان ذكياً وعمومياً في إجاباته، سأله:

- أنت أيضاً طبيب؟

والتقت نظراتنا وابتسم للسؤال، وقال واثقاً

- نعم.

ولكنني فكرت طويلاً في معنى سؤاله، ثم طلب منا استدعاء الممرضات، وبدأ يوجه الأسئلة عن طبيعة العمل، كنت أراقب الحوار ، وأتدخل حتى لا تخطئ إحداهن. ولم تأتي الموافقة مما يعني أن نعود إلى العمليات في الفكهاني . خرجنا أخيراً إلى السيارات لنترك العقيد لينام، ثم حضرت سيارة العمليات المركزية، صعدنا بها، وعدنا إلى منطقة الجامعة العربية، وذهبت أبحث عن مكان للنوم ، في بيت محمود.

تجمعنا أخيراً في عمليات بيروت، وذهبنا إلى الأمن العام، حيث كانت السيارات ما زالت واقفة، كان السائق قد غطى الأدوات المكشوفة ببطانيات من السيارة،

وصعدنا إلى العقيد نسأل، كان مندهشاً أننا لم نتحرك إلى تل الزعتر، وبدأ يتصل بالجهات المختصة. جاءت سيارة من العمليات تبحث عنا، قيادة تل الزعتر آتية للاجتماع بالقائد العام. تعالوا إلى الإعلام. وذهبتنا سلمان وأنا ، دخلنا الغرفة، كانت اللجنة الشعبية للمخيم جالسة. حينما أبو عمار وجلسنا، وسأل عن القافلة، شرح له سلمان الوضع ثم سألني

- المستشفى جاهز؟؟

- لا ينقصه شيء ، معنا في السيارة كل احتياجاتنا لثلاثة أشهر

- كان منفعلاً يستمع لحاجات المخيم، ثم أمسك السماعة

- أعطيني رشيد بك، انتظر لحظة.

- "يا رشيد بك، شعبي يموت جوعاً في تل الزعتر، لا تضطروني أن آخذ إجراءات

لا أريدها، لا يمكن أن أدخل التاريخ كخائن لشعبي، إذا كانوا يريدون إشعالها،

فنحن مستعدون لإشعالها في كل لبنان، ليس هناك شيء لنخسره". كان

منفعلاً، ولكنه كان سريعاً في تلبية جميع الطلبات. " خزنوا طحين، خزنوا

الأدوية" قاله وهو يشد على أيادينا، وخرجنا على أمل أن تتحرك القافلة. ذهبنا

مرة أخرى إلى الأمن العام، ولم ننتظر طويلاً، جاء أحد الجنود يقول:

- الأطباء والممرضون يصعدون إلى الملالة، وصعدنا، وأغلقت الأبواب والنوافذ،

وتحركنا، تحركت أمامنا دبابة وتبعتها السيارات الأخرى المحملة بالتموين

والأدوية، وخلفها دبابة أخرى. كان الجو في داخل الملالة مزيجاً من الرهبة ،

والمرح، ولكن سلمان كان صامتاً.

وصلنا جسر الواطي، ودخلنا سن الفيل، كانت الحواجز قائمة، أسرعت السيارات

عندها، وسقطت بعض شلالات الطحين من آخر السيارة، وتدافع الناس على

الحواجز يلمونها، ولكن القافلة لم تقف حتى وصلنا إلى سن الفيل قرب قصر

سابا، حيث وقفت القافلة أمام حاجز قيل أنه حاجز لبنات الكتائب، وقيل أشياء

أخرى، تجمع الناس حول القافلة، وحصلت مشادة كلامية بين الضابط المكلف

بتوصيل القافلة، وبين الكتائب، وبقينا واقفين فترة كأن عى رؤوسنا الطير. اقترب

جندي من الملالة، ولكن أحداً لم يتنفس، قال الجندي " الله معك خيي" ولم نفهم

شيئاً، ثم أخبرنا أحد الجنود أنهم قد أنزلوا أحد المرافقين في السيارات وضربوه،

وأخذوه إلى الحرش، ولولا أن الضابط لحقه فوراً وأصر على عودته ، كانوا يريدون

تصفيته.

كنا بعيدين حوالي ثلاثة كيلومترات عن المخيم، وطال الانتظار، ثم عادت القافلة .

كنا نراقب الجو بحذر، قد يحصل شيء خلال العودة، ولكننا وصلنا بسلام إلى

المنطقة الغربية. ذهبت إلى غرفة العمليات" لا بد أن أذهب إلى المخيم. دبروها.

ورأيت النقيب عثمان ، كان مصراً على الذهاب، ثم قال لي" تعال الساعة السابعة

إلى مقر منظمة التحرير في المزرعة"

وذهبت ، صعدت في سيارة جيب عسكرية، مع الملازم زياد، حيث أخذنا إلى

الأمن العام. لم ننتظر طويلاً أمام المحكمة العسكرية، حيث صعدنا أنا وعثمان في

ملالة.

كان يملؤني شعور بالفراغ، لم يعد خوفاً، ولكنني كنت متحسباً ، خصوصاً وأنا

أستمع لعثمان، وهو يهدر بصوت عال أمام المحكمة العسكرية:

- من يدري فربما كان أحدهم من الكتائب. كان عثمان يتحدث " إذا حدث شييء فلن أستسلم، أستعمل الرشاش ٥٠٠ المنصوب على الملاحة، وليحدث ما يحدث "

كانت عملية انتحارية، لم أفق إلا عندما قال عثمان " لقد وصلنا جسر الباشا" وتنفست الصعداء ، دخلت المخيم وأنا هادئ تماماً. كان يوسف ينتظر

- الحمد لله على السلامة" هنأني الجميع، وبدأت أقص على الجميع ما حدث للقافلة وعن السيارة المحملة أمام المستشفى، وأنها ستأتي قريباً ولكنها لم تأتي أبداً، وكذلك سيارات التموين، لم تصل أبداً.

بدأت ألاحظ التطور الحاصل في غرفة الطوارئ واللافتات الجديدة على علب الأدوية، وحدثني يوسف أثناء الجولة عما حصل أثناء الفترة التي غبتها، كان منهكاً

وجهت القيادة الفلسطينية والحركة الوطنية إنذاراً لفك الحصار عن تل الزعتر، وأما السلطة اللبنانية فقد تعهدت بحل الحصار ليلاً ، ومن ثم طلبت التأجيل حتى الصباح، لكنها أخفقت في محاولاتها.

١٩٧٦/١/٦

لا يزال الحصار التمويني مستمرًا، والكتائب تعترف بمسؤوليتها عن الحصار ، وتدعي أنه كان ردًا على تهجير بعض السكان المسيحيين من جسر الباشا والدكوانة والقلعة. ( وهذا لم يحدث. )

الحركة الوطنية اللبنانية تقاطع لجنة التنسيق وتهدد بأنها لن تعود عن المقاطعة إلا برفع الحصار بلا قيد ولا شرط. والأحزاب اللبنانية الوطنية تندد وتحذر بأنها ستوصل المواد الغذائية مهما كان الثمن. وقد وصف الرئيس رشيد كرامي الحصار التمويني على مخيم تل الزعتر وبعض مناطق الضاحية الشرقية لبيروت بأنه موضوع خطير.

القوات الانعزالية تطلق النار على شاحنتي طحين وهما في طريقهما إلى تل الزعتر. وتدهور الوضع الأمني ونصب حواجز من قبل الانعزاليين وقطع طريق تل الزعتر. وشمعون يحذر من أي تحرك غير مسؤول فيما يتعلق بتل الزعتر.

١٩٧٦/١/٧

الجو ما زال متأزماً، والحصار التمويني ما زال مستمراً، فلم يصل شيء بعد إلى المخيم، كانت قد حصلت عدة محاولات لإدخال القافلة إلى المخيم، بدون جدوى. وصل سلمان وبقية أعضاء اللجنة، كان واضحاً أن شيئاً ما سيحصل، لا بد من فتح الطريق بالقوة، لا يمكن أن نموت جوعاً حسب رغبتهم.

كنا قد ذهبنا سيراً على الأقدام لزيارة مواقع المقاتلين في القلعة وشاهدنا التحصينات التي بناها المقاتلين، وتجولنا في الغابة الصنوبرية، وهم يشرحون لنا المواقع والمناطق المطلّة، وضرورة الاتصال بين جسر الباشا وتل الزعتر. كانوا يتحدثون بحماس عن سهولة تحقيق ذلك، ولكن معركة حرش ثابت أثبتت العكس.

وضعت الخطة لمهاجمة حرش ثابت لفتح الطريق من جسر الباشا إلى الشياح عبر عين الرمانة. وصلنا خبر:

استعدوا لإستقبال الجرحى، وبدأنا نستعد، سمعنا القذائف الممهدة للهجوم،

\*\*\*

يقع حرش ثابت أمام المخيم، وفي الطريق إلى جسر الباشا والقلعة، وكان الانعزاليين يسيطرون عليه، ويقوموا بعمل حواجز عسكرية لتفتيش الحركة من وإلى المخيم، وكانا يتحكمون بمخيم جسر الباشا، الأضعف والأصغر. وكانت مدرسة السي تي أي المواجهة للمخيم هي النقطة الرئيسية لقوات الكتائب لمراقبة وحصار مدخل المخيم.



وكان الشباب يتعرضون لقنص من الحازمية والجمهور في جنوب تل الزعتر ، مما اضطرهم لوضع موقع في القلعة بقيادة "مصطفى إكي" ، مع دوشكا، كان يرد فيها على الحازمية والجمهور، ويدافع عن القلعة وجسر الباشا. وأخذ الشباب المكلس أيضاً لأنه كان أعلى من تلة المير ، وكانوا من هناك يردون على المنصورية وعلى الجمهور والحازمية أيضاً، وقد دخلوا المنصورية مرة لوضع نهاية للقنص، ولكن الجيش اللبناني تدخل وانسحب الشباب من المنصورية.

كان شباب المخيم مستأؤون من هذه النقطة التي تتحكم بمدخل المخيم وتقنص في داخل المخيم. ، وكانت مدفعية الجيش وملاياته تتمركز في الحرش وتصب حممها على المخيم، وقد حاول الشباب مرة مع الرائد عثمان ، قائد الكفاح المسلح أن يتقدموا تجاه السي تي أي، الذي كان مشرفاً على مدخل المخيم وسليك وكان يشكل لنا همماً ومشاكل، ولكن الكتائب صدوهم، وعادوا خائبين. كان موقف شباب المخيم ضعيف بسبب رفض القيادة في بيروت إعطائهم الضوء الأخضر للتقدم واحتلال مناطق محيطة بالمخيم. فالقيادة الفلسطينية لا تريد التورط في حرب شاملة في لبنان، بل تريد ربما كسب بعض النقاط لصالحها وللحركة الوطنية، ولكن ليس لديها قرار بالحرب الشاملة. فحربها مع العدو الصهيوني الذي يحاول حرفها عن هدفها وإشغالها عنه، بمعارك جانبية. ولكن ازدياد الضحايا من المخيم، وتعطيل الحياة في جسر الباشا، والحصار المطبق ، جعل الأمور تفلت من عقالها، فقررت قيادة المنطقة أنه لا بد من الهجوم على حرش ثابت لفتح الطريق إلى تل الزعتر.

حصل اجتماع لقيادة المنطقة لدراسة الموضوع حضرته جميع التنظيمات وقرروا جماعياً الهجوم على حرش ثابت. وفي هذه الأثناء تكلف المقدم مجاهد سمعان بقيادة المنطقة الشرقية للقوات المشتركة، ويبدو أن القيادة قد غيرت رأيها ، وجاء إلى المنطقة ، حيث اتخذ مقره في القلعة، ليقود الهجوم. ويقول أدهم أن قيادة تل الزعتر قد أجبرته على القرار. ولم يسيطر مجاهد على المعركة. بدأت القوات المشتركة بالقصف على منطقة حرش ثابت، ثم اندفع المقاتلون إلى داخل الحرش من حي كركبا باتجاه مستشفى طربيه ومستشفى الحايك ومشاتل عزام، وسيطروا على هذه المحاور بسرعة، وتفاجأ الانعزاليون بالهجوم ، وأبدوا مقاومة شرسة، ولكنهم تراجعوا أمام الهجوم المفاجئ.

\*\*\*

في نفس الليلة جاء شاب من القوات يطلب أن يرافقه أحد الممرضين إلى مستشفى الحايك..

- لقد احتلينا المستشفى ولديهم كل شيء ينقصنا، ونرجوكم أن تحضروا ما يلزمنا في تل الزعتر، أكياس دم وأكياس المصل وأدوية كثيرة وأجهزة، ولديهم أشعة وكهرباء.

ذهب أحد الشباب، وأحضروا كمية من الصناديق مليئة بأدوية غير مصنفة، وفي آخر الليل جاء الشباب مع جهاز الأشعة، لقد قرروا ضرورته للمخيم، فأحضروه.. والكثير من الأفلام والمواد اللازمة للتظهير.

- كنا متوترين عندما جاءنا أول جريح. ،
- لقد وصلنا إلى جسر الباشا ، أخذنا مستشفى الحايك، لم يسقط لنا سوى شهيد واحد، اسمه علي السمري، بدأنا نعمل، كان جرحاً بسيطاً، وأتى لنا المسلحون من مستشفى الحايك بجرحى . ممرضة وعجوز في السبعين، وشاب ، غابي تامر، كان خائفاً يرتجف ، تحدثنا اليه قليلاً ،اطمان، ثم إدخالنا إلى قاعة المرضى، الممرضة كانت مصابة بكسر مفتوح في يدها.
- بدأ يوسف يحدثها، فهو يعرف لبنان، ويعرف العائلات اطمانت اليه، وبدأ يعمل في يدها، ثم وضع الجبس عليها ، وأدخلت إلى غرفة العمليات غير المحددة، حيث وضع لها سرير مع بقية النساء. جائي أحمد أورفلي:
- دكتور ، رجال الأمن يدخلون إلى القسم، يريدون استجواب الجرحى.
- يا. أخ أبو عماد ، دع المرضى. يستريحون، لا نريد إزعاجهم، إنهم مدنيون، ولا شأن لهم بالحرب. واتفقنا أن نتركهم حتى يطمئنوا إلى الجو، وإلى حسن نيتنا تجاههم، كانت العجوز تتكلم كجدتي، وتحدثني عن أولادها، وكيف قضت فترة نقاهة في مستشفى الحايك ، كانت طيبة، ككل الجدات.
- جلست بجانبها أستمع، وأبتسم وأومئ برأسي إيجاباً، ودعواتها كدعوات جدتي، سألتها عن مرضها، وإذا كانت تشكو من شيء ، كانت مريضة بالسكري، وذهبت إلى الممرضة، كانت تسأل عن مصير الدكتور حايك، قلت لها: إننا لا نعلم، ولكنه بأمان، وروت لي كيف دخل الفدائيون إلى المستشفى، وأن لا دخل لها بالسياسة. لقد كانت مفاجأة، وفر المسلحون أمام الهجوم الصاعق للفدائيين الذين دخلوا المستشفى وانتقلوا فوراً إلى قصر سابا، كان الانعزاليون قد حولوا المستشفى إلى قلعة حصينة.
- في المساء جاءت سيارة محملة من مستشفى الحايك ، أدوات ومصل وأدوية، علي السائق كان أكثر الشباب حماساً، وصاح عندما رأني
- فرجت يا دكتور، فليقطعوا الطريق، إننا لسنا بحاجة إلى الأدوية، ولسنا بحاجة للتموين. وقلت له
- اسمع إننا بحاجة لأكياس الدم، ابحثوا عن أي كمية موجودة، كان مخزوننا من أكياس الدم قد نفذ، ولا بد من إيجاد بعضها.

\*\*\*

، وفي اليومين التاليين شن الانعزاليون هجوماً معاكساً مدعوماً بالملاات(ناقلات الجند) من الجيش اللبناني وعناصره وقصف مدفعي شديد، استشهد عدد من الشباب واستمرت المعركة 48 ساعة، حول قصر سابا، ومستشفى الحايك.

انتهى المطاف بالجرحى والشهداء في المستشفى، حيث تباحثنا في أسباب فشل الهجوم وأسباب الانسحاب، وكان الأراء مختلفة، فالتنظيمات غير منسقة فيما بينها، مثل فريق كرة القدم الذي يلعب دفعة واحدة بدون تدريب ولا تنسيق، ولا حتى لغة مشتركة، وغياب غرفة عمليات تسيطر على الوضع الميداني، وغياب الإتصال بين القوات المشاركة في الهجوم ، ثم غياب التنسيق مع القوات

المشتركة في بيروت ،التي كان من الممكن أن تساندهم، وأخيراً انشغال بعض المهاجمين بجمع الغنائم.  
بدأت القذائف تتساقط على المخيم، والجرحى من المدنيين اكتشفوا براد اللحم في طريق بيت مري، وبدأ هجوم الناس عليه، لا يوجد خبز، ولكن اللحم كافي موقتاً.  
امتلاً المستشفى، غرفة العمليات امتلأت أيضاً، وغرفة التخدير،  
جاء أحمد أورفلي  
- يا دكتور ما رأيك أن نذهب إلى الحسينية(وهي مسجد الشيعة في المخيم) ونحاول إقناع الشيخ بفتحها للجرحى،  
- لا بأس، وعاد أحمد أورفلي يعلمني عن موافقة الشيخ، أوكلنا المهمة له، بنقل الجرحى الخفيفين، وتجهيز النقطة بما يلزمها لغيار الجروح والإسعاف. وفرزنا معه عدد من الكوادر.

١٩٧٦/١/٩

اليوم زاد عدد الجرحى عن البارحة، كلهم بفعل شظايا القذائف، نتيجة القصف الكثيف على مكان الاشتباكات، شظايا في الصدر، والرأس والأطراف، في كل مكان.

يونس، الذي فقد قدميه بإصابة قذيفة، يحتاج إلى دم، الصدمة يزداد أثرها، ولا بد من إعطائه دماً، ولكن لا يوجد أكياس، هذه هي المشكلة. لم يعثروا على أثر لأكياس الدم في مستشفى الحايك، ضغطه ما زال منخفضاً، وحالته تزداد سوءاً، القذيفة انفجرت تحت قدميه، اثار الحرق والانفجار، والاتساخ ظاهرة جداً، مهما حاولنا تنظيفها وتطهيرها، فإنها ما زالت سوداء، وتنزف، ولا نستطيع عمل شيء له، لأنه لا بد من إنقاذه من الصدمة، ولا يمكن إنقاذه إلا بالدم، خصوصاً وأن نسبة الكريات الحمر منخفضة، السوائل وحدها لا تكفي، استعد الجميع للتبرع بالدم. ولكن أين الأكياس؟ لا أدري إذا كان جسمه يستطيع التغلب على الصدمة.

إصابات البطن أيضاً تزداد، ولا نستطيع عمل شيء سوى الانتظار. عيسى أحشاؤه معلقة خارج جسمه، مغطاة بالشاش المبلول بالملح الطبيعي، ولكن ضغطه ممتاز، ويبدو طبيعياً اليوم. وفي المساء توفي أحدهم، بعد مضي فترة في المستشفى، نتيجة إصابة في بطنه أيضاً، أحشاؤه خارج جسمه وتنزف بشدة، وحالته النفسية ووعيه يزدادان سوءاً طوال النهار.

أحمد الناطور جائنا بإصابة في صدره، منذ شهر تقريباً، أصيب ساقه وشفي تماماً، واليوم في صدره.

قضينا طول النهار والليل، ونحن بين العمليات، في الطوارئ وبين الجولة على الأقسام. الممرضون والمتطوعون يبذلون في قمة عطائهم، ولا يجلسون أيداً، يقضون وقتهم بين المرضى، وقد زاد عددهم. معظم الأخوات اللواتي تدربن على دورات الإسعاف قدمن إلى المستشفى وتطوعن للعمل، بلغ عدد الممرضين أكثر من ثلاثين في المستشفى، وما يزيد عن العشرين في الحسينية، بالإضافة إلى بقية النقاط.

مدخل المستشفى يبدو منظماً، لقد تجمع بعض الشباب ونظموا المدخل، وكنا حريصين على السرعة في حمل المريض من المدخل إلى الطوارئ، كلفنا أربعة بعمل المناوبات لتنظيم حمل المرضى إلى الداخل. ومع ذلك فلا زال بعضهم يرافق المرضى إلى داخل غرفة الطوارئ والعمليات. ولكن يبدو لي أيضاً أن فريق الطوارئ في قمة عطائه، علي وخالد وحسن يتوزعون الأدوار بسرعة فائقة، وما أسرع ما يكون المريض جاهزاً للعملية.

جاء جرحي مصنع الزجاج من جسر الباشا، وكان الجريح قد دخل في يده لوح من الزجاج، فقطع الأوعية الدموية الأعصاب والأوتار وربط يده بما تيسر وجاء يسرع إلى المستشفى.

كان هناك حالة انقطاع في أعصاب اليد في الرسغ، مع الأوتار، وكنت أجلس في غرفة الطوارئ، وفزعت عندما رأيت صورة الجرح، وقد اختلطت الأوتار بالأعصاب بالأوعية الدموية، أسرعنا إلى غرفة المكتب وفتحت كتاب الجراحة على صورة الرسغ، هناك ثلاثة أعصاب رئيسية، وعشر عضلات في الأصابع وكلها لها أوتار، والقطع يجعل من الصعب التمييز بينها فأني وتر لأي عضلة، رجعت بالكتاب إلى غرفة الطوارئ، وضعته أمامي، وبدأت أختبر كل وتر وأين يتصل وأين تأثيره، وبدأت أختبر الأعصاب، وأنا أتصعب عرقاً، وفاطمة تمسح العرق بصمت، ولا أحد ينطق ببنت شفة، العصب الوسطي لليد هو الأكبر ويبدو الشبه كبيراً بين الجزئين المقطوعين، ربطتهما وتنفست لصعداء، العصب الزندي في هذه الجهة. وبحثت عن مثيله، وربطته، واستمر البحث والتجربة حوالي ست ساعات وأنا جالس في غرفة الطوارئ والطاغم حولي كأنهم في معبد، مريوسف ورأى الصورة المشوشة، ربت على كتفي وذهب ليتابع جريحاً آخر. أنهيت العمل وحركت الأصابع واحداً وراء الآخر، وطلبت من المريض تحريك يده. بدا أنها عادت لطبيعتها، تنفست الصعداء، وابتسم الجميع. خلعت الكمامة وأخذت نفساً عميقاً. جلست في آخر النهار في غرفة الإدارة أدخن سيجارة بعد معاناة هذا ليوم.

١٩٧٦/١/١٠

أنقذتنا الأدوية التي أحضرت من مستشفى الحايك، كنا على الهاوية، لم نكن لنستطيع أن نواجه ذلك العدد الهائل من الجرحى، كما أنقذ المخيم مستودعات التموين الموجودة في جسر الباشا، وبراد اللحم والتفاح. كان الشباب يصفون لي رائحة اللحم المشوي في كل المخيم، وأن الخروف الآن يباع بسعر خمس ليرات. اليوم بدأت قواتنا تتراجع إلى جسر الباشا أثر الهجوم المضاد للجيش اللبناني والمسلحين من الطرف الآخر.

الأخبار الواردة من الشباب متناقضة. جاء أدهم، كان على رأس الهجوم مع الشباب، حدثنا عن المخالفات والأخطاء التي ارتكبت، أعطانا تحليلاً دقيقاً عن الوضع. كان بالإمكان التقدم، رغم دبابات الجيش التي وقفت في الطريق، وقد أحرق الشباب اثنتين منها بقاذفات آر بي جي، المهم أنهم انسحبوا الآن إلى موقعهم في القلعة، وأن الطرف الآخر لم يدخل بعد إلى المنطقة، كان أدهم منفعلاً فقد كان يتوقع نجاحاً أكبر، وكان فخوراً أنه لم يسقط سوى شهيد واحد أثناء الاقتحام.

عدد شهداء اللحم والتفاح يزداد، قناص الحازمية ينتظر دائماً ضحاياه، والمنطقة مكشوفة على الحازمية، وإن كانت الإصابات غير دقيقة، فمعظم الإصابات في الأطراف، وقليل منها في الرأس والصدر، لا بد من طريقة تمنع الناس من الذهاب. جئنا اليوم شهيد سوري الجنسية، من القصف على المخيم. رحمه الله فقد انضم إلى قوافل الشهداء الفلسطينيين..



١٩٧٦/١/٢٠

يتعرض المخيم لقصف مدفعي مستمر ، والانعزاليون يجددون هجماتهم على مخيم ضبية، وقد جرى اشتباك في ضبية بين الحزب السوري الاجتماعي والانعزاليين، حوله الانعزاليون إلى اشتباك مع المخيم الفلسطيني، لإبراز الصراع على أنه بين لبنانيين وفلسطينيين محتلين.

وقد تعرض مخيم ضبية إلى قصف مدفعي وصاروخي، شاركت فيه المصفحات استمر طيلة النهار، ثم قامت القوات الانعزالية باقتحامه، بعدد كبير من القوات. القصر الجمهوري يطالب بوقف إطلاق النار، وأبو عمار يتهم الجيش اللبناني بالتدخل إلى جانب الكتائب والأحرار في مهاجمة مخيم ضبية. وسقط المخيم نهائياً بتاريخ ١٧/١ يعد ثلاثة أيام من الدفاع المستميت، وقد ارتكب الانعزاليون مجزرة في المخيم لا سيما ضد الشباب الفلسطيني وغالبيتهم من المسيحيين، وقد صرح السيد كامل الأسعد رئيس مجلس النواب اللبناني ، أن الاقتحام خطوة على طريق التقسيم، كما وصفه صائب سلام رئيس الوزراء اللبناني الأسبق، أنه اقتحام غادر ووحشي.

البارحة قام الانعزاليون بمهاجمة المسلخ والكرنتينا، حيث حشدوا قواتهم مدعومين بعناصر من الجيش اللبناني ودخلوا إلى المنطقة وارتكبوا مجزرة بحق المدنيين من الشباب والشيوخ ، راح ضحيتها ٦٠ شهيداً، وعشرات الجرحى من الأطفال والنساء، كما قاموا بتهجير السكان المدنيين من المنطقة. الحركة الوطنية قامت بالرد في مكان آخر، هو الجية والدامور، متماشين مع الخطة الانعزالية في التقسيم، حيث شجعوهم بإرسال المسيحيين اللبنانيين من الدامور والجية إلى المنطقة الشرقية.

بدأت المفاوضات على نقل الجرحى، الملازم زياد مساد ضابط الارتباط يتألق في تحركاته على جميع الجبهات، واتفق على إخلاء جميع الجرحى مقابل إطلاق سراح الدكتور الحايك. وطلب منا دواء له، فقد كان مريضاً، قلنا له أنه لا يجوز احتجاز الطبيب، ولا يجوز اعتباره أسير حرب حسب اتفاقيات جنيف.

أجاب أنه يعرف هذا، وأنهم يضعون الدكتور الحايك في فيلا قريبة من المستشفى، وأنهم يقدمون له أحسن رعاية ممكنة. وقال أنه متفاهم جداً مع الدكتور، ولكنه يريد استغلال موضوعه، وأن الدكتور الحايك موافق على هذا الموضوع، خاصة وأن الانعزاليين لا يقيمون أي وزن لاتفاقيات جنيف ومعاملة المدنيين والأسرى، وهو يخاطبهم بلهجتهم فقط، المهم إن يفهم الدكتور الحايك هذا الموضوع، ويبدو أنه فهمه. لقد أصرينا أن نرى الدكتور في مكان إقامته، وحاولنا، ولكن القصف منعنا من الذهاب عدة مرات، بالإضافة إلى ازدياد الجرحى نتيجة القصف الكثيف. عندما سنحت الفرصة حدثنا زياد أنه قد أطلق سراحه.

وجاءت سيارات الإسعاف من الصليب الأحمر اللبناني، وكان كل شيء جاهزاً، نقلنا الجرحى حسب الأولوية، وكانت التقارير وصور الأشعة مع كل مريض. إصابات البطن أولاً، ثم إصابات الرأس ثم كسور الفخذ العلوي وأخيراً إصابات الصدر، جميع إصابات الصدر كانت ممتازة، ولم تحدث أية مضاعفات وخرج معظمهم بعد اليوم العاشر.

تنفسنا الصعداء ، وصار عندنا الوقت لنخرج من المستشفى لزيارة الشباب في المواقع. أصبح الجو داخل المستشفى أفضل بكثير من السابق . جميع العاملين يشعرون بارتياح بعد أداء الواجب خصوصاً ذلك العدد الكبير من الجرحى، بلغ عدد الشهداء حوالي الثلاثين معظمهم من المدنيين، والجرحى بالمئات.

اليوم وصل محمد عبده، بشعره الطويل المنكوش مع مجموعة من المنطقة الغربية عن طريق الجبل، وكانوا يحملون أكياس الدم المطلوبة أكثر من مائة كيس، ربما كل ما في مستودعات الهلال الأحمر، الحمد لله على السلامة، تذكرت يونس وبقية الشباب الذين كانوا بحاجة لها.

بدأنا بإعداد الإحصائيات عن الإصابات التي وصلت، كما بدأنا نعيد النظر في مجموعة الكتب الأمريكية عن الحرب العالمية الثانية، يجب إعداد دراسة عن الإصابات التي مرت ، عن آثارها، كيفية علاجها، وعن الوقاية.

لا شك أننا واجهنا ظروفاً صعبة، وإصابات كثيرة لم نشاهدها من قبل، وربما لم يشاهدها زملاؤنا، لذلك يجب أن نترك لهم شيئاً.

لقد لاحظنا صعوبة العمل عندما لا يكون الانسان مستعداً، إذن فلنحاول أن نجعل الأمور أسهل لمن يأتي بعدنا.

١٩٧٦/١/٢٦

انشقاق الملازم أحمد الخطيب عن الجيش اللبناني وإطلاق ما يُسمّى بـ «جيش لبنان العربي» من ثكنة مرجعيون لتبدأ حرب الثكنات العسكرية في أكثر أنحاء البلاد ومناطقها الشرقية والغربية وانضمامها لجيش لبنان العربي.

أحمد الخطيب كان شرارة أطلقت العنان لتمرد كبير في صفوف جيش كان مُشاركاً بقوة في الحرب الأهلية إلى جانب ميليشيات اليمين الطائفي، مثلاً، ميشال عون، وهو ضابط مدفعية، الذي وضع خطة لدك مخيم تل الزعتر بالمدفعية واقتحامه كما صرح في التلفزيون لاحقاً<sup>١٠٦</sup> ، إضافة إلى لعبه دور مستشار عسكري رفيع لبشير الجميل.

<sup>١٠٦</sup> ميشال عون يعترف <https://www.youtube.com/watch?v=gfUdU94976>

أحمد الخطيب كان شجاعاً لأنه كان أول من تمرد علناً وجهاراً على عقيدة جيش اليرزة وممارسته - كما كانت التسمية. وكبرت حركة أحمد الخطيب ولم يكن خطابه طائفيًا.

وقد اتهم أنه قام بذلك بتحريض ياسر عرفات، وأنه تلقى عوناً من حركة «فتح» أو من الأنظمة العربية التي كانت تمول «الحركة الوطنية» مثل القذافي. ولكن لم يكن أمامه خيارات كثيرة.

لم يكن التمرد الأول في الجيش في المرحلة الأولى من الحرب الأهلية. سبقه تمرد «جيش لبنان الحر» بقيادة أنطوان بركات الذي عاب على الجيش عدم انخراطه الكثيف والمعلن في الحرب الأهلية في صف ميليشيات الكتائب والأحرار. أشاع انشقاؤه جو من التفاؤل بإمكانية وقف العدوان الانعزالي على المناطق الوطنية. وتوقع الشباب أن يساعد في تخفيف الحصار عن المخيم. التجأ الينا في المخيم ٥٠ واحد من جيش أحمد الخطيب ، وحاربوا مع المقاتلين فترة، ولم تستمر التجربة طويلاً.

١٩٧٦/١/٢٧

اللجنة المشتركة تواصل اجتماعاتها لتصفية الوضع. اليوم أحضروا جثة أبو جمال، شبل، كان في قصر سابا، استشهد البارحة. شرح لنا أدهم ما سمعه من الكتائب، أبو جمال مقاتل، بقي بعد الانسحاب، ولم يعرف أبو جمال بذلك، حوصر في داخل القصر، قاتل ، ثم نزل إلى القبو، جلس وراء الطاولة، وإخرج التمويين من حقيبته، وضع رشاشه أمامه، وكان بانتظار أن يدخل أحد القبو. عرف الأحرار عندما قتل أول مقاتل لهم، ونزل آخر بعده مقتحماً فقتل، وهكذا بقي أبو جمال ينتظرهم واحداً واحداً، قتل عدداً كبيراً منهم ودعوه للاستسلام ، رفض، وعدوه، رفض ، رفض.

كانوا يريدونه حياً، أشعلوا الإطارات على الشبابيك الصغيرة للقبو، اختنق أبو جمال بعد سبعة عشر يوماً من الحصار. استشهد ملقناً إياهم درساً في الصمود، ورفض الاستسلام، هزء بقوتهم ، وبقي شامخاً في عزته، وأدوا له التحية، جاءت جثته إلى المخيم وسط احتفال.

كان أبو جمال يعبر عن طريقة تفكير المخيم جميعه، الصمود حتى النهاية وعدم الاستسلام ، النصر أو الشهادة. ساد الحزن والوجوم جميع المخيم. وفكر الناس، هل هكذا ستكون النهاية. هل سنضطر للقتال حتى آخر طلقة. أم سنموت جوعاً؟؟

١٩٧٦/٣/٤

عدت من بيروت أخيراً، منذ أيام وأنا في بيروت، استطعت خلالها أن أنجز معظم النقاط المطروحة للبحث:  
استأجرنا مستودعات للمستشفى عبارة عن بيتين.  
- عينوا كوادر جديدة.

- طالبنا بأطباء جدد، وحضر طبيب يماني، وقد شرحنا الوضع للمسؤولين وطالنا بضرورة التخزين على الأقل لمدة ثلاثة أشهر، من أدوية ومستلزمات طبية، كل ما طلبته كان جاهزاً حتى أدوية الجرب، لقد شعرت بمدى اهتمام الجميع بتل الزعتر، المعنويات مرتفعة، خصوصاً بعد سقوط الدامور، الكل يتحدث عن معارك الدامور، طبعاً سقطت ضحية، والمسليخ والكرنتينا، والمهجريين يعيشون في شقق الحمراء، والروشة والشاليهات ومع ذلك تروى الإسطير والروايات والبطولات. كان هذا الانهيار في تطور الأحداث يدل على ترسيخ فكرة التقسيم. وكان هذا يعني أن دور تل الزعتر أت لا ريب فيه.

صدى سقوط الكرنتينا والفضائح اللاإنسانية التي ارتكبت والتي تقشعر لها الأبدان جعلنا نفكر. ماذا سيفعلون لو سقط تل الزعتر؟ هذا يعني أنه لا بديل عن الصمود حتى لا نلاقي هذا المصير. شعرت للمرة الأولى بمدى تقدير الناس في بيروت لصدمود ولبطولة تل الزعتر.

الكل يثق بقدرة المخيم على الصمود، ويعرف مدى استعدادة للتضحية. أنباء اللحم والتفاح وصلتهم أيضاً، والكل يسأل عن صحة الناس في المخيم، لا شك أنها جيدة.

\*\*\*

١٩٧٦/٣/٨

جاء عيد المرأة، واحتفلنا به في المستشفى، دعونا الأخوات من اتحاد المرأة وألقيت كلمات، ثم جاء عيد العمال ، وكانت حفلة فخمة أعدها الممرضون، دعيت لها كافة التنظيمات، وبعد الكلمات وزعت شهادات على أحسن العاملين في المستشفى. كان أبونا بولص نجم الحفل، مع الأخوات عايدة من جسر الباشا، ألقى كلمة عن الأخوة والعمل الإنساني، دعانا إلى جسر الباشا، ونظمنا يوم عمل مع المقاتلين في القلعة.

الأب بولص الراهب الكاثوليكي في مخيم جسر الباشا، كان صديقاً للمستشفى ، وكان يعيننا في إحضار بعض الحاجيات من المنطقة الغربية أثناء الحصار المتقطع. وقد أوقفه الكتائب ذات يوم ووجهوا له إنذاراً بوقف تنقلاته واتهموه أنهر عميل للفلسطينيين ، ونصحناه بالتوقف عن رحلاته ، وانتظار تحسن الأحوال.

خرجنا في مظاهرة مشياً على الأقدام من تل الزعتر، إلى جسر الباشا، وزرنا جميع المواقع العسكرية والكنسية والعيادة. يومها استدعينا ،نحن الأطباء إلى تل الزعتر، فقد بدأ القصف العشوائي، وجاء الجرحى إلى المستشفى، ولم تمض دقائق حتى وصلنا، فقد أخذنا الياس في سيارة مرسيديس ، قطع بها المسافة الخطرة بسرعة جنونية.

١٩٧٦/٣/١١

انقلاب الأحذب؛ العميد الركن عزيز الأحذب قائد منطقة بيروت في الجيش اللبناني ،اختارته قيادة الجيش لتنفيذ إتفاقية القاهرة(١٩٦٩) فعينته مديراً عاماً لشؤون الفلسطينيين العسكرية، فسَيَّرَ الأمور على خير ما يرام طوال السنة التي تولى فيها هذه المهمة، إزاء تردي الأوضاع الأمنية يقوم الأحذب بانقلاب عسكري ويذيع الرقم واحد من التلفزيون اللبناني وأمامه مسدس على الطاولة، وطالب الرئيس والحكومة بالاستقالة، والتزم بالاتفاقيات مع الفلسطينيين،

حكايتي مع تل الزعتر



وخاصة اتفاقية القاهرة، وأيد المبادرة السورية في لبنان، وأيده الجميع في البداية ، ثم بدؤا الحفر حتى أفضلوه.

ما أن أذاع البلاغ رقم واحد حتى قام الانعزاليون بنصب حواجز طيارة وبدؤا القتل على الهوية، فقتلوا حوالي ٢٠ مواطناً وخطفوا ما يزيد عن ٦٠ مواطناً حيث تمت تصفية بعضهم فوراً، وبدأ حصار تل الزعتر وبدأ القصف المستمر له بشكل تصعيدي، وحاولوا عدة مرات جس النبض من خلال محاولاتهم السيطرة على دير الراعي الصالح وتلة القيادة العامة وجسر الباشا وزادوا عمليات القنص التي لم توفر صغيراً، ولا كبيراً. ورافق ذلك حصار تمويني وطبي ومنعوا دخول التموين والأغذية كما منعوا تصريف النفايات<sup>١٠٧</sup>.

“لاقت حركته الإصلاحية تأييداً من أوساط سياسية ومن عدد من الضباط في أيامها الأولى، في حين التزم قائد الجيش بالصمت. لم يحظ الانقلاب بتأييد القطع العسكرية المقاتلة التي انضم أكثرها إلى أحمد الخطيب. بالمقابل قامت ميليشيات الجبهة اللبنانية باحتلال ثكنة الفياضية يوم 12 آذار (مارس) 1976، فيما أعلن العقيد أنطوان بركات ابن زغرتا ولاءه للرئيس سليمان فرنجية منذ 12 آذار (مارس) وأعلن تأسيس ما سمي بـ"جيش الشرعية" ومقره ثكنة الفياضية. كما تم تشكيل تجمع عسكري ثكنة صربا بقيادة العقيد أنطوان لحد، الذي ترك قيادة البقاع لينضم إلى رفاقه في المناطق المسيحية، وتجمع عسكري مسيحي زحلة الذي كان بقيادة المقدم إبراهيم طنوس (قائد الجيش فيما بعد) والرائد طارق نجيم، والملازم أول يوسف الطحان<sup>١٠٨</sup>. ولم تؤدي الحركة إلى أي تغيير في الساحة اللبنانية.

١٩٧٦/٣/٢٨

<sup>١٠٧</sup> حسين فارس ، تل الزعتر ذاكرة ص. ١٠٢.

<sup>١٠٨</sup> <http://tripoliscope.com/news/50> -منارات\_لبنانية/136328-عزيز\_الأحدب-\_-1917

السيارات المحملة بمكبرات الصوت تطوف في الأشرقية وكسروان ، وتعلن قرار حزب الكتائب بالتجنيد الإجباري لجميع من هم قادرين على حمل السلاح، وتعد بأن بواخر السلاح قادمة ، وأن أسطولاً حربياً آتياً للنجدة/١٠٩

١٩٧٦/٥/٣٠

دخلت القوات السورية من المصنع في ٤/٩ ، وقد بادرت قيادة الثورة والحركة الوطنية إلى عقد مباحثات مع الوفد السوري في ١٦ نيسان، لكن الاتفاق تعطل، وحصلت اشتباكات مع الجيش السوري في بحدون وصيدا ، وقد أدى دخول الجيش السوري إلى تغيير موازين القوى. لمصلحة الانعزاليين وهاجموا النبعة وزاد القصف على تل الزعتر .

كانت القوات السورية قد دخلت لبنان بالتحالف مع القوات الانعزالية وبرضى وموافقة إسرائيلية أمريكية، ضمن لعبة سياسية مؤقتة . وضمن الصراع المصري السوري بعد كامب ديفيد.

---

١٠٩ حسين فارس ص. ١٠٣ السفير ٣/٢٧ /المصدر السابق.

تم انتخاب رئيس جديد للجمهورية اللبنانية ، وقد عقد اجتماع خاص لذلك في شتورة ، وقاطعه نواب الحركة الوطنية ونواب الكتلة الوطنية والمفروض أن يستلم الرئيس مهامه الدستورية بعد أربعة أشهر أي في أيلول من هذا العام. الأوضاع الأمنية تزداد تدهوراً في جميع المحاور ، وتوسعت الاشتباكات لتشمل محاور جديدة مثل كسروان والبقاع الشمالي وفاريا وعيون السيمان في الجبل. والقوى الوطنية تحقق مكاسب ميدانية على مختلف المحاور.

١٩٧٦/٦/١

لقد استطعنا أن نخزن بعض الأدوية حتى الآن. السيارات في بيروت تنتظر السماح بالحضور إلى المخيم. الهدوء نسبي، استطعنا توسيع المستشفى، ووافق الهلال على جميع المشاريع والخطط المقدمة، ودفع المبالغ اللازمة للإيجارات.

بدأت تمردات الجيش، وحرب الكتائب، ثم انقلاب الأحذب. كانت فترة هادئة نسبياً، خفت الإصابات واتجهنا إلى تنظيم وتوسيع المستشفى.

قاعة اتحاد العمال ، قسمت إلى ثلاث غرف، وغرفة الطوارئ إلى غرفتين، أصبح لدينا ثلاث عيادات.

غرفة الطوارئ جيدة، وأربعون سريراً في المستشفى. غرفة الأطباء جهزت جيداً، وضعنا بها جهاز تلفزيون صار يسلينا في الأمسيات بدون قصف، كانت القناة السابعة تغطي أخبار المنطقة الشرقية جيداً.

الشاعر غسان مطر كان يطلع علينا كل يوم بقصيدة جديدة. في هذه الفترة ركزنا على غرفة العمليات وتجهيزها، ثم على تدريب الممرضات على العمليات، اخترنا ثلاث ممرضات فريال وبهاء وسلمى. وممرض للتخدير . كنا نعطيهم دروساً يومية لمدة ساعتين، عن العمليات والأدوات الجراحية والتخدير، وكنا نتناوب يوسف وأنا على ذلك.

أصبحنا نجري العمليات المهمة في غرفة العمليات، المستشفى اكتسب مظهراً جديداً هو لباس العمليات الأخضر، هذه الفترة ازدادت علاقتنا كمستشفى بجسر الباشا.

جهزنا مستشفى صغيراً في القلعة، وضعناه تحت تصرف الدكتور جورج ديب، وفرشناه، وضعنا به ستة أسرة، وعملت الأخوات في جسر الباشا اللواتي تدربن في دورة الإسعاف ممرضات في المستشفى.

زياراتنا زادت، كان جسرالباشا منفذاً لإحضار بعض الحاجيات للمستشفى عن طريق القلعة وسن الفيل.

الأب بولص بشخصيته المحببة القريبة من القلب والوقورة الرزينة في نفس الوقت، لعب دوراً كبيراً في ازدياد العلاقات خلال زيارته المستمرة لنا، وإحضار بعض الحاجيات ، وأهمها البنزين لموتور الكهرياء، كذلك نقل الجرحى المخطرين إلى المنطقة الغربية، رغم الخطر الشديد والتهديد المباشر الذي تعرض له، وكان شعاره :الله محبة، مع شارة الصليب والهلال، الذي كان يصنعه شخصياً من خشب الزيتون ، فقد انتشر بسرعة في تل الزعتر حتى أصبح موضة للشباب. بهاء كانت تعمل كمرضة في إحدى مستشفيات المملكة العربية السعودية، وعند حلول إجازتها السنوية جاءت لزيارة أهلها في مخيم تل الزعتر، عبر مطار بيروت، وفي المطار لم يقبل أحد أن يوصلها إلى المخيم، الا بعد ان عرضت عليهم ما يعادل راتب شهر لموظف في ذلك الوقت مشترطين ايصالها عند حدود المخيم الخارجية .وصلت هناك وحملت حقائبها وسط رصاص القنص الغزير و انفجار القذائف القوي وعندما دخلت البيت تفاجأ أهلها ولم يصدقوا انها وصلت اليهم ،

اشتد الحصار على المخيم اكثر من ذي قبل ، ومع اشتداد الحصار بدأت المواد التموينية تنفذ هذا بالاضافة الى انقطاع الماء والكهرياء المتعمد.عند بدء المعركة تم الاتصال بي ولم يمض على وجودي بالمخيم سوى اسبوعين فلبيت النداء دون تلكؤ وبدأنا العمل دون كلل او ملل بتضميد جراح الاطفال والنساء والشيوخ الذين تهاوت عليهم القذائف المدمره<sup>١١٠</sup>والحارقة.

١٩٧٦/٦/١٣

عدت إلى المخيم بسيارة الارتباط بعد غياب يومين في بيروت، وحدثني يوسف عن إيفا الممرضة السويدية التي كانت تعمل في مستوصف الجبهة الشعبية في أول المخيم، والتي كات متزوجة من يوسف حمد مسؤول المستوصف من أعضاء الجبهة الشعبية، وقد سقطت قذيفة عليهم وهم نيام في الفراش، فاستشهد زوجها على الفور، وحيء بإيفا إلى المستوصف حيث عالجها يوسف بالتعاون مع الطبيين السويديين الذين كانا يعملان في الجبهة الشعبية . جاءت إلى لبنان تلبية لدعوة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، في عام ١٩٧٤، ورجعت إلى لبنان في ١٩٧٥ حيث عملت ممرضة في تل الزعتر وصار اسمها سميرة، وتزوجت المناضل يوسف حمد، مسؤول اللجنة الطبية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، في المخيمات الفلسطينية و في المخيم. أصيبت في ذراعها مما اضطرنا إلى بترها،عند الكوع واستشهد زوجها يوسف حمد من الخالصة، وقد قام الدكتور يوسف باللازم في غرفة العمليات.

١١٠ . حيث مع بهاء عبد الله في بيروت ٢٠١٥ .  
حكاييتي مع تل الزعتر

جاء الصليب الأحمر وحاول أخذها إلى السويد عبر جونية، ولكنها أصرت على البقاء مع الناس في المخيم، وكانت حامل في شهرها الرابع، ثم نقلت إلى مستوصف الجبهة، وبقيت هناك، ولكنها كانت سعيدة بحملها، وقلقة بشأنه، ولم تذرف دمعة واحدة.

كان يأتي إلى عيادة الجبهة الشعبية متطوعون من دول أوروبية، وكان في العيادة في هذا الوقت مجموعة من السويد، وكان يعمل فيها عند بداية الحصار طبيبان سويديان هما لارسن وزوجته الدكتورة أجنيثا، وعدد من الممرضين، وكان يقدم خدمة ممتازة في العيادة وتوفير الأدوية، وبقي المستوصف يعمل طيلة الحصار. قمنا ذات مرة بزيارتهم وكان أسلوب عملهم يختلف، وكانوا كما كنا مستهلكين في العمل.

أيضا كتبت بعد ذلك عن إصابتها واستشهاد زوجها" كان اللقاء في بيتنا القديم مشحوناً بالعواطف والأحاسيس، تعانقنا، وجلسنا على الأرض فترة طويلة وتحدثنا عن كل ما حدث وعن طفلنا الذي سنرزق به، وشعرنا بالنعاس، وتهيئنا لننام، ولكن علينا أن نختر بين المطبخ الحار جداً المليء بالبعوض، ولكنه كان مكاناً أميناً وبين برودة الطقس حيث غرفة غير مأمونة قد تكون هدفاً سهلاً لقذيفة مباشرة من الأعداء، وبعد نقاش قال يوسف: من المحتمل أن نموت الليلة، ولم أهتم بما قال فتلك عبارة أصبحت تردد على لسان كل فرد من سكان تل الزعتر. واستيقظت مذعورة ثلاث مرات في تلك الليلة على أثر انفجارات هائلة، الألوان الخضراء والحمراء، والصفراء، تختلط مع بعضها البعض، واشتعلت نار حادة قرب ساقي الأيسر، شعرت في حينها أنني ويوسف قد طرنا في الفضاء.

ثم ساد المكان سكون تام وخيم ظلام حالك على البيت وصرخت: "يوسف، يوسف" ولكنه لم يجب، حاولت أن أحرك نفسي باتجاهه لكنني لم أقدر، ذراعي اليمنى فقدت الحركة، فحاولت أن أحرك ساقي اليسرى لكنها كانت خاملة تماماً. حركت يدي اليسرى وأمسكت ذراعه وسحبته إلي وهزرتها، وصرخت "يوسف... يوسف" ولكنه لكم يجب، ولم يتحرك. وأدركت بعد لحظات أنني قد جرحت، غير أنني لم أشعر الألم. إنها الحالة التي تحدث عند الإصابة بشظايا القنابل، فعندما تصيب جسد الانسان شظية، فإنه لا يشعر بأي ألم في البداية، ولا يستطيع أن يقدر حجم الجروح. وزحفت إلى المطبخ بالسرعة التي أقدر عليها، وحين وصلت إلى هناك شعرت أن جروحي خطيرة: كانت ساقي مثنية ومطوية تحتي، وقد كسرت من عظم الفخذ. عندما حاولت أن أرفع ذراعي اليمنى، راحت تتدلى من أسفل الكتف بحرية، سمعت أصوات أنفاسي اللاهثة، بينما كانت الدماء تنزف مني كمياه تجري من الحنفية. كنت أصرخ طوال الوقت "يوسف.. يوسف" ولففت بيدي اليسرى طرف البيجاما حول ساقي المتدلية، لكي أمنع النزيف، وحملت بيدي الجزء المتدلي من ذراعي اليمنى إلى أعلى لأتمكن من السيطرة على توازني.

وفكرت مع نفسي وأنا مطروحة على الأرض التي امتلأت بالدماء. "ليس لي الآن شيء أعيش من أجله أكثر من ذلك.. لا شيء" وسحبت يدي التي كنت أضغط بها على طرف البيجاما، وتركت ساقي تنزف على هواها، ولكنني فكرت بالطفل الذي أحمله، واحتمال أن يكون يوسف ما زال حياً."



فأسرعت ولففت طرف البيجاما حول ساقي مرة أخرى. سمع الجيران صراخي ، فكسروا الباب وحملوني إلى مستوصف الجبهة، وحضر في الحال الطبيب السويدي "لارس" وطبيبان فلسطينيان، حيث أجروا الإسعافات اللازمة، ثبتوا الأجزاء المكسورة من عظامي بالواح خشبية. بعد حين لا حظت أن ذراعي اليمنى مبتورة من وسطها، وقلت للأطباء " ستقطعون الذراع، أليس كذلك؟" فأجابوني بحزن " سنحاول ألا نفعل ذلك" ولكنني هزرت رأسي بآس، لأنني أدركت أن الذراع مستحيل إنقاذها. وسألت الطبيب لارس : عليك أن تخبرني الحقيقة عن يوسف هل مات؟ " قال نعم فرحت أبكي ، لقد استشهد يوسف بشظية أصابته في رأسه من الخلف، ولكنه أيضاً كان قد أصيب بعدة جروح مهلكة. وأخبرت بعد ذلك أن قذيفة صاروخية سقطت على البيت عند النافذة التي كنا قربها تلك الليلة.

وبدأت أحسن بالألم، فأعطيت مخدراً ، ولم أفق إلا وأنا في غرفة العمليات، كان قد تجمع حولي عدد من الأطباء والممرضات والمعارف. وتحسست ذراعي اليمنى فلم أجد إلا نصفها، أما النصف الآخر ، فقد قطعوه. ورحت أبكي ولكنهم صاحوا بي جميعاً، ؛ لا تبك، عليك أن لا تبكي ، تشجعي وفكري بطفلك" ومضت على في المستوصف عشرة أيام ، كنت أحس بالآلام مبرحة، لأن الأطباء امتنعوا عن إعطائي أدوية مخدرة ، لأن ذلك كما شرحوا لي يشكل خطراً على طفلي." ١١١

١٩٧٦/٦/١٦

مقتل السفير الأمريكي في لبنان، ففي هذا اليوم كان سفير الولايات المتحدة الجديد في بيروت فرنسيس ميللوي ولم يكن مضى عليه في منصبه هذا سوى شهر، يرافقه المستشار الاقتصادي في السفارة روبرت وارنغ في طريقه لمقابلة إلياس سركيس الرئيس المنتخب ، والذي ما زال بدون صلاحيات، بانتظار نهاية

١١١ مذكرات إيفا ستول: تل الزعتر الرمز والأسطورة، أبو أحمد الزعتر ، ص. ٢٤٥ ، بيروت

ولاية سليمان فرنجية. وفي طريق المتحف، انحرفت السيارة عن خطها، واختفت. وبدأنا نحسب ما سيكون تأثير هذه الحادثة على لبنان، فهل يتدخل الجيش الأمريكي، والأسطول الأمريكي، هل هي مدبرة من اليمين لجر الولايات المتحدة للصراع؟؟ ربنا يستر.

١٩٧٦/٦/٢٠

لم نمن منذ أيام، القصف مستمر على المخيم، والانعزاليون يشنون الهجمات على أطراف المخيم ، اليوم هجوم شامل على محور الراعي الصالح. انتظرنا واستعدنا للجرحى القادمين.

وأتى الجرحى، ثلاث أصابات في الصدر، والنقيب بدر من جيش التحرير أصيب بشظية في رأسه، سطحية بسيطة. كان يقاتل على رأس الشباب من جيش التحرير حين اندفع الانعزاليون بين الأشجار يطلقون النار، ولكن الحرس تنبه لهم واستطاع استنفار جميع العناصر. خسر الانعزاليون من الدكوانة ما يقارب الأربعين قتيلاً، ولم نخسر أي مقاتل. الروح المعنوية للشباب مرتفعة جداً، النقيب بدر يبدو مرهقاً ونصحنه بالراحة.

الليلة وصل أدهم من المنطقة الغربية عن طريق الجبل، كنا جالسين في الإدارة بعد عملية متأخرة، الإدارة مليئة بصناديق الأدوية والأقمشة وأشياء أخرى كثيرة أحضرها الشباب من المصانع.

شربنا فنجان قهوة، وجعلنا نتسائل عن وصوله، كان قد ذهب إلى بيروت في بداية الحصار، وبدأنا نفتقده، مع اشتداد المعارك، نجا بأعجوبة بعد أن صودرت سيارته أثناء مروره في فرن الشباك.

فجأة دخلت حمدة، وأسرع الجميع يحيونها، قمت إليها أستقبلها، كانت تبدو منهكة، ولقد لبست الكاكي، وما زال الكلاشنكوف معلقاً على كتفها، وجلست تلتقط أنفاسها، كانت تحكي بهدوء كيف انطلقوا من بيروت يحملون السلاح

- والذخيرة، وكيف استطاعوا أن يتجنبوا الكمائن، وأن يصلوا سالمين، عشرة ساعات من المشي المتواصل في الجبل. قلت مازحاً
- كيف استطعت تحمل هذا؟؟
  - قالت بهدوء " لم يكن أمامنا خيار، لقد عارض الكثيرون قدومي، وخصوصاً أدهم، ولكنه لم يلبث أن لان أمام إصراري، أنتم لا يمكن أن تتصوروا شعور الشباب في المنطقة الغربية، الجميع يودون لو أتيح لهم القدوم إلى هنا، الجميع يتحرق شوقاً وحماساً.
  - لقد كانت الرحلة متعبة حقاً، وخصوصاً الحمل الثقيل مع الشباب، لقد أحضرتنا ثمانين كلاًشناً معنا، كلها جديدة، إن أدهم مجنون، لقد أصر على أكبر عدد ممكن، وقد وصلنا".
  - أين هو؟؟
  - في العمليات وأظن أنه ذهب ليستريح، ولكن سيأتي صباحاً اليكم، كان قدوم أدهم قد رفع معنويات الجميع، وسرعان ما انتقل الخبر في المخيم، خصوصاً وأن الهجمات تتكرر على جميع المحاور.

اليوم أحضروا جثة علي دعبس، كان في كمين في قرية المكلس عندما جاءت قذيفة في الكمين، حضرت عائلته، عمه كان صامداً. تذكرت الشباب، قبل يومين كنت في زيارتهم في الموقع، ورافقني علي في مصنع السجاد يدلني على الكحول الذي اعتقد أنه موجود هناك، كان مهتماً بالمستشفى، لقد وجد بعض لغات القطن، وأحضرها إلينا.

لقد طلبت من عمه قائد الموقع أن يبعث لي بشابين للتدريب على الإسعاف في المستشفى، وكان هو أحدهم. كان شاباً رائعاً يعمل بصمت ويتحرك بصمت، لم يكن يناقش أمراً، كان في السابعة عشرة من عمره يفيض حيوية وشباباً، وكان وسيماً، وجهه المحروق بالشمس، وعيناه الزرقاوان تشكل تناسقاً رائعاً. لم يأت ذلك اليوم للعمل في المستشفى، وأتى جثة هامدة. وقفت أمامه بصمت عاجزاً عن التفكير، ثم تركته إلى الإدارة ومعني عمه، وأنا أهذي بكلمات الصبر، اندفع أخوه عادل إلى غرفة الطوارئ بجنون ولحقته. كان يصرخ " علي قتلوك يا علي" وعندما رآه هداً، ثم تكلم بجد وتأثر "قسماً يا علي، لن يهدأ لي عيش، لن يذهب دمك هدرأ. أمسكته من يده وذهبنا إلى الإدارة، كان الجو خانقاً، وشربنا الشاي، وأبو عماد يحدثنا عن المحور، وكيف جاءت القذيفة واتجاهها، عادل لم يلبث أن ترك عائداً إلى المحور، فقد كان عليه مناوبة حراسة. وبدأ ضجيج النساء يملأ المستشفى، ونزلنا إلى غرفتنا، لأخذ قسط من الراحة. كلما فقدنا أحد الشباب، أشعر أنني فقدت قطعة مني، وليس سهلاً أن ترى شاباً معك في كل لحظة، ثم تراه أمامك وقد فقد الحياة، لا حراك فيه، تفتقد تلك البسمة، والحركة. المفروض أن يتعود الانسان على هذه المشاهد، ولكن الانسان يشعر بقيمة هؤلاء الأبطال عندما يفتقدهم. زميله الآخر كان من المفروض أن يحضر إلى التدريب، أصيب في يده اليسرى، جائي ينزف، لم يتكلم، ولم يشك من ألم، كان صامتاً، نظرت إليه وفهمته.

١٩٧٦/٦/٢١

لم أصدق النبأ، لقد استشهد عادل، تصورته أمامي، مرة أخرى بحركاته ، بطاقاته المتفجرة، كان يجلس صباحاً، بعد أن عاد من الحراسة في بيته يتلقى التعازي، عندما جاءه خبر أن الانعزاليين هاجموا محوراً عند المصانع، حمل الكلاشين، وانطلق. وحدثني أحد الشباب كيف بدأ يطاردتهم من بناية إلى أخرى، وحده، لقد كان بطلاً.

اندحروا أمامه، وسقط شهيداً ، وها هو مسجى أمامي. نظرت إلى سقف القاعة، رحمك الله يا عادل، كان قد صمم اللمبات المعلقة في السقف، وضع لها القاعدة بيده، كان أكثر الشباب التزاماً، وكان همه الوحيد هو البحث عن كل ما يفيد المستشفى. أذكر عندما رافقني ذات ليلة إلى المحور، يشرح لي المواقع العسكرية، يومها كانوا يشعلون بعض البلاستيك، كانت طريقة ممتازة أعطانا مجموعة كبيرة منها، ربما تنفع.

العائلة تجتمع مرة أخرى في الإدارة، وقد صمتوا من هول الحدث؛ البارحة علي واليوم عادل، أكثرهم تأثراً عمهم، وقائد المحور، لقد خسر مقاتلين شجاعين، وابني الأخ، بل ابنه هو. عرفت لأول مرة أن عادل متزوج وله ثلاثة أطفال. العمل ما زال مستمراً بجد في بناء القسم، النجار يعمل أيضاً رغم انقطاع الكهرباء، البراويز ركبت، ولكن الأبواب لم تجهز كلها، غرفة التمريض التي اقتطعناها من الطوارئ أصبحت ممتازة.

أصبح لدينا ثلاث غرف جديدة باتساع اثني عشر سريراً وغرفة تمريض ممتازة بالإضافة إلى غرفة عيادة جديدة، وغرفة طوارئ جديدة، فيها مكيف ، وإضاءة أفضل وغرفة عيادة ملحقة بها. فقط جميلة غير مسرورة بتغيير المختبر، الموقع الجديد لا يعجبها، لكنه يوفر علينا حركة المرضى بقرب الإدارة ومدخل العمليات. جلسنا في الإدارة في آخر الليل نحلل الوضع، عدة هجمات على جميع المحاور، وباستمرار، لا بد أن يحدث شيئاً، المقرر أن يخرج الجيش السوري، ولكن الأمور ما زالت غير واضحة، فبعد الخروج من بيروت وصيدا، يبدو الوضع أفضل مما هو متوقع. فهل يستمر الصمود؟

## ١٢- الحصار الأخير

اليوم، في الثاني والعشرين من حزيران 1976، فتح مقاتلوا حزب الوطنيين الاحرار معركة تل الزعتر بهجوم عنيف قاده امين الدفاع داني شمعون بنفسه مع قادة الحزب "ابو كمال" ورفاقه.

في هذه الأثناء، و قبل أن يمضي على نشوب المعركة بين قوات حزبي "الكتائب" بقيادة وليم حاوي و"الأحرار" بقيادة داني شمعون وبين الفلسطينيين زهاء 48 ساعة تدخل الشيخ بشير الجميل "قائد القوات اللبنانية" شخصياً في المعركة، على رأس قوة كبيرة من رجاله. وانضم الى المهاجمين، حراس الارز بقيادة إتيان صقر "ابو أرزة".

جسر الباشا وتلة المير ورأس الدكوانة ودير الراعي الصالح ، ومعسكر القيادة العامة تتعرض لقصف شديد ، والقصف مكثف على المخيم.

وقد سجلت غرفة العمليات المركزية للثورة الفلسطينية مايلي "المعارك حول تل الزعتر وجسر الباشا تزداد حدة. معارك ضارية حول تل الزعتر شملت تلة المير ومنطقة المصانع ودير مارروكز. أنه استرجع التلال ومنها تلة ال ٣٧، وأن الاشتباكات تدور في دائرة المخيم، كذلك يتعرض مخيم جسر الباشا لهجوم قوي من منطقتي تحويطة فرن الشباك وحرش ثابت.

وقدرت الوكالات المحلية والعالمية الحشود العسكرية بحوالي ٦٠٠٠ مقاتل مزودين بشتى أنواع الأسلحة.

القذائف تتساقط على المخيم بمعدل ١٦ قذيفة في الثانية. من مختلف العيارات. قذائف هاون، صواريخ أرض أرض، مدفعية الدبابات، ورشاشات من مختلف الأنواع الخفيفة والمتوسطة والثقيلة، من جميع المراكز الانعزالية في المنصورية والحازمية والفنار وفرن الشباك والبراد اليوناني والمنطقة الصناعية والدكوانة ودير مار روكز. كأنما السماء تمطر قذائف وصواريخ و استمر القصف بنفس الكثافة حتى منتصف الليل.

لقد سقط على المخيم في هذا اليوم حوالي ١٧،٥٠٠، قذيفة وصاروخ كما أذاعت الأخبار وتهدم نتيجة لذلك حوالي ٧٠٪ من المخيم.

كانت الخطة الانعزالية تهدف أنه وبعد القصف المتواصل لمخيم تل الزعتر وجسر الباشا، يتم التقدم الانعزالي على ثلاثة محاور كما أفاد أحد الانعزاليين من الشعبة ١٠٤ التي كانت مكلفة بالتقدم إلى منطقة جسر الباشا إلى جانب التقدم على جبهة المكلس ودير الراعي الصالح بهدف الاستيلاء على هذه المناطق وتضييق الخناق على مخيم تل الزعتر وبالتالي انكشاف المخيم أمام الانعزاليين ، فإما أن يسقط أو يستسلم.

جسر الباشا رد الهجوم الأول وصد.

لم يزعجني سماع القصف، خصوصاً وأنا في غرفتنا الآمنة تحت الأرض، ولم يكن هناك داع لنهوضي، خصوصاً وأن أحدا لم يزعجني ولم يطلب الطبيب. قمت



الساعة العاشرة، والقصف ما زال مستمراً. وصعدت إلى الإدارة، كان الكل هادئاً، ومختبئاً في الزوايا.

- دكتور ابتعد عن الشباك.

ولكنه كان منظرًا مغريباً، وقفت أعد القذائف المتساقطة أمامي، وأراقب كيف تتحطم بيوت التنك عند سقوط القذائف. وتسقط القذائف بمعدل ثابت.

بدأ القصف الساعة السادسة صباحاً، وقد كان الموعد مناسباً لنا جداً، إذ أن الناس اعتادوا أن يناموا في الملاجئ ولا يغادرونها إلا بعد وضوح النهار. حمدت الله أن القصف كان متأخراً، كان المخيم خالياً، والمستشفى خالياً إلا من المرضى والطاقم الطبي.

- هل أتى جرحي؟ سألت وأجاب أحمد عوض بلا مبالة

- ليس بعد. ، نظرت إليه، كان يبدو لا مبالياً، ولكن هذه طبيعته، فهو بارد الأعصاب دائماً. الممرضون تجمعوا عند الدرج، وسقطت قذيفة في المسجد، فوق الممر الجديد أمام الصيدلية، سقط بعض الإسمنت، ولكن شيئاً لم يحدث، سليمة. القذائف تتساقط حول المستشفى، البيوت بجانبه تبدو محطمة؛ ما هي الأخبار؟؟

- قصف جنوني، يقال أن هجوماً قد بدأ من جهة المكلس.

يبدو أن الشباب يتحركون باتجاه المكلس، بين القذائف والبيوت المحطمة، كان هجوماً كاسحاً بالدبابات والمشاة والقصف الجنوني، حدثني أحد الجرحى محمد حامد

- لقد هجموا علينا كالقطيع، كنت في الكمين عندما هجموا، وبدأت أحصدهم حتى نفذت ذخيرتي، وانسحبت من الكمين إلى موقع آخر، كان علي يحمل الآر بي جي، وتابعتنا القتال من موقع آخر حتى جرحت، وعلي جائته قذيفة أمامه فلم يعد يرى شيئاً، ووصل الشباب يساعدوننا.

لم يصل يومها سوى أربعة جرحى.

هل استشهد أحداً؟؟؟ سألت

- يقال أن محمد فريجة استشهد، الخبر غير مؤكد.

- أين سلمان وأدهم؟

- إنهما في المحور مع الشباب.

من جميع الاتجاهات، من الجبل ، من الحازمية والدكوانة. ومن سن الفيل وجميع المحاور جاء القصف على المخيم. لقد كان سهلاً أن نستقبل خمسة جرحى بعد ذلك القصف الرهيب، خفت حدة القصف ، وبدأت الأخبار تتضح.

لقد كانت النية حسب التصريحات الصحفية؛ احتلال المخيم في اليوم الأول.

امتص الشبية الهجوم الأولى واستشهد منهم ٨٠ شهيداً وبدأ الهجوم من الأحرار، ولما فشل الهجوم زادت معنويات الشباب، وبدأ إرسال الذخيرة من الجبل.

١٩٧٦/٦/٢٣

استمر القصف بشكل كثيف على تل الزعتر وجسر الباشا والقلعة وراس الدكوانة وبرج حمود والنبعة. وقد شن الانعزاليون هجوم على دير الراعي الصالح تحت غطاء ناري ومدعوم بالآليات ، وقد رده مقاتلوا جيش التحرير والجبهة العربية في ذلك المحور.

بعد الظهر شن الانعزاليون هجوماً آخر على المكلس والمصانع لكن القوات المشتركة صدتهم ودمرت آلياتهم. وقامت القوات المشتركة بالهجوم على حرش ثابت ودمرت مريض رشاش ٥٠٠.

لم يعد بإمكاننا الجلوس في الإدارة، بعد أن سقطت قذيفة في ذلك الجانب من الشارع، ووصلت الشظايا إلى الغرفة. مزقت حديد الشباك، واستقرت في مقعدي خلف الطاولة، وتكسر زجاج الطاولة، وهكذا تحولت الإدارة إلى مخزن، وجميع الممرضين والممرضات ينامون أمام الإدارة، وفي المختبر، وفي غرفة الممرضين بجانب العمليات.

أبو محمد فارس يتابع مراقبة الموتور الكهربائي الصغير في غرفة العمليات، كانت الإصابات خطيرة، إصابة في الصدر والذراع الأيسر. بهاء وفريال وفاديا جهزوا كل شيء ، من الصعب المحافظة على وسائل التعقيم وحسب الأصول، ومع ذلك نحاول قدر استطاعتنا.

تم إقفال جرح الصدر، وتوقف النزيف. الكهرباء تتوقف، وأصرخ " أبو محمد الضغط ٨٠ وضعت السماعرة على بطن المريض أسمع حشرجة رهيبية. عارف، شغل السكشن. عارف يعمل جهده، جميلة تحضر الدم. المريض يتصرف بعصبية، توقف تأثير البنج الموضعي، يوسف يدخل غرفة العمليات، أطلب منه أن يسمع صدر

المريض. أعطاه عارف المورفين. ينام المريض ، تختفي الحشرجة، يرتفع الضغط، يعود التنفس عادياً، يعرق المريض.  
فاديا تقف تحمل شمعة بيدها، ما زالت مضيئة ، الكهرباء عادت.  
لقد نفذ البنزين.  
الآن نتابع عملية الذراع، العرق يتصبب، أنظر إلى المكيف المعطل لانقطاع الكهرباء. بهاء، يود ، كحول، ويجري العمل ، عارف يقيس الضغط، باستمرار ويخبرني، بهاء تفهمني بدون كلام، فتصلي الأدوات اللازمة، فاديا خرجت لترتاح فقد كانت واقفة طيلة الفترة السابقة في العمليات مع يوسف.  
ما زال عندي بعض السجاير، أدخن بحرقه، كنت أجلس كالقتيل في غرفة الاستراحة على ضوء الشمعة.  
القسم تحت الأرض بدأ يمتلئ، أدخله بلباس العمليات الأخضر، أمر على الشباب أدون العلاج، الممرضون يعملون بصمت. أجلس في غرفة التمرريض، أمازح آمنة حسن التي عادت ، أدخن سيجارة.  
قسم النساء امتلأ أيضاً والرائحة تحت الأرض بدأت تسوء، والشمع المحترق يدخل الأنف. الطابق الأول لم يكتمل بعد، لكننا فرشنا الأسرة استعداداً لاستقبال حالات أكثر.

١٩٧٦/٦/٢٤

في الطابق الأرضي يجلس جمال في الزاوية بجانب الشباك، وعلى أذنه راديو تر-أزيستور، يستمع إلى- صوت الثورة، ويرفع- صوت الأنا-شيد الثورية- لتملأ المستشفى.

حسن غوز جاء بعد الظهر يقول؛ إن أحدهم حضر من جسر الباشا ورأى قوات جيش التحرير تتقدم نحو المخيم، تجمع حوله الشباب يستوضحون، ووقفت استمع للخبر، بدؤوا ينشدون ويهللون،

عبد المحسن جاء إلى المستشفى ، ما العمل؟؟ تناقشنا طويلاً، ثم ذهب ودعانا لحضور اجتماع القيادة المشتركة، جاءت إصابات كثيرة اليوم. فرقة الشبيبة أصيب معظمها، الممرضون يملؤون الباحة أمام الأقسام ويملؤون الممرات تحت الأرض، وغرفة التخدير بها إصابات الرأس، وبها هدوء خاص، الطوارئ انتقلت، موضع المختبر قيد الإنشاء. طاولات الكشف انتقلت إلى هناك بسرعة، وكذلك الأضواء، وموتور الكهرباء الصغير، وما بقي من بنزين كان ممدوح قد ادخرها. ذهبنا إلى الاجتماع يوسف وأنا ، مررنا على العمليات ورافقنا أحد الشباب إلى مقر الاجتماع في مقر "الديموقراطية" كان الظلام دامساً، ولأول مرة لاحظت أن الطريق تمر في البيوت، وقد حفرت الجدران ببعض البنايات لتصبح ممرات آمنة، ولا أعرف كيف وصلنا.

القائد الاخ أبو عمار يوجه رسالة إلى المقاتلين في تل الزعتر وجسر الباشا يحييهم على صمودهم في مواجهة القوات الانعزالية.

كانت جميع التنظيمات والأحزاب موجودة، وكان هناك عشاء زيتون وخبز وسردين، وكان هناك دخان وينستون من الجبهة الديموقراطية.

تكلم سلمان عن الوضع العسكري "نحن سنقاتل حتى آخر طلقة، هناك بعض الناس يدعون إلى التسليم، ما رأيكم؟؟ كان الجو يبدو يائساً. تكلم أبو الفهد ممثل القيادة العامة: " أنا قررت أن أقوم بعملية انتحارية، على طريقة رفاقنا في عملية الخالصة. الأفضل لنا أن نموت من أن نستسلم، الواقع أن القضية ليست قضيتنا كعسكريين، وإنما قضية النساء والأطفال، إن التموين لا يكفي، وكذلك الماء، سيصبح مشكلة. وتابع" ولكن القرار قرارنا ، أن نصمد أو أن نستسلم" تكلم أبو أمل من الجبهة الشعبية وكان متشائماً، وكذلك تكلم أبو الفدا من الصاعقة.

فتح الباب ودخل أبو الوليد (وهو أحد مقاتي فتح) يحمل إم ١٦ على كتفه، عاري الصدر ، يلمع من العرق، منكوش الشعر يده المقطوعة عند الساعد تشد جعبته على بطنه، شرب من الإبريق، وسقط الماء على صدره" لماذا تجلسون هنا؟؟

العدو يتقدم في كل المواقع، وأنتم جالسون، إنا أقول لكم إذا لم يتحرك كل طفل وكل رجل إلى الجبهة فلن تجلسوا طويلاً. وذهب بغضب، وتبعه بعض الشباب. ما رأي الأطباء؟؟ ونظروا إلينا. شرحنا الوضع الطبي ونقص الأدوية ونقص الأغذية. تطرقنا لإمكانية انتشار الأوبئة، إذا استمر القصف فهناك جثث في الشوارع، واستقر الرأي على إرسال برفية للقيادة عن الوضع في المخيم للمشورة. عدت ويوسف، أشعلنا شمعة وجلسنا نحلل الوضع، كيف نقاتل بهذه النفسية وبهذا الاستعداد؟ كان التعب قد أنهكنا وغفونا في انتظار إصابة جديدة. كان الهجوم مستمراً على المكلس ومحور دير الراعي الصالح. النقيب بدر يستشهد وهو من جيش التحرير الفلسطيني، برصاصة اخترقت إحدى فقرات رقبتة، ونقل إلى المستشفى، ولكنه ارتقى شهيداً. القصف الانعزالي لتل الزعتر أصاب الكابل الرئيسي الذي يغذي المنطقة بالكهرباء. وقطعت الكهرباء عن بيروت وكذلك المياه والهاتف.

١٩٧٦/٦/٢٥

أصيب أدهم وسلمان، كانا متجهين نحو محور المصانع مع مجموعة الشباب، عندما سقطت قذيفة هاون، أسرعنا إلى الطوارئ استقبل أدهم، نظفت الجرح، وإصابته في رقبتة. ثم نزل إلى غرفة العمليات ليرتاح قليلاً. وسلمان إصابته سطحية، وقد وضع له ضمادة وذهب إلى غرفة عمليات فتح. وبدأ الشباب يتوافدون ليطمئنوا. كانت إصابتهما ضربة معنوية لجميع الشباب، فقد اعتادوا أن يكونا معهم في كل هجوم، وأن يخططا لكل معركة. ولكن هذه الإصابة تعني بداية الانسحاب وهبوط المهويات، بالرغم من أنهما ما زالا يقودان المعارك من الفراش، فسلمان يجلس في غرفة اللاسلكي وأدهم في المستشفى يستقبلان قادة المحاور، ويتحدثان عن المعارك، ولكن عدم تواجدهما مع الشباب سيضعفهم معنوياً ولا شك.

القصف العنيف يستمر على كل محاور المخيم وتدمر ما تبقى من المنازل. الانعزاليون يحتلون ضيعة المكلس بعد هجمات مستميتة منذ الصباح ومقاومة شرسة من مقاتلي المخيم. والهجوم يستمر على مصانع المكلس.



صدر بيان عن حزب الأحرار يتحدث عن أن تل الزعتر قلعة محصنة تحوي مصانع ذخيرة وأسلحة فتاكة ، وأنه خال من السكان، لتبرير وحشية الهجوم، وتبرير فشلهم في اقتحامه.

مريضة مسلوخة الوجه وصلت وكانوا يعتقدون أنها ميتة، وحين وضعت علي طاولة الطوارئ، أمسكت يد خالد الذي انتفض وفزع وصرخ ، كان عارف، وبدأ يدخل القطن في فمها، أمسكت الوجه المنفصل عن الجمجمة بالملقط، ووضعت في مكانه، فبدأت ملامحها الانسانية، وبدأت العمل في إصلاح الوجه، كان أحمد عوض قد بدأ بتعليق المصل وخالد قد بدأ يقيس الضغط ، وجميلة تسحب الدم لمعرفة مجموعة دمها وتحضير الدم لها، نقلناها إلى القسم، ولم تعش طويلاً، فقد كانت الإصابات متعددة، والنزيف قوي لم نستطع السيطرة عليه. الفريق يعمل بكفاءة.

١٩٧٦/٦/٢٦

الهجوم مستمر من حرش ثابت باتجاه دير الراعي الصالح مع المملات والرشاشات والمعارك مستمرة في مدرسة الدير والقصف مستمر على جسر الباشا والمكلس . قيادة المخيم من جميع التنظيمات تحاول تطهير المكلس والهجوم يفشل نتيجة عدم الجدية في الموضوع.

وزير الخارجية المصري اسماعيل فهمي يحمل الطرف اللبناني القائم بالإعتداء على مخيم تل الزعتر ومناطق النبعة وبرج حمود تبعة هذه التصرفات، مشيراً أن مصر لن تقف مكتوفة الأيدي إذا استمر العدوان، ضحك أبو السعيد وهو ينقل الخبر، وأضاف- خلص يا شباب، فرجت.

أدهم يتابع تدريب الشباب في أي مكان ، في البيوت وفي الملعب، وفي المحاور، التي لا ينقطع عن زيارتها رغم إصابته. فكل همه هو أن يكون الشباب على معرفة بكل الأسلحة والاستعداد لأي هجوم، وهذا يرفع معنويات الشباب ويشعرهم بأهميتهم.

١٩٧٦/٦/٢٧

المخيم يتعرض لقصف كثيف من المناطق المعادية كالعادة، والهجوم يتكرر على محور الكنيسة المقابل لحرش ثابت، ويتقدم الهجوم دبابة مزودة بمدافع ورشاش ، ولاند روفر عليه رشاش وعدد كبير من المشاة . وقد صد الشباب الهجوم وردوهم خائبين.

استشهد أبو إبراهيم

كنت أقف في غرفة الطوارئ عندما جئني أبو هاني يلهث، وقد أصابه الهبل " دكتور، لقد استشهد أبو إبراهيم، وأبو مسعد، جئتهم قذيفة من الخلف فطاروا مع المضاد " نظرت اليه مهدئاً " هل أخبرت أحداً؟؟

- لا. أت لتوي من التلة.

- حسناً، أعطيته إبرة فالיום للتهدئة، وأمرته بالنوم لحظة. لا تخبر أحداً أبو هاني، استرح قليلاً.

نزلت إلى غرفة العمليات ، وجلست في الاستراحة. في الظلام، بقيت صامتاً أفكر في وقع الخبر الآن على المخيم، وتذكرت أهمية أبو إبراهيم.

كان قد جاء منذ يومين ونزل إلى غرفتنا رأساً، وقال بجد " لقد أصبت. ، هرعنا نتفحص الإصابة، إنها في العضل " كنت أنحني أنظف المدفع عندما جاءت الرصاصة من سن الفيل من الأمام، لقد أصابني اقناص ابن ال...

إنها ليست المرة الأولى التي يقنصون، ولكنها زبطت هذه المرة. تصور يا رجل وأنا أقف هناك طيلة المعارك، وأنا بجانب المدفع، ورغم كل القذائف التي سقطت حولي، والمدافع التي وجهت، يأتي هذا ال.. ويصيبني " ضحكنا لا تخبر أحداً أبو إبراهيم.

وقام، " أنا عائد ، جئت لأطمئن فقط."

ثم يحدثنا كثيراً على غير عادته هذه المرة، كانت إصابته خفيفة لم توقفه عن القتال، طلقة تحت الجلد ٣٠ سم ام ١٦ ، نخزة، وعاد للموقع بعد العلاج. وخرج كما جاء، ولم يشعر أحد بمجيئه.

كان أبو إبراهيم هو القديس الذي يحمي المخيم، وكان أهل المخيم يلوذون به عندما تشتد الأمور، وكانوا فخورين به. أم علي حمود تحدثني كيف أمسكها الكتائب في أوتيل ديو، وكادوا يقتلوننها، ثم سألتهم عن الرامي الصيني الذي يضرب على المضاد في التلة. ضحكت أم علي، وهي تحدثني عن عدم تصديقهم لها أنه أحد شبابنا، قالت لهم لا تظنوا أنه الرامي الوحيد، لقد أصبح جميع أبنائنا يرمون على المضاد.. وجاءت تحدثنا.

أبو السعيد يقول لإمرأة في المستشفى ، خافت أن تخرج نتيجة القصف المستمر: لا تخافي تقدرين أن تخرجي، وسنشغل المضاد خمس دقائق فقط، ويسكت الجميع" في حرش ثابت حمى انسحاب الشباب وأنقذهم. كم من مدفع أسكت، وكم ملالة أعطبت يا أبا إبراهيم . لا حظ الجميع صمتي ، وعدم مشاركتي لأي شيء، لم تمض خمس دقائق وجاء الخبر. انقلبت المستشفى رأساً على عقب، وخرجت من الغرفة على صوت العويل، كانت الممرضات يجلسن على الدرج المؤدي إلى العمليات يبكين بحرقه، نظرت اليهن، لم أتكلم، كان بودي لو أبكي، وذهبت إلى الطوارئ، كان أبو هاني قد ذهب للعمليات وأخبر الجميع.

جاء أدهم: أبو إبراهيم لم يمت. من الخائن الذي قال أنه استشهد، استشهد، وماذا في ذلك كلنا لها، نظرت اليه بصمت، أبو إبراهيم لم يمت.. جاءت أمنة عراقي فجأة ، وقد جفت دموعها. أبو إبراهيم لم يمت، كانت متعلقة به كابنته، وقد كادت تقتل نفسها عندما علمت بالخبر، ثم جاءت بضحكتها الطفولية وأخذت تروي للجميع، كيف أنه ما زال حياً، وكيف ذهبت اليه وشاهدته. وانقلب الحزن إلى فرح.

وإدار موتور الكهرباء ، يدوي وسط الظلام، كان تحدياً للجميع، وتدفق الماء من البئر، ومن جميع الحنفيات، الكل يعمل ويغني أغاني الثورة. طل سلاحه.

كان ماحدث سحراً، حملة نظافة في منتصف الليل، ونام الجميع إلى أن أبو إبراهيم لم يمت، بل لقد غرد المضاد طيلة الليل ليثبت للجميع أن أبو إبراهيم ما زال حياً. كان الجو متشابهاً، كان أبو عنتر يقلد رماية أبو إبراهيم التي لها وقع خاص يعرفه الجميع، وأبو عنتر هو الشبل الذي كان يعين أبو إبراهيم ويتدرب عنده. جلسنا بعد الحملة نأكل السرددين احتفالاً، وكانت أمنة معنا لا تفارقنا، فقد خفت عليها، وقد كانت رائعة، ثم حدثتنا كيف كانت على التلة، لم تشاهد شيئاً، لم يبق هناك شيء تراه، وأبو مسعد لم يكن موجوداً.

كان أبو إبراهيم من قوات اليرموك ، وهي قوات الجيش الأردني التي التحقت بقوات الثورة الفلسطينية عند الخروج من الأردن بعد معركة الأحراش، وتموضعت في الجولان، ثم انتقلت إلى جنوب لبنان فيما سمي بفتح لاند. وقد كانت في الفترة الأخيرة مرابطة في برج البراجنة، وتل الزعتر. ولم يبق في تل الزعتر منها سوى أبو إبراهيم رامي المدفعية مع مدفع الـ ٢٣ المضاد للطائرات. وأبو مسعد. أبو إبراهيم من منطقة رام الله. وكان لديه أشبال من المخيم يتدربون على صيانة المدفع وتجهيزه منهم أبو عنتر، وقد وضعنا في منطقتة نقطة إسعاف من الصبايا

لمساعدتهم في حالة القصف . كان منهن آمنة عراقي والتي تطوعت لذلك رغم  
بعد المسافة عن إقامتها.  
القوات الانعزالية تقصف مطار بيروت وتعطله .

١٩٧٦/٦/٢٨

سقطت تلة المير.  
كان سقوطها حتمياً بعد سقوط المصانع، وتلة أبو إبراهيم، كنا نجلس في المختبر  
عندما جاء الخبر.  
هرعت إلى شباك العيادة المطل على التلة أراقب الوضع، كانت القذائف تتساقط،  
وتجمع حولي بعض المموضات، كان علم الكتائب يرفرف عليها، وفجأة رأيت بعض  
الشباب يندفعون تجاه التلة، لم تمض دقائق ورأيت علم الكتائب يطير باتجاهه

حكايتي مع تل الزعتر

١٧٨

المخيم وغرس علم فلسطين مكانه. وفرحنا جميعاً. وتم دعم التلة بمجموعات قتالية جديدة وقامت القوات المشتركة ببناء بعض التحصينات. اندفع الناس باتجاه تلة المير يحملون ما تيسر بأيديهم من أدوات منزلية والرصاص ينهمر عليهم من التلة، ولكنهم واصلوا الصعود ، وولى المسلحون الأدبار. كان الشباب قد جاؤوا قبل قليل إلى المستشفى ليأخذوا علم فلسطين، لم ندر لماذا. عدنا إلى المختبر نبشر بالخبر، وهرع الشباب يتأكدون.

مرت لحظات، ثم جاء عبد المحسن منهكاً، سألناه عن التلة ، وأخبرنا كيف كانت جميع الفصائل مجتمعة في مقر الصاعقة ، عندما جاءهم الخبر، وسمعوا إطلاق النار على التلة، وهرع الشباب جميعاً لاستعادة التلة. كان سقوط التلة يعني تعطيل الحركة في المخيم من خلال إشرافها على جميع طرق المخيم، ويعني من جهة أخرى سقوط الحماية المتوفرة لجسر الباشا، من خلال وجود المدفعية تحت التلة مباشرة.

اليوم جئنا أبو نضال قائد المدفعية، وقد أصيب بساقه، حدثنا كيف دارت المعركة على التلة، وكيف أصاب علم الكتائب بالهاون وبعثره. كان يتحرك بين القذائف عندما أصيب، حمله أحد الشباب وانسحبوا، لم يصب أحد منهم بسوء، أجرى له يوسف اللازم، وانضم إلي زياد في غرفتنا، لأن جميع الأسرة في المستشفى أصبحت مشغولة. وهكذا أصبحنا يوسف وأنا مشردين، لم يعد لنا مكان ننام فيه. سقطت تلة المير ، وسقط جسر الباشا.

جاء الشباب يحدثوني كيف كان الهجوم. استطاع الانعزاليون التسلسل من الحازمية باتجاه ضيعة جسر الباشا ، واحتلال كنيسة الضيعة، ومعمل الحديد قرب الكنيسة وتنبهت عناصر المقاومة من مختلف التنظيمات فشنوا هجوماً معاكساً واستطاعوا رد الانعزاليين إلى الحازمية ، واشتد القصف على مخيم جسر الباشا وعلى تل الزعتر والقلعة، ولكن الانعزاليين كانوا يعيدون الكرة بهجوم آخر.

كان في منطقة القلعة ، جسر الباشا حوالي العشرين مسلحاً فقط من فتح. جاء بعض الجرحى. ابراهيم منشاوي، ومصطفى إكي. لم أراه عندما أتى ، ولا عندما ذهب، كان دوري في الراحة . كنت نائماً ، وحاول يوسف وأسعد أن ينقذاه، بدون جدوى، وكان مصطفى إكي ويبقى أسطورة ، بطلاً، أصيب أول مرة وجاء إلى المستشفى وأصبح صديقنا، يجلس في الإدارة يرسم الخرائط للتحصينات والدشم، يحمل مع الشباب موتور الكهرباء من قبو المستشفى إلى غرفة بعيدة عن العثرات والمواسير، يضحك عندما نحدثه عن كرة القدم، ويصبح إنساناً آخر، سافر إلى قطر بعد جراحه الأولى في فريق فلسطين لكرة القدم، وعاد يحدثنا. قاد العمل العسكري في جسر الباشا بصمت، وأصبحت دشمة مصطفى إكي الثابتة والمتنقلة تجمع الشباب يتفرجون عليها، جميع طاقم المستشفى زاره في دشمة وهو يشرح. الحديد والإسمنت والتراب، كيف كانت الطلقات تنعكس على قبة الدشمة وهي من الحديد، وكم قذيفة سقطت عليه في يوم واحد.

والدشمة تتصل بشبكة من الخنادق. كنت أراه يقفز في الملعب يدرّب الفريق،  
فريق تل الزعتر، فريق الكرامة.  
- إمي في غزة، أريد أن أراها، فقط أن أراها..  
كان يبكي يومها وهو مصاب في رأسه، ويطلب الطبيب ويحدثني عن أمه، ولكنه  
لم يرها..

١١٩٧٦/٦/٢٩

سقطت تلة المير، وسقطت معها الحماية للمخيم، الذي أصبح مكشوفاً تحت  
أنظار الانعزاليين للقصف والقنص، وهذا ما جعل الناس تتجه بشكل أكثر إلى  
الملاجئ المكتظة أصلاً بمن فيها، في راس الدكوانة، كانت الملاجئ تفتقر  
للخدمات الصحية العادية والتهوية، بالإضافة إلى نقص المياه.  
شن الانعزاليون هجوماً على منطقة القلعة وتمكنوا من السيطرة عليها انطلاقاً  
من جسر الباشا، بعدما سيطروا على تلة المير وأصبحت القوات المشتركة  
مكشوفة للمواقع الانعزالية المستحدثة، وقد استشهد معظم المدافعين عن  
جسر الباشا والقلعة وعلى رأسهم مصطفى إكي وغازي مطر، ومن بقي من  
القوات المشتركة التحق بتل الزعتر لیتابع النضال.  
أخبار الذبح في جسر الباشا بدأت تقلب الموقف حتى الأب بولص راعي  
الكنيسة في جسر الباشا والقلعة لم يسلم من الإهانة والضرب، وهو بلباسه  
الكهنوتي، واختلفت الروايات في مصير الممرضات في مستشفى القلعة، وكذلك  
مصير الدكتور جورج، ولكن الجميع يؤكد أن جميع الجرحى قد قتلوا في فراشهم.  
شهود عيان يروون كيف أشرف وليم حاوي على تصفية جميع الشباب من الذين  
بقوا على قيد الحياة، واعتدى المسلحون على الصبايا من سكان المخيم.<sup>١١٢</sup>  
مخيم جسر الباشا هو أحد مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وتأسس عام ١٩٥٢  
على مساحة تبلغ ٢٢٠٠٠ متر مربع، وسكانه من الكاثوليك الفلسطينيين الذين  
تهجروا من مدن حيفا، ويافا، وعكا.



١٩٧٦/٦/٣٠

القصف يستمر بشراسة على تل الزعتر وأصبح القصف يأتي من تلة المير والقلعة وسن الفيل وحرش ثابت أيضاً، فهذه المناطق احنلت وتقدمت فيها القوات الانعزالية.وتقدمت القوات باتجاه المخيم وعبادة الانروا ، وقد دمرت القوات المشتركة سيارة شفرليه مع مدفع رشاش ٥٠٠ ، وتم صد الهجوم. وزاد القصف قرب كنيسة الراعي الصالح وسقط عدد من الشهداء ، وفي هذا اليوم أعلنت الصاعقة حل تنظيمها العسكري وضم بقية العناصر المسلحة للجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين،وقد تسلمت المستودعات المركزية الذخيرة التي كانت بحوزتها. وشبت حرائق في عدد كبير من المصانع في المكلس، نتيجة القصف المكثف. شهداء المعارك أحضروا إلى المستشفى وقد تعرف الشباب عليهم ، وتم دفنهم بين البيوت قرب المستشفى.

الحرائق تشتعل في مصانع المكلس ناجمة عن القصف الشديد على جميع المنطقة من جميع المحاور.والسنة النيران تتصاعد وتشاهد من المنطقة الغربية.

١٩٧٦/٧/١

مشكلة الماء تتفاقم، فقد كان الانعزاليون يقصفون مصادر المياه الواردة للمخيم، بالتدريج، ولم يبق سوى ماسورة واحدة تركز القصف عليها، وأصبحت مصيدة للأهالي ، وخاصة النساء المسؤولات عن الموضوع، في غياب الرجال في المحاور القتالية، وقد حاولت فتح والجبهة الشعبية إخراج الماء من بئرين أحدهما في معمل البلاط، في جنوب غرب المخيم، وآخر في بئر حفرته منظمة التحرير ، وحاولنا في المستشفى سحب الماء من البئر الارتوازية المحفورة تحته، ولكن

كمية المازوت المطلوبة نفذت، وعدنا إلى نفس المشكلة، وبقيت ماسورة محور الناصرية هي المصدر الوحيد، وكانت المياه تصل هذا المصدر في الليل، ولذلك كان الناس يحاولون الوصول إلى هذه النقطة في الليل ويتدافعون ويشيرون الضجة، فانتبه الكتائب للموضوع وتمركز قناصهم في البنايات العالية المطلة، وكانت حصيلة الماء عدد من الشهداء كل ليلة بالإضافة إلى الجرحى من النساء والبنات والأطفال.

ويقول د. يوسف عراقي " رأيت بعيني الناس تتجه طوابير نحو مركز المياه ، والرشاشات مسلطة عليهم، وتحصد وتجرح عدداً منهم، ومع ذلك كانوا يستمرون ولا يتراجعون للحصول على المياه. كانت الإصابات في سبيل الحصول على المياه بمعدل ١٠-١٢ إصابة وأحياناً تصل إلى ٣٠ إصابة في اليوم. الماء بات يعني الاستمرار والحياة والصمود. مسألة فقدان المياه أثرت على الأطفال من جميع النواحي، من حيث النظافة والأمراض والتغذية. رأيت امرأة أصيبت إصابة بالغة في يدها بينما هي تملأ تنكها، ولكنها لم تتراجع، انتظرت حتى امتلأت التنكة ، فأحضرتها معها ، وهي ترفع يدها عالياً ، وقد عالجتها، وكانت إصابتها غير بسيطة."

قيادة المنطقة الشرقية تعقد اجتماعاً طارئاً وتتخذ قراراً بالصمود والتصدي حتى آخر رجل مقاتل في المخيم، وأخذت تقيم المتاريس في الشوارع وأمام الملاجئ والمنعطفات.

١٩٧٦/٧/٤

أصبح الخطر قريباً.  
اليوم هاجمت مجموعة انعزالية محور "الجبهة العربية" على طرف الشارع الرئيس إلى بيت مري، جائنا أول جريح لاهتاً يقول أن المحور قد سقط. كان وقع الخبر صاعقاً على الجميع ما العمل؟؟  
- دكتور ، أريد ورقة للتسليح لإعطائنا سلاح".  
وذهب محمود وأحضر ثلاث بنادق سيمينوف، صبحي وخالد وضعوا أكياس الرمل على مدخل المستشفى الشرقي. حسن حمل كلاشينكوف ، وجلس في الإدارة. الجبهة الجنوبية: أبو محمد فارس جلس في غرفة الطوارئ الجديدة ينتظر، كان القرار واضحاً، وجماعياً بمعنى الكلمة. توارد الجرحى، نزلت إلى القسم، أعرف أن إبراهيم يحتفظ بكلاشينكوف إلى جانبه  
- أعطني الكلاشن.

كاد بيكي، وبدأ يصرخ  
” تريدهم أن يذبحوني كالنعجة، لن إعطيك السلاح، دعهم يأتون، إحملونا إلى  
المحور، ونحن على استعداد للقتال“ ارتفعت الضجة في القاعة، وخرجت  
بسرعة، لم يكن هناك وقت للنقاش، ذهبت إلى الطوارئ كان الجريح يقف، ودمه  
ينزف، وأحد الممرضين ينظف الجرح.

أخذت بندقيته وخرجت، كنت بلباس العمليات، بنطلون أبيض فضفاض، وقميص  
أخضر، انطلقت إلى جبهة المحور، كانت أصوات الممرضين تتعالى بالصراخ. أن  
أرجع، لحقني طه

- إرجع يا دكتور من يعالجنا إذا ذهبت؟؟

مر الماو بمجموعة يحملون الآر بي جي. مشيت وسط الركاب، كانت أصوات  
الرصاص قد خفتت، وكانت قيادة المخيم قد أرسلت الإحداثيات للمدفعية في  
الجبل، الذي تعامل مع القوات الهاجمة. وكانت تشمل ملاقات ودبابات .

- دكتور إرجع، لقد سيطرنا على الموقف . وعدت، كان أدهم يحمل ذراعه  
المربوطة ويعطي درساً عسكرياً،

- إننا نستطيع أن نصمد في. هذا المستشفى شهراً، ولن. يستطيعوا دخوله. إلا  
على جثتنا.

لم يبق إذا أخذوا هذا المحور إلا أن يأخذوا المستشفى، مسافة لا تزيد عن  
الخمسمائة متر، نصفها الملعب ثم مائتي متر من بيوت المخيم حتى  
المستشفى

- المهم أن لا يدخلوا المخيم.

- ولكن أين دفاعنا؟ أين من يمنعهم من الدخول؟ هل تعلم أنه لا يوجد مقاتل  
واحد في هذه المنطقة؟

اتفقت ويوسف أن ناقش موضوع الحماية مع القيادة في العمليات، وخرجنا بين  
الأنقاض أحمل مسدس أدهم على وسطي، يوسف يحمل مسدساً أيضاً، نتوارى  
بعيداً عن القناص الرابض في التلة والآخر الرابض في أعلى بناية في القلعة،  
ويشرفون على كل الممرات. زنت رصاصة فوق رؤوسنا، اختبأنا لحظة ثم أسرعنا  
نقطع الطريق، لم أر هذه الطريق من قبل.

كان سلمان وعبد المحسن في غرفة اللاسلكي على اتصال بالقيادة، كنت  
منفجلاً

- أنا أفهم أن يسقط خط الدفاع الأول، ولكن أين الخط الثاني، والثالث والعاشر؟  
يجب أن يكون لنا لكل مرحلة خطة، ما هي خطتنا الآن؟؟ هل نتركهم يأخذون  
المحور، إذا أخذه يأخذون المخيم كله. أراهن أنهم الليلة سيحاولون مرة أخرى .  
أين دفاعنا؟ تكلمت بعصبية واندفاع، ولم يقاطعني أحد، وتكلم يوسف وتابع  
الهجوم، نظر سلمان اليينا بهدوء ظاهر، ولكن هدهو كان يخفي قلقاً، سأل عبد  
المحسن عن سيجارة، ثم قال بهدوء

- ليس عندي شيء أكثر مما فعلنا. لقد أرسلنا مجموعة، ووزعنا حراسات  
ليلية على طول المخيم، ليس عندي أكثر من ذلك، وقلت منفجلاً:

- لقد شاهدت على الأقل عشرين رجلاً في الطريق إلى هنا، يختبئون وراء  
مدخل البنايات وراء أكياس الرمل هل هي خطة؟ ورد سلمان بهدوء

- إننا لا نستطيع أن ندفع بكل قوتنا في معركة واحدة. لم أقتنع.

خرجت ويوسف ، وجدنا مجموعة من الشباب أمام الباب، وصرخت " لماذا تقفون هنا هكذا؟ هل تنتظرونهم هنا؟ أجاب أحدهم أن سلاحه معطل، أمسكت سلاحه الكلاشن ، وأطلقت النار في الهواء. تدافع الشباب وقد ظنوا أن مشكلة قد حصلت، ولكننا تابعنا السير إلى المستشفى.

لا بد من اتخاذ إجراءات ذاتية. جلسنا مع أدهم نضع الخطة، وناقش جميع الاحتمالات، واتفقنا على زرع الألغام في الطرق الرئيسية ، وإحضار صواريخ ٣,٥ بوصة ، وتجهيز مولوتوف كوكتيل، وبدأت ورشة العمل.

طه أحضر الألغام، وضعها في العمليات، الصواريخ نفذت في رأس الدكوانة، ممدوح في القاعة أمام الإدارة يعد المولوتوف بزجاجات المصل ، يساعده خالد وعلي وحمادة. فرقة الطوارئ الجاهزة لأي عمل في أي مكان ، أعمارهم لا تتجاوز السادسة عشرة عمر وخالد وعلي وحمادة اثنا عشر سنة فقط.

وبدأت الزجاجات تصطف أمام الخزانة ، ممدوح يعمل بكل هدوء واحتراف. النجار وابن التنظيم، وابن الهلال، رجل المهمات الصعبة والعمل المتعب، أدهم وطه في العمليات يضبطون الألغام.

كان الليل جميلاً، والقمر يسطع نوره على المخيم، ينير كل الأزقة والطرق، تجولت بين الجرحى، ومررت على الحراسات الليلية والتقيت يوسف في القاعة.

- إذا كانوا ينوون الهجوم فعلاً، فإنهم سيفعلون ذلك في الصباح. وأجبتة:
- ما رأيك بإخلاء المستشفى؟
- ولكن إلى أين؟

نزلنا إلى العمليات حيث أدهم، وقد أنهكته الحركة، وبدأ الإرهاق عليه، وتناقشنا في الموضوع.

ذهب ممدوح وحسن غوز إلى عمليات القيادة، وعادا بعد فترة يقولون - وجدنا عدة غرف يمكن وضع الجرحى فيها والأهالي مستعدون لاستقبالهم.

- لا يكفي لجميع الجرحى، ربما لو أتيت معنا يا دكتور، لاستطعت إقناع الناس بالبحث أكثر، وهناك غرفة لا ندري إن كانت تصلح؟

وخرجت أحمل الكلاشن، انتقل بين الخرائب في ضوء القمر، كانت غرف معقولة، وجدنا غرفتين آخريين، غرفة لم نأخذها، لأنها معرضة للقنص، طريقها آمنة، كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة، والقمر ما زال ساطعاً.

- بعد قليل سيغيب القمر ونستطيع التحرك بشكل أفضل.

- جهزوا الحملات والسلاالم، ويبقى الجميع في انتظار غياب القمر.

وجلست في القاعة متعباً، استمع إلى تعليقات الشباب، أخبار المعارك، والشهداء والجرحى، كنت أشعر أننا في سباق مع الزمن، وقد أصبح وضع المستشفى مقلقاً، أصبح هو الخط الأمامي.

عندما غاب القمر كانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل، وبدأ الشباب يحملون الجرحى على الحملات، وعلى الظهور ، والسلاالم، وبدأت القافلة تتحرك وسط الظلام إلى المقر الجديد، البنات يحملن التجهيزات اللازمة والأدوية لترتيب غرفة الطوارئ الجديدة ، في مقر الحزب التقدمي الاشتراكي.

كنت أقف على باب المستشفى أساعد الشباب، وحملت أخيراً أحد الجرحى على ذراعي مع مصطفى، كان مصاباً في فخذه، وعدت ونزلت إلى غرفتنا، كانت

الأخوات يحزمن الملابس التي نحتاجها وحملن الأغراض إلى بيت أبو السعيد والد بهاء المرضة في العمليات على الطريق إلى المقر الجديد. وفي أقل من ساعتين تم نقل الجرحى والمعدات، بما فيها معدات غرفة الطوارئ واتخذ مركز رئيس في الطابق الأول ما بين رأس الدكوانة والمخيم، حيث تم تجهيز غرفة عمليات ، وغرفتين للعناية الفائقة، غرفة للرجال وآخر للنساء، بالإضافة إلى غرفة للراحة يستعملها الكادر الطبي. كما أعد الأهالي ١٢ مركزاً للجرحى في الملاجئ، وكانت الحالات تعين ثم توضع في غرفة المراقبة، وبعد زوال الخطر، يتم تحويله إلى إحدى النقاط. كانت بنات اتحاد المرأة يأتين بلفات القماش المقصوفة على شكل ضمادات، من أنواع مختلفة من القماش، وأفضلها كان القماش القطني من الشراشف ولكن كان هناك أقمشة اصطناعية من الديولين والنايلون، وكان لكل استعماله، تركنا مرضى الغرغرينا في المستشفى، وبقي محمد فارس والممرض محمود شحرور والحراسات. كانت الساعة تقارب السادسة صباحاً عندما جلسنا يوسف وأدهم وأنا وبعض الشباب في بيت أبو سعيد والد بهاء نشرب القهوة وننظر إلى الأطفال النيام، وكانت المفاجأة، لقد قدم لنا أبو سعيد بعض السجائر، وشعرت بحيوية جديدة، رغم الإرهاق وعدم النوم، ولكن سيجارة وفنجان قهوة كانا يعنينا الكثير.

كان أيوب يقف في الطوارئ يفرز الدواء في الخزانة بعد أن رفع المكتب منها - وهنا الصيدلية، وفي الزاوية الأخرى المختبر.

كان نزار وجميلة قد حملا أدوات المختبر اللازمة، ما يمكن استعماله من أكياس الدم والشرايح رتبها على الطاولة ، وأصبحت جاهزين لسحب الدم، وإعطائه، فريال وفاديا وبهاء وعارف أحضروا أدوات العمليات والشراشف وكل ما يلزم، لم تمض ساعات حتى جاء الجيران يريدون أدوية لأطفالهم، ومضى أيوب بسرعة إلى المستشفى وأحضر ما يلزم للإسهال سلفات وأسبرين وغيره. القصف مستمر على المخيم، وعصر هذا اليوم شن الانعزاليون هجوماً كبيراً معززاً بالآليات على محور الراعي الصالح، بعد تمهيد بقصف كثيف على المنطقة، وتصدت لهم القوات المشتركة ودمرت ثلاث آليات دفعة واحدة، وكبدتهم خسائر فادحة في الأرواح، وتراجعوا مرة أخرى. كما شنت القوات المشتركة هجوماً على تلة المير حيث استعادتها.

١٩٧٦/٧/٦

البارحة كان هناك قصف مدفعي كثيف على رأس الدكوانة تمهيداً لهجوم قوات تجمعت في دير مار روكز واستطاعوا دخول بعض البنايات على أطراف رأس

الدكوانة ، لكن القوات المشتركة صدتهم، ثم شنت هجوما معاكساً مما اضطرهم إلى التراجع.

البارحة تحدثت الأبناء عن مساعي للصليب الأحمر الدولي لإخلاء الجرحى من المخيم، ولكن الانعزاليين أطلقوا النار على السيارات وأجبروها على العودة. خاب أمل الناس والجرحى خاصة.

وصلت الليلة مجموعة من مقاتلي فتح من مجموعة صقر مجاهد، (وكان مسؤولاً عسكرياً سابقاً عن المخيم) هذه الليلة إلى المخيم عن طريق الجبل ، مروراً بالمنصورة، وقد أصيب قائد المجموعة نادر واستشهد معه بعض المقاتلين، وبقي في المخيم حتى سقوطه. حدثنا نادر عن صعوبات الطريق، وعن إمكانية إحضار المزيد من القوات عن طريق الجبل.

محاولات الانعزاليين التقدم في محاور دير الراعي الصالح ومحور الصاعقة، وقد أتانا بعض الجرحى المدنيين جراء القصف المستمر. وقد تعاملت مدفعية الجبل مع القوات المهاجمة.

١٩٧٦/٧/١٠

الجبهة الشعبية تستعيد دير الراعي الصالح بهجوم من ثلاث جهات و استشهد في العملية مجموعة من الرفاق، ولكن الانعزاليين شنو في اليوم التالي هجوماً معاكساً واستطاعوا احتلال الدير مرة أخرى. وأصبحوا يتحكمون بشوارع المخيم.

المعنويات ارتفعت، ومنذ أيام لا أستطيع النوم، أجلس منذ منتصف الليل في الاستقبال، حيث نشرب الشاي، ونتحدث، حسن غوز يأتي باستمرار بعد انتهاء دوامه النهاري في نقطته الخطرة، ويمضي الليل في الطوارئ، يسهر مع الأخوات هناك على ضوء الشموع، ليست عادية تلك الشموع، إنها قطع من الشمع الخام، توضع في علبة سردين قديمة، وتوضع قطعة من القماش فيها، تبقى مشتعلة، والشمع متوفر حتى الآن، يأتي به الشباب، فقد وجدوه في أحد المستودعات، ولا ينسى أحد المستشفى والنقاط الإسعافية، فهي مزودة دائماً بحاجتها. بل إن الأخوات في التنظيم يصنعن الشموع بقتيل ويحضرنها إلينا جاهزة مثلما يحضرن اللفافات



المصنوعة من كل شيء ، ما عدا الشاش ، والقطن، ومصنوعة من الديولين.  
زينب أحضرت لنا مجموعة كبيرة اشغلتها مع الأخوات في نقطة التموين.  
الهجوم الخمسين على المخيم.  
الانعزاليون يركزون هجومهم على المنطقة الغربية من المخيم ، على دير الراعي  
الصالح ، ومستودع جورج متى اللذان تحولوا إلى ملاجئ للمدنيين الهاربين من  
القصف والذين تهدمت بيوتهم. والقصف يستمر ساعات طويلة، وقد فشلت  
محاولة أولى لاحتلال الدير أو أجزاء منه، ولكن هذه المرة نجحوا في احتلاله.  
وأصبحوا على بعد عشرات الأمتار من منازل المخيم.  
في هذا اليوم تسلمت مجموعة من فتح إلى مطبعة الأمبا وزرعت فيها عبوات  
ناسفة انفجرت ودمرت جزءاً من البناء على رأس الانعزاليين الذين كانوا يمارسون  
عملية القنص ضد سكان المخيم.  
البارحة استطاعت مجموعة علي سالم فتح ثغرة في ملجأ جورج متى، حيث تم  
إخراج المحاصرين في الملجأ، ونقلهم إلى المخيم ، لإنقاذهم من مجزرة تشبه  
مجزرة البنايات المجاورة.

### ١٣- بناية قدوة

١٩٧٦/٧/١٣

الكتائب تشن الهجوم الرابع والخمسين على محور رأس الدكوانة بعد أن مهدوا  
له بقصف مدفعي عنيف وتسلمت مجموعة من الانعزاليين واستطاعت الوصول  
إلى رأس الدكوانة، إلا أن القوات المشتركة تصدت لها واستطاعت إفشال  
الهجوم.

وفي نفس اليوم شن الانعزاليون الهجوم الخامس والخمسين على محور  
مدرستي جنين وناصر قرب جورج متى ودارت معركة قاسية وجهاً لوجه ولكن  
القوات المشتركة بقيادة علي سالم استطاعت صد الهجوم الذي كان على  
رأسه رئيس المجلس الحربي الكتائبي وليم حاوي الذي سقط قتيلاً ، وكان يقود  
٢٣٠ عنصراً من الفرقة ١٠٤ ، من الكتائب، كما سقط قائد الفرقة كارلوس  
اسطفان قتيلاً في نفس المعركة.

وليم حاوي،

سياسي لبناني كان أحد أبرز قيادي في حزب الكتائب ومن مؤسسيه، قبل أن  
يلقى حتفه أثناء معركة مخيم تل الزعتر في الحرب اللبنانية. ولد وليم حاوي في  
نيويورك لعائلة لبنانية من الشوير في المتن الشمالي.

أنشأ مصنعاً للمرايا في ساحة الدباس ثم انتقل إلى منطقة جسر الباشا. مع  
اندلاع الحرب في لبنان سنة ١٩٧٥، تحولت ناحية جسر الباشا إلى منطقة  
يسيطر عليها الفلسطينيون المتواجدون في مخيمي جسر الباشا وتل الزعتر،  
وأصبح المعمل مكاناً رئيسياً لارتكاب المجازر من قبل الكتائب ضد العزل من

الفلسطينيين . دخل المقاتلون الفلسطينيون إلى المعمل، و قاموا بطرد المجرمين منه و تدميره في معركة حرش ثابت.  
قتل وليم حاوي رئيس المجلس العسكري الكتائبي امام بناية قدوره وهو المبنى الملاصق تماما لمؤسسة جورج متى من الجهة الغربية، محتفلاً بنصره في احتلال دير الراعي الصالح.  
وقد قتل عن طريق الصدفة لان الشبل الذي اطلق النار لم يكن يدري ان بينهم وليم حاوي وهو شاب صغير لا يتعدى عمره خمسة عشر عاما كان ذاهبا لرؤية اهله في ملجأ بناية قدوره المقابلة. وقد سمعنا بعد ذلك أن وليم حاوي كان يحاول تجنب مذبحه في تل الزعتر يعد لها بشير الجميل وأعوانه.

وكردة فعل على قتل قائدهم العسكري وليم حاوي ، فقد قامت مجموعة من حزب الكتائب (فرع أهمج) وهي بلدة لبنانية في كسروان، بالهجوم على بناية قدوره المؤلفة من خمسة طوابق واخرجوا سكانها من الاطفال والنساء اللذين كانوا يختبئون في ملجأ المبنى وقاموا باعدامهم جميعا وهم 65 خمسة وستون فردا من العائلات التالية، كما حدثني معين السعيد أحد الناجين من المجزرة: عائلة محمد السعيد وهم اهلي واخوتي، عائلة صادق بلشه وعائلة أخيه، عائلة محمد قدوره، عائلة الأسمر وهناك عائلات اخرى لا اذكر اسمائهم حاليا، مع ملاحظة انني قد قمت شخصا بسحب ستة وخمسون جثة منهم وتم دفنهم جميعا في حفرة امام مدرسة ناصر التابعة للانروا وهي خلف مؤسسة جورج متى للمفروشات . بعد ان تعذر على اهالي الشهداء الحضور لخطورة المنطقة.<sup>١١٣</sup>

اليوم وصلت مجموعة من فتح إلى تل الزعتر عن طريق الجبل، وستذهب مجموعة لجلب المزيد من المقاتلين، المعنويات تتحسن، والاستعداد للمقاومة يتعزز.

وجه أهالي المخيم برقية إلى وزراء الخارجية العرب المجتمعين في القاهرة وصفوا فيها الصورة الحية لمخيم تل الزعتر المحاصر، وصعوبة الحياة والقصف المستمر. ولا حياة لمن تنادي.

<sup>١١٣</sup> معين السعيد في حديث خاص ٢٠١٥.

المجموعة من الشباب التي حاولت الذهاب عبر الجبل لإحضار الذخيرة رجعت ولم تستطع المرور عبر المونتي فيردي، فالحصار يزداد إحكاماً. وجميع المنافذ مغلقة ويسيطر عليها الانعزاليون.

المعنويات تتأثر كثيراً بالأخبار، حتى أصبح الكثيرون لا يسمعونها. أنا شخصياً لم يعد يهمني ماذا يحدث، الذي يهمني هو الصمود، كيف نستطيع تعبئة الجماهير لتصمد أكثر، ولنفترض أسوأ الاحتمالات.

أبو السعيد أورفلي أصبح متشائماً أكثر من ذي قبل، وأصبح هادئاً، لا شك أنه تأثر بنزع صلاحياته، ولكنه ما زال كريماً ورائعاً، هذا الصباح جائني عند الفجر، ودعاني إلى فنجان قهوة في بيته الذي يبعد حوالي عشرين متراً، وقبلت بعد إلحاح، بالإضافة إلى رغبتني الشديدة في احتساء القهوة، والله يعلم منذ متى لم أذوقها.

- لا تدخل هذه الغرفة فهي معرضة للقنص من جهة القلعة. كانت فارغة وقد تجمع الأولاد في الممر، وبين الأثاث المكوم. كانت أم السعيد قد عادت لتوها من الماء، رحبت بي، وقدم لي أبو السعيد سيجارة قمبز، ودخنت لأول مرة، لقد فضلت طيلة الفترة أن لا أدخن القمبز لرائحته. والحديث الذي سمعته أنه يدوخ، ولكن فنجان القهوة كان يغريني بالتدخين. تجمع الجيران أيضاً، وفوجئت بأحدهم يقدم لي سيجارة مارلبورو، نظرت إليه أكاد أرفضها أدباً، ودارت السيجارة على الجميع، شعور جميل أن تدخن في مثل هذه الظروف سيجارة حقيقية، ومع أنني أكره هذا الصنف من السجاير، إلا أن هذه السيجارة لها طعم آخر. وخرجت من الممر أقطع الطريق مرة أخرى، ولاحظت أكياس الرمل أمام البيت، كما لاحظت الحراسات التي لم ألاحظها ساعة دخولي. وجلست خلف أكياس الرمل أمام الطوارئ، أردت تحيات العائدين من الماء. بدأ القناص على التلة عمله باكراً، أزت رصاصة في الحائط المقابل، أسرع المارة، ودخلت أطفئ الشمعة المشتعلة في الممر، في غرفة الطوارئ، والتي هي بمثابة غرفة العناية الفائقة، كانت الممرضة نهاد تجهز إبر البنسلين الصباحية للجرحى، وبدأت الأخوات ينظفن الغرفة والممر، والمدخل الذي لا يكفيه ماء المخيم كله، فقد بدأ الدم يجف على الأرض ويختلط بالغبار ليكون طبقة سوداء على البلاط.

دخلت الغرفة -الإستراحة- لعلمي أنام قليلاً قبل أن يتوافد الجرحى، ولكن الغرفة كانت مليئة، ولا مكان حتى لموطئ قدم. كان الجميع ينامون بعضهم بجانب بعض، إخوة وأخوات، وفي الغرفة الصغيرة يجتمع ما يزيد على العشرة أشخاص بالإضافة إلى أثاث الشقة كله.

وهكذا خرجت مرة أخرى، ولم يطل انتظاري، فقد توافد جرحى الماء، وبدأ العمل، وقفز النيام كأنهم مستعدون.

- لقد قصفوا التجمع عند ماسورة الماء لصغيرة، لقد استشهدت ام ابراهيم، إصابة في رأسها، هل نحضرها؟  
- ماذا تنتظر؟ كان أحدهم يحمل الحمالة الموجودة في المدخل، ويندفع في الطريق ملتصقاً بالحائط خوفاً من القناص.  
كان الانعزاليون قد بدؤا يقصفون مصادر الماء والمواسير المؤدية إلى المخيم من الدكوانة، وأصبح عدد المواسير يقل بالتدريج، وعادة تندفع النسوة لإحضار الماء من الماسورة المفتوحة، فيحصل تجمع كبير للنساء، مما يسهل مهمة القناص الذي كان يراقب المخيم ويرى توجه الناس وتجمعهم، وكانت الإصابات يومية، ومتعددة، وكانت هي مصدر القلق الأكبر في المخيم في آخر أيامه.

أزمة النفايات تتصاعد في المخيم، فالنفايات تملأ الشوارع وأزقة المخيم كما أن هناك جثثاً ما زالت مكشوفة وبدأت تتعفن، وقد قام الشباب من التنظيمات الشعبية بالعمل على دفنها بين البيوت أو في داخل البيوت حسب الحالة الأمنية وهدوء القصف، وكان أكثر الجثث قرب المستشفى حيث دفنت في البيوت، وقد حدثني أحد الشباب أن عدد الجثث قد زاد عن المائة شهيد.  
جرحى الفرغرينا ما زالوا في المستشفى يرعاهم محمود شحرور ويجلب لهم الطعام والماء بالإضافة إلى مساعدة الأهالي.

١٩٧٦/٧/١٦

في هذا اليوم جرى اتصال بين الممرضة السويدية إيفا ستول (سميرة)، زوجة المناضل يوسف حمد من الجبهة الشعبية، وبين الصحفي السويدي أندرسن هاسول، ومراسل الأسوشيتد برس، محمد سلام، عبر جهاز اللاسلكي. كان الصحفي في القيادة المركزية وكانت إيفا في تل الزعتر، وجرى الحديث باللغة السويدية. قالت سميرة " إن ألف جريح يعانون سوء الأوضاع الصحية والغذائية داخل المخيم نتيجة الحصار والهجمات الانعزالية التي يقوم بها الفاشيون " وقالت سميرة أن يدها بترت وأن رجلها كسرت وذلك خلال القصف اليميني الانعزالي على المخيم، واستشهد زوجها وهو معها، ثم قالت إيفا أن ٤٠٠ مواطن من سكان المخيم وغالبيتهم من المدنيين قد استشهدوا خلال الأربع والعشرين يوماً الماضية، وذلك بسبب القصف الوحشي والحصار التمويني والطبي على المخيم، وأنه يوجد في المخيم إثنين من المستشفيات تحت أوضاع سيئة للغاية، وذلك

لفقدان الأدوية فيهما. وناشدت بهذه المناسبة منظمة الصليب الأحمر الدولي أن تبذل كل ما في وسعها لإخراج الجرحى من المخيم، ثم وجهت حديثها للصحف السويدية. ومراسل- الأسوشيتد برس عن- مدى صمود المخيم قائلة "إنهم لا يبدوون أقل تصميماً في الدفاع عنه، إن سكان المخيم والبالغ عددهم حوالي ٣٠ ألف نسمة معظمهم من المدنيين الأطفال والشيوخ والنساء، إن نحو ٤٠ ألف قذيفة قد سقطت على المخيم خلال الإزبع والعشرين يوماً ، خلال الحصار المفروض عليه. وعندما حاول الصليب الأحمر إخراحي من المخيم في السابق إلى جونية ومنها إلى خارج لبنان، رفضت ذلك مع الفريق الطبي السويدي، ولو أنني غادرت المخيم إلى جونية لكنت الآن في عداد الأموات، إنه يصعب تخمين مدى صمود المخيم، ولكن يبدو أن المخيم يستطيع الصمود لفترة أخرى" إن الوضع خطير ، ولكنه ليس ميؤساً منه، إن الدكتور لارس سيدمان وزوجته الدكتورة أغنيتا العاملين في المخيم لمساعدة الجرحى، هما بخير ويعملا داخل مستشفى الجبهة الشعبية ، وليس لديهما وقت للقدوم والتحدث من خارج المستشفى، إنني أطلب من الحكومة السويدية أن تضغط على السوريين لوقف الهجوم على المخيم (وكالة الأنباء الفلسطينية وفا ١٦/٧/١٩٧٦) ١١٤



١٩٧٦/٧/١٧

أصبح موضوع تأمين الماء من أولويات القيادة والناس في المخيم، وزادت ضحايا الماء بشكل جنوني، من النساء والأطفال ، وهم الفئة المسؤولة عن تأمينه في ظل انشغال الرجال في جبهات القتال، ولم نستطع تحمل هذا الاحتقار للانسانية، واستغلال ضعف النساء والحاجة الملحة للماء لجميع أمور الحياة. ولم نجد أمامنا سوى توجيه نداء إلى الضمير العالمي وإلى الصليب الأحمر الدولي ، وسائر جمعيات الصليب والهلال الأحمر ، باسم الطاقم الطبي في المستشفى نستصرخ فيه الضمير العالمي لإنقاذ مئات الجرحى الذين بدون ماء أو دواء ويموت بعضهم بشكل بطئ ، بسبب نفاذ الدواء والأربطة، والذين هم في معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ.

ولكن لا حياة لمن تنادي..

الليلة تعرضنا لقصف شديد سقطت إحدى القذائف فوق البناية مقر الطوارئ، وكنت نائماً قرب الشباك، عندما صرخت من الألم، لقد أصابتنى شظية من القذيفة، في قدمي واستقرت في أخمص القدم ، لم تنزف كثيراً، ولم تسبب ألماً شديداً، فقامت بوضع لفافة عليها وبعض الماء والملح لتطهيرها، ولبست حذائي العادي، وكأن شيئاً لم يكن، ولم يعرف أحد بالإصابة، وقد بقيت الشظية سنين طويلة حتى تمت إزالتها في عمان عندما بدأت بالتحرك وتسبب الإزعاج. لقد تجنبت إزعاج الإخوة في العيادة، كما تجنبت انتشار دعاية أن الدكتور قد أصيب، ولم أذكر الحادثة لأحد. ولم يعلم بها أحد. حتى استئصالها في عمان بعد سنين.

١٩٧٦/٧/٢٠

قيادة المخيم ترسل برقية إلى قيادة الثورة في بيروت الغربية بقرب نفاذ الذخيرة ،بدأ القلق يتسرب إلى نفوسنا، حول مدة صمود المخيم المحتملة. وأن المخيم تهدم بمجمله و أصبح ركاماً . وقد سقط البارحة حوالي عشرين شهيداً وجريحاً على مصيدة الماء وحدها.



وقد شن الانعزاليون هجومهم الثامن والخمسين على المخيم، مهدوا له بقصف استمر حوالي ست ساعات، وهجموا على تلة المير وجورج متى، ولكن المقاومين صدوهم، واستشهد عدد كبير من القوات المشتركة.

كان للأسناد المدفعي من الجبل دور مهم في صد الهجوم، فقد كان واصف عريقات على المدفعية يستعمل إحدائيات قريبة جداً من العدو، أنه قناص بالمدفعية، يصطاد بمسافة قريبة جداً من الجبهة. وكان هذا عاملاً مهماً في توفير الذخيرة المتناقصة لدى جميع الفصائل.

كنت أسهر في المدخل بعد أن أفرغت غرفتنا، ووضع فيها الجرحى، وانتقلنا إلى الغرفة الداخلية الصغيرة، وفيها حسن كركبا، لا يهدأ من الصراخ، كسر في ساقه، بحاجة إلى الدم، أخذ وحدتين، ومازال ينزف من العظم، ويصرخ، وضعنا له سريراً وجبائر، لم يعد هناك أقوى من الأسبرين، وبجانبه مصابة تئن من إصابة في الرأس، وقد أصبحت تهذي، وتشد ملابسها، فينكشف صدرها لتسرع فريال إلى تهدئتها، وتغطيتها بالبطانية.

وقفت بباب غرفة الطوارئ أنظر إلى المزبلة المجاورة التي يحرقها أبو السعيد يومياً بعد أن يجمع الورق ويلقيه فيها. الساحة المجاورة خلف المنجرة تحولت إلى مقبرة تتسع يوماً بعد يوم، وتزداد القبور. فلم يعد الطريق إلى المقبرة آمناً، وقد دفن العديد من الشهداء في داخل البيوت في أقرب مكان تجنباً لرصاص القناص والمزيد من الشهداء. كان الجو هادئاً وسمعت صوت اشتباك بعيد، وتركز انتباهي نحو "المونتي فردي". لا بد أنهم على الطريق، شربت الشاي مرة أخرى، وخرجت عبر الطريق من المقبرة الجديدة والمنجرة إلى نقاط الإسعاف، لأزور المرضى. كانت الشمس قد بدأت تلقي أشعتها الأولى، وتلاحقت رصاصات القنص، كل خمس دقائق، كانت الحراسات على أبواب البنايات تقف خلف أكياس الرمل.

دخلت النقطة، كانت فاطمة عوض ساهرة، ومريم، لقد أحضرنا الليلة برميل ماء، وقد غسلنا جميع الجرحى. كان منظرهم غريباً، كانوا نظيفين...، ابراهيم غير مكانه، وكذلك محمود

- لماذا تركت السرير يا محمود؟؟

- لقد نزلت قذيفة قرب الشباك، وجاءت شظية وجرحتني مرة أخرى، يجب أن نضع أكياس رمل خارج الشباك يا دكتور. كان ذلك صعباً، إذ لم يكن هناك متسع للأكياس، ونزلت إلى نقطة العمليات، لقد أحضرنا برميل ماء أيضاً

- لقد ذهبت جميع الأخوات إلى الماء.

كانت الأخوات عمليات، مندفعات في أداء واجبهن، بدون توجيه مباشر. لقد استوعبن المرحلة، وأدركن أهمية الاستقلال في اتخاذ القرارات، وهذا، زاد في احترامهن عندي.

البارحة حاولت قافلة من الصليب الأحمر الدولي بالاتفاق مع قوات الأمن العربية الوصول إلى المخيم لنقل عدد من الجرحى ، ولكنها تعرضت لنيران غزيرة من الانعزاليين، مما اضطرها العودة. وحاول قوات انعزالية الهجوم على محور جورج متى، قوبلت بصمود من القوات المشتركة، واندحر الهجوم مع عدد من الإصابات. كنت أجلس في غرفة اللاسلكي، حيث يجلس أدهم ببندقيته، ويده التي ما زالت معلقة في كتفه، إذاعة الثورة تقول لقد بدأ اليوم الشهر الثاني من الصمود.. وضحكنا، إنهم يريدوننا أن نصمد أكثر، وأنا أقول إن أحداً لا يستطيع أن يجبرنا على الاستسلام. دخل أحد الشباب يريد تمويناً، من أين؟؟ يريد حليباً لأطفاله ، يريد خبزاً، يريد ويريد. ولكن من أين؟؟ لقد بدأ الناس يحسون بالجوع، ولكن بقايا المعلبات الموجودة والعدس لا بد أن تكفي.

البارحة كنت أخرج لأول مرة إلى محور التموين، كنا نسرع بين البنايات، تلاحقنا القذائف ورصاصات القناص، اختبأنا في مدخل بناية، كان المدخل مظلماً ، فقد أحيط بأكياس الرمل، وكان لا بد أن يجلسوني، ونشرب الشاي بدون سكر، بدأت أدرك كم عائلة تعيش في هذه المساحة الضيقة من أصوات الأطفال التي بدأت ترتفع، كانت هناك شحور الجميلة الشقراء هناك عند أمها، حيث كانت في وقت استراحتها.<sup>١١٥</sup>

مررنا في زوايب كثيرة حتى نتجنب الطريق المكشوف، كانت الزوايب كأنها تعيش حياة عادية، النساء تطبخ، والأطفال تلعب ، وطناجر الماء والعدس تغلي في كل مكان، الأطفال يأكلون العدس ، كأنما يأكلون البندق، بل لقد قدم لي أحدهم قطعة من خبز العدس، وفي التموين قدموا لي وجبة فاخرة من التمر. والكعك من العدس والتمر، كانوا خلية من النحل تعمل، تبنى المتاريس ، وتضع التمر في أكياس صغيرة لتوزيعها، ما زالت هناك كمية توزع.

دخلت أزور الجرحى، كانت زينب تجلس بقرب الشمعة المشتعلة. وبدأ تشرح لي عن الإصابات الموجودة، ثم جلسنا والشباب يتحدثون عن معاركهم، وكيف أصيبوا. لم يشك أحد منهم من الألم، كانوا يدركون طبيعة الظروف، زينب قاسم كانت فدائية مقاتلة تحمل الكلاشن استعداداً لمرافقة أي مجموعة مهاجمة، فقد نشأت في معسكرات أشبال فتح في المخيم، كما تدربت على الإسعاف وحضرت جميع الدورات في المستشفى، وبصفتها جارة للمستشفى فقد كانت دائماً تحت الطلب لأي مساعدة ممكنة. وجاء أبو نضال قائد المدفعية، لقد شفيت إصابته، وهو في المحور الشرقي، وقد قام مع الشباب بعدة غارات ناجحة على مواقع الانعزاليين وأحضروا معهم بعض السجاير من غلواز التي وجدوها هناك.

كنت أجلس على باب الطوارئ، وقد بدأ النهار يطلع، والعائدون من الماء يركضون بغالوناتهم. أحدهم أخبرني أن خليل الجمل وصل من الجبل، وقمت إلى العمليات مررت وسط المنجرة، أين خليل؟؟ لقد خرج منذ قليل، ووجدته أخيراً يجلس في مدخل إحدى البنايات القريبة بجانب الملازم زياد، كان لقاء حاراً ، كان يشرح لي الوضع وأخبار المنطقة الغربية لقد قضينا ثلاثة أيام على الطريق، نحن أمام تل الزعتر منذ البارحة، ولكننا لم نكن متأكدين منه،

<sup>١١٥</sup>استشهدت يوم الخروج بعد اغتصابها في ساحة الدكوانة

- تعرف ، لقد كنت مسؤولاً عن محور التلة طيلة سنين، ولكنني وقفت مذهولاً لا أجد شيئاً ، لقد تغيرت جميع المعالم، القصف لم يبق شيئاً، ولكننا اليوم قررنا المجازفة. لقد اقتربنا من أول كمين ونحن مستعدون للاشتباك. ،عندما سألوا من؟. أجبت بثقة:

- فتح. وتعرف الشباب علي. والطريق صعب وخطر، لقد اشتبكوا في المونتي فيردي، واحتلوا القرية فعلاً، دمروا آلات ثم انسحبوا وجاءوا من طريق آخر، كان معه خمسة عشر شاباً، وكانوا يحملون بعض الذخيرة، والتموين ثم السجائر. دخلت يومها سيجارتين وينستون، وجاء محمد شحادة أيضاً، العائد من الكلية العسكرية ورفاقه. كما يوماً رائعاً، لقد تغير تل الزعتر. أحسست بمدى تأثير وصول الشباب على الأهالي، لا بد أن مجموعة أخرى على الطريق.

تذكرت يومها كيف ذهب محمد شحادة إلى الكلية العسكرية، لحركة فتح مع خمسة من شباب المخيم ليعودوا ضباطاً برتبة ملازم. التحق شبلاً بحركة فتح وتدريب مع الأشبال، ثم التحق باللجنة العلمية في المخيم، كان محمد من أصدقاء المستشفى، كثيراً ما كان يزورنا ويقراً أشعاره، كان شاعراً، وكان يتكلم الألمانية، حدثني عن ذكرياته في ألمانيا، وهكذا نمت العلاقة بيننا. خرج محمد شحادة من الجبل مع المقاتلين، واستشهد في السعديات في كمين اسرائيلي في السعديات بعد عام على الخروج من المخيم.

١٩٧٦/٧/٢٣

أخيراً وصل أعضاء بعثة الصليب الأحمر الدولي. لم نصدق عندما وصلتنا برقية أن بعثة الصليب ستصلنا ، ظناً أنها كالمرة السابقة، حين حاولوا ولم يستطيعوا الدخول.

أرسلنا محمود شحرور، ، يلبس المريول الأبيض يحمل علم الهلال الأحمر إلى أول المخيم ، ليدلهم من بعيد على الطريق كما طلبوا، وانطلقنا من المقر الجديد وسط خرائب المخيم إلى المستشفى .

وجاء الإخوة من كل التنظيمات إلى الإدارة، للمشاركة في استقبالهم، كان المستشفى مليئاً بالناس أيضاً. لقد وصلوا. كانوا ما يزالون يتخبطون وسط حطام التنك والحجارة، وصلوا أول المخيم، وإشعرونا بالجهاز اللاسلكي بذلك، وانتعشنا، دخلوا لإدارة ، وكانوا مرتبكين، غير مصدقين ، وكنا متلهفن لسماع ما سيقولون، وتكلم جان هوفليغر:

- لا نريد أن نعدكم بشيء، لقد كانت عملية شاقة، وليست المحاولة الأولى كما تعلمون، ولكننا سنحاول، شرحنا الوضع وطلبنا منهم أن يرو الجرحى ، وأماكن تواجدهم، كانوا مسرعين، انفرجت الأسارير وهم يمرون في نقطة الأمن.

- لا بد أن نسرع، أن نغادر المخيم قبل نصف ساعة.

- لقد حاولنا إدخال بعض الأدوية والماء، ولكنهم أخذوا منا كل شيء حتى السجائر.

- نحن سنخرج الآن ، والأفضل أن تعودوا إلى أماكنكم قبل أن نخرج، لأننا نتوقع أن يبدأ القصف فوراً.

ابتسم الجميع، ودعناهم بحرارة، وخرجوا مسرعين. تجولت في المستشفى، الذي سكنه الناس، مررت بالجرحى، جرحى الغرغرينا. كان محمود شحور قد بقي معهم، يخدمهم، ويداويهم وحده، يحضر لهم الطعام وسط لقصف، حتى جرح مرة، وهو يتجول في المخيم، جائته رصاصة قناص من القلعة، ولم يفقد أعصابه، جاء مسرعاً إلى الطوارئ، ويده على رقبتة التي تنزف. ظننتها إصابة في الشريان لأول وهلة لقوة النزيف، ولكنه كان وريداً، وضعنا له ضمادة، وكثيراً من القطن، ونام محمود، غاب أسبوعاً عنهم، حل محله أحمد أورفلي، وذهبنا لزيارته في المستشفى. الصيدلية تحولت إلى مطبخ، فيها الخشب وبقايا الأبواب المحروقة، وعلى النار حلة الماء تغلي. أبو محمد فارس قدم لنا الشاي بدون سكر. رائحة الأقسام تحت الأرض بدأت تفوح، رائحة الجثث. كانوا قد أحضروها إلى هناك بانتظار نقلها إلى بيروت الغربية. وانطلقنا وسط الأنقاض نتحاشى القناص الذي بدأ يمشط المخيم ، وبدأ القصف.

في بيروت جان هوفليغر يصرح " أنه عندما دخلنا المخيم شاهدنا العديد من النساء والأطفال والعجزة مصابين بالغرغرينا والكزاز، كما شاهدنا أطفالاً كثيرين فقدوا الحياة بسبب عدم وجود مياه، وعدد الجرحى يبلغ الألف "

١٩٧٦/٧/٢٤

كنت أجلس في العمليات ، وسط ظلام دامس لا نضيء سوى فتائل القماش المغروزة في الشمع السائل في علب السردين. كان الشباب يجلسون حول الطاولة تضيء وجوههم السمرء وتلمع في وهج الشمعة. في الغرفة المجاورة الجرحى ينامون، والأخوات يقفن بالباب يراقبن المشهد بلباسهن الأبيض. كان سلمان يجلس وعبد المحسن يمسك جهاز اللاسلكي الصغير، يحاول أن يتصل بالقيادة ٧-٥ خمسة سبعة هل تسمعني أحب.. " من خمسة سبعة إلى أربعة واحد" كان الوضع السياسي حرجاً، أبو عمار وصل لتوه من جولة عربية ، ، كنا نتشوق أن نسمع أخباره، وجاء صوته.

” أبو عمار يتكلم.

كان صوته يتهدج. ” لقد قرأت منشئات الصحف عنكم، إنكم تصنعون إسطورة جديدة في التاريخ العربي، صحف العالم تكتب عن ستالينغراد الفلسطينية، لكنني أقول لكم كما قال الأخ الشهيد كمال ناصر يا وحدنا، يا وحدنا.. شذو أياديكم على البندقية، يا محسن، سمعت أن زوجتك قد ولدت، ماذا سمته..

- لم أسمه بعد..

- إذن سميه جواد.

كان عبد المحسن قد حضر نفسه لهذا الحديث، ولكن أسقط في يده، مضت فترة صمت قبل أن يهتف عبد المحسن

- ولكن كيف عرف أنني رزقت ولداً و كيف؟؟؟ كان كلام أبو عمار واضحاً كما قال الشهيد كمال ناصر، فهمنا الرسالة، نظرت إلى الشباب، كانوا ساهمين، ولكن حديث أبو عمار كان منعشاً للجمع، سلمان وعبد المحسن يحللون الوضع. وجواد أبو الشعر القائد التنظيمي في بيروت لفتح كان قد استشهد منذ أيام. قمت إلى الطوارئ بين البيوت،

- يا وحدنا. يا وحدنا

عبد المحسن كان المسؤول التنظيمي لحركة فتح في المنطقة الشرقية، أي أن مسؤوليته تشمل النبعة وبرج حمود وضبية وجسر الباشا أيضاً، ولكنه كان يقيم في تل الزعتر، وقد تقلصت صلاحياته التنظيمية أثناء الحرب، نظراً لتولي القيادات العسكرية القيادة والعمل مع الجماهير.

## ١٤- الملجأ المصيدة

١٩٧٦/٧/٢٥

كان البناية تتألف من خمس طوابق، تقف على ثماني أعمدة عارية، وتحتها كان الملجأ. تسلطت عليها ملالة للجيش اللبناني في القلعة. إصبيت عدة أعمدة مباشرة، وبالتدريج. وكان الجندي يستمتع بالتصويب نحوها. كل يوم قذيفة صائبة ١٠٦ ملم، وعمود يتهاوى. أصبح وضع البناية حرجاً، ولكن أين يذهب الناس في الملجأ؟؟؟ وبقي ثلاثة أعمدة تقف عليها البناية، آخر قذيفة كانت الشعرة التي قصمت ظهر البعير، وسقطت البناية على الملجأ، وتهدم الملجأ على من فيه.

”هب الجميع للمساعدة كنا نحاول بأيدينا ثم أحضرنا أدوات وشلنا الحجارة على جنب ، كان عدد الناس في الملجأ حوالي ٢٥٠ شخص، ولا أزال أذكر الصراخ والأولاد ، لم تكن المنطقة ضمن المخيم ولكن ساكنيها من المخيم وراء معمل الكبريت، مقابل بوتاجي، بجانب مركز التموين، الذي يديره أبو حديد، هناك منظر لا أنساه ولد صغير دخلت في يده قطعة حديد ،أخذناه للمستوصف مع الحديد، حيث قمتم بعلاجه، ونجا في محاولات الإنقاذ، نجا من الحادث أيضاً ابن اختي، وقتلوه الكتائب في الدكوانة،أخوه كان عمره ٨ أشهر ، استشهد في الملجأ، وحتى الآن تأتيني أحلام مخيفة عن الملجأ.“<sup>١١٦</sup>

كان يختبئ في الملجأ المئات من المدنيين وخاصة النساء والأطفال وهم في حال «بالغة السوء». ولم يكن بينهم مقاتل واحد، كانت كارثة، اندفع الشباب في محور التموين. يخف القصف، يحفرون حفرة في الجدار، حتى استطاعوا إخراج اثنين وعشرون شخصاً معظمهم من الأطفال، من كانوا في الأطراف . وكانوا يتعرضون للقنص والقصف كلما حاول الشباب أي عملية إنقاذ ، وهكذا تركوهم في قبر جماعي. وأصبح الملجأ المنهار مصيدة للمنقذين. وكان المنقذين يسمعون أصوات الاستغاثة في اليوم الأول، ثم خفت تلك الأصوات واختفت.

وجاءنا الأطفال إلى الطوارئ، وجوههم مغبرة، يكاد الهزال لا يبقي منهم شيئاً، اختفت الابتسامة عن وجوههم. أبو محمد كان يقف صامتاً، ونحن نعالج ساق ابنه المكسورة، لم يبق من عائلته غير هذا الصبي، أية مصيبة هذه.. أطفال لم يبق لهم أحد من عائلاتهم، تلقفهم الجيران والأقارب، والناس للناس.. طلبت قيادة المقاومة من الصليب الأحمر وعبر حسن صبري الخولي العمل على إنقاذ الناس في البناية المنهارة، وقد رفض الإنعزاليون السماح بذلك. وقد وجه جان هوفليغر نداء إلى جميع المعنيين في الحرب اللبنانية للتعاون مع الصليب الأحمر الدولي في مهمته الانسانية، ولا من مجيب.

محمد عباس أبو قاسم فقد زوجته وأولاده الستة في الملجأ ، فقد عقله وصار يمشي في الشوارع ، رغم تساقط القذائف ذهاباً وإياباً، لعدة أيام وهو يقول ” كلهم تحت...كلهم تحت“ ويشير بيده إلى الأسفل. عمشة فقدت أمها وأخوها وأختها كانت تركض في اشوارع وهذ تولول وتصرخ .” كلهم رحوا... راحوا..“، تشتت قيادات العرب ، وتشتت العالم.

إذاعة الكتائب تكذب الخبر، وتدعي أن هذا الخبر هو لكسب التعاطف مع المخيم. ولكننا لسنا بحاجة إلى العطف، إن المصيبة أكبر، وإن ما حدث هو جزء مما يحدث في المخيم. جلسنا ساهمين في غرفة الاستراحة، جمال جاء يروي عملية الانقاذ، والقصف المركز عليهم أثناء الإنقاذ. وقفت بعيداً أراقب البيت المهدم وأتوارى من القنص، ثم اتجهت إلى التموين.

سقطت النبعة، وبهذا قضي على أي أمل لنا في وصول النجدة من هناك. والنبعة من الأحياء الفقيرة في بيروت، وكان يسكنها أعداد كبيرة من الفلسطينيين وفقراء اللبنانيين معظمهم من سكان الجنوب المهاجرين إلى

<sup>١١٦</sup> زينب قاسم في حديث خاص في برلين أكتوبر ٢٠١٥



المدينة للبحث عن حياة أفضل، وهناك نشأ وترعرع قائد المقاومة السيد حسن نصر الله مع أهله ولكن الحرب أعادتهم إلى اليازورية في الجنوب. لحظة ضعف تمر، لا بد منها، شعور باللامبالاة يغمرنى كلما اشتدت الأزمة، لا بد أن نفعل شيئاً. أرسلنا برقية طالبنا فيها بتدخل الصليب الأحمر لإنقاذ الجرحى. فقط لتسجيل موقف..

\*\*\*

سمعنا تفاصيل النبعة بعد سقوطها "اجتاحت القوات الانعزالية أحياء الشيعة في ضواحي بيروت الشمالية أي في النبعة وبرج حمود، وشردت سكانها بعد تكبيدهم خسائر جسيمة في الأرواح. وكان انكفاؤهم نحو الجنوب أشبه بقيام الساعة، إذ تقاطر إلى قرى غير مهياة لمثل هذا، عشرات من ألوف اللاجئين أصبحوا مشردين من غير مأوى. فقد كانت النبعة وحدها تعد ٢٠٠,٠٠٠ نسمة معظمهم من الجنوب. وفي بنت جبيل، مثلاً، كان عدد المقيمين يبلغ اثني عشر ألفاً أو ثلاثة عشر ألفاً، فوصل في غضون شهر واحد إلى ٢٤٠٠٠، ونشأت من ذلك مشاهد أشبه بالكوابيس، لخمسين شخصاً، مثلاً، يتكدسون في منزل من غرفتين: ينامون على السطوح و في الحدائق وعلى الشرفات، متخذين من كل مكان متاح مرقداً. وكان وعيهم أن المنظمات الفلسطينية وحلفاءها اللبنانيين، أي المولجين بالدفاع عن الضواحي، قد عزفوا عن القتال عند الهجوم الأخير، يزيد المرارة في نفوسهم ويشعرهم بأنهم تركوا من جانب قوى عولوا على حمايتها ذات يوم." ١١٧ وما حصل أن الإمام الصدر قد اتفق على إخراج الأهالي من النبعة وبرج حمود." وقد استسلمت النبعة التي كانت محاصرة مثل تل الزعتر منذ ٢٢ حزيران/يونيو للمليشيات المسيحية على أثر تدخل الإمام موسى الصدر" ١١٨

١١٧ <http://janoubia.com/2014/05/26/>الجنوب-محتلاً

١١٨ سمير قصير، حرب لبنان ص. ٢٢٦ دار النهار ٢٠٠٩

١٩٧٦/٧/٢٦

كنا نجلس في غرفة الاستراحة، وكان سلمان وأدهم ، كان الجهاز مفتوحاً وسمعنا محمد شحادة ينادي بدر وجاء بدر قوياً ثابتاً. من خمسة سبعة يتقدمون إلى المدرسة بمجموعات كثيرة  
- إنني أراهم الهدايا في الطريق، وسمعنا صوت انطلاق القذيفة ، وسمعنا انفجارها، وجاء صوت محمد شحادة  
- رائع لقد أصبتها، إنهم يعودون إلى البناية الأخرى لا حقهم. وسمعنا انطلاق قذيفة أخرى وسمعنا انفجاراً.  
كان أدهم و محمد شحادة قد أجروا تنسيقاً مع واصف عريقات قائد المدفعية في الجبل ، وبدأ يتلقى التعليمات منهم لقصف الكتائب ودعم صمود المخيم والتصدي لكل هجوم ، وكانت الإحداثيات دقيقة والأهداف لا تبعد أحياناً أكثر من عدة أمتار عن مواقع المقاتلين في تل الزعتر، كان أشبه بالقنص بالمدفعية، مما خلق حزاماً نارياً حول المخيم جعل من الصعب اقتحامه. ولكن المحاولات بدأت تزداد رغم القصف، فقد بدأ الانعزاليون يشعرون بضغط الوقت عليهم والحصار يطول منذ شهر.

كان سلمان قد جرح مرة أخرى بشظية في صدره ، وهو يتجول بين المحاور، وأدهم ما زال يأتي يومياً بكوعه المجبص وبندقيته الم ١٦ في يده اليسرى. إدهم يحدثنا عن براعة بدر مدرس في الكلية العسكرية، وعن إصاباته الدقيقة وخبرته في المدفعية.  
قام الشباب بهجوم مضاد على البرج العالي، واستطاعوا الوصول إلى حاووز الماء، أحضروا معهم بعض التمويين. حدثني أحمد عن سيارة الجيب المحملة بالمسروقات التي كانوا سيأخذونها، وتركوها وأحضرها الشباب إلى المخيم، كانت معنوياته رائعة.

اليوم توصلت بعثة الصليب الأحمر الدولي إلى اتفاق بين القيادة الفلسطينية ومع الأطراف الانعزالية لإخلاء الجرحى من المخيم، ولكنه تعرض إلى عرقلة كتائبية شمعونية، بإطلاق النار على قوافل الصليب الأحمر.

١٩٧٦/٧/٢٧

اليوم بكت إيفا..

منذ إصابتها في بداية المعركة، كانت سعيدة بوجود الجنين في أحشائها، كانت حريصة على الاحتفاظ به ، ذكرى والده الذي استشهد في القصف المجنون، كان الحمل يتقدم بصعوبة، ووصلت إلى الشهر الرابع ، ولكن غرفتها أصيبت بقذيفة مباشرة منذ يومين وبدأت إيفا تنزف وتحس بالأوجاع. ذهب يوسف لرؤيتها، ونقلها إلى مكان آخر، وكان الإجهاد مكتملاً، وبكت إيفا..

كانت القذائف تنهمر على المخيم في ذلك اليوم بشكل غير عادي وسقط العديد من الجرحى والشهداء. ذهبت إلى إيفا ركضاً بين القذائف ، كما كنا نتحرك دائماً، لأعزيها ، وأعزي نفسي.. ولكن معنوياتها عالية، وكانت تتمنى نهاية أفضل للمخيم.. أحسست بمدى ارتباطها بالمخيم وأهله ، وأنها تقدر هذه التجربة الانسانية المهمة. تأملنا أن نستطيع الخروج في أقرب فرصة، وهي متحمسة لتروي أخبار البطولة والصمود، وأنه ستتحدث بوصول عالي في السويد وأوروبا عن المجازر والوحشية. والصمود. حدثتني عن الطبيين السويديين الموجودين في المخيم.

استطاع المنقذون إخراج عدد من الجثث من الملجأ المنهار، ولم يعد هناك أحياء، ولكن القصف ما زال مستمراً.

١٩٧٦/٧/٢٨

الوجبة الصباحية المعتادة من القصف يومياً ، يعقبها هدوء ، اعتقد أبناء المخيم فرصة للخروج من الملاجئ، عند المساء بدأ القصف من جديد ، كانت خدعة

غادرة . وانهمرت القذائف أشد من العادة ، استشهد العشرات وجرح العشرات دفعة واحدة ، لم يعد المستوصف يتسع للجرحى .  
في هذا اليوم استغل بعض الشباب فرصة الهدوء المؤقت لإخراج بعض الجثث من الملجأ المهدم .  
وصلت اليوم مجموعة جديدة من شباب فتح تحمل الذخيرة والسجاير من الجبل ، وقد طالبت قيادة المخيم إرسال المزيد من المقاتلين . وصول دفعات جديدة يعطي شحنة من الحماس والصبر في المخيم ولدى العسكريين خاصة . فهو يحسن فرصهم في الهجوم والمواجهة .

١٩٧٦/٧/٢٩

تحدثت وكالات الأنباء عن محاولات الصليب الأحمر الدولي الذهاب إلى تل الزعتر، لإجلاء الجرحى ، ولكن القوات الانعزالية منعتها وأطلقت النار على القافلة . وتركز القصف الانعزالي اليوم على نقطة الماء مما أدى إلى استشهاد عشرة مدنيين وجرح ١٥ آخرين .

طه فني الأشعة في المستشفى والذي تدرب مع سامي منذ قدومه إلى تل الزعتر، جاء يودعنا قبل القيام بعملية عسكرية ، فهو أيضاً فني متفجرات . وكان الهدف بناية يتحصن فيها قناص من الانعزاليين، ويقنص في المخيم، وأكثر إصاباته من النساء . سمعنا صوت الانفجار، وعاد طه محمولاً، فقد أصيب في يده بعد تنفيذ المهمة في اشتباك . كان جرحاً بليغاً ، وقد أسعفه الدكتور يوسف وأجرى له الجراحة اللازمة وحول إلى إحدى النقاط الطبية . كان والده قد استشهد في

حادثة باص عين الرمانة المشهورة. وكان وحيداً مع أربع أخوات، كلهن تدربن على السلاح، ودورات الإسعاف والمرشدات، وتطوعن للعمل في المستشفى، فكنت تراهن باستمرار وهن جارات المستشفى، وانضممن إلى نقاط الإسعاف. أما القناص، فلم يعد يظهر من تلك البناية.

## ١٥- الصليب الاحمر الدولي

١٩٧٦/٨/١

صباح البارحة حاولت قافلة من الصليب الأحمر الدولي أن تدخل إلى المخيم، لكن القوات الانعزالية منعتها من إكمال الطريق، وعادت أدراجها. بلبل، هدهد، هل تسمعني، أحب، بلبل، هدهد". كان بلبل جارنا مسؤول الإعلام في الجبهة الشعبية "القيادة العامة"، وبلبل الذي تطل عليه غرفتنا في الطوارئ. ينادي باستمرار، ويرسل البرقيات باستمرار، وبرقيات نسمعها كلها من الغرفة المجاورة عبر النافذة، ومنه شخصياً عندما يزورنا في الطوارئ.

اليوم انتقل بلبل إلى مرحلة أخرى من العمل الإعلامي، فقد دعا المدنيين من المخيم للتحدث عبر الجهاز لإعطاء صورة عن وضع المخيم إلى القيادة. وجهاز اللاسلكي الذي يملكه بلال هو جهاز ملالة لبنانية، أي أنه يلتقط في جميع ملالات الجيش اللبناني التابع لبركات، وبهذا الشكل كان مصدراً لتزويد المحاصرين بالمعلومات اللازمة عن الوضع داخل المخيم، نسمع برقية بلبل بصوته، ثم نسمعها مرة أخرى من إذاعة الكتائب.

المخيم يتضعع، لم يعد هناك ماء، المعنويات عالية، لم يعد هناك تموين، ابحثوا عن حل. المعنويات عالية. أدهم. يسمع البرقيات، يغلي، يثور، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وبلبل لم ينسنا في الليل فعنده كمية كبيرة من الشمع الخام. إن أهم مصدر له هو اتحاد المرأة، وكان بلبل يزودنا باستمرار بحاجتنا من الشمع، والشمع كان مشكلة لانعدام مصدر آخر للضوء، الأخوات يأتين بالشمع مع الفتيل الجاهز للاستعمال. أخواتنا في اتحاد المرأة لم يتركنا أيضاً، المرة الأخيرة وزعن على الجرحى هدايا، كيس به قليل من الحلوى، وقطعة صابون، وعلبة كلينكس، لا أدري من أين أتين بها، ولكن الجرحى انتعشوا بها، الصابون والورق، وجبات الحلوى كانت رائعة والسجاير أيضاً سيجارتان كانت في ورقة، وضعتهما تحت الفرشة، على الأرض، وبحثت عنهما في الصباح ولم أجدهما، وكدت أجن، أينهما؟؟ أم سليم تنظف الدرج وهرعت أسألها، لا تعرف شيئاً، ولكن بدأت أبحث بين الزبالة، ووجدت الورقة، وضحكت أم سليم، وهي ترى السيجارة تخرج من الورقة وجاء ممدوح يقاسمني.

ستمر القنص والقصف على المخيم، وجائنا العديد من الجرحى بإصابات طفيفة، ولم يتعرض المخيم في هذا اليوم لهجوم شامل. اعتمد القناص استراتيجية جديدة بالقنص برشاش ٥٠٠ على زواريب المخيم، وقد أصبح مقره في تلة المير على أطراف المخيم.





جان هوفليغر- مندوب الصليب الأحمر الدولي في تل الزعتر.



الصليب الأحمر ينقل الجرحى من المستشفى في تل الزعتر

١٩٧٦/٨/٣

حركة غير عادية في المخيم، في شارع العمليات بالذات. نتوقع قدوم الصليب الأحمر، فقد اتصلوا بجهاز اللاسلكي. قوائم الجرحى جاهزة، من كل التنظيمات والمدنيين، وجاء الصليب الأحمر، وقفت القافلة في الملعب، وصل جان هوفليغر ورفاقه إلى المستشفى، وجلسنا في الإدارة.

كان لقاءً حاراً ، حيث ثمنّا جهودهم في الوصول إلى المخيم رغم المعارضة الشديدة من الانعزاليين، وقدرنا موقفنا في التصدي لجميع أنواع الهجوم والمضايقات والجوع .

الانعزاليون أوقفوا القافلة ، وصادروا صناديق الأدوية والاحتياجات الطبية التي كان الصليب الأحمر قد أحضرها للمخيم كما صادروا حاجيات الصليب لنقل الجرحى.

- لا نريد أن يدخل جميع العاملين في الصليب إلى المخيم، أعطونا الحمالات ونحن نحمل الجرحى إلى المستشفى، وأنتم من المستشفى إلى الملعب القريب.

اخترنا الجرحى، لا تثق بالانعزاليين، ولكن لنجرب، سنرسل عدداً من الأطفال الجرحى والمرضى والنساء ، وعدد قليل من الشباب. عرف الناس بوجود الصليب، واختلط الحابل بالنابل. الجرحى وصلوا إلى المستشفى، لا أدري كيف.. ،المستشفى اكتظت بالناس. بل لم تلبث الطريق المؤدية إلى الملعب أن امتلأت بالناس. الناس لا تعرف كيف اخترنا الجرحى، وكل يرى أنه الجريح الأهم. حاولنا شرح الأمر. أصررت أن لا يذهب إبراهيم، لأنه معروف في القلعة، وربما حصل له شيء، لا إريد أن أغامر بإرساله. اضطررنا أن نفرز الجرحى مرة أخرى. بقيت في المستشفى ، وذهب يوسف وجان إلى طريق الملعب. كان يوسف يستقبل الجريح مع التقرير المرسل من المستشفى ، ويؤمنه إلى السيارات المنتظرة في ملعب كرة القدم في جنوب المخيم.

كنت أكتب الحالة التي تقرر إرسالها مع طبيب الصليب الأحمر ونرسل الورقة مع الجريح حتى نتجنب أية حالة يمكنها الانتظار. كان المستشفى يعج بالناس.

أول الجرحى كانت إيغا ستول الممرضة السويدية. حزنا لفراقها، لقد أعطتنا مثلاً رائعاً في الصمود والصبر والتحمل، كان الجميع يودعها ويوصيها أن لا تنسى ، وهي ترفع يدها باكية. كانت قد أصيبت بذراعها وساقها في نفس الوقت، الذي استشهد فيها زوجها، كانا عائدين إلى البيت عندما سقطت قذيفة، قبل المعركة الأخيرة، وصلت إلى المستشفى وفرحت ونحن نتجمع حولها، كانت حاملاً في الشهر الرابع، وكانت حريصة على طفلها، سعيدة بوجوده. كانت تبتسم دائماً، ووجهها يشحب باستمرار، حتى كان يوم سقطت القذيفة بجوارها، وسقط الجنين، يومها بكت كثيراً.

جرحى الغرغرينا وضعوا في السيارات. وقفنا أخيراً مع أعضاء البعثة نتحدث عن المخيم والحصار، كان جان قد أخبرنا أن جميع الممرضين معه من المنطقة الغربية. ولكننا لم نثق بهم.

أدهم رفض الخروج، يده المعطوبة والملفوفة ليست طارئة، وهناك جرحى أهم، بالإضافة إلى عدم اطمئنانه للانعزاليين.

بلغ عدد الجرحى الذين استطعنا وضعهم في السيارات ٩١ جريحاً. أوقفوهم في منطقة القلعة لمدة ٤٥ دقيقة، تحركت السيارات وبقينا نراقبها حتى تحركت من القلعة، وعدنا إلى المستشفى، أخلي المكان بسرعة، وعاد القصف مرة أخرى،

عدنا نتجول بين نقاط الجرحى. كنا نراقبهم بالرغم من القذائف التي بدأت تتساقط على المخيم بعد تحرك القافلة مباشرة. وتنفسنا الصعداء عندما تحركت القافلة، ووصلتنا بعد قليل برقية على الجهاز اللاسلكي أن ٩١ جريحاً قد وصلوا بيروت الغربية.

شعرنا بالراحة لإنقاذ بعض الجرحى، ولكن ما زال الكثير منهم، وما زال المخيم يعاني من الجوع والحصار. وأخبرتنا القيادة أنه سيتم نقل مائتي جريح في اليوم التالي.

وعدونا أن يعودوا ليأخذو بقية الجرحى، كان المكان يعج بالناس، نساء تبكي، نساء تبكي لفراق أبنائها وعائلاتهما، أطفال جرحى لم يخرجوا، بينما المقاتلون في المناطق البعيدة مستعدون لأي حادث.

كانوا يسألون عن عن موعد عودة الصليب، عن جروحهم، ولكنه كان شعوراً جميلاً أن يزاح عبء ثقيل عن كاهلك، تذكرت عندما كنت أعود من الإمتحان لأرمي الكتب جانباً.

أقف في الطوارئ فرحاً لقد نجحنا في الامتحان. لاشك أن خروج الجرحى له عدة جوانب، فبالإضافة إلى ضمان علاجهم بطريقة جيدة، فلا شك أنهم سيكونون أداة إعلامية جيدة ليحدثوا العالم بأسره عن المخيم وظروفه، عن بطولاته وجوعه، عن فاشية الانعزاليين، وعن الأطفال والنساء بدون طعام، ربما يساعدنا هذا على زيادة الضغط العالمي على الانعزاليين خصوصاً وأن البابا نفسه قد أرسل برقية إلى الانعزاليين. أصدقاءنا في أوروبا أيضاً تحركوا، تظاهروا، سمعنا عن تدخل الحكومة البريطانية لدى عيدي أمين للإفراج عن سيدة بريطانية عجوز. سمعنا عن عينتبي، والعملية الاسرائيلية لإنقاذ الرهائن، ولكن أهالي تل الزعتر تسألوا - هل يساوي مخيم تل الزعتر سيدة بريطانية؟؟ وتذكرنا قول الختیار، يا وحدنا. يا وحدنا، رحمك الله يا كمال ناصر.

الانعزاليون أوقفوا القافلة قرب مقهى برازيليا حيث قاموا بضرب الجرحى بأقدامهم وأعقاب بنادقهم وقد أنزلوا بعض الجرحى من السيارة وانهالوا عليهم ضرباً ، عدا الشتائم، تحت نظر الصليب الأحمر.

- خمسة سبعة الجرحى وصلوا إلى المتحف..
- خمسة سبعة الجرحى وصلوا الجامعة العربية
- صوت الثورة أذاع عن الاستقبال الحافل للجرحى في المنطقة الغربية. أجرى مقابلات محمد يتحدث، ومريم، وجهوا شكوهم للطاقم الطبي. شيء جميل، أثلج صدور الجميع، يطالبوننا بالصمود، أية سخرية هذه، ضحك الجميع أصبحوا يتحدثون كالإذاعة، لا شك أنهم يدخنون جيداً في بيروت.

أحمد الناطور<sup>١١٩</sup> يقول أنهم أوقفوهم في القلعة، وطلع المسلحين على السيارات وضربوا الجرحى وعدنان عقلة<sup>١٢٠</sup> كانت إصابته في الخصية، وبدأ أحد العسكريين يضربه على مكان الإصابة وهو يصرخ وعلا صوت الأستاذ عدنان عقلة واحتج الصليب الأحمر وطلب إبعاد المسلحين عن السيارات. تحركت الشاحنات من شارع بداروا، ببطئ، وصار الناس يرمون الزباله والمسبات على الفلسطينيين، حتى المتحف وطلع صوت رصاص ، وعرفنا بعد ذلك أنه ابتهاج المنطقة الغربية. طلب أبو عمار تجهيز قاعة الجامعة العربية السفلية لاستقبال الجرحى . وكانت الجامعة العربية مجهزة لتوقع مهاجمة الجيش السوري. ووزعوا علينا ملابس داخلية وبيجامات.

١٩٧٦/٨/٤

أرسلنا برقية إلى من يهمه الأمر  
" تل الزعتر محاصر ، والحصار يزيد منذ خمسة أشهر، وعدد الجرحى بازياد مستمر، والأدوية تنقص باستمرار لعدم وجود البديل. والآن وقد أوضحنا للعالم ما يجري في تل الزعتر من مذابح ومجازر على أيدي القوات الأخرى، فإن الحل يبدو ناقصاً. إن المشكلة ليست فقط في نقل الجرحى. والذين ماتوا ، مات معظمهم نتيجة نقص العناية الطبية، وتأخر وصول بعثة الصليب الأحمر. المشكلة هي توفير الأدوية والإمكانيات لعلاج الجرحى الذين يسقطون بعد ذلك ، ومشكلة علاج المدنيين الذين قطع الآخرون عنهم الماء، ومشكلة انتشار الأمراض المعدية في المخيم نتيجة سياسة الإبادة الجماعية والتجويع التي تمارسها القوى الأخرى. إننا نطالب بلجنة طبية من الصليب الأحمر الدولي للاشراف على علاج المرضى والإشراف على علاج بقية الأطفال الذين يشرفون على الموت نتيجة فقدان التغذية ونقص المياه، كما أن على هذه اللجنة نقل صورة واضحة للرأي العام عما يجري في تل الزعتر." أطباء تل الزعتر..

أبو عمار يزور جرحى تل الزعتر في المستشفيات، كما زارهم الدكتور فتحي عرفات رئيس جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، وقد نزل معظمهم في

<sup>١١٩</sup> أحمد الناطور في حدث خاص نوفمبر ٢٠١٥ بيروت.

<sup>١٢٠</sup> هو أبو أحمد الزعتر مؤلف كتاب تل الزعتر ، الرمز والاسطورة، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين  
٢٠٩  
حكايتي مع تل الزعتر

مستشفى جامعة بيروت العربية ، حيث حولت جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني الطابق السفلي إلى مستشفى. انضم المتطوعين والمتطوعات للمساعدة في استقبال الجرحى وعلاجهم. وهجمت الصحافة على الجامعة العربية تجري المقابلات وتأخذ الصور.

١٩٧٦/٨/٥

منذ جاء الصليب الأحمر الدولي إلى المخيم وخروج الجرحى ، أصبح الناس يفكرون بالخروج، لقد استيقظوا على الفارق بين الحياة التي نعيشها في المخيم، وبين الحياة في بيروت الغربية. لقد كان خروج الجرحى هو بداية تدهور المعنويات ، وبداية التفكير بالتسليم، بل بداية التحضير للهزيمة. بدأ التفكير في الصعوبات الحياتية، على الأقل السجائر، الطعام للأطفال، ثم إلى متى؟؟ كنا قد تعودنا على الحياة تحت القصف، الصمود الرائع.. الجوع والعدس، الكر والفر في المعارك، أصبحت مألوفة، أصبحنا متأكدين أننا لا نهزم، وأثقين من أنفسنا، في معاركنا لا نتلقى الهجمات فقط، بل ونشن الهجمات أيضاً ونوقع الخسائر.

وصلت بعثة الصليب الأحمر الدولي في الوقت المحدد، وقد جردهم الانعزاليون من قوارير الماء وأي نوع من الغذاء والدخان . وفوجئنا بمئات الجرحى يودون الذهاب إلى بيروت ويطالبون بأن يكونوا من هذه الدفعة. كان يوسف في الملعب يستقبل الجرحى ويتأكد من تقاريرهم ، عندما أطلقت النار على الملعب ، وتلبك أعضاء الصليب الأحمر ، ورفعوا العلم الأبيض، وأحاطوا بيوسف ، ثم عادوا معه إلى مدخل المخيم. وعادوا إلى السيارات وانتظروا بعض الهدوء ثم تحركوا إلى بيروت الغربية.

تم اليوم عملية أخرى لإخلاء عدد أكبر من الجرحى. وقد استطعنا أن نخلي ٢٤١ جريحاً بين نساء وأطفال ومسنين. رغم الفوضى والصراخ في العيادة، وتجمهر الناس في المستشفى.

الانعزاليون أوقفوا سيارات الجرحى بالقرب من مقهى برازيليا وأوسعوهم ضرباً بأعقاب بنادقهم وقد داسوا في بطن طفل جريح مما أدى إلى استشهاده، كما سرقوا ما مع الجرحى من مال وساعات كانوا يحملونها، تحت نظر الصليب الأحمر.

\*\*\*

جلسنا بعد آخر عملية إخلاء للجرحى في غرفة العمليات، القيادة العسكرية والسياسية للمخيم والأطباء نبحث عن حل. كيف؟؟ إن الانعزاليون يدركون أيضاً أنهم لا يستطيعون هزيمتنا، ولكنهم يضغطون سياسياً، والتموين يشح، والماء يشح. والجرحى يزدادون، الأطفال يموتون جوعاً وعطشاً، لم يبق غير مصدر واحد للمياه، معركة تلة القيادة العامة جعلت المياه في خطر، صحيح أن الشباب دمروا دبابات وآليات للانعزاليين، وصحيح أننا ما زلنا نحفظ بالتلة، ولكن الماء في خطر.



١٩٧٦/٨/٦

بدأت وجبة القصف اليومي باكراً هذا الصباح، وسقطت عدة قذائف حول مركز الطوارئ ، واستقبلنا عدة جرحى من جرحى الماء ، ثم توقف القصف، وأخبرنا أن بعثة الصليب الأحمر قد وصلت.

وصلت سيارات الصليب حوالي الساعة العاشرة، واستقبلنا بعثة الصليب بحرارة، فقد أصبحنا أصدقاء، وبدأنا في فرز الجرحى وإرسالهم إلى السيارات ، الجرحى يعيقون العمل بتكالبهم على النزول مع الصليب والهرب من جحيم الحصار والحرب في المخيم، اكتظت المنطقة بالجرحى وذويهم أخلينا ٧٤ جريحاً، ثم بدأ إطلاق النار ، أصيب أحد الجرحى على حمالته، واستشهد ، وجرح الشاب الذي كان يحمله، وتراكم الأهالي إلى المخيم والملاجئ، وعاد المقاتلون إلى مواقعهم كأن شيئاً لم يكن.

آخر عملية لإخلاء الجرحى وإرسالهم إلى المنطقة الغربية من بيروت، الصليب الأحمر يبذل جهوداً خارقة، ويتحمل كل الصعوبات في سبيل ذلك، كان جان هوفليغر هو بطل الإخلاء، وكانت أعصابه الحديدية وجديته خير قناع أمام الانعزاليين الذين اتهموه بمحابة الفلسطينيين. كان الجرحى يتكدسون فوق بعض في سيارات الشحن، وقد حاولوا أن يساعدوا بعضهم لتجاوز المسافة القصيرة بين المخيم والمنطقة الغربية.

تنفسنا الصعداء، بدأ المستشفى فارغاً، وكذلك نقاط الإسعاف، وبإمكاننا الاستلقاء لأخذ نفس بعيد عن الطوارئ والمرضى. وفنجان شاي من أم سليم.

١٩٧٦/٨/٨

الناس يتجمعون منذ الصباح أمام الطوارئ ، ويستفسرون عن قدوم الصليب لتأمين جرحاهم ، وقد نام بعضهم في المستشفى بانتظار الصليب الأحمر،

كثيرون لم يكونوا قد مروا علينا أو على نقاط الإسعاف. وبدأ الرصاص ينهمر على المستشفى والمنطقة.

بدأ بعض الناس ينزلون إلى الدكوانة ويستسلمون ، رافعين الرايات البيضاء. هجوم انعزالي على محور معمل البلاط بعد القصف التمهيدي، وانطلقوا من معمل سلك وبناية قدورة معززين بملاطات، وتصدت لهم القوات المشتركة في معركة وجهاً لوجه، ، وقد أصيب أبو أمل قائد الجبهة الشعبية في المخيم في صدره، ونقل إلى المستشفى حيث استشهد .

تقدمت سيارات الصليب الأحمر ، واستمر القصف والقنص عليها مما أعاق عملية الإخلاء وأدى الى الغائها، وتوجه الناس للملاجئ .

في المساء جلسنا يوسف وأنا، مع قيادة المخيم من الفصائل المختلفة، في غرفة العمليات في المستشفى نناقش أحوال المخيم، ، الناس بدأت تخرج من المخيم، وتذهب للانعزاليين، على أمل توصيلهم للمنطقة الغربية، وعلى المحاور الكتائب يستخدمون مكبرات الصوت لإغراء المقاتلين بالتسليم وإعطاء الأمان، وتوقف القصف في محاور نزوح المدنيين إلى الدكوانة. واقتراح الصليب الأحمر بإخراج السكان من المخيم. واتفق الجميع على تعزيز الصمود ومواصلة القتال.

١٩٧٦/٨/١٠

وصلت البارحة مجموعة من فتح عن طريق الجبل إلى تل الزعتر. واستمر القصف الوحشي على جميع انحاء المخيم وقد شاركت المدفعية من الجبل في صد الهجوم الانعزالي ، وقد تراجع المقاومون إلى أزقة المخيم بعد أن وصل الاتعزاليون إلى المخيم. ودارت اشتباكات عنيفة في راس الدكوانة والبرج العالي. قيادة المخيم تطالب بمزيد من المجموعات عن طريق الجبل.

الانعزاليون يحاولون احتلال التلة، منذ البارحة ، واليوم منذ الصباح ، القصف مستمر على المخيم، وغرفة الطوارئ مليئة بالجرحى . المقاتلون من مختلف

التنظيمات يسرعون نحو التلة حيث كان الهجوم بالدبابات والمدرعات ، والمقاتلون يصدون الهجوم بشجاعة، ولكن بتحسب للعتاد المتوفر ، الهجوم الثامن والستون والتلة ما زالت صامدة، وسقطت التلة وانسحب الشباب منهكين، كانت آخر نقطة للماء في المخيم. كان الهاجس الأكبر أننا سنموت عطشاً. معنويات الشباب ليست على ما يرام.

ابو السعيد استشهد ابنه برصاصة قناص في رأسه ، وأحضره إلى الطوارئ، كان شاب في الثامنة عشرة من عمره، وكا مقاتلاً بطلاً. لم يستفد من الطلقة الأخيرة التي وضعها المقاتلون جانباً. والغدر أقوى أحياناً.

أحمد أورفلي يخبرنا أن الوضع في الحسينية ليس على ما يرام، وأن اثنين من المقاتلين قد انهاروا. وأن الانعزاليين يتحدثون مع الناس عبر مكبرات الصوت ويقدمون لهم الإغراءات والكلام المعسول، للخروج عن طريق الدكوانة ، كانت حرب الميكروفونات الجديدة التي يجربها الانعزاليون.

الأوضاع في المستشفى سيئة وقد استشهد عدد من مرضى الغرغرينا . ولا حول ولا قوة إلا بالله.

جائنا عامل اللاسلكي من القيادة العامة بلبل، ليقول لنا أنه ربما يكون هناك اتفاق لإخراج المدنيين من المخيم.

١٩٧٦/٨/١١

خمسة سبعة أرسل.

وتحدث عبد المحسن عن الوضع والمياه،  
خمسة سبعة انتظر بلاغنا..

خرجت مع عبد المحسن وسلمان إلى التموين، واتجهنا إلى بيت أبو رياض، كانت زوجته بلباسها العسكري تحمل الكلاشن، البيت كان مهجوراً، جلسنا على الأرض ندخن سجائر روثمان أتى بها الشباب من الجبل. صوت الجهاز غير واضح، وخرج عبد المحسن وسلمان إلى السطح يستمعون، فرجت.

لقد تم الاتفاق بين الانعزاليين والمقاومة على إخلاء المدنيين عن طريق الصليب الأحمر وقوات الأمن العربية، استعملوا الطريق الآخر،

لقد تقرر إخلاء المدنيين من المخيم..

اجتمعت قيادة المخيم من جميع التنظيمات، وأخبرهم سلمان ببرقية القائد العام، وقال لهم أن فتح ترتب لإخراج المقاتلين عن طريق الجبل، وأنه يفضل التنسيق بين التنظيمات. وتم الاتفاق على إرسال وفد مدني من المخيم إلى الدكوانة لمقابلة أمين الجميل، والذي كان على اتصال بأبو إياد للمساهمة في إخلاء المخيم بدون حدوث مشاكل. تشكل وفد من أبو الفدا، مسؤول الصاعقة، ومعه عدد من وجهاء المخيم منهم أبو نبيل معروف، وقد قابل الوفد أمين الجميل وبعض قادة الكتائب، الذين وعدوا بالعفو عن المدنيين، وإخراجهم بواسطة الصليب الأحمر الدولي، بإشراف قوات الأمن العربية، وعادوا،

كنت نائماً عندما أيقظني أبو نبيل معروف يحمل علبة روثمان، وقد انفجرت أساريره،

- كان الشيخ أمين لطيفاً معنا، وقد رحبوا بنا، ووعدنا أن يسهل الأمور.  
- يا شيخ إننا نريد منكم شيئاً يطمئن الأهالي، وأعطاني هذه الورقة، قرأتها  
- " يا أهالي تل الزعتر، إننا نتعهد أن لا يمس أحد بسوء، وقد اتفقنا مع قيادتكم على إخلاء المخيم من المدنيين عن طريق الصليب الأحمر، وقوات الأمن العربية، في الساعة التاسعة صباحاً، كانت موقعة من أمين الجميل ومختومة بخاتم إقليم المتن الشمالي."

كان المخيم قد وصله الخبر، الجهاز أعطانا نفس الموعد للاتفاقية.  
وقال أبو الفدا بعد عودته أن بشير الجميل دخل الاجتماع وقال لهم، - أتيتم لتفاوضوا على النساء والعجائز، بينما مقاتلوكم أصبحوا في الجبال، كان عصبياً. عاد الوفد في آخر الليل وأخبروا القيادة ما حصل معهم، ولكن قرار الإخلاء قد بدأ يأخذ مجراه الطبيعي، وبدأ الزحف الجماهيري نحو مناطق الانعزاليين في الدكوانة ودوار المكلس.

\*\*\*

الاشتباكات مستمرة على جميع المحاور والقصف المدفعي مستمر لا سيما على محور الدكوانة، وقد تم الطلب من مدفعية الجبل قصف مواقع الانعزاليين خاصة في الدكوانة. ولحماية انسحاب القوات عن طريق الجبل. عناصر الصاعقة نزلوا في منتصف الليل إلى الدكوانة وسلموا أسلحتهم للكتائب، وبدأ عناصر القوات المشتركة من مختلف التنظيمات الخروج عن طريق الجبل، مما أحبط معنويات المدنيين. كان أول المجموعات التي بدأت بالانسحاب مجموعة الجبهة الديموقراطية بقيادة صالح زيدان، الذي اتجه إلى وادي الليمون تحت دير مار روكز، باتجاه المنصورية والأودية المحيطة، ثم لحقتهم مجموعات من فتح والجبهة العربية، من الجهة المقابلة كان الانعزاليون يحاولون منع انسحاب القوات المشتركة بقصف طرق الانسحاب، وقد عاد بعضهم إلى المخيم، وتمركزت قرب المستشفى ومدرسة بيسان. وبقيت مجموعات مقاتلة تقايل طيلة الليلة في محيط المستشفى، مسنودة من مدفعية الجبل.



الدكتور فتحي عرفات يزور إيغا في مستشفى الجامعة العربية بعد الخروج

## ١٦- يوم المذبحة

١٩٧٦/٨/١٢

لم ننم، وبقينا حتى الصباح ننتظر الخروج. لم تشرق شمس الصباح حتى بدأ الناس يتجمعون حول مقر العيادة. جلسنا جميعاً مريضين وأطباء في غرفة الاستراحة . نوزع التمويين على الجميع، كان فطوراً شهياً. أحمد أورفلي، كان يمسك سندويشة ويأكل بشهية ، ولما سألوه ، قال : بدي أموت شبعان ومش جوعان.

أحمد أورفلي ذهب إلى المستشفى ، وعاد يحدثنا أن كثير من الجرحى تجمع بانتظار الصليب الأحمر.

ويروى أبو أحمد الزعتر أنه يوم الخروج اقتحم الانعزاليون ملجأ مستوصف الجبهة الشعبية، الذي كان يعج بالجرحى، وخرج لهم الممرض الياس العشي، فطعنوه بالحراة إلى أن لفظ روحه. وأطلقوا النار على جميع من في الملجأ. ١٢١

قلت لهم:

- سنسير قافلة واحدة. كل ممرضين يحملان جريحاً، لا بد أن يكون خروجنا منظماً نسير أمام الناس بلباس أبيض.

دبر الجميع مراييل بيضاء، لا أدري من أين، بدأت عقارب الساعة تقارب التاسعة، الناس ملؤا المبنى والشارع حول الطوارئ، خرجت أرى تجمع الناس كيوم القيامة. الصراخ والنساء يحملن أطفالهن، وعلى رؤوسهن بعض الحاجيات، تمشيت إلى العمليات والناس تسألني

-هل أتوا يا دكتور أين سيأتوا؟ أين نذهب؟؟

- لا أعرف انتظروا.

كان علي وبعض الشباب يقفون عند مدخل الشارع يطلقون الرصاص في الهواء، -

- ماذا دهالك يا علي؟؟

- لقد دخلوا من أسفل المخيم

- وماذا سنفعل إنها اتفاقية يا صديقي. إنك تلعب بأرواح هؤلاء في الشارع. عدت إلى الطوارئ كان يوسف يقف مع الممرضين على باب الطوارئ بانتظار الخروج؛ وقال علي الذي لحقني:

- دكتور ، لقد رأيتهم. الكتاب..

- إنهم يريدون كلاشينات.

١٢١ تل الزعتر ، الرمز والاسطورة، أبو أحمد الزعتر ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مصدر سبق ذكره  
حكايتي مع تل الزعتر ٢١٦



- حسناً، خذ أربعة كلاشينات أعطهم إياها.
- كيف؟؟ ان الموقف بدا واضحاً، أننا وحدنا، فقد أعطيت الأوامر بالالتزام بالاتفاقية.
- وبدأت الجماهير تتحرك، تركت الطوارئ ، ودخلت بين الأزقة، حتى وصلت أول الشارع حيث كان الكتائب يقفون، تقدمت منهم.
- مرحباً، أريد أن أتحدث مع قائد المجموعة.
- من أنت؟؟
- أنا الدكتور عبد العزيز.
- أنت الدكتور، أين زميلك الدكتور يوسف؟
- إنه مع الناس، لم أتم حديثي حتى رأيت يوسف يمر مع الممرضين والجرحى أمامي، كان المهاجمون متشنجين، فقد اندفع أحدهم نحو
- ضع ما في جيبك وإلا أطلقت النار، ضحكت بهدوء وقلت
- أظن أن معي شيء. الرجل الذي كلمته يبدو أنه انتبه وصرخ به بعصبية
- اتركه إنه معي. ثم قال لي
- لا تتحرك من هنا. إبق معي حتى النهاية.
- وهزرت كتفي - حسناً .
- كان الناس يمرون أمامي بخوف، والكتائب يقفون بجانب الطريق.
- بسرعة من هنا بسرعة.
- أريد أن أسأل عن الاتفاقية ، أين قوات الأمن العربية أين الصليب الأحمر؟؟
- ورد بسرعة- إنهم بانتظاركم في الدكوانة. قالها وعاد يقف بهدوء.

مرت خبورة" يا دكتور" ثم انتبهت إلى الكتائبي- مرحباً يا حسين، دخيلك يا حسين دبرنا"

- قفي بجانبني. واجتمعت بعض الأخوات حولنا.
- كانت التصرفات العصبية للمهاجمين قد أقلقنا الناس، وبدأ الخوف يدب في نفوسهم. خرج الجميع، وكان المهاجمون يبحثون عن أسلحة، كانوا يقتتلون على كلاشن، وكاد أحدهم يقتل الآخر لولا تدخل قائدهم، كان شبابنا يطلقون النار وعلي يصرخ- إنها خدعة، إنها خدعة.
- ولكن ما الفائدة؟؟ خفت أن يصاب أحد الكتائب فينتقمون من المدنيين ، وصحت به أن ينسحب، وفهم الرسالة، انسحبوا إلى داخل المخيم، لم يبق من المدنيين أحد.(علي استشهد في المخيم)
- جاءت فاطمة مهاوش وقد علقت ذراعها، كانت صفراء صفراء من فقر الدم، لقد نزت كثيراً، إصبيت البارحة، وقف بجانبني تتنفس بإعياء.
- إبقي معنا، وأسندتها ، كادت تقع من الإعياء ، وجاء حسين
- " تفضل دكتور" حسين لبناني من سكان المخيم، نازح من الجنوب، تعرفه الأخوات منذ فترة، إذ كان يسكن بجوار المستشفى. ولكنه ترك المخيم وانضم إلى القوات اللبنانية. مشينا خلفه وقد خلا المخيم، أمامنا كان محمد مهاوش، يحمل جدته الجريحة. دخلنا إلى مدخل إحدى البنايات في طريق الدكوانة ، حدثهم حسين قليلاً ومد أحدهم يده مصافحاً .
- أهلين دكتور تفضل استريح.

وقفت بانتظار حسين الذي نزل إلى القبو، أحدهم يحمل ابنه وتتبعه زوجته، وسمعت دوي طلاقة. التفت لأراه يموت على الحائط، وسألت الواقف أمامي، - شو الموضوع.

ارتبك قليلاً ثم قال: كان يحمل جهاز لا سلكي، ولكنه لم يكن يحمل شيئاً، عاد حسين وسلمنا لطوني الذي قادنا إلى الدكوانة. كان يعاملنا بلطف، وكان أحدهم يتملقه بشدة، يحدثه عن علاقته بالكتائب، وعن علاقته بالصاعقة، وطوني يحدثه عن المعارك الأخيرة، وكيف سقط الكثيرون من الكتائب رفاقه. لم نتابع الطريق المؤدي إلى ساحة الدكوانة، فقد كان يقف هناك حاجز. تحدث طوني معهم ثم نزل بنا إلى طريق آخر. من رأس الدكوانة بين الأنقاض، أدركت مدى القصف المركز على مواقعهم، وحدة المعارك في هذه المناطق. كانت فاطمة تتكئ علي تارة وعلى خبورة وفاطمة الثانية تارة أخرى. وقفنا وقد أعيانا التعب والحرارة، وطلبت فاطمة للشرب، وأسرع طوني يبحث لها عن ماء، وأحضر زجاجة صحة، وشرب منها الجميع، وتابعا السير، أدركت لحظتها أنني أحمل شنطة، فتحتها، وبدأت أتخلص من الملابس لأبقي بعض الكتب والأوراق، ليخف وزنها في ذلك القيظ. وصلنا أخيراً إلى الكاراج مقر قيادة الكتائب .

- نريد أن نتحدث لأبو الفدا. أبو الفدا كان مسؤول الصاعقة، وقد نزل إلى الدكوانة بعد المفاوضات، إذ كان من الوفد المفاوض.

أجلسونا على كنبات، كنت أراقب الجو، أحدهم كان يصيح، فقد مات أخوه في الاقتحام، كان الجميع ينظرون إلينا.

كنت أدخن بهدوء مفتعل، وعيناى تتفحص الأشياء والأشخاص كانت الوجوه مألوفة، ظننت أنني أعرف أحدهم

- أنت الدكتور الذي أجرى العملية لسليم، وسليم مسيحي من سكان المخيم، أصيب برصاصة قناص من الدكوانة، اتضح فيما بعد أن القناص كان ابنه.

- نعم

- يمدحك كثيراً، هل من خدمة أوديتها لكم؟؟

- شكراً . إننا نريد أبو الفدا فقط، وجاء أبو الفدا. تعانقنا.

- دبرنا بسرعة إلى المنطقة الغربية. وضحك.

- هل تظنني حاكماً بأمرى هنا؟؟ إنى لا أكاد أتدبر نفسي، (استشهد أبو الفدا لاحقاً في ظروف غامضة)

- فاطمة بحاجة إلى مستشفى فوراً..

- لا يوجد هنا مستشفى، ولكن مهلاً سأحدثهم. وجاء أحدهم اسمه قيصر، المسؤول الصحي للكتائب. قال أنه سيأخذها إلى العيادة لإعطائها بعض المسكنات ومشينا خلفه، مررنا بساحة الدكوانة، كان الناس يملؤن الساحة وأصوات أطفال والصراخ تغطي على المنظر، والمسليحين وإطلاق النار في كل مكان، والسيارات التي تمر تكون مسرعة بجنون، النساء تولول وتنوح وهن يجلسن بجانب السيارات وفي كل مكان. ثم انطلقنا إلى اليمين حتى وصلنا إلى العيادة في الطابق الثاني. لم يكون هناك طبيب، أسرع الممرضات يرشدنني إلى خزانة الأدوية. لم أجد أي إبرة مسكنة، أخيراً وجدت بعض

الحبوب المسكنة، واستلقت فاطمة على السرير، خرجت أتجول في العيادة  
بهدهوء

- دكتور هناك جريح هل تراه؟؟
- طبعاً ، وخرجت . كان جرحاً سطحياً، شرحت للممرضة كيف تعالجه ودخلت مرة أخرى، كانت تجلس سيدة متوسطة العمر خالف الطاولة.
- تفضل. هل تشرب فنجان قهوة؟ طبعاً ، وبكل سرور شكراً، وجلسنا كانت تتكلم.
- أخيراً انتهت المشكلة، آه لو أمسك أحدهم، أولئك الوحوش، تعرف أنا لا أحقد إلا على تنظيم فتح، لو أمسك أحدهم لمصيت دمه. أشعلت سيجارة.
- ما الذي أرسلك إلى تل الزعتر؟؟
- الصدف..
- هل كنت تعالج هناك؟؟
- وماذا تظنين أنني كنت أفعل؟ طبعاً أعالج من يأتي ، لا فرق عندي كطبيب بين مريض وآخر.

بدأن يدركن من كلامي ولهجتي أنني فلسطيني، وشعرت بفتور في الجو، وبالهمس فخرجت إلى البلكون، كانت الشاحنات تقف في ساحة الدكوانة، وسيارات الكتائب العسكرية حولها. وبجانب كل سيارة كومة من الجثث، رأيت امرأة تمسك بندقية لأول مرة كما يبدو، وكان أحدهم يعلمها كيف تطلق النار على فلسطيني. أطلقت النار، وسقط الفلسطيني، وانطلقت المرأة تصرخ بجنون، مرت سيارة للكتائب، وهم يطلقون النار ابتهاجاً، انتفض جسمي لدى سماع لطلقات، ودخلت إلى المكتب وقد حزمت أمري.

— أين قيصر هذا؟ يحضرنا إلى المكتب ويذهب، إننا لا نستطيع الانتظار.  
لم يلبث قيصر أن جاء متأسفاً ليقودنا إلى مقر القيادة، نزلنا من البناية، إلى الشارع الرئيسي، كانت الناس تتحرك بجنون، وصوت النساء والأطفال يملأ الجو. مرت سيارة الصليب الأحمر الدولي مسرعة، أشرت بيدي فوقفت السيارة بقوة.

- أين كنت يا دكتور، إننا نبحث عنك.. التفت إلى قيصر
- " شكراً سنتابع مع الصليب." صافحته شاكراً وركبت مع جميع الفتيات والشباب ، حوالي السبعة

- هل رأيتم الدكتور يوسف؟؟
- إنه في أمان، أين كنت؟ حكيت لها الحكاية، والسيارة تمر في ساحة الدكوانة، كانت أكوام الجثث تملأ الساحة، صراخ النساء عويل الأطفال. وصلنا مكان سيارات الصليب الأحمر الدولي، كان جان يروح ويجيء،
- آه لقد وصلت، كان فاتراً، وأرسل. الخبر على جهاز اللاسلكي الذي يحمله، لا أدري لمن. بقينا جالسين في السيارة. كان جميع من في السيارة صامتين، كأن على رؤوسهم الطير، نراقب ما يجري في الساحة، مرت سيارة جيب تحمل مسلحين، رأيت فيها أحد الشباب من التل، كان يبدو أنهم يأخذونه للتصفية، فقد كان واجماً وهم يهللون ويطلقون النار.

ها هي وردة، ترافق أحد المسلحين، أدت وجهي متهرباً، ولكنها رأنتني، وهرعت إلى السيارة. - دكتور ، لقد قتلوا فلان، وفلان ، إن أشياء رهيبه تجري كيف يحدث

ذلك؟؟ حاولت تهدئتها عندما اقترب مسلح من السيارة ونهرها قائلاً. من هذا؟؟  
وارتبكت،

- إنه الدكتور في تل الزعتر، إنه.. كانت عيناه تقدح شرراً.  
- أنت إذن طبيب في تل الزعتر، تداوي الجرحى ليقاتلوننا، أنت إذن ضدنا، ويجب أن تموت، ماذا يثبت لي أنك طبيب؟؟ لم أدر أي شيطان عبث في رأسي ، عندما أخرجت بطاقة الهلال الأحمر الفلسطيني، أضعها في وجهه بتحدي. أخذ حبة في بيت النار واستعد للإطلاق

- انزل من السيارة يا...، وبقيت جالساً، وصاح مرة أخرى  
- إنزل من السيارة وبقيت جالساً. كان قد بدأ يفقد أعصابه، وبقيت جالساً وشعور من اللامبالاة يجتاحني، انتبهت ليلي على الصراخ، وهرعت اليه، وقفت بيني وبينه، كانت تصرخ  
- لا يمكنك أن تفعل ذلك ، إنه طبيب، أتعرف معنى أنه طبيب؟؟ لخدمة الإنسانية. كان يصرخ سأقتله، سأقتله، إبعدي. كانت ليلي من بعثة الصليب الأحمر، وانتبه بقية أعضاء البعثة على الصراخ ، وتجمعوا حوله ، وبدؤا معه نقاشاً حاداً، ركب أحدهم السيارة وانطلق إلى الجديدة المقر الرئيس لإقليم المتن الشمالي.

كنت أراقب الشوارع والبيوت، وصلنا . كان يقف أمام البناية في مدخل الشارع جمهرة من المسلحين، خفت أن يقوم أحدهم بعمل غبي، وأسرعت، سعدنا إلى الطابق الثاني يرافقنا الذي ساق السيارة من الصليب الأحمر، لا أدري ما اسمه، دخلنا إلى بعثة الصيب الأحمر هناك، طلب منا كتابة الأسماء والمهنة. الجميع ممرضون حنى جميل المقاتل الذي انضم إلينا على الطريق. لم يبد أنهم صدقوه. وسألوني: - إنه ليس ممرضاً ، فقلت أنه من كادر المستشفى، إنه مسؤول التموين والمستودع. أحضروا لنا سندويشاً، وجاء أحدهم يطلبني، أقتادني إلى غرفة مجاورة.

دخلت لأرى أحدهم جالساً خلف الطاولة.  
" أنا الدكتور ريشا، مسؤول الخدمات الطبية لإقليم المتن في حزب الكتائب. حضرتك الدكتور في تل الزعتر؟ الحمد لله على سلامتك، كانت أياماً شاقة أليس كذلك؟؟

- يعني. كانت أعصابي باردة، وبدأت أبتسم وهو يوجه لي الاتهامات،  
- إن المستشفى كان مركزاً للتعذيب، وأنكم سحبتكم الدم من المسيحيين حتى الموت..

- دكتور ، أنت طبيب. ولا أظن أنك تصدق مثل هذه الخزعبلات، إنني أفهم أن يقول رجل الشارع ذلك. ولكنك طبيب وتعرف أصول المهنة، لنتكلم كأبناء مهنة واحدة. ثم إنني قادر على الرد على مثل هذه الاتهامات، وأثبات العكس، وأستطيع إعطاك أسماء أشخاص من عندكم عالجنهم في مستشفانا، أريد أن أسألك لو أتاك جريح فلسطيني، هل تقتله.

- طبعاً لا ، تعرف أنني كنت من أشد المتحمسين لقضيتكم، وقد حصلت لي مضايقات في الجامعة نتيجة العمل السياسي.

- أين درست؟؟

- في بلجيكا.

بدأ الحديث يأخذ مجرى آخر، وبدأنا نتحدث عن الحرب في لبنان، وطبيعة التناقضات الموجودة على الساحة ، وعن تحالف جنبلاط مع الفلسطينيين، كان يبدو حاقداً على جنبلاط.

- القضية في لبنان لا يمكن أن تحل إلا بتقارب الطرفين، نحن لا نريد لبنان، نريد أن نحرر بلدنا فلسطين. واجبكم أن تدعمونا.  
- هناك أخطاء عندكم،  
- هل أنتم بدون أخطاء، إنها قضية حضارية، وتحتاج إلى وقت. ، لكننا سرنا على الطريق.

بدأ الجو يتحسن، عندما خرجت، كان قد أعطاني هاتفه لأتصل به في أقرب فرصة. لا بد أن يبدأ التفاهم بيننا، إن أهدافنا متقاربة. كان واعياً لكل ما يجري، وطمأنني ، أنه لن يحدث لنا شيء ، ولكنه قال "إننا نعتبركم أسرى حرب، تبقون عندنا حتى يبت في أمركم".

عدت إلى المكتب، كان الشباب قد قلقوا علي، طمأنتهم، جاء أحدهم يستدعيني مرة أخرى، ونزلت معه إلى الطابق الأول، هناك التقيت يوسف والأطباء السويديين، تبادلنا النظرات، حدثني يوسف أن جميع الممرضين قد أخذوا في مدخل الدكوانة، وأطلق النار عليهم ، حدثني عن الذبح والقتل، عن الجثث الملقاة على الطريق. وحدثني أنهم قد ذبحوا الراهب بولص بالسكين في تلة المير، لأنه فلسطيني، كما قتلوا الدكتور جورج ديب وسبعة ممرضين فلسطينيين مسيحيين في جسر الباشا.

كان قد التقى بالدكتور ريشا أيضاً وألقى عليه نفس التهم، وتفاهمنا ما تعنيه أسرى حرب، تحدثنا مع الصليب الأحمر، وجاء جان يخبرنا أن حسن صبري الخولي قد وصل وأنه يحاول أن يأخذنا معه. مر أحدهم يتسكع في الممر، ضخم الجثة، نظر الينا ثم سأل الجالس " من أين هؤلاء، إن أشكالهم لا تعجبني، زجره فذهب. حدثني يوسف أنه رآه على الحاجز في الدكوانة يمسح الدم عن سكينه، ويبحث عن ذبيحة أخرى. كان الجالس خلف الطاولة يسأل وقد بدأ يحاول أن يكسب ودنا ، ونحن نحدثه بصراحة عن المخيم والقصف،

"ماذا عن الأنفاق تحت الأرض، ومصانع الأسلحة والسلاح؟؟"

لم يصدق أنه لم يكن في المخيم شيء، لقد وقع الانعزاليون أسرى لدعايتهم، فصدقوا أن هناك أسلحة فتاكة وسرايب ومدينة تحت الأرض ومصانع للأسلحة، كان يستغرب ما نقصه عليه، أخيراً خرج صبري الخولي وخرجنا معه، كان يبدو غير واثق بهم، فقد كان يتأكد باستمرار أنا ما زلنا معه. كما أصر أن نصعد بالسيارة معه مع الأطباء السويديين.

كان أمين الجميل يقود السيارة ويلبس بذلة زرقاء وربطة عنق أنيقة، في جلسة علاقات عامة، مرت بنا السيارة من النبعة، كان إمين الجميل يشرح للخولي كيف كان تل الزعتر مزعجاً ومن أين كان يأتي القصف، ومناطق الاشتباكات. في حي السريان قرب المتحف غيرنا السيارة وصعدنا في سيار عسكرية للجيش السوداني بعد أن فارقنا أمين الجميل.

مر شريط أمامي من المناظر التي شهدتها وأحسست بغصة في حلقي ودمعة في عيني، كانت الدكتوراة السويدية قد أجهشت بالبكاء.

ليس ما شاهدناه قليلاً، هذا الامتحان، لقيمة الإنسان، للحياة للقيم. ما أقسى أن تشعر أنك لا تساوي شيئاً، لا قيمة لك.

\*\*\*

أبو إياد يصف الاتفاقية" وقد دق احتلال مخيم جسر الباشا الفلسطيني (في 29 حزيران - يونيه)، ثم احتلال حي النبعة اللبناني - المسلم بعد ذلك (في 6 آب - أغسطس)، ناقوس تل الزعتر، فتم عقد اتفاق بواسطة ممثل الجامعة العربية في 11 آب - أغسطس حول أشكال الإخلاء التي ستطبق من الغداة. كانت الشروط مشرفة نسبياً من حيث أن المحاربين سيغادرون المخيم مع المدنيين في آن معاً، دون أن يستسلموا للميليشيات المارونية، بل تتكفل بهم «قوة السلام» العربية والصليب الأحمر اللذين يزودونهم بوسائل النقل اللازمة".  
مهما حاولنا أن نتحدث عما حدث هذا اليوم من مجازر رهيبة، فإننا لا نستطيع وصف ما حدث من مجازر. كانت الجماهير التي أصيبت بالهلع الشديد قد اندفعت في الساعة السادسة إلى الدكوانة عن طريق الخروبة ، ثم اندفع قسم آخر إلى سلاف فالنافعة من فوق مجرور الدكوانة ، ثم اندفع القسم الأكبر إلى الجهة الجنوبية من المخيم عند محور الجبهة الشعبية -جسر الباشا- قرن الشباك - الشياح- المنطقة الغربية كما كانوا يظنون.  
وأما من نزلوا عن طريق الخروبة الدكوانة فقد تلقتهم قوات الكتائب ، وقتلت كل ذكر فوق ١٢ سنة، وإبقت على النساء ، بحيث على طول الطريق من الخروبة إلى الدكوانة كنت تجد شهيداً بعد كل متر على جانبي الطريق، وكلهم من المدنيين.

وبعد وصول الطاقم الطبي للهلال الأحمر إلى المدرسة الفندقية ساحة الدكوانة ، رشوا جميع الذكور من الممرضين والممرضات، ثم ربطوا الممرض محمود فريجي (أبو ياسين)(من الجبهة الشعبية) ، ربطوا كل قدم من قدميه بسيارة، ثم سارت كل منهما في اتجاه معاكس.  
وأما من ذهب إلى الغرب من معمل جورج متى إلى تلة القيادة العامة، فسلاف فوق مجرور الدكوانة، فتلقفتهم عصابة مارون خوري (الباش مارون) وقتلت منهم عدداً كبيراً ، ولكن سبب القتل كان المال، أي أن هذه العصابة لم تقتل كل الذكور.

وأما الجماهير التي اندفعت إلى الجنوب، فتلقاهم الفاشيون (عصابات حراس الأرز ، وكميل شمعون) وحصدوهم حصداً، بحيث قتلوا النساء والأطفال والشيوخ والشباب، ومارسوا إبادة الجنس الفلسطيني، بحيث لم يبق أحد على قيد الحياة. ولم يكتفوا بذلك بل قطعوا رؤوس الأموات وأخذوها ليعرضوها على جماهيرهم.

ومن بقي من الذكور ممن سلموا من عصابات مارون الخوري والكتائب، نقلوا في شاحنات إلى المنطقة الغربية. وعلى حاجز السريان الحاقدين في العدلية قرب المتحف أنزلوهم وقتلوا الذكور الذين بقوا أحياء، ومن سلم فقد كان له قصة. فإما أنه سوري، أو راعي غنم ، أو لبناني من جماعة الصدر، أو. وعدد هؤلاء قليل جداً.



واعترف الفاشيون أنفسهم وأمين الجميل أن الشباب فشاوا خلقهم وقتلوا ٢٢٠٠ شهيد في يوم واحد فقط هو ١٢/٨/١٩٧٦.١٢٢ وربما كان يقصد من قتلوا من قبل الكتائب فقط، وليس جميع التنظيمات الانعزالية التي كانت تتنافس على قتل أكبر عدد ممكن من الشباب وسلب النساء .

وهكذا فإن ميليشيات اليمين المسيحي اغتالت في يوم واحد عدداً من الأشخاص يزيد على عدد ما قتلوه خلال الاثني والخمسين يوماً من حصار تل الزعتر. وبالإجمال فإن عملياتهم هذه أوقعت حوالي ٣٠٠٠ ضحية.١٢٣ فاديا سالم<sup>١٢٤</sup> روت لي كيف خرجت مع التمريض ولبسوا أبيض، وقد تم إطلاق النار عليهم في الطريق، فاديا رجعت عندما أحست بالحركة غير العادية في أثناء النزول رجعت تبحث عن والديها وخرجت معهم ، وحملت أولاد أخيها، في الدكوانة كانوا ينادون عليها ويبحثون عنها. وحاولت أحدها أن تدل عليها ولكن النساء منعوها. الكتائب أمسكت والدها وربطوه بسيارتين متعاكستين الاتجاه يسألونه عن ابنه علي سالم وعن ابنته فاديا. ثم سارت السيارتين في ساحة الدكوانة في اتجاهات معاكسة حتى وصلوا إلى المتحف حيث تم إحراق عدة جثث لفلسطينيين من تل الزعتر. أمها وضعت الوحل على وجهها حتى لا يتعرف عليها أحد ولبسنا الملابس بالمقلوب . كان الانعزاليون يسحبون الأولاد من بين النساء ويطلقون النار عليهم أو يذبحوهم مثل الدجاج. وكانوا يسلبون الذهب والنقود من النساء، نساء تل الزعتر عندما شاهدن قوات الردع العربية خلعن أحذيتهن وهجمن عليهم، وهو يصحن ويتسائلن- وينكو.. مش شايفين. ثم خرجوا مع سيارات الشحن فقال الكتائب - سبوا أبوعمار والنساء يرددن ما يطلبه الانعزاليون. وأخيراً تحركت الشاحنات إلى المنطقة الغربية.

\*\*\*\*

وروى عارف طه حكايته بعد هذه المدة: حملنا الجرحى إلى ساحة الدكوانة ومشينا وحصرونا في منطقة أخذوا الجرحى وقتلوهم، بعد استوديو فوزي ، أدخلوا الطاقم الطبي إلى كراج مفتوح مع الجرحى، وأحس بحركة غير طبيعية في الخارج، أحسست بوجود تصفية، خلعت ملابس البيضاء وأدخلته تحت البنطلون ولبست قميص عادي، ومعني هويات رميتهم وكان معي بطاقة تمريض لبنانية، وبطاقة فلسطينية بنفس المواصفات في جيبتي ، كان المسلحين في كل مكان، كان من يمر أمامهم ، أحدهم كان يفرغ الخزان في ظهره، المنطقة مكشوفة ولا مهرب، فأكملت الطريق، وصلت قلت بلهجة لبنانية رداً على سؤاله

١٢٢ تل الزعتر الرمز والأسطورة، أبو أحمد الزعتر، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - بيروت ١٩٧٧

١٢٣ صلاح خلف أبو إياد، فلسطيني بلا هوية ص. <http://alma3raka.net/IMG/pdf/falasteeni-2.pdf>

١٢٤ حديث خاص مع فاديا سالم في نوفمبر ٢٠١٥ في بر الياس .

- أنا من راس الدكوانة هاي تذكرتي، ومددت يدي غير عارف أيهما الصحيحة  
وقمت بإخراج أحدهما فكانت اللبنانية لحسن حظي..، فقال يا لله اركض، وأنا  
أنتظر إطلاق النار.. ١٢٥

\*\*\*

وتقول بهاء العبد الله: " لم أر أو اسمع أو أقرأ عن عمل وجهه طبي مشرف  
كالذي قمنا به تحت ظل الحصار الطويل والقذائف الشديدة الانفجار  
والصواريخ التي تحمل الموت و الرعب والدمار متلازمة مع النقص الكامل  
بكل مقومات الحياة ومنها الأدوية الضرورية واللازمة لمثل هذا الواقع  
المأساوي فلا دواء ولا بنج ولا مصل ولا اناره ولا ماء فالعمليات الجراحية  
على اختلاف أنواعها تجري تحت ضوء الشمعة الخافت ونستخدم  
الشراشف لتضميد ولف الجروح بعد ان نفذت لفافات الشاش المعقم ونظهر  
الجروح بالماء والملح مع العلم أن كوب الماء كان يعادل كوبا من الدم وتمت  
الاستعانة بالماء المعقم للجرحى غير القادرين على تحمل الآلام و  
الأوجاع الناتجة عن عمليات البتر كمسكن لتلك الآلام، وكنا نضيئ الشمع  
أمام الأطباء للاستعانة بالمراجع الطبية عند الضرورة . يمر علينا يومان في  
غرفة العمليات لا نستطيع مغادرتها حرصا على إنقاذ حياة او إيقاف نزيف  
واما الشهداء فيتم دفنهم في البيوت القريبة أو في المنجرة القريبة من  
المشفى والجامع .ولا بد من الإشارة هنا بان د.عبدالعزیز قام بتحنيط جثث  
لشهيدين من الضفه ليتم نقلهما عند انتهاء المعركة. في إحدى اللحظات  
جاءنا خبر بان أهل أحد المتطوعين معنا قد ذبحوا في الملجأ المحاذي  
لمدرسة جنين وما يعرف بملجأ جورج متى فأصابه الذعر وقرر أن يذهب  
ليرى ما عساه ان يعمل فطلب مني د.عبدالعزیز مرافقته الى مكان  
المجزره ولانقاذ ما يمكن انقاذه و زودنا بألة تصوير وما ان دخلنا الملجأ  
حتى شممنا رائحة الموت تنبعث من بين جدران الملجأ وقد خيم الخوف  
والرعب في كل مكان فلا وجود لكائن حي، فقد امتلات أرض الملجأ بالجثث  
وقد استخدم الانعزاليون الرصاص لقتل الجميع دون تمييز بين طفل وامراه  
مستخدمين البلطات لقطع الايادي و الرؤوس وقد استوقفني مشهد لطفلة  
تحتضن امها بيد واليد الاخرى مقطوعة .قمت بتصوير المجزرة وعدنا ادراجنا.  
لم ندخر جهدا الا وبذلناه من اجل إنقاذ جرحانا وخاصة ممن بترت اطرافهم  
ولا يستطيعون الحراك وحتى اللحظة الأخيرة عندما قيل لنا بان  
المؤسسات الانسانية ستقوم بنقل الجرحى حسب الاتفاق الأخير الذي  
تم برعاية القوات العربية .فقام بعض الاخوه الممرضين والمتطوعين باحضار  
أبواب (كحمالة) لنقل الجرحى إلى أقرب نقطة عند مدخل الدكوانة الا أن  
أحدا منهم لم يعود لنقل باقي الجرحى. عندها تقدمنا باتجاه الدكوانة  
وسط ممر ضيق اجباري يحاصرنا به المسلحون وإطلاق نار كثيف باتجاه

١٢٥ حديث خاص مع عارف طه نوفمبر ٢٠١٥ بر الياس.

الأهالي ممن خرجوا مصدقين هذه الضمانات من قوات الردع العربيه ورغم الخوف الشديد والذعر كنت أرى الأرض مغطاه بجثث الأطفال والنساء والمسنيين ورغم إطلاق النار كنت أسمع الانين والالام المصاحبه لخروج الروح وشاهدت جثث الممرضيين والمتطوعيين والجرحى المنقولين على الالواح الخشبيه عندها شعرت ان الطاقم الطبي قد جزر بهم .اصابني الذعر والرجفة ولا ادري اي مصير ينتظرنا... إحد المسلحين اشار لي بالوقوف الى جانب الطريق فوقفت واخذ مني عنوة الكيس الذي كنت أحمله وهو الذي اعطاني اياه د. عبدالعزيز، ويحتوي على الافلام الوثائقيه والتي تم تصويرها داخل غرفة العمليات و للمجزره التي وقعت بالقرب من ملجأ مدرسة جنين كذلك افلام عن المبنى الذي سقط فوق الملجأ وبداخله ٢٠٠ عائلة والذي لم ينج منهم احد . وانا واقفة على جانب الطريق شاهدت شخصا يؤشر لي بيده فهمت معناها بأن اهرب وبالفعل غافلت المسلحين ومشيت كبقية الاهالي باتجاه النافعة في الدكوانه وهناك ادركت بان الغالبية العظمى من الطاقم الطبي قد قتل"١٢٦.

\*\*\*

خرج أدهم من المخيم مع الجرحى في الدفعة الثانية وهو يحمل رسالة من قيادة المخيم السياسية والعسكرية، كما كان يحمل تصور قيادة المخيم عن نهاية المعركة.

كانت قيادة المخيم قد وصلت إلى نتيجة أنه لا يمكن إدخال المزيد من القوات إلى داخل المخيم لظروف مختلفة، وكانت ترى عبثية إطالة الحصار والمقاومة، فهي لن تؤدي لنتيجة مع وجود الآلاف من المدنيين والأطفال المعرضين للجوع والمرض والقصف الشديد.

مستشاروا القيادة كانوا ينقلون اقتراح الكتائب بخروج المسلحين رافعين العلم الأبيض على بنادقهم، وكان أبو عمار يرفض الاستسلام، ولكن أدهم اقترح إخراج المقاتلين بدون رفع الرايات البيضاء، عن طريق الجبل، وبكل كرامة، وبأسلحتهم. فوجئت القيادة بذلك، فشرح لهم أدهم أن قيادة تل الزعتر قد بحثت الأمر واتفقت على إخراج المقاتلين من الجبل، بعد إذن القيادة في بيروت. ووافقت القيادة على ذلك، وطلبت من أدهم إعطاء الأمر لقيادة المخيم، رفض أدهم وقال:

- أنا لا أعطي أمراً بالانسحاب ، وإنما القائد العام هو الذي يعطي الأوامر. ١٢٧  
ورفض القائد العام إعطاء أمر بالانسحاب. وهنا تدخل أبو الوليد الذي طلب من أدهم حل الإشكال، فقال أدهم:

- سأرسل برقية لقيادة المخيم أنه بناء على أوامر القيادة، فعليكم اللجوء للخطة المتفق عليها سابقاً.

١٢٥ بهاء العبدالله في حديث خاص ٢٠١٥ بيروت ١٢٦

١٢٧ حديث مع عبد الله عامر أدهم/ ١١

وتم تشكيل وحدات للخروج، ولكل وحدة قائد ومع كل وحدة جعبة إسعاف وأحد المتطوعين. ولكن الأمور لم تسر بهذه السلاسة. فقد اختلط الحابل بالنابل مثل يوم الحشر، والكل يحاول أن ينجو بجلده من موت محقق.

## ١٧- الخروج من الجبل

الاشتباكات مستمرة على جميع المحاور، فقد شن الانعزاليون هجوماً شاملاً واستطاعوا الوصول إلى أطراف المخيم ودخلوا بعض الأحياء، ودارت اشتباكات عنيفة وجهاً لوجه مع قوات الجبهة الشعبية، وتكبد الانعزاليون خسائر فادحة في الأرواح، ثم تقدموا إلى المستشفى في داخل المخيم، وهناك دارت أعنف المعارك من بيت إلى بيت واستمرت المعركة حتى عصر ذلك اليوم، حيث تكبدوا خسائر فادحة، في الأرواح، ولكن استطاع الانعزاليون السيطرة على المستشفى، بعد انسحاب الشباب، كان محمد شحادة وأبوجبال هما أبطال هذه المعركة. (محمد شحادة استشهد في السعديات بعد الخروج في عملية إنزال إسرائيلية، واستشهد أبو جبال في طريق الخروج في الجبل).

دخل الانعزاليون إلى المستشفى وذبحوا من بقي من الجرحى والمدنيين حتى النساء والأطفال. كانت مجزرة رهيبة.

قيادة المنطقة الشرقية انسحبت إلى شرق المخيم واتخذت مواقع قتالية، وتجمع معهم حوالي ٣٠٠ مقاتل بينهم العديد من الفتيات اللواتي كن يحملن السلاح. دارت المعارك والمناوشات طيلة النهار، ولم تتمكن القوات الانعزالية من اقتحام المدرسة لبسالة المدافعين، والخوف من المزيد من الخسائر، وكانوا يطالبون القيادة بالاستسلام، بمكبرات الصوت والتعامل معهم كأسرى حرب.

استمرت الحال طيلة النهار بين كر وفر حتى ما بعد الغروب. وقد كان من أشرس المقاتلين علي سالم وأحمد القمح والماو من فتح، وقد استشهد عدد من القوات المشتركة في هذه المعارك. وعمد الانعزاليون إلى حرق المنازل المحيطة بالمدرسة بهدف تشديد الحصار والرؤية الليلية الأفضل، ولكن القوات المشتركة استطاعوا الخروج من بين البيوت المحترقة رغم الحصار.

وبدأت القوات الخروج عبر الجبل بعد أن تنظموا في سرايا ، لكل سرية قيادة وأدلاء باتجاه وادي تل الزعتر، من الجهتين الشمالية والجنوبية لتلة المير شرقي المخيم ، واستمر الخروج بالتدريج بسبب كثافة القوات الانعزالية في المنطقة. ويذكر أن مشاهدات عيانية قد حدثت لبعض القوات المشتركة والقوات الانعزالية أثناء عملية الانسحاب، إلا أن أحداً لم يكن من مصلحته فتح النار على الآخر فقد كانا منهكين من القتال طيلة النهار.

لقد انسحب المقاتلون الفلسطينيون من مواقعهم في محيط المخيم نحو الشرق والجنوب الشرقي، على الرغم من إحكام الحصار، وشقوا طريقهم المحفوفة بالمخاطر (المنصورية وبيت مري من الشمال وبعبدو والكحالة والجمهور من الجنوب) وباتجاه الجبل سالكين الوديان حيث تجنبوا التلال والمرتفعات والمناطق المأهولة وفي ظل تنسيق كامل مع قيادة المدفعية الفلسطينية المتواجدة في رأس الجبل ( قصر غندور ) والتي قدمت كامل الدعم الناري والإسناد المدفعي وساهمت بتأمين وصولهم سالمين للجبل في عاليه وكيفون وقبر شمون وبكامل عتادهم العسكري وما تبقى من ذخيرة فردية.

كانت القيادة الفلسطينية تحاول تجنب المعركة، ولما فرضت عليها حاولت الدفاع، ولكن حصلت اتفاقيات مع الكتائب لتجنب المخيم النتيجة الدموية، فحاولوا إخراج المخيم والمدنيين، على أساس أنه قد حصل اتفاق على إخراج المدنيين تعهدوا أن لا يجري لهم شيئاً ويخرجوا بسلام، ولكن الانعزاليين لم يلتزموا بالاتفاق، وذبحوا ومثلوا بالفلسطينيين، قد قدر عدد القتلى يوم الخروج بأربعة آلاف من المدنيين العزل الذين كانوا يستسلمون إلى الصليب الأحمر الدولي وقوات الأمن العربية. لم يخطر ببال قيادة الحركة الوطنية أو الفلسطينيين أن يستسلموا للانعزاليين، بل لقد تم الاتفاق على إخلاء المخيم بتعهد سلامتهم، ولكنهم خانوا الاتفاق ، ولم يستطيعوا كبح جماح مقاتليهم المعبئين ضد الفلسطينيين والذين قاتلوا بضراوة ولم يفلحوا في تحقيق انتصار عسكري، فكانت فشة الخلق ، على رأي أمين الجميل.

يقول عبد المحسن<sup>١٢٨</sup>

دخول الكتائب إلى المخيم عمل إرباك وخلل في عملية تنظيم الانسحاب، كنت مع سلمان وانسحبنا إلى داخل المخيم، لمدرسة بيسان ثم المستشفى، ثم عدنا لمدرسة بيسان وبقينا طيلة النهار ودخل الكتائب وحصل معهم اشتباك ، وانسحبوا في الليل إلى أطراف المخيم، كانت مجزرة المدنيين تتم في الدكوانة خلال النهار ، ولم نكن علي علم بما يحصل. وتابعتنا الخروج في الليل وفي الطريق قابلنا أحد الشباب فأخبرني أنه شاهد جثة امرأة مذبوحة ويحانها طفلها أمام بيتي، كانت زوجتي قد ولدت قبل أسبوعين . لم أدري ماذا أقول؟؟ بدأنا التسلسل عبر البرج العالي ، قطعنا الشارع ووصلنا إلى مقابل دير ما روكز، وصرنا نرى المدنيين عائدين وكذلك المسلحين، واجتمع المدنيين الناس من سكان

<sup>١٢٨</sup> في حديث خاص مع نبيل معروف في عمان ٢٠١٥

المخيم حولنا، وقررنا الرجوع إلى المخيم تجنباً للقصف، وعدم توريث المدنيين معنا.

عدنا إلى المستشفى وذهبنا لمدرسة بيسان وكان معنا حوالي ١٠٥ مقاتلين. في الليل المدنيين انتشروا، وفي اليوم التالي توالى الاشتباكات مع الانعزاليين، وفي المساء قررنا الخروج مرة أخرى، بدون مدنيين هذه المرة. وصلنا المنصورية، وانقسمت الدورية بدون تخطيط إلى أكثر من مجموعة، ومع طلوع الفجر الأول وجدت حوالي ٣٥ مقاتلاً معي، ولم نر القمح بعد ذلك، كان معي سلمان ومحمد شحادة وفايز فريجة، أبو العواصف، وقد أكلنا عنباً رائعاً في الصباح الباكر على الندى. كنا في الليل قد نزلنا قناطر زبيدة على يمين المكلس، وطلعنا على الجبل باتجاه جماعتنا. كان محمد شحادة قائد الاستطلاع، كان يمشي ١٠٠ متر ويستطلع، ثم يعود ليقول لنا أن نتقدم. كنا ننتظر الإشارة وكان معي ثائر من مرافقي أبو جهاد، والمدنيين مثل أبو محمد فريجة وأبو العواصف، وكنت أوليهم مزيداً من الاهتمام، لأنهم ليسوا عسكريين. فجأة اكتشفت أننا في حفرة مع ستة مدنيين فقط، ورأيت جثثاً وخبزاً وبقايا طعام، فطلبت من ثائر أن يعود إلى التلة لبحث عن البقية، وذهب ثائر، ولم يعد. وقدرت الوقت اللازم للذهاب والعودة، وانتظرت عودته، ولكنه لم يعد. فقررت الذهاب بنفسني، وفي قمة التلة كان الشباب يقفون بانتظار محمد شحادة ومعهم ثائر، وسألت سلمان إذا كان ثائر قد أخبره شيئاً فنفي ذلك، وأخبرته بما جرى فهجم عليه سلمان يعرضه في رأسه، وأرسلت ثائر لإحضار بقية الشباب، على بعد ٢٠٠ متر. وكنا سنلتقي حتماً لو واصلنا سيرنا وكنا سنقتتل ونطلق النار على بعض. في الطريق رأينا أبو جبال من القيادة العامة. ثم جاء أبو فراس من الجسر أما نحن فتابعنا السير وأوصلنا أبو فراس إلى المنطقة الآمنة.

عاد أبو فراس بعد أن أوصلنا إلى أبو جبال مع حمالة لنقله وقد أطلقت عليهم النار من الكتائب وقتلوا في الموقع.

في الطريق تحت المنصورية وجدنا نفق اضطررنا أن نزحف على بطوننا لاجتيازه، أبو العواصف صاح وهو يزحف، والله طرزان ما عملها...، ومررنا بعد ذلك ببركة ويجب أن نتعدها صعوداً، وكانت الأرض طينية، وكنت ألبس بوت عسكري صيني، وكلما أصل إلى الحافة أزحلق، فخلعت البوت ورميته، وصعدت، ثم أكملت الطريق حافياً، واضطرت إلى قطع البنطلون وربط قدمي بالقماش وأكملت الطريق حتى وصلنا إلى منطقة عزمي الصغير، حيث أحضروا لنا جيب عسكري ووفي الطريق أطلقت النار علينا، فحاول السائق الرجوع، فانفتح باب السيارة ووقعت من الجيب. ولم نشتبك طيلة الطريق. ١٢٩



يقول أبو محمد خليفة أحد مقاتلي فتح " ١٣٠

كنت في ١١ آب ١٩٧٦ مرافقاً للأخ عبد المحسن (نبيل معروف) أحد قيادات تل الزعتر، في جولة بين المقاتلين، فجاء أحد المقاتلين وأخبر عبد المحسن أن القيادة في بيروت الغربية أرسلت برقية تطالبه بالحضور إلى غرفة العمليات الموجودة في بيت أبو رياض بدران شارع طلعة المدة، للحديث معه بشأن الوضع في المخيم، فذهبت معه إلى هناك ، وتم إبلاغه بقرار الانسحاب من مخيم تل الزعتر، الناس من خلال التسليم والمقاتلين من خلال الانسحاب عبر الجبال. طلب مني عبد المحسن أن أخبر على سالم (أبو أحمد) وهو أحد القيادات في فتح بالصمود والثبات في المحور الذي كان يتسلمه، في الجهة الغربية من المخيم بالقرب من العيوطي، وفلافل الغزاوي. توجهت باتجاه المحور فالتقيت بالأخ عمر أورفلي وأخبرني بأن القيادة والمقاتلين بدؤا يتجمعون بالقرب من مستودع التموين بالقرب من توبة للخروج من المخيم، فلم أصدق فقال لي إذهب وأخبر على سالم فطلبت منه الذهاب معي، وهذا ما حصل. عدت وعلى سالم إلى حيث تجمع القيادة والمقاتلين ، فوجدنا حوالي ٥٠٠ شخص من المقاتلين والأهالي ، وكان سلمان جيشر وعبد المحسن مجتمعين، فدخل على سالم واستعلم عن الأمر فأخبروه أن القيادة طلبت إخلاء المخيم.

في أوائل الليل توجهت مع عدد كبير من المقاتلين باتجاه الشارع الذي يفصل المخيم عن منطقة البرج العالي لبدء الخروج من المخيم، واستطاع عدد من المقاتلين النفاذ باتجاه الوادي، لكن العدد الأكبر عاد إلى المخيم، إلى مدرسة بيسان للتجمع، وقد قامت القيادة بتوزيع الحراسات حول المدرسة في الشوارع والزوارب لصد الهجمات من الانعزاليين الذين بدؤا يدخلون إلى المخيم ، لا سيما من الجهتين الغربية والجنوبية ، وبات عدد من القيادة والمقاتلين في ملجأ مدرسة بيسان ، وقد دارت مواجهات عنيفة داخل المخيم مع الانعزاليين تكبدوا فيها خسائر فادحة.

وبعد غروب ليلة ١٢ آب ١٩٧٦ قررت القيادة الخروج ، وأذكر من القيادات التي كانت موجودة : سلمان، عبد المحسن، أبو العواصف، أحمد حسون، محمد عبدو، محمد شحادة، وغيرهم، . خرجنا باتجاه الشارع الذي يفصل المخيم عن البرج العالي فمرت من أمامنا مجموعة من الانعزاليين، لكننا لم نقم باطلاق النار عليهم، ولا هم أطلقوا النار باتجاهنا لتسهيل عملية الانسحاب. ومن ثم دخلنا إلى منطقة البرج العالي ومنها نزلنا في وادي الليمون الواقع تحت دير مار روكز ، ومن هناك سرنا في الوادي باتجاه المنصورية مقابل مدرسة الفيرير، وبتنا ليلتنا، لكننا اصطدمنا مع مجموعات الانعزاليين ، فدارت مواجهات ، ولما كان عدداً كبيراً تم توزيع المقاتلين إلى مجموعات يتراوح عدد المجموعة بين ٢٠-٢٥ مقاتل.

ومن هناك اتخذت مجموعتنا طريقاً باتجاه المونتي فيردي ، ومنها إلى وادي قناطر زبيدة ، وبتنا ليلتنا ، وقد وجدنا في الطريق الشهيد أبو جبال(فتحي كيوان) مستشهداً ، وكان مفخخاً فلم يقترب منه أحد، كما وجدنا عدد من مقاتلي تل الزعتر مستشهدين بسبب المواجهات مع الانعزاليين والقصف المدفعي العنيف.

١٣٠ تل الزعتر، حسين فارس، ذاكرة فلسطينية خالدة دار الندى للطباعة والنشر- بيروت ٢٠٠٧

كنا نهاراً لا نتحرك حتى لا يكتشف أمرنا، وفي الليل نواصل المسير بحذر كبير ، وكنا نبتعد في السير بمحاذاة النهر بسبب الكمائن الانعزالية المجهزة برشاشات عيار ٥٠٠ الغزيرة النيران، كما أن الجوع والعطش تمكن منا، ومن حسن حظنا أكلنا بعض ثمار الخروب واضطررنا لشرب البول أحياناً ، وقد وصل بنا الأمر، أن قمت وعدد من المقاتلين بالانحدار نحو النهر وشرب الماء رغم التحذير والخطر، وكان شعارنا ، أننا سنموت ، فمن الأفضل أن نموت وقد شربنا الماء. تابعنا سيرنا باتجاه ظهر الوحش فرأينا قبة عن بعد فظننا أننا وصلنا إلى منطقة العبادية، فرأنا الانعزاليين ، وفوجئنا بالمحمولات التي أخذت تصب نيرانها باتجاهنا، فما كان منا إلا العودة باتجاه الوادي، لكن لسوء حظنا، فوجئنا بمجموعات انعزالية ، عرفوا عن أنفسهم بأنهم من مجموعات عاريا الأمر الذي أدى إلى اندلاع اشتباكات بيننا ، فهربوا، ثم عاد الانعزاليون بملاحقتنا، وكان عددا وقتها ٢٠ مقاتلاً.

وفي تلك المنطقة رأينا عبارة مياه فاخبتاً فيها تسعة من المقاتلين، واختبأ مقاتل يدعى أحمد على شجرة ، كما أن أبا ابراهيم المنشاوي مع مقاتل آخر استطاع الانعزاليون أسرهما وقتلهما، والباقي تفرقوا عنا، ولم نعد نراهم. وقد بتنا في العبارة ، وجاءت مجموعات من الانعزاليين للتفتيش عنا، ووقفت إحدى المجموعات على العبارة ، فما كان من أحمد الموجود على الشجرة إلا وأن قام بإطلاق النار عليهم، فابتعدوا عنا، طانين أن الذي يرمي عليهم هي مجموعة منهم من الجهة الأخرى للنهر، وقد عرفنا ذلك من خلال الأصوات.

ومع الليل تابعنا سيرنا باتجاه الوادي، وقمنا باجتياز النهر، ولكن لسوء حظنا كانت الأرض ملغمة، فانفجر لغم بالمناضل يوسف العلي مما أدى إلى بتر قدمه، فدخلنا إحدى المغارات، وتأكدنا أن الانفجار لم يكن ناتجاً عن قصف انعزالي، وقمنا بلف قدمه بما توفر لنا من قماش، وطلبنا منه البقاء لمتابعة سيرنا، لكنه أصر على السير معنا، وقال يسواني ما يسواكم. وسرنا مسافة طويلة في الوديان حيث كنا نسير ليلاً وننام نهاراً إلى أن وصلنا إلى منطقة رأينا فيها شخصاً يركض، فسحبنا عليه الأقسام، فما كان منه وبعد أن صرخنا عليه ليتوقف أن قال- أنا فلسطيني، وأنا مع مجموعات الجبل، وتواجهنا مع الانعزاليين ، وكان معه دخان، فأخذنا منه ما كان يحمله من دخان، وسألناه ، هل تعرف الطريق، فقال نعم، وفعلاً وصلنا إلى منطقة قبل راس المتن، والتقيننا بمجموعات عرفت عن نفسها بأنها مجموعات صديقة من فتح، ومن هناك تم نقلنا إلى عاليه ، ومنها إلى بيروت، وقد دام انسحابنا في الجبل ثمانية أيام.

حسن الناطور كان تلميذاً في المبرة السعودية في برج البراجنة قبل الحصار ، وجاء الخبر أن المخيم سيحاصر، فمنعوا التلاميذ الزعتريين من العودة إلى المخيم، ولكنه كونه ابن التنظيم ومن أشبال أبو علي أباد في حمورية في الشام، فقد هرب مع مجموعته من أبناء التنظيم إلى المخيم، قبل إحكام الحصار. في المخيم تم فرز التلاميذ لقسم المضادات عند أبو ابراهيم، وأبو مبارك ، حيث كلفوا بتعبئة مخازن المضاد بالذخيرة، في الأسبوع الأول انفجرت قذيفة بقربهم في المضاد الذي مكان مستهدفاً لأهميته في حماية المخيم، وأصيب الشباب إصابات خفيفة، حيث نقلوهم إلى الهلال بعد إخلاء المستشفى. وقد بقي

ليلتين حتى خف جرحه ، وكان أبو الوليد مسؤول الميستودعات قد استشهد، وجاءه قرار باستلام المستودع. وكان معه ثلاثة أشبال ، وعكازة. كانت القيادة السياسية تجتمع في المستودع تحت الأرض، من جميع الفصائل. وكان يستمع للحديث ويقول أن المخيم انتعش بعد حل تنظيم الصاعقة لأن جميع الذخائر عادت لبقية التنظيمات التي كانت بدأت تفتقد إلى الإمداد بالذخيرة. وكان حسن قد حضر عن طريق الجبل في إحدى دوريات الجبل المحملة بالسلاح، فعرف الطريق وحفظها. في يوم ١٢ عندما كانوا في البرج العالي من أب في يوم الخروج، كانت مجموعة من المسلحين تتقدم فناموا (أخذوا الأرض)، ومرت المجموعة ولم تشاهدتهم لحسن الحظ، كان حسن الدليل لمجموعة عبد المحسن بعد أن انفصلوا عن محمد شحادة. وقد كلفه سلمان الاهتمام بالمدينين الثلاثة الموجودين في المجموعة وهم أبو العواصف ، وأبو محمد فريجة، وعبد المحسن، ، ونزلوا في المنصورية في حفرة ، واضطروا لخلع أحذيتهم ، ثم المشي حفاة، فصنعوا أغطية لأقدامهم من بناطيلهم التي ربطوها، وتابعوا الطريق، ثم وجدوا سردابا اضطروا للزحف فيه مسافة تزيد عن ٥٠٠ متر. ١٣١

وتقول " أم زاهر خليل " ١٣٢ في عصر يوم الاثنين في ١١ آب كنت في نقطة الإسعاف الموجودة في بناية عبد غازي من جهة الدكوانة. فجاء عدد من المقاتلين وأخبرونا بقرار الانسحاب من المخيم، مشيرين إلى أن المخيم سوف يسقط بعد عدة ساعات، وأنهم بدأوا بتحضير أنفسهم كمجموعات للانسحاب عبر الجبال إلى منطقة العبادية.

فاجتمعنا في ملجأ نقطة الإسعاف وكان عددنا حوالي ١٧ شخصاً بينهم خمس بنات وإمراة مع طفلها. ومن حسن حظنا كان معنا دليلاً من مقاتلي فتح من سكان جسر الباشا ممن انسحب باتجاه تل الزعتر بعد سقوط مخيم جسر الباشا بيد الانعزاليين من حزب الأحرار، وكانا علي معرفة جيدة بالجبال، وهما ريكاردو وسليم. وفي حوالي الساعة الثامنة ليلاً انطلقنا إلى شرقي المخيم حيث بدأنا النزول في وادي الليمون، تحت دير مار روكز، وقد صادفنا عدد من الجثث لعدد من المقاتلين الأمر الذي جعل ثلاثة من المقاتلين يعودون باتجاه المخيم، وبقي عددنا ١٤ مقاتلاً ، فتابعنا سيرنا طوال الليل في الوادي إلى أن وصلنا إلى مكان أخذنا ننزل فيه بسبب أوراق البلوط التي كانت تملأ الأرض، مما حمل الدليلاً على رمي الحبال لباقي المقاتلين وتسلقنا الجبل. سرنا إلى أن وصلنا تحت المونتي فيردي، وما أن وصلنا إلى الوادي حتى بدأنا نتعرض لإطلاق نار غزير من رشاشات ٥٠٠ ، فأصبحت معنا الأخت سميرة بدران بطلقة في ظهرها، فاستشهدت على الفور، وتركناها وتابعنا سيرنا إلى أن وصلنا إلى نقطة

١٣١ حديث خاص مع د.حسن الناطور في نوفمبر ٢٠١٥ - بيروت.

١٣٢ تل الزعتر، حسين فارس، ذاكرة فلسطينية خالدة دار الندى للطباعة والنشر- بيروت ٢٠٠٧

كنا نسمع فيها أصوات الانعزاليين، وكان يوجد عدد من الدبابات ترمي باتجاه مخيم تل الزعتر وحولها شريط شائك.

هنا قال الدليل أنا سأسير أولاً وأقطع الشارع ، وعندما تقطعون عليكم النزول على مهل، ففعلنا، وكان معنا طفل عمره عدة شهور ، فأخذ يبكي، وكاد سليم أن يطلق النار عليه حتى لا يفضح أمرنا، فقالت أمه أطلق النار عليه ، لكنني رفضت مشيرة إلى أن يتم إسكاته عبر حبات فاليوم كانت بحوزتنا، فأخذنا نصف حبة فاليوم ووضعناها في قنينة الحليب فسكت الطفل. هكذا سحلنا نزولاً حتى وصلنا الوادي ، ومن ثم بدأنا صعود الجبل من جديد، إلى أن وصلنا قريباً من مخازن الجيش ، وهنا كان التعب قد أخذ منا فنمنا في منطقة جرداء دون أن ندري.

مع طلوع الفجر قام ريكاردو وأيقظنا سريعاً ، وطلب منا النزول إلى الوادي لأننا نائمون في منطقة مكشوفة. فنزلنا حتى وصلنا مجرى النهر، فشربنا ، وسرنا بمحاذاة النهر، وكان الدليل يسير أمامنا، فوجدنا دماً طول الطريق ، وطلب منا الدليل الاختباء فاختبأنا بين الأشجار ، فذهب الدليل حوالي نصف ساعة ثم عاد ، وقال هذه الدماء لشبابنا الذين جاؤا لإنقاذنا، لكنهم تعرضوا للنيران ، فأصيبوا وتراجعوا، وطلب منا حمل بعض الجعب العسكرية كانت قد رميت في الطريق ، ففعلنا. وسرنا متبعين ما نراه من دماء، وكان باعتقادنا أننا سنصل إلى منطقة العبادية بعد ٤٨ ساعة.

وتابعنا سيرنا إلى أن وصلنا إلى وادي لا طريق له، لكننا وجدنا مغارة ونبع ماء فغسلنا وجوهنا ورؤوسنا وارتحننا، وهنا سمعنا أصواتاً عرفنا أنهم من الانعزاليين فلذنا بالصمت طوال النهار. ومع الليل سلطنا طريق في جبل خطر، لا سكن بجانبه، وقد سرنا الليل كله إلى أن وصلنا إلى رأس جبل وطلع علينا الصباح، فنمنا من التعب ، وأكملنا سيرنا ليلاً، إلى أن وصلنا إلى منطقة فيها زرع، فسرنا بخطوات هادئة إلى أن وصلنا إلى الجلول المزروعة، حيث بدأت

الكلاب تنبح علينا، فطلب منا الدليل عدم إطلاق النار، وقال- لا نفس ولا طلقة ، وسوف نقتل الكلب الذي يأتي باتجاهنا من خلال طعنة بالحربة، وتم الاتفاق

مسجد تل الزعتر ، وتحته المستشفى قبل الهدم

بعد أن توقف النباح على النوم بين نبات أعتقد أنه ثمار اللوبيا ، وكانت شقيقتي إلهام بجانبني وإمرأة أخرى فأيقظتني شقيقتي ، فإذا فوقنا عناقيد العنب تتدلى من العرائش فقمنا وأكلنا جميعاً.

وهنا طلب منا الدليل سليم البقاء إلى أن يعود، وقال - إذا لم أرجع فتابعوا سيركم. كانت الساعة وقتها حوالي الخامسة والنصف صباحاً، ولكن سليم عاد، على أن نكمل السير. في هذا الوقت جاء أحد المزارعين ، وكان من الدروز



وأخبرنا أنه قبلنا قد وصلت ٥ مجموعات ، وأنه أوصلهم إلى بر الأمان، وأخبرنا أننا في منطقة العبادية، وأخذنا إلى منزله فارتحنا ، وأكلنا، ثم ذهب سليم والدرزي وعادا ومعهم عدد من الرانجروفرات وأخذونا إلى نقطة تابعة لفتح فوجدنا الأخ غانم صالح وشقيقه أحمد من تل الزعتر، ومن هناك أخذونا إلى مستوصف أعد للمقاتلين القادمين من تل الزعتر، حيث التقينا بالاستاذ أحمد العينا من علماء، وفي اليوم التالي أوصلونا إلى بيروت حيث التقينا الأهل في مخيم برج البراجنة.

زينب قاسم تقول "بعد المدرسة كنا نذهب إلى القواعد في الأعياد عملنا كعك، وزعناه على المقاتلين، شاركت بدورة الإسعاف ودورة مرشدات ، كانت مكثفة ، العمل في المستشفى هو الأساس العملي من كثرة الجرحى، وقد نمنا مرة بين الشهداء أمام العمليات آمنة حسن رحمها الله وأختها رسمية وفي الكوريديور وعلى الدرج بين الشهداء، أشياء كثيرة كنا لا نوصلها لكم ، صرنا نص دكاترة ، وحفظنا استعمال الأدوية وليس أسمائها، وكنا نحمل جعب الإسعاف في

حكايتي مع تل الزعتر



المحاور القتالية. كنا مجموعة من الفتيات واخترعنا أغنية نغنيها، أن لا زواج قبل التحرير (تحرير فلسطين) وابتسمت زينب وهي تزفر - طبعاً تزوجنا وليتأخر التحرير.. فالحياة لا بد أن تستمر.. كان من مهماتنا نقل الذخيرة والضرب على الهاونات أحياناً. في منطقة المطبعة، لما تحاصرنا في المطبعة قبال تلة المير ، وصار الكتائب في الطابق الأرضي ونحن في الطابق الثاني، قفزت من الطابق الثاني وحصل التواء في الكاحل/، وصارت قدمي زرقاء، وقد ذهبت إلى العيادة حيث تداويت من عندكم، وورم وجهي أيضاً، وكان لا بد من التصرف بسرعة، وأصيب معنا شخص إصابة طفيفة من دار كروم . سمعنا أن محمد فريجة استشهد وكانوا في الشقة وشاهدونا.

بعد قرار ترك المخيم ، تشكلت مجموعات من ٣٦ شخص للخروج عبر الجبل ، وكنا مجموعة سميرة بدران وأنا، ابن أبو ياسين أبو جبال ومن الجبهة الشعبية ، مع كل مجموعة جعبة أدوية، سميرة كان معها جعبة أدوية إختها وأخوها كانوا معنا وكنا نتوزع من كل عائلة فرد واحد ، أبو جبال استشهد على الطريق.

المجموعة الثانية تعرضت للقصف، وقالوا أن علينا الذهاب وهم يصدون الهجوم ، كنا ننام في النهار ونمشي في الليل، الصخور كانت أقسى الشظايا، وكانت تصيبنا بعد القصف القريب. بقينا ثلاثة أيام بدون أكل ولا شرب، المجموعة الثانية كانت مفروض توصل اشتبكتنا مع الانعزليين وكل واحد كان يرمي صلية وينزل في الوادي.

سميرة تصابقت بشظية في الطريق واستشهدت. لما وصلنا بعد المنتزه، كان للقوات الدرزية حاجز من جهة الجبل، وأدركوا أننا فلسطينيين. - طخوا طخوا فدائيي وطالعين بالجبل، وما زلت أضحك منها عندما أتذكر. ذهبنا إلى عاليه ومصحة الحزب الاشتراكي، واسرعنا بالنزول للبحث عن أهالينا. والدي كان في السبعين ومريض في القلب وضعيف الحركة." ١٣٣

النقيب عبد الرحمن صالح - من قوات ال١٧ يشهد:

في بدايات العام ١٩٧٦م كانت قوات ال١٧ منتشرة على معظم المحاور الفاصلة بين بيروت الغربية والشرقية، حيث كانت الحرب طاحنة لا هواده فيها بين الانعزاليين والحركة الوطنية اللبنانية. في تلك الأثناء كنت على رأس قوة من قوات ال١٧ متمركزة في محور الشياح - عين الرمانة، وهو المحور الذي غلبت عليه حرب المواقع من قصف وقنص، وقد جاءتني الأوامر من قيادة قوات ال١٧ بالتوجه إلى محور عاليه - بحدود - صوفر، وعند وصولي هذا المحور كانت القذائف تنهال علينا، فأمرت بنشر القوة للتقليل من الخسائر وللثبات في المواقع التي وصلنا إليها بانتظار مساعدة الحزب التقدمي الاشتراكي. ثم جاء أمر من قيادة قوات ال١٧ بالتوجه إلى عينطورة، فتحركت فوراً حيث كان في استقبالني أبو خالد العملة ونائبه نبيل عبد الرحمن، الذي بدأ يشرح لي تفاصيل موقفنا العسكري، وخلصته أننا محاصرون بدرجة (٢٧٠) ولم يعد لنا من منفذ إلا بدرجة (٩٠)، وبينما كان القصف متواصل على موقعنا وصلتني برقية من الأخ أبو الطيب بالحضور إلى بيروت حيث تلقيت منه



تعليمات بالتوجه إلى المتن حيث خليل الوزير. الذي استدعاني عند وصولي وكان برفقته غازي الحسيني واجتمعت معهم داخل شبه كهف في منطقة (المونتفيردي).

بدأ الحديث خليل الوزير فاجأني بالقول: أريد أن تذهب بدورية إلى تل الزعتر لتخترق الحصار عن هذا المخيم.. قلت: قد نصل إن شاء الله. لكن لي طلب: أنا لا أعرف الطريق أريد دليلاً. أجاب: سأعطيك دليلين من أشجع الرجال عندي، تعرفت عليهما وهما خليل الجمل ما زال حي يرزق ومحمد شحادة (استشهد في الدامور بإنزال إسرائيلي) لقد كانوا من أشجع الرجال الذين صادفتهم في حياتي.

أحضر خليل الوزير الخارطة وبين لي أن المسافة بين (المونتفيردي) وتل الزعتر 2 كم فقط أي لا تحتاجون إلى ماء وطعام كثير بل إلى ذخائر وأسلحة لنقلها إلى المخيم ستصلون خلال ساعتين.

تحركت على رأس مجموعة من ثلاثة عشر مقاتلاً، عشرة منهم من قوات الـ ١٧٧ واثنان فرزهم لي خليل الوزير وأنا، لكن حساب الحقل ليس بالضرورة كحساب البيدر فقد كانت كمائن الإنعزاليين منتشرة على طول الطريق المؤدية إلى المخيم إلا أن الأخوة خليل الجمل ومحمد شحادة اختارا طرقاً التافية لتجنب الاصطدام بالكمائن لقد كانت حكمتهم وشجاعتهم ونباهتهم منقطعة النظير.

أمضينا ثلاثة أيام بلياليها ونحن ننقل من موقع لآخر. حيث بلغ منا الجوع والعطش والتعب مبلغه وبدا علينا الإرهاق، وأيقنت لماذا فشلت كل هذه الدوريات بالوصول للمخيم، بعدها ونحن مقبلين على (تل الزعتر) إذ بشلال ماء شربنا على عجل واغتسلنا لم يبق أمامنا إلا سفح جبل علينا صعوده للوصول إلى تل الزعتر.. لكنه مكشوف لمواقع الإنعزاليين واقترح علينا خليل الجمل تسلقه بأقصى سرعة ودون النظر إلي الخلف. كاد أحد المقاتلين في تل الزعتر أن يطلق علينا النار عند دخولنا أول نقطة في المخيم؛ لولا أنه تعرف على الأخوة خليل الجمل ومحمد شحادة اللذين كان من المخيم المذكور أصلاً.

(في تل الزعتر): (غالون من الماء يكلفنا غالون من الدم):  
كان وصولنا للمخيم مدعاة فرح وبهجة وسرور لدى أبناءه، فقد دخلنا ثلاثة عشر مقاتلاً مدججين بالأسلحة والذخائر ولو بعد حين. تأكدت بيني وبين نفسي أن لا جدوى من صمود مخيم محاصر (بدرجة ٣٦٠) محاط بالحقد والكراهية. من المليشيات الانعزالية الذين لا يعرفون سوى سفك الدماء وقتل الأطفال والنساء بقصف يتواصل ليل نهار وبدعم سوري. في هذه الحالة يكون ميزان القوى (صفراً) ولم يبق من مساحة المخيم سوى عشرات الأمتار المربعة يحتضن آلاف الأطفال والنساء حيث لا طعام ولا شراب والشهداء يتساقطون كل ساعة، فالطعام كان محصوراً في شورية العدس وشراب الكركديه الذي أتذوقه لأول مرة، كانت الجرذان تجاورنا في كل مكان والقمل لا يفارق أجسامنا. نساء تل الزعتر يذهبن إلى بئر مكشوف يستشهد أكثر

من نصفهن ليوفرن بعض الماء لأطفالهن. كان موقعي في محور التمويين برفقة أبو نضال الصفدي وهو حي يرزق والذي كان مصابا، كان نموذجا للتعاون والتضحية.

كنت قبل تكليفي بهذه المهمة مصابا بخاصرتي اليمنى فعاد الدم ينزف باستمرار، ونظراً لصعوبة وصول الأدوية ونقصها بل وانعدامها كان يجري علاج الجروح بالملح والماء فقط.

استشهد معي في الموقع أربعة مناضلين من أصل الـ ١٣ من الجنسية السورية.. أحدهم يدعى ثائر أوصاني قائلاً: إذا استشهدت حنطوني وسلموا جثتي لأهلي في سوريا (وكانه كان يقرأ استشهاده) حيث استشهد بقذيفة هاون، قابلت الدكتور (عبد العزيز اللبدي) مسئول الخدمات الطبية في المخيم وأخبرته بالأمر وكان متعاطفاً مع هذا الموقف قام بتحنيط الشهيد وثم دفنه في مكان بالمخيم. وهناك مجموعة من الأخوة المصريين لا أنسى ما حييت تضحياتهم ومثابرتهم حيث كانوا معنيين بدفن الشهداء... هؤلاء هم الجنود المجهولون.. هؤلاء يستحقون أعلى درجات الأوسمة.

لا زلت اذكر نداء الأخ الأكبر خليل الوزير من خلال جهاز اللاسلكي ٧/٥ حيث كنا نوجه المدفعية لقصف موقع (تلة المير) المشرفة على المخيم، كانت تلة القتل، فمعظم الشهداء سقطوا من هذا الموقع.

وضعت خطة لاقتحام التلة وعرضتها على سلمان قائد المخيم ورحب بالفكرة فأرسل مجموعة استطلاع لكشف ما هي النقطة الأضعف لاقتحام التلة إلا أن كان مصيرها الفشل حيث استشهد اثنين من المجموعة فاقلع عن الفكرة.. لكن هذا لم يمر مرور الكرام.

هناك شبل في المخيم يدعى محمود شحادة لا يتجاوز عمره الـ ١٤ عاماً وهو أخ الشهيد محمد شحادة وكان باستمرار يتواجد في المحاور، حصل تقدم من الإنعزاليين على المحور المتواجد فيه فأصيب برجليه وحاولوا الإجهاز عليه، إلا أنه وبشجاعة نادرة أطلق ما يملك من رشاشه نحو المجموعة المهاجمة فقتل قائد القوات الكتائبية في المنطقة الشرقية المدعو وليم حاوي وانسحب إلى داخل المخيم وتم علاجه، وما هي إلا دقائق حتى كان ردهم على المخيم عنيفاً. فصبوا حمم قذائفهم على المخيم واستهدفوا بناية كان في ملجأها ٢٥٠ مواطن من الأطفال والنساء والعجز، وهي البناية الوحيدة المتبقية في المخيم، وبما أن القذائف اخترقتها من جهاتها الأربع، سقطت على من فيها واستشهدوا جميعاً، ولم يستطع أحدا الاقتراب من هذه البناية والتي دفن تحت أنقاضها ٢٥٠ بريئاً.

أصبح الوضع العسكري بعد هذه الأحداث ميئوساً منه عدا عن الوضع الإنساني، استدعاني سلمان قائد تل الزعتر وأفادني بالآتي: عليك تشكيل دورية من خمسة عناصر لاختراق الحصار والذهاب إلى أبي عمار لتشرح له وضع المخيم فالصمود أصبح من المعجزات.

وبالفعل تم تشكيل الدورية من أبناء المخيم لمعرفتهم الطريق من خمسة مقاتلين أشداء، أذكر منهم فراس وآخر كنا نلقبه (كبتوشي) لشبهه

بالمطران ايلاريون كبوتشي انطلقنا قرابة الثامنة مساء من الجهة الغربية للمخيم وعند تقاطع خط التماس شاهدنا سبعة جثث ممددة على الأرض لكنها عظاما نخرة.

أثناء المسير أخذت إصابتي تسوء والدم ينزف ولا أملك أية مواد طبية لمنع النزيف سوى كوفية فلسطينية ربطتها بإحكام حول خصرتي. بعد مضي ساعة على مسيرنا وصلنا إلى بلدة (المنصورية) وهي قلعة الإنعزاليين المعروفين بحقدهم على الفلسطينيين وقفنا بجانب سور يفصل مقبرة المنصورية.. قال فراس: إذا اجتزنا المنصورية من داخلها نصل (المونتيفيردي) حيث مقر خليل الوزير.

هو أطلق عبارته موجهها كلامه لي بصفتي قائداً للدورية.  
كيف نخترقها بين البيوت وساكنيها.. أحبته .

فرد قائلاً: سنمضي ثلاثة أيام بلياليها لنصل المونتيفيردي ونحن لم. نزود لا بالطعام ولا بالماء..

كنت غير مقتنع فيما يقول ونحن نسمع أصوات الناس بالقرب منا، كرر عبارته: أخ عبد الرحمن ساعتين ونصل أبو جهاد، أحبته على مضض: هل ترى هذا حلاً أخيراً؟؟ لم يجب بل وضع يديه على السور وقفز داخل المقبرة وتبعناه. كانت لحظات الدقيقة فيها بسنة ونحن نسير في شوارع المنصورية ومسلحو الكتائب يسرون أما باتجاهنا أو خلفنا، ونشاهد النساء والأطفال على الشرفات وهم يتحدثون ويتسامرون على ضوء الشموع حيث لا كهرباء في معظم مناطق لبنان في هذه الحرب.

لكن.. أيدينا على الزناد. لو حصل مكروه.. فالأسر ليس وارداً في قاموسنا . ويبدو أنهم (حسبونا منهم) لا أذكر كم دقيقة سرنا داخل المنصورية فقد يكون عشرة دقائق.. وقد يكون عشرون دقيقة.. فالزمن في ذلك الوقت صعب تقديره.. وصلنا في نهاية المطاف إلى نقطة محصورة بأسلاك شائكة تحيط بنا.. وبينما نحاول علاجها للخروج منها.. سمعنا صوت أقدام تدنو نحونا من الشارع الذي يقابلنا. رجل ذو قامة طويلة. تبين على ضوء القمر بلباس أسود وصوت أقدامه ترتطم كصوت الرصاص فالهدوء يخيم ويطبق على المكان. وجهنا نحوه بنادقنا حتى إذا مر من أمامنا لم ينبس ببنت شفه. يبدو أنه لم يرانا وإن رأنا فالسكوت له أفضل. فغاب عن أعيننا. لم يبق أمامنا في طرف القرية سوى الكلية الحربية التابعة للقوات اللبنانية، وإذا اجتزناها وصلنا أرض آمنة. حيث هناك منحدر سحيق يضيء إلى الوادي وتعد منطقة حرام. اجتزنا مبنى الكلية ولم يكن أحدا موجودا فيها. واختفت المنصورية عن أعيننا بانحدارنا نحو الوادي. حيث صادفنا ينابيع من الماء وشجر الصفصاف على جانبي الوادي. هذه مناطق محررة ونحن في مأمن (قال فراس). وبالفعل ما توقعه فراس حصل، وصلنا إلى المونتيفيردي حيث خليل الوزير، استقبلنا بحرارة أخذني جانبا وشرحت له الموقف بالتفصيل ولاحظ الدم ينزف من خصرتي فقال: اذهب إلى مستشفى بشامون فوراً.

قبل ذهابي إلى بشامون همس في أذني فراس: سأعود من حيث أتيت لملاقة أهلي والذين هم من المخيم أحبته لا تفعلها، فالوضع الآن أصبح أخطر مما تتوقع، إلا أنه صمم على العودة. وتوجهت إلى مستشفى بيروت حيث وصلني الخبر المفجع أن فراس أثناء عودته وقع في كمين واستشهد. وبعدها استقبلني أبو الطيب في مكتبه وأخبرته برسالة سلمان الشفوية بخصوص تل الزعتر وكان متأثراً حيث اصطحبي فوراً إلى غرفة العمليات بسبب وجود أبو عمار فيها. كان أبو عمار برفقة أبي حسن سلامة في غرفة العمليات. أخذت أشرح له الوضع في تل الزعتر وما أن وصلت إلي عبارة: نساؤنا في تل الزعتر يذهبن إلى البئر الوحيد للتزود بالمياه (وهو مكشوف لدى العدو) حيث قد تذهب عشرة نساء وترجع منهن 3 أو 4 والبقية يستشهدن على البئر فغالون من الماء يكفلنا غالون من الدم. استدعى أبو عمار فوراً العميد سعد صايل وأمره بانسحاب الجميع من تل الزعتر ومن هنا جاءت مقولة أبو عمار: "كأس من الماء في تل الزعتر كان يساوي كأساً من الدماء". وبعدها توجهت إلى المستشفى ثانية حيث أجريت عملية جراحية ومكثت لمدة أسبوع.

(في اقتحام الكحالة) لو يعرف الزيتون غارسه لكان الزيت دمعاً:

بعد شفائي وخروحي من مستشفى بيروت أمرني أبو الطيب بالتوجه إلى عاليه حيث مقر خليل الوزير واجتمعنا به مع قادة القوات التي حضرت من الجنوب، فالهدف الآن هو: اقتحام الكحالة. وقال خليل الوزير ستكون الدبابات من أمامكم والمدفعية تقصف مواقعهم وتكونوا خلف الدبابات وسيارات الإسعاف من خلفكم. لكني لم أكن أعلم أن الهجوم على الكحالة سيكون من بين الصخور الشاهقة والشعاب والأودية السحيقة فبالكاد يمر الإنسان من خلالها. ما بالك بدبابات المرابطون المدعومة.؟؟ ذهبنا إلى نقطة التجمع وكان في استقبالنا عصام اللوح.

كانت الساعة تقارب الثانية صباحاً عندما بدأنا بالاقتحام. تقدمنا بين الصخور والمنحدرات وكان برفقتي ١٤ مقاتلاً من قوات الـ ١٧ ومنهم أبو فارس الذي سمعته يقول الله أكبر عندما سقط من علو عشرة أمتار وبقامته الطويلة أصيب برضوض وكسور. بعد تقدمنا بأمتار فوجئنا بزخات كثيفة من الرصاص من قبل الكمائن المنتشرة حول الكحالة. استشهد وأصيب العشرات بادئ الأمر. أثناء تقدمنا تم أسر أحد المقاتلين. حيث سمعناهم يقولون فلسطيني. فلسطيني، والأسير عندهم لا يعيش لدقائق، يتم إعدامه بطريقة وحشية. وأذكر أنه استشهد ١٢ جندي وضابط من قوات الـ ١٧ في تلك المعركة.

حوصرنا مع قوة من جيش التحرير وعلى رأسها نقيب تحت شجرة زيتون مع بزوغ الفجر، ولم يستطع الحراك، اعتقد أحد القناصة أننا تحت هذه الشجرة الكثيفة بأغصانها وضخامة جذعها وأخذ يطلق رصاصة بين الفينة والأخرى على جذع الشجرة. مر النهار طويلاً في هذا المكان إلى أن أسدل الظلام

وبدأنا بالانسحاب. تسلقنا جبلاً شامخاً. تفاجأنا أثناء الانسحاب ببعض الجثث بين الصخور. شهداء وجرحى وتم إخلاءهم. تموضعنا بالقوات في منطقة القماطية مجدداً، فقد صدرت الأوامر باقتحام الكحالة مرة أخرى. وأثناء تجمعنا على محور القماطية الكحالة تمهيدا للهجوم انكشفنا لدى العدو فأمطرنا بقذائف دباباته وأصبت برأسي من شظايا دبابه ولاحظت الدم ينزف بغزارة وتم نقلي إلى مستشفى بيروت مجدداً ويبدو أن أبا الطيب قد علم بالأمر في حينه حيث فوجئت بوصوله إلى المستشفى وبرفقته كل من مفيد المصري وأبو حسين طيون وعلي الزئبق ومكثت في المستشفى قرابة الأسبوعين.

استعادت الميليشيات الانعزالية زمام المبادرة في ١٦/٧/١٩٧٦م وشنت هجوماً على مخيم تل الزعتر تحت اسم (وليم حاوي) بعد ثلاثة أيام من مقتله، ورغم ذلك ظل المخيم صامداً حتى بداية الهجوم الموسع يوم ١١/٨/١٩٧٦م، والذي تم الرد عليه باشتداد المعارك في بيروت وقصفت جونه بالصواريخ، وبتاريخ ١٢/٨/١٩٧٦م سقط مخيم تل الزعتر، وتم اقتحامه من قبل الميليشيات الكثائية ومليشيات نمر الأحرار وبعد ارتكاب مذبحه كبرى ضد السكان الأبرياء، تم إجلاء ١٢ ألف مدني، نقلوا إلى البقاع وبيروت الغربية وتم إسكان بعضهم في الدامور بعد أن قامت مؤسسة صامد بترميم الأبواب والشبابيك فيها ثم مسحت قوات الكثائب المخيم بالأرض وكان لم يكن هناك أي مخيم.<sup>١٣٤</sup>

\*\*\*\*

وتشكلت من القوات الخارجة من تل الزعتر كتيبة جديدة سميت صقور التل، أوكلت قيادتها لسلمان. وظل أدهم يساعد سكان تل الزعتر الذين أرسلتهم القيادة إلى الدامور. كانت بيروت تعج بالمهجرين من كل المناطق التي وقعت فيها الاشتباكات والمهجرين من النبعة وبرج حمود والمسليخ وضبية والكرنتينا، يعيشون في الفنادق والشقق الفارغة على الروشة وفي الحمرا وكل مكان، ولم يجد أهالي تل الزعتر مكاناً بين هذه الزحمة.

كان الكثير من القيادات الفلسطينية ترفض إيواء الأهالي في الدامور، بحجة أن لا يقال أن الفلسطينيين طردوا من بلادهم وجاءوا ليحتلوا بلاد الآخرين في لبنان. ولكن لم يكن مناص من حل المشكلة الإنسانية ولو مؤقتاً، وكانت الدامور فارغة من الأهالي بعد احتلالها في بداية السنة، ولكن أبو عمار، استدعى أدهم وطلب منه المساعدة في حل المشكلة، وقرر الاثنان الذهاب إلى الدامور، وتم تكليف أدهم بمساعد الأهالي في الاستقرار في الدامور،

وتم رصد المبالغ اللازمة لمساعدتهم في تزبيط البيوت وعمل الأبواب بشكل خاص، وأحضر أطنان من البلاستيك لإقفال الشبابيك من البرد القارس. بعد تعرض

<sup>١٣٤</sup> <http://natourcenter.info/portal/2015/08/17> /اللواء-محمود-الناطور-ابو-الطيب-يكتب-ف/



بيوت الدامور للنهب والتخريب. وبدأ الأهالي يفتدون إلى الدامور يبحثون عن مكان ملائم.

نزلت مع الدكتور فتحي عرفات ويوسف عراقي وتفقدنا المكان المستشفى الحكومي القديم، وقررنا إعادة تشغيله، والتحق كادر مستشفى تل الزعتر بجميع المتطوعين والممرضين بالمستشفى وقد حصلنا لهم على تفريغ في جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، بعد الخبرة التي اكتسبوها في العمل في مستشفى المخيم. وانتقلت معهم خدمات جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني الذي افتتح مستشفى الدامور القديم وجهزه مرة أخرى ليقدم خدماته لأهالي تل الزعتر، وقد تولى الدكتور يوسف عراقي إدارة المستشفى في البداية. بينما تسلمت إدارة الخدمات الطبية في الجمعية. وانتخب كلينا عضواً في الكتب التنفيذي للجمعية في مؤتمر الجمعية اللاحق عام ١٩٧٧ في القاهرة.

تم إيواء مهجري تل الزعتر في مناطق الدامور والسعديات بشكل مؤقت، رفض الأهالي إدخال أي تعديل على البيوت فيها (إصلاح لمواجهة فصل الشتاء) لأنها تخص أصحابها وحدهم، كما رفض أهالي تل الزعتر قطف ثمار الموز واعتبروه تعدياً على أملاك الغير. ولجأ الكثيرون لأقاربهم، في بيروت ولبنان، ثم هاجر قسم كبير منهم إلى ألمانيا، وخاصة برلين والسويد والدنمارك. ولكن ذكريات تل الزعتر وعودتهم إلى فلسطين تبقى شاغلهم الأكبر والأهم.

\*\*\*

كنت أتصفح جريدة السفير في اليوم التالي عندما وقع نظري في الصفحة الأولى على خبر صغير من عدة أسطر " وفاة الطبيب الذي كان يعالج الناس في مخيم تل الزعتر" وأن بعض النساء من الناجين من المذبحة قد شاهدني أساق وأقتل على الطريق. وقد أجرت الصحفية لقاءات مع الناجين من المخيم، كنت ما زلت أحمل رقم تلفون الصحفية التي جاءت إلى المخيم قبل الحصار وأجرت لقاءً معي عن صعوبات العمل في المخيم،  
- ألو فاديا..

مش عيب عليك تنزلي هيك خبر صغير عني. ولو..  
وصعقت فاديا من المفاجأة

- مين دكتور عبد العزيز، مش معقول، الحمد لله ع السلامة، والله حكولي إنهم قتلوك.. مش قصدي،

تواعدنا ولم نلتقي، فقد كنت مثل أم العروس في تلك الأيام. احتفى الجميع بنا كأبطال وأخذونا في اليوم الأول لزيارة الأخ أبو إياد، والذي كان يتابع عملية تخليصنا من الكنائس باتصاله المباشر مع أمين الجميل الذي نقلنا بسيارته الخاصة، كما ذكرت. وتوجه الطبيبان السويديان إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ثم غادروا إلى السويد.

أبو إياد هنأنا بالسلامة وشرح لنا صعوبات الموقف، وأن الإخلاء قد حفظ الناس من الجوع ومن مجزرة أكبر كان الانعزاليون سيرتكبونها، واستفضنا يوسف وأنا



في شرح المذابح، واتصل أبو إياد على الفور بأمين الجميل وقال له، - مش هيك اتفقنا يا شيخ أمين.. ما تخلونا نفقد أعصابنا. علمنا بعد ذلك أن من نظم المذابح والقتل هم الأحرار وحراس الأرزة، حيث شعروا أنهم مستبعدون من التسوية، وأنهم خرجوا من المولد بلا حمص كما يقال.

واستغل الدكتور فتحي والدكتور عبد الله أبو حسان الفرصة وقال الدكتور فتحي وهو يتناول تفاحة من على الطاولة:  
- هذا تفاح، وهذا عنب، تفضلوا، وضحك الجميع وهو يشرح لهم مجاعة المخيم..

في اليوم التالي عقد مؤتمر صحفي عن تل الزعتر، في مقر جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني في بير حسن، وقدمنا الدكتور فتحي عرفات كأبناء الجمعية الناجين من المذبحة، وتحدثت ويوسف عن المعاناة التي عاشها المدنيون من سكان المخيم وعن مشكلة الماء ووحشية الانعزاليين في يوم الخروج والمشاهد التي شاهدناها في ساحة الدكوانة على الطريق. كان الكلام موثراً، ولم أمتنع دمعتي عندما كنت أتحدث عن الإصابات والمجاعة. وتحدث يوسف أيضاً وكان أيضاً متأثراً. كان الجميع متشوقاً لسماع أخبار الصمود والبطولة. ولم نستطع رغم كل الحديث أن نروي غليلهم، فقد كانوا يعتقدون بحصول معجزة، وكدنا نصدق قضية المعجزة.. ولكننا نعرف أننا مشيناها خطى كتبت علينا.

في اليوم التالي ذهبنا في جولة إلى المواقع في الجبل، لنشاهد الحصار من الخارج، وصلنا إلى المدفعية، وعانقنا واصف عريقات وشكرناه على جهوده في الدفاع عن المخيم، وحدثنا عن القصف الصعب، فقد كانت القذائف ممكن أن تنزل في المخيم، ولكن الشباب في التل تحملوا المسؤولية ووافقوا على القصف بهذه الإحداثيات الدقيقة، وشرح لنا من موقعه كيف كان يرى المعارك في المخيم، وشاهدنا المخيم بالمنظار من فوق، وكانت المعارك ما زالت مستمرة في المخيم مع الشباب الذين لم يتمكنوا من الانسحاب.

كان التعاطف في أوروبا مع تل الزعتر يتصاعد والناس تتعطش لأخبار المخيم، فأرسلتنا جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني في جولة إلى أوروبا، وكانت الدعوات من مهرجانات الأحزاب الشيوعية الفرنسية والإيطالي لحضور مهرجانات صحفها السنوية، وتوجهنا إلى فرنسا وإيطاليا، وأجرينا مقابلات تلفزيونية في فرنسا وإيطاليا، كانت قصة المخيم مدخل لإثارة القضية الفلسطينية برمتها، وإظهار الوحشية الاسرائيلية، فأعداؤنا هم اسرائيل والصهيونية. وإن اختلفنا مع الكتائب مرحلياً، فإنهم إخوتنا، ولا بد أن تعود المياه إلى مجاريها. ثم توجهت إلى سويسرا للقاء جمعية الصداقة مع فلسطين، وقمت بجولة على عدة مدن منها بازل وزيورخ ولوزان انطلاقاً من جنيف التي استقبلني بها الصديق من تنظيم ألمانيا، الأخ داوود كالوتي ممثل المنظمة في الأمم المتحدة في جنيف. ونظم اللقاء بأنصار الثورة الفلسطينية الذين كانوا متشوقين لسمعوا قصص البطولة والصمود في المخيم الذي صمد رغم الحصار في الجوع والعطش، والقصف المستمر، كانت قصة تل الزعتر قد أصبحت أسطورة في أوروبا.

\*\*\*

كنت أمشي في شوارع جنيف في وقت فراغ، وأتفرج على واجهات المحلات التجارية عندما صادفني السفير نبيل قليلات، سفير فلسطين في ألمانيا الديموقراطية في ذلك الوقت، وصافحني بحرارة وضممني بشدة، وهو يعتذر ويهنئني بالسلامة، وأخبرني بشعوره بالذنب عندما كان يسمع أخبار الحصار في تل الزعتر ، وأنه فخور بالصمود في تل الزعتر، وعرض علي أي خدمة في ألمانيا وإنه مستعد لإعادة المنحة مرة أخرى، ولكنني كنت قد نسيت، في خضم الحرب والموت.

\*\*\*

كان أحمد أبو غوش الصديق القديم الذي تعرفت عليه في أول زيارة للجمعية في بير حسن، قد بقي في بيروت ، وكان بعد خروجنا على وشك الخطبة، فقد التقى بالفتاة التي كان يحلم بها في بيروت من المتطوعات في مستشفى الهلال في جامعة بيروت العربية، أثناء الحرب. ودعانا يوسف وأنا لحفلة الخطوبة، وكانت حفلة غير رسمية للأصدقاء والحبايب، ففي تلك الأوقات لم يكن هناك مجال للرسميات والحفلات الرسمية.

وصلنا متأخرين بعض الشيء يوسف وأنا، وعندما فتح الباب وقع نظري فوراً عليها، بشعرها الكث الطويل وبالكاد سلمت على ا لعروس و العريس، ثم توجهت اليها، وسألتها،

- ألم تكوني في تل الزعتر.. نظرت إلي بدهشة وقالت
  - ألم تمت في تل الزعتر، لقد قرأت الخبر في السفير؟؟ وقلت جاداً،
  - بلى لقد مت، ثم قمت مرة أخرى ، وجلست إلى جانبها، ولم يتوقف الحديث طيلة الليلة، ولم يتجرأ أحد على الحديث معي، فقد كنت أعطي انطباعاً بأنني منهك في النقاش ومتحمس في الكلام. بحيث تركوني وشأني.
- ولم أتركها بعد ذلك ، فتابعت الاتصال بها ، ونمت العلاقة بيننا بشكل تدريجي.



شهداء تل الزعتر

## ١٨- الخاتمة

لماذا سقط تل الزعتر؟

اكتفينا بعد سقوط تل الزعتر ، بالجواب المبسط، أنها كانت مؤامرة انعزالية اسرائيلية لتوسيع البؤرة المسيحية في لبنان من أجل إنجاح التقسيم، وهذا الجواب على بساطته كافي لإقناع الناس، ولكن تفاصيل هذا الكلام مهمة لاستيعاب ما حصل، ولفهم التهم التي يكيلها الناس شمالاً ويميناً، ضد الجميع. ولا يوجد برئ في الموضوع. لقد كان الحصار والتجويع أداة لكسر إرادة الصمود ، كما كان نفاذ الذخيرة جزء من الحصار والتجويع. وسأحاول تلخيص المواقف مرة أخرى:

١-الهدف من إشعال التناقضات في لبنان واشعال الحرب اللبنانية هو هدف اسرائيلي لملاحقة الثورة الفلسطينية وإشغالها في معارك جانبية تحرفها عن هدفه المعلن، وهو تحرير فلسطين. والملاحظ لتاريخ الثورة الفلسطينية منذ انطلاقها ، مدى انشغالها في الصراعات الداخلية العربية، غصباً عنها، وليس بإرادتها، ابتداء من الأردن، وحتى لبنان وما بعدها.

اسرائيل تمثل رأس المال اليهودي العالمي المتصهين، والذي يحكم العالم عبر التجمعات المالية والبنوك والدول والمنظمات السرية والعلنية والصحافة والسينما وجميع وسائل الإعلام المسموع والمرئي والمقروء، التي تمتد في جميع أنحاء العالم القديم، ومنذ قيام الثورة الفرنسية والثورة الأمريكية بعدها. وهي قادرة بالتالي على تحديد البرنامج اليومي للاعلام فير العالم أجمع وتوجيه الرأي العام العالمي في الاتجاه الذي تريد، مع بعض الاستثناءات الصغيرة هنا وهناك. وليس من الصعب خلق بعبع مثل الفلسطينيين أو الإرهاب أو غيرها لتحقيق أهداف معينة في مرحلة معينة. هذا هو واقع إسرائيل الذي يشرح نظرية المؤامرة.

مناوشات واشتباكات مع الدول العربية في الأردن وسوريا ولبنان، والخلاف مع مصر ومع السعودية ومع الكويت والعراق وقطر وليبيا. ببساطة ، كانت اسرائيل وما زالت تشعل الحرائق في كل مكان، وتشغل الثورة بها مباشرة أو بشكل غير مباشر. وتستنزف قواها في معارك جانبية في كل مكان. لم يكن الموضوع غباء القيادة الفلسطينية أو عدم التوافق مع الزعماء العرب، أو عدم قدرة على التحليل وفهم التناقضات الموجودة، أو أي من الحجج التي يمكن أن نسوقها لتبرير ما كان يحصل هنا وهناك. الموضوع أن وجود الثورة الفلسطينية ، رغم محدودية تأثيرها، كان يشكل رعباً حقيقياً للكيان الاسرائيلي ولسلطة المال العالمي وتشكيكاً يقدرته على السيطرة على العالم. لهذا لم يكن مسموحاً له أن يكبر ويكون تحالفات تكبر لتهدد مصالح ليس إسرائيل فحسب بل السلطة المالية في العالم، وتحالفاتها الممتدة عبر الدول العربية بشكل خاص، ثم العالم.

في قلب هذه المعادلة العالمية يوجد نظرية عنصرية عن الشعب المختار ، والذي اختاره الإله لحكم العالم واختار أن يجعل الأغيار أي جميع البشر غير اليهود في خدمتهم ، وعبيداً لهم. والقانون الإسرائيلي حتى الآن، ما زال يعتبر قتل الشخص من الأغيار ليس جريمة، والجريمة هي فقط قتل اليهودي.

٢- الانعزاليون يشعرون أنهم أقلية مسيحية، كسبوا الجولة الأولى بوجود الأم الحنون فرنسا، والتي لم تكن حنونة البتة، فلم تفهم إبنائها واقعهم، بل أشعرتهم أنهم شعب الله المختار أيضاً، خاصة وأنهم تقدموا على مواطنيهم من خلال

مساعدة فرنسا لهم في التعليم والوظائف والاستقلال. وجاءت اسرائيل لتكمل الدور لتستغلهم ضد مواطنيهم اللبنانيين والعرب بشكل عام، وتحاول خلق صورة مارونية لاسرائيل. فأمدتهم بالمال والسلاح والدعم العالمي، فكان لا بد من الصدام مع الفلسطينيين لاستكمال مشروعهم الانفصالي في لبنان الماروني. لقد رضوا أن يتحجموا في مقاطعة صغيرة في جبل لبنان ، بدل أن يسبحوا في محيطهم العربي من المحيط إلى الخليج ويقودوه بإمكانياتهم المتفوقة نحو التقدم والتحرر ، كما فعلوا سابقاً. فلبنان كان رائد القومية العربية، وإحياء اللغة العربية والثقافة العربية والتحرر العربي في القرون السابقة. تحالف المسيحيين مع سوريا أعطاهم الغطاء الذي ساهم في إسقاط تل الزعتر ، والذي حدد التمدد الفلسطيني والتقدمي في المنطقة الشرقية. وكانت أمريكا تراقب الموضوع وتضع له حدوداً.

٣- القيادة الفلسطينية، كانت تدرك منذ البداية حجم المؤامرة، وعدم قدرتها على مواجهة الانعزاليين في تل الزعتر، خاصة بعد تحالفهم مع سوريا والغرب واسرائيل، وما قاله أبو عمار - يا وحدنا، بعد جولته العربية أثناء الحصار، يعبر أيضاً عن انطباعاته في الدول العربية التي زارها، ومدى اندماجها في المشروع الانعزالي، وربما موافقتها عليه. وهي حتى لو كانت غير موافقة، فإنها عاجزة عن فعل شيء يغير الموازين ويمنع الحرب، والذبح. كما ان قيادة منظمة التحرير الفلسطينية تتحمل مسؤولية عن سقوط المخيم، وهي كانت في حالة تفاوض مع حزب الكتائب لتسليم المخيم سلمياً عندما اقتحمت القوى الفاشية المخيم. في خدعة مكشوفة. عرفات كان مسؤولاً عن الوثوق بضمانات مخالفي العهود والاتفاقيات على مر السنتين الأولى من الحرب الأهلية. لقد قدم، المناضلي أبو داوود، (المسؤول العسكري في منطقة بيروت في حركة «فتح») خطة تفصيلية لفك الحصار عن المخيم لكن القيادة رفضت العرض، ورفضت غيره أيضاً. وكانت القيادة بالرغم من ذلك ترسل البرقيات إلى المقاومة في المخيم أمراً بالصمود والمقاومة وواعدة بالعمل سريعاً على فك الحصار والوصول إلى أهله. ١٣٥ فهل كان أمامها خيار آخر؟؟؟

يقول حسين فارس ص. ١٠٩، ١٣٦١

- أكد لي أحد المقاتلين أنه وفي منتصف حصار مخيم تل الزعتر حصل لقاء غير علني في إحدى الكنائس الواقعة في رأس الدكوانة بين قيادات فلسطينية من كافة الفصائل المقاتلة في المخيم ، ومنها المرحوم أبو رياض بدران من فتح ومعتصم من الجبهة العربية مع قيادات عسكرية سورية ومنها علي المدني، وقد قدم الوفد السوري حلاً لحصار تل الزعتر مؤلف من نقطتين: ١- إخلاء مخيم تل الزعتر من المقاتلين وسحبهم مع أسلحتهم إلى المنطقة الغربية من بيروت.

[http:// www.al-akhbar.com/node/240525](http://www.al-akhbar.com/node/240525)<sup>١٣٥</sup>

١٣٦ تل الزعتر، حسين فارس، ذاكرة فلسطينية خالدة دار الندى للطباعة والنشر- بيروت ٢٠٠٧



٢ - بقاء المدنيين في المخيم تحت حماية القوات لسورية. إلا أن قيادات تل الزعتر رفضت هذا الحل السوري. وقد سألت عبد المحسن فأنكر معرفته بالموضوع، واستهجن أن يتصل السوريون بأعضاء في التنظيم بدل الحديث مع القيادة عن الموضوع.<sup>١٣٧</sup>

كانت منظمة التحرير أمام بديلين الأول: الدخول في معركة كطرف رئيس، إلى جانب القوى التقدمية بهدف حسم القتال، في مصلحة هذه القوى مع تحمل ما ينطوي عليه هذا البديل من أخطار، تدخل الجيش اللبناني، أو تدخل قوى أجنبية، من بينها إسرائيل لتدويل الأزمة، وتوجيه ضربة مشتركة إلى الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية في لبنان. والبديل الثاني: الخروج من المعركة، والاكتفاء بموقف المشاهد، والمدافع عن النفس، عند الضرورة فقط، مع ما ينطوي على هذا البديل من أخطار فقدان المساندة الجماهيرية للمقاومة الفلسطينية. راوحت منظمة التحرير الفلسطينية بين البديلين، فعندما كانت تتعرض لهجمات، كانت تلجأ للبديل الأول، وفي الحالات الأخرى كانت حريصة على دقة تحركاتها السياسية والعسكرية. موازنة بين الحفاظ على التزاماتها الثورية، والحفاظ على قواتها الضاربة ومركزها السياسي.<sup>١٣٨</sup> لذلك لم تكون هناك خطة للمواجهة وللحرب، وإنما كانت الردود ترتجل حسب الحالة في وقتها.

حاولت القيادة مد المخيم بكل ما يحتاجه من إمكانيات بسيطة لتعزيز الصمود، ومحاولة تجنب النهاية المأساوية التي كانت تراها، ولكن أهل المخيم، اللاجئيين الفلسطينيين الذين ذاقوا مرارة التشرد من قبل، لم يريدوا أن يكرروا المشهد مرة أخرى، فأثروا المقاومة حتى النهاية. حاولت القيادة إرسال بعض المقاتلين عبر الجبل إلى المخيم المحاصر ولكن عددهم لم يكن كافياً لتغيير ميزان القوى، فاقترنت فائدتهم على رفع الروح المعنوية والتزويد ببعض الحاجيات والسلاح الخفيف. ولكن السلاح في المخيم نفذ في النهاية، ولم يعد هناك ما يكفي لمتابعة المقاومة والصمود، بدليل برقيات طلب الذخيرة، في الأيام الأخيرة للحصار.

يقول أبو إياد<sup>١٣٩</sup> " ولم ندرك خطورة الوضع في بداية المعركة، إلى أن اتصل بنا ذات يوم طبيبان من أطباء المخيم لطلب النجدة. وكانوا يصرون على الحديث مع مسؤولين سياسيين من المقاومة وليس مع مسؤولين عسكريين. وأحسست بغيظهم وهيجان نفوسهم عندما قالوا لي بلهجة جافة: «فإذا كنتم لا تستطيعون التوصل لوضع حد لهذه المجزرة، فجدوا على الأقل وسيلة لتمويلنا بالماء والغذاء.» وما لبثنا أن كونا مجموعات صغيرة تتألف كل واحدة منها من قبضة من الرجال وذلك لمحاولة التسلل وراء خطوط العدو والوصول إلى تل الزعتر. فكان على هذه المجموعات وهي تلتف على المحاصرين. أن نزحف ليالي بكاملها

<sup>١٣٧</sup> في حديث خاص مع نبيل معروف في عمان ٢٠١٥

<sup>١٣٨</sup> <http://www.yabeyrouth.com/pages/index1480.htm>

<sup>١٣٩</sup> صلاح خلف أبو إياد، فلسطيني بلا هوية، ص. <http://alma3raka.net/IMG/pdf/> ١٨٤



على الهضاب المجاورة للتل وعبر الحقول والغابات. وكان يستحيل على أفرادها أن ينقلوا الماء. كما أن أسلحتهم وذخائرهم لم تكن تتيح لهم أن يحملوا كميات هامة من الأغذية. وكثير منهم استشهد في الطريق. وأما الآخرون فلم يكونوا يقدمون للمحاصرين أكثر من تسكين مؤقت: أنهم لاضطرارهم إلى البقاء في المخيم كانوا يزيدون عدد الأفواه المحتاجة للغذاء.”

ربما نأخذ على القيادة عدم التنسيق في يوم الخروج، لتجنب المذابح، ولكن لا ندري حجم الحقد والتعبئة التي كانت لدى الطرف الآخر، وهل كانوا قادرين على السيطرة أيضاً على عناصرهم؟؟ بعد كل هذه التعبئة المعادية والكذب في تهويل قوة المخيم ومصانع السلاح والخبراء الصينيون والروس، الذي كانوا يخططون للحرب.

”وبعد مضي أكثر من شهر على حالة الحصار هذه، لجأت المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية لحصار زحلة لفك الحصار عن تل الزعتر. فقامت قائمة الفاشيين ولم تقعد في الإذاعات والصحف والتلفزيون، نحن في تل الزعتر شعرنا بخيبة الأمل الشديدة، ذلك أن زحلة التي لم يدم حصارها سوى ثلاثة أيام، قامت لها ضجة كبرى عالمية، أما تل الزعتر الذي مضى على حصاره الشديد أكثر من شهر، لم نسمع من الإذاعات والصحف والتلفزة ما يستحق من اهتمام، عندها قررت اللجنة الشعبية في إحدى اجتماعاتها الكثيرة أن ترسل برقيات للصحف والملوك والرؤساء العرب تشرح وضع الزعتر، وما يعانيه من تهديد خطر المجاعة”<sup>١٤٠</sup>

لقد كانت خدعة الصليب الأحمر سهلة، وكان إطلاق الوعود من الانعزاليين سهلاً، لأنهم أرادوا أن ينتهوا من المخيم الذي سبب لهم القلق عسكرياً، وأعاق تقدم خططهم المدنية حسيماً أرادوا، فسقط المخيم، ولم يتقيدوا بالاتفاقيات مع الفلسطينيين ولا الجامعة العربية، وقام الموتورون والحاقدون بتعبئة طائفية بقتل وسحل والتمثيل بالفلسطينيين، في الدكوانة. وتنصل الكتائب من الاتفاقية . بعد المعركة بدأ الصراع بين الحلفاء ، فاقتتل الكتائب والأحرار، واغتيل بشير الجميل وداني شمعون، وقتل معظم الذين تلوثت أياديهم بالدماء.

يقول سمير قصير في كتابه عن حرب لبنان. ”وشجع استئناف الحوار السوري الفلسطيني التكهنات المتعلقة بتواطؤ مفترض لقيادة منظمة التحرير لفلسطينية في سقوط تل الزعتر. وقد استندت هذه الحججة من جهة إلى الفرضية القائلة أن المخيم كان قلعة لجبهة الرفض لن يحدث التخلي عنه أضراراً، ومن جهة ثانية ، إلى شروط الاستسلام وفرضه على المقاتلين، يثبت بالتحديد قدرة هذه الحركة على اتخاذ قرار في المخيم نفسه، ويلغي الفرضية التي جعلت منه قلعة لجبهة الرفض على الصعيد الرمزي فقط. ويشير تسلل بعض المدافعين عن المخيم عبر الأحراج إلى المنطقة التي تسيطر عليها القوات المشتركة، إلى أن تسريب التعزيزات كان ممكناً. لكن يجوز القبول بالرأي القائل أن قيادة منظمة التحرير الفلسطينية امتنعت عن تسريب التعزيزات لتجنب التضحية بمزيد من المقاتلين، طالما أن وضع تل الزعتر بدا ميؤوساً منه. ويمكن أيضاً الاعتقاد بأنها اختارت ، بموافقتها على الاستسلام، ألا تطيل إلى ما لا نهاية أمد وضع لا يمكن إلا أن

<sup>١٤٠</sup> أبو أحمد الزعتر ، تل الزعتر ، الرمز والصمود ص. ٤٣ ، بيروت ١٩٧٧ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين  
٢٤٧  
حكايتي مع تل الزعتر

يؤدي إلى زيادة العداء مع سوريا، في وقت أصيب خيار المواجهة معها بالوهن. أما إمكانية إحداث ثغرة بالقوة عبر الطريقة نفسها ، فقد اختبرت في بداية الحصار، لكن الهجوم المضاد الذي اكتشف، صده وابل من قذائف المدفعية السورية<sup>١٤١</sup>

## ١٩- وماذا بعد؟؟

بعد أربعين سنة على سقوط المخيم، وأربعين سنة من الحروب في المنطقة، والتي تقف ورائها بلا استثناء الدولة الديموقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، نكتشف أن المقاتلين من جميع الجهات والفئات كانوا أدوات لمخططات خارجية ، كان هدفها زعزعة المنطقة وعدم السماح بحدوث سلام بين الأطراف، مما يعني عدم حدوث نمو طبيعي لا اقتصادياً ولا اجتماعياً وبالتأكيد سياسياً. وفي الحرب اللبنانية ربما كان حال الحركة الوطنية أفضل لو حافظوا على صيغة ال٤٣ التي كانت سائدة، والتي ستتغير بالتأكيد بحكم التطور الديموغرافي والاجتماعي والاقتصادي، ولكن بكلفة أقل.

فلبنان كان مركز الشرق الأوسط الإقتصادي والفني والمالي، وكل المال العربي كان ينتهي إلى بيروت، وبعد الحرب هرب المال والاقتصاد ، كما هرب الفن والجمال.

كان لبنان يمثل نموذجاً للتعايش المسيحي الاسلامي ينير الشرق الأوسط، وكان هذا النموذج مزعجاً للدولة العنصرية المجاورة والتي تتناقض مع جميع ما يمثله لبنان في الشرق الأوسط. ولعل القيادات المسيحية أساءت تقدير الموقف وتورطت في الحرب بدون رغبة وبدون وعي مسبق بأبعاد المعركة ، والدليل أنها غيرت تحالفاتها بكثرة فتارة يتحالفون مع سوريا وتارة يحاربونها، وتارة يتحالفون مع إسرائيل كما حصل مع بشير الجميل، ثم نقض التحالف عندما طالبتة اسرائيل بدفع الفاتورة ، ثم يعودون للتحالف مع الفلسطينيين، وكلما اقتربوا من الاتفاق يحصل ما يمنعه. . لقد اعتبر المسيحيون أنفسهم حلفاء الغرب ولكنه حب من طرف واحد، واضطر المسيحيون لدفع الثمن من سطوتهم ونفوذهم في لبنان وخسارتهم الاقتصادية بالإضافة إلى تزايد الهجرة من مناطقهم، بحيث تدنت نسبتهم في عدد السكان بشكل ملحوظ.

لقد خسر المسيحيون موقعهم الريادي في قيادة الأمة العربية الفكرية والثقافية أي أنهم خسروا قوتهم الناعمة والتي كانت تضاعف من تأثيرهم الثقافي والاقتصادي في العالم العربي. كما ساهم الاستقطاب المسيحي المسلم في تقوية عداء الاتجاهات الإسلامية للمسيحيين أيضاً. وساهم في تصاعد التطرف الإسلامي المدعوم من الوهابية.

هناك أسئلة ما زالت عالقة، مثل هل نستطيع نسيان ما حدث والمضي في حياتنا بشكل عادي وكأن شيئاً لم يكن. خاصة بعد أن تغيرت الظروف السياسية

<sup>١٤١</sup> سمير قصير، حرب لبنان دار النهار ص. ٢٢٩

في لبنان وفي الثورة الفلسطينية. وتغيرت التحالفات والتناقضات، ولئن بقي التناقض الرئيس مع الصهيونية واسرائيل، إلا أن منظمة التحرير الفلسطينية قد صنعت اتفاقيات مع العدو الاسرائيلي، وتحالفت مع الكتائب في مرحلة ما في حرب المخيمات وحرب بيروت بعد الخروج، عندما أصبحت أمل اللبنانية هي العدو في مخيم شاتيلا.

التناقض الرئيس يبقى مع الصهيونية واسرائيل، التي أوصلتنا إلي لبنان وتل الزعتر والمخيمات بشكل عام، أما مع لبنان فهو تناقض ثانوي يجب أن لا يستمر طويلاً، ولا يعطل العمل لحل التناقض الرئيس. فلبنان ليس عدونا، ولا الكتائب عدوتنا. فكل همهم الحفاظ على لبنان مستقل كما يريدون مع تحكم عقدة الخوف لديهم.

الموضوع يتكون من شقين: الشق السياسي، وهو الذي يحتمل تغيير التحالفات السياسية، حسب تناقضات المرحلة التي نمر بها، والتحالف مع القوة المناسبة والضرورية بتحقيق الأهداف السياسية الموضوعية لتلك المرحلة، والسياسة الموضوعية والواقعية لا ترتبط بالأخلاق ولا بالمبادئ، بل بالمصالح الموضوعية والمرئية التي تراها القيادة في سبيل تحقيق مصالحها. فقد تحالف الغرب مع روسيا في الحرب العالمية الثانية، ولكن العداء للشيوعية لم يخف في الغرب بعد النصر المشترك على النازية، بل زاد بنشوء الحرب الباردة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، على مستوى العالم.

ولم ينته العداء بعد انهيار الشيوعية، لأن العداء ليس للأفكار فقط، بل للمصالح التي ورثتها روسيا في العالم، فانتقل العداء لروسيا، رغم اختفاء الإيديولوجية الشيوعية. ولم تستطع الولايات المتحدة أن تستوعب روسيا أو تهضمها كما هضمت العدو النازي القديم في ألمانيا، والذي أدخلته في دائرة مصالحها. بينما لم تتح الفرصة للقيادة الروسية لإكمال بيع روسيا للولايات المتحدة.

والشق العاطفي والتاريخي، والذي يتعلق بالذاكرة الفردية والجمعية للناس في تل الزعتر، الذين لا تهمهم السياسة، ولا المصالح، بل ما يعيشونه ويحسون به مباشرة، وما يثير عواطفهم ويصنع تجاربهم الشخصية. فالذي فقد عزيزاً لا يمكنه أن ينسى أو يسامح، أو يمحو ذاكرته وذكرياته العزيزة، أو خوفه من الموت في لحظات الرعب ورؤيته الموت يقترب منه ويجول في ساحة الدكوانة أو في المخيم أو على أطرافه، في قذيفة تسقط بقربه، فينجو منها لأن ساعته لم تحن بعد، فينتظرها بفارغ الصبر والخوف أو الرعب بعدما يرى أعزائه يتساقطون ويخطفهم الموت واحداً وراء الآخر.

عندما نراجع التاريخ، هل نستطيع مثلاً أو نغفر لإسبانيا مجازرها ضد العرب في العصور الوسطى، فقد قتل ملايين العرب بحجة الحرب الدينية وتحرير إسبانيا من المسلمين، فهدموا حضارة أنارت أوروبا لقرون. أو هل نستطيع أن نغفر لأوروبا استعمارها للبلاد العربية وتقسيمها واستغلال مواردها حتى الآن. هل نسي التاريخ المذابح اليهودية التي خلدتها التوراة ضد الفلسطينيين منذ ألفي عام أو أكثر. أو نسي المذابح اليهودية التي اقترفها اليهود ضد المسيحيين في اليمن (نجران) الذين أختفوا في قصة أصحاب الأخدود المذكورة في القرآن، في أشهر اضطهاد ديني حدث في التاريخ العربي. أو نسي الحروب الصليبية، حيث

تحالف الغرب كله على الشرق بحجة تحرير الأماكن المقدسة في فلسطين واحتلوها أكثر من قرن، فعاثوا فيها فساداً، وشردوا وقتلوا، من العرب والفلسطينيين من قتلوا.

هل نستطيع أن نتقبل اسرائيل أو نغفر لها ما فعلت بالفلسطينيين من مجازر وسرقة الوطن والهوية، والاستعمار المستمر لفلسطين واستغلالها وإلغاء اسمها من التاريخ حتى. أو أن من عاش مجازر الصهاينة في فلسطين نسيها لمصلحة الذاكرة الأحدث وهي تل الزعتر، وهل سينسى أهل تل الزعتر المخيم لو حصلت لهم مصيبة جديدة لا سمح الله في برلين أو في لبنان... كما نسينا فلسطين أو تراجعت في ذاكرتنا ضمن انشغالنا في حياتنا الجديدة في كل المنافي.

الذاكرة التاريخية تبقى، والتاريخ لا يرحم، فهو في النهاية يصبح موضوعياً، بعد زوال الحدث الذاتي، واختفاء العواطف والمشاعر الآنية. ولا يمكن أن يكون كذلك في أثنائه، ولا يمكن أن يكون موضوعياً إلا إذا شمل الزوايا التي لا يراها الشخص في حياته القصيرة، لعدم توفر المعلومات والرؤيا الشاملة لأي كان، فلا أحد يستطيع رؤية جميع الزوايا لأي منظر مهما كان صغيراً. خاصة وأن الجانب العاطفي يطغى على النظرة فيشوشها.

لقد قاتل تل الزعتر بأمل في النصر ولم يقاتل قتال اليائسين، وكانت كل محاولة للدخول أو إسالة المعونات من الخارج توحى بقرب وإمكانية الوصول إلى المخيم وفك الحصار، ولم يتصور أحد في المخيم هذه النهاية الحزينة، ولم يحدث حالات فرار من القتال أو من المخيم، مما سبب لاحقاً اتهامات للقيادة بالتقصير، وعدم القيام بالواجب الكافي للوصول إلى المخيم وتحريره من الحصار. لقد كانت الثقة بالقيادة حافزاً للصمود والتعبئة، ولهذا كان الشعور بالخذلان وخيبة الأمل عميقان.

لقد سقط المخيم ليس بسبب تقصير أهل المخيم في الدفاع عن أنفسهم وعنه، فقد بذلوا الغالي والنفيس وقدموا الدم والشهداء. وخسر المخيم آلاف الشهداء خاصة من المدنيين من النساء والأطفال والشيوخ. بل لعدم وجود توازن في القوى المحلي والدولي. وبسبب انجرار العرب في مؤامرة كيسينجرية قلبت التناقضات وزورتها، فتشوشت الصورة، وابتعدنا عن التناقض الرئيسي وهو العدو الصهيوني، لصالح تناقضات ثانوية بين الأشقاء، ولعدم وجود من يهتم بعذاب الفلسطينيين في المخيم وسواه، وما زلنا على قول الشهيد كمال ناصر "يا وحدنا".

لقد كانت مأساة تل الزعتر جزء من المأساة الفلسطينية الممتدة منذ عام ١٩٤٨، والتي ما زالت تصرخ بظلم العالم القوي للعربي الضعيف..

ولكن الحياة تستمر، فبعد أربعين عاماً على سقوط المخيم، استطاع أهله أهلي لملمة الجراح والبدء من جديد في حياة جديدة رغم المأساة والذكريات الأليمة، ورغم الصعوبات والمضايقات، إلا أنهم أثبتوا قدرتهم على تخطيها، وقدرتهم على الإبداع في حياة جديدة في ظروف صعبة، وبقوا واقفين في كل أماكن تشردهم الجديد، فتحية لهم.

لقد فعلوا الصواب في دفاعهم عن مخيمهم ومعتقداتهم، وعلينا أن نفعل ذلك أيضاً ونتابع الحياة.

وما زلنا بعد أربعين عاماً على مأساة تل الزعتر، نتذكره بألم ، ونتذكر البطولة والصمود والتضحية، ونحنى إكباراً واحتراماً ووفاء للشهداء الذين قدموا أرواحهم حتى نستطيع أن نتابع حياتنا، ونكتب كلمات لا تساوي شيئاً بالنسبة لما فعلوه هم.

وبعد:

إذا كان لي أن أقيم التجربة الفلسطينية في الأربعين سنة الماضية، والتي نستطيع أن نقول بجرأة أنها ثورة فشلت في تحقيق أهدافها، بالرغم من آلاف الشهداء والجرحى والتضحيات، لأسباب كثيرة منها تمكن العدو من اختراق الجبهة الفلسطينية والعربية والعالمية وقوته العالمية بالقياس بقوتنا المحلية. لقد قاتلت الثورة الفلسطينية ببسالة نادرة ضد العدو الصهيوني، في الأردن ولبنان، واضطرت للخروج بعد الضغوط والوعود، وانتشرت في بقاع الأرض في انتظار تحقيق الوعود.

هناك عدة جوانب لا بد من محاولة فهمها

١- إن الصراع مع إسرائيل هو الظاهر من جبل الثلج، فحقيقة الصراع هي مع الغرب. والهدف هو الذي بدأ به نابليون في نهاية القرن الثامن عشر، امتداداً للحروب الصليبية في القرن العاشر، والاحتلال الروماني واليوناني. لتحقيق نفس الأهداف. قامت أوروبا في القرن التاسع عشر في ضرب محمد علي، الألباني الذي وصل إلى الحكم في مصر، وأدرك دور مصر الجيوسياسي، فنهض بمصر، وحاول التوسع، فوقف له الغرب (انكلترا وفرنسا في ذلك الوقت) مانعاً ظهور دولة جديدة على إنقاض الرجل المريض أي الدولة العثمانية التي كانت تصارع الموت. ثم منع تطور مصر عبد الناصر، كما منع تقدم العراق، فشن حربه وهدم العراق، ولمنع تطور سوريا شن حربه على سوريا وهدمها بحجة الديمقراطية التي لم تعجبهم. ويقف الغرب وراء إسرائيل وقد احتلت الولايات المتحدة الأمريكية دور القيادة، فلعبت بفزاعة إسرائيل لتحقيق نفس السياسة والأهداف. لذلك يجب أن تبحث عن إسرائيل والغرب في كل ما يتعلق بالعالم العربي في عصرنا الحالي، لتفهم مسار الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

لقد قامت الحركة الفلسطينية الوطنية على أساس حدود فلسطين التي رسمها سايكس-بيكو، والذي كان تكوين دولة إسرائيل من ضمنها، وبهذا تم جرننا إلى معسكر العدو، وإخضاعنا للظروف التي أنشأها، وحجم الشعب الفلسطيني، وجعله يتحدد بحدود سايكس بيكو، فعزله عن محيطه العربي والشامي الذي هو جزء لا يتجزأ منه. وهذا يعني أيضاً، أن الدول العربية الأخرى



لم تعد ملزمة بالنضال من أجل فلسطين التي يناضل أبنائها من أجلها ، وأصبح لديهم هموم أخرى ينشغلون بها.. كما أصبح الوجود العربي غير الفلسطيني غير مرحب به على مستويات مختلفة للثورة الفلسطينية لما يشكله من منافسة ..على المواقع والمناصب . وكان هذا أول مقتل للثورة الفلسطينية والحقيقة أن قوة فلسطين أنها جزء من بلاد الشام والأمة العربية والاسلامية، وأن احتلال فلسطين كان موجهاً لضرب بلاد الشام والمنطقة العربية، المركز الحضاري في العالم ،لقدرته على تجاوز التخلف ، ولاحتمال التقاء الشام مع مصر كما حصل في فترات عديدة في التاريخ.مما قد يغير وجه تاريخ المنطقة ، ويضع حدوداً للقوى الأوروبية المسيطرة على العالم.

إن تجزئة البلاد العربية بهذا الشكل يجعلها عاجزة جذرياً عن حل أي من المعضلات التي تواجهها بشكل منفرد، سواء في التخطيط أو التصنيع أو النمو، أو حتى في صيانة بلدانها ، كما فصلت الدول الغنية بحيث لا تحتاج الدول العربية الأخرى وفصلت قوانين تمنع ذلك، بحجة التوطين وغيره. وتولدت إيديولوجيات الوطنية والقطرية لتعبئة الجو والعداء بين العرب.

إن العرب لا يستطيعون مواجهة الغرب ، بتتبع نفس العقلية التي عملت على تقسيمهم، ولا بد من رفضها كلياً وجزئياً، والتحرر من عقلية سايكس بيكو إلى الأبد.ولهذا يجب إلغاء سايكس بيكو في عقولنا أولاً، لأنها تمنع انطلاقنا والتحرر من سيطرة الغرب الفكرية والعلمية والاقتصادية والنفسية. لقد تكرست في المائة سنة الماضية بعد سايكس بيكو قوميات وحدود ومكونات لم تكون لتخطر على بال أي عربي في المنطقة وأصبحنا نصدقها وندافع عنها كأنها حقيقة مطلقة، في حين أنه لا داعي لوجودها سوى حماية مصالح الغرب والدول المسيطرة منها خاصة، بالإضافة أنها تتعارض مع مصالحنا ، وتعيق تقدمنا وتطورنا الفكري والعلمي والاقتصادي في العالم.

٢-لقد تهيأت للثورة الفلسطينية مع ذلك ظروف دولية وعالمية مساندة، وكانت في مرحلة الحرب الباردة مجال تضامن جميع الشعوب المقهورة والتي تناضل من أجل استقلالها لكن قيادة الثورة لم تستطع بناء تحالفات عميقة ودائمة، رغم الزخم الإعلامي والترحيب العالمي. وكان انهيار الاتحاد السوفياتي وتفرد الولايات المتحدة بقيادة العالم ضربة أصابت فلسطين في الصميم. فأصبحت وحدها تواجه الصهيونية والولايات المتحدة الأمريكية، والتي لم تأل جهداً في إرضاء إسرائيل والانحياز الكامل لها.

لقد بذلت قيادة الثورة جهداً غير مسبوق في عملية الإعلام لتعريف العالم بقضيتنا العادلة، في مواجهة الأخطبوط الإعلامي الصهيوني الذي يسيطر على الإعلام العالمي خاصة في الغرب، ولهذا كنت ترى تركيز مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في شارع الجامعة العربية في حي الفكهاني في بيروت الغربية، حيث تصدر الصحف والمجلات والأفلام الفلسطينية، ويتواجد الإعلاميون الفلسطينيون والعرب المؤيدين لفلسطين. وانتشرت اللجان المؤيدة لفلسطين في الكثير من الدول الغربية تشرح القضية الفلسطينية وتظهر زيف الإدعاء الصهيوني. وكان لنشاط التنظيمات الفلسطينية والجاليات العربية في الغرب دور كبير في ذلك.



ولكن القيادة الفلسطينية لم تبذل نفس الجهد في بناء البنية التحتية للقتال ضد إسرائيل ولمواجهة العدوان المستمر على لبنان ، فوقعت في نفس خطأ التجربة الأردنية التي لم يتم تقييمها ولا أخذ العبر منها . ونحن نستطيع قول ذلك الآن بعد التجربة الجديدة لحزب الله الذي استطاع أن يبنى قواعد صلبة من الجماهير ومن التحالفات ومن التحضيرات العسكرية التي فاجأت العدو في عملياته العسكرية الغازية. كما استطاع تجنب الأخطاء الكثيرة التي وقعنا بها في حينه لأسباب مختلفة. والمسألة ليس لها علاقة بالبيئة الحاضنة المختلفة، فقد كان سكان الجنوب ولبنان عامة ، من المؤيدين للنضال الفلسطيني ومستعدين للتضحية، كما شاهدنا في القصف المستمر لقرى الجنوب ولبنان عامة. كما أنه ليس لها علاقة بشجاعة المقاتل الفلسطيني والعربي في الجنوب في مواجهة العدوان الإسرائيلي الذي سطر أروع الملاحم العسكرية في جنوب لبنان، ولكن الموضوع يتعلق بالقرار الفلسطيني في حينه. ويأخذ اللبنانيون علينا أننا لم نقاتل دفاعاً عن الجنوب في الاجتياح عام ١٩٨٢ وانسحبت القوات الفلسطينية خلال أيام من المواجهة، ولم يبق غير الكتيبة الطلابية التي بقيت تقاتل في قلعة شقيف حتى آخر رجل صانعة ملحمة في الصمود.

لقد افتقدت الثورة الفلسطينية إلى برنامج نضالي واضح، بحجة عدم اختراقه ومحاربتة من العدو. وكان الموضوع مغلفاً بالسرية. وهذا واجب ومفهوم، ولكن غير المفهوم أنه لم نستشف بعد هذه المدة أي دليل على وجوده.

٣- لقد كان ارتهان القيادة الفلسطينية للحل السلمي للقضية الفلسطينية مقتل آخر، إذ ركزنا على تحالفنا مع السادات ومصر، بناء على وعود لم تتحقق، وصدقنا أن إسرائيل يمكن أن تعطي شيئاً من الحقوق الفلسطينية التي تتناقض مع وجودها، ويمكن للمتعمق في دراسة الصهيونية أن يدرك الأسس الفكرية والعقائدية التي تحكم إسرائيل، وهو أنهم شعب الله المختار، وأن جميع البشر إنما وجدوا لخدمتهم . وهم يؤمنون بذلك حقاً ويمارسونه. و فقدنا تحالفنا مع قوى مهمة مثل سوريا وإيران ، اللتان كانتا مع خط أكثر جذرية وإصراراً على المواجهة . كما فقدنا الثقة بجماهير شعبنا التي ما زالت قادرة على العطاء والتي تثبت يومياً استعدادها للامحدود للتضحية في سبيل نيل حقوقها المشروعة في العيش بكرامة على أرضها.

ويمكن القول أن هذا التوجه كان سائداً منذ البداية بأصحاب مقولة " التحريك وليس التحرير" ، فلم تعمل القيادة جدياً على تهيئة تنظيم قوي قادر على الاستمرار. وكان الهدف هو عمل بعض الحركات والتحركات السياسية التي قد تجبر إسرائيل على التفاوض والتنازل عن احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة التي تعتبر محتلة بعد عام ١٩٦٧ ، مقابل الاعتراف بدولة إسرائيل. ولهذا كان التحرك الدولي يحظى بأهمية كبرى لدى قائد المنظمة ياسر عرفات الذي قضى من الوقت في الطائرات أكثر مما قضاه على الأرض. في اللهاث وراء دعم أمريكي وعالمي لدفع إسرائيل للانسحاب من الأراضي المحتلة ١٩٦٧ حسب قرارات الأمم المتحدة التي لا تقيم لها إسرائيل ولا الولايات المتحدة وزناً.

ولقاء الاعتراف بدولة إسرائيل، وموافقته على أن تصبح السلطة الفلسطينية جزءاً من إسرائيل تتمتع بالحكم الذاتي. عاد عرفات إلى غزة مدشناً نشوء السلطة

الفلسطينية التي هي جزء من دولة اسرائيل يتمتع بالحكم الذاتي. ويخضع لسيطرة اسرائيل في الأمن و الحدود والتجارة والاقتصاد. لتستمتع السلطة..الفلسطينية بقرارها المستقل

٤- لقد كان السلاح الذي أعطي لعرفات بقوة وانتشى به ، هو سلاح القرار الفلسطيني المستقل، والذي أيدته دول الخليج بنوايا خبيثة أهمها فك التحالف مع سوريا. ثم التشجيع على حلول منفردة وعود زائفة. وإدى إلى فك ارتباط الدول العربية مع فلسطين، وتأثرت الشعوب العربية بذلك أيضاً، نتيجة الإعلام المعادي للفلسطينيين ، ولمنظمة التحرير الفلسطينية. وبهذا أصبح الكفاح الفلسطيني شأناً فلسطينياً، ولم يعد يخص العرب أو يعينهم. إلا من فهم اللعبة، وبهذا أصبح الفلسطينيون مطاردين في الدول العربية أو موضع شك ومراقبة، بدل الترحيب والاحتضان السابق. وهذا ينسجم مع الخطة الصهيونية في شيطنة الكفاح ضد اسرائيل. الأمانة المستقرة التي يعكر الإرهابيون صفو عيشها الهادئ.

٥- لقد كان سلاح الإرهاب والاغتيالات الذي استعملته اسرائيل ضد قيادات منظمة التحرير الفلسطينية فاعلاً في تحجيم الطموحات الفلسطينية، فكان كل قائد يستشهد يأخذ برنامجه للتحرير معه، وقد كان جميع الشهداء من المقاومين العنيدون لاسرائيل، ولسياستها في ضم الأراضي الفلسطينية وإلغاء الحقوق الفلسطينية، مما أبقى فبي النهاية ياسر عرفات وحده يتعرض للضغوط المختلفة من الدول العربية المتحالفة مع الولايات المتحدة وبالتالي مع اسرائيل. وهذا فت في عضده.

وبعد اغتيال ياسر عرفات، انتهى الأمر في سلطة غير قادرة على المحافظة على نفسها، وتخضع للهيمنة والإملاءات الاسرائيلية. وإذا كانت تستطيع تحريك الشارع في انتفاضات ضد الاحتلال، فقد جائت الانتفاضة الحالية لتقول لها- شكراً، لسنا بحاجة لقيادتك، وسننتفض وحدنا.. وهو تعبير عن يأس الجيل الشاب من القيادة الحالية لمنظمة التحرير الفلسطينية التي شاخت، وأصبحت عاجزة عن المبادرة. لقد جربت هذه القيادة ما استطاعت، ولكن بدون تحقيق أي إنجاز يرضي الشعب الفلسطيني في الحقوق والعودة ، أو حتى تحسين الظروف المعيشية.

٦- لقد أخطأنا في الثقة بالوعود الأمريكية والاسرائيلية، والتي يبدو أنها تسيطر على القرار العربي بشكل أكبر مما نتصور ، وقد لا يكون الأمر هو مجرد ثقة، بل تبعية وضعف. وانخدعنا بالوعود العربية المتفاهمة مع أمريكا واسرائيل، والغالب أن هذا ناتج عن خطأ في التحليل وفهم التناقضات على الساحة العربية والعالمية. وما زلنا ندفع الثمن ونجري المفاوضات من أجل المفاوضات، ولتبرير بقاء السلطة الوطنية. المناط بها حماية إسرائيل، رغم كل الممارسات اللاإنسانية التي تمارسها هذا الدولة الديموقراطية.

٧- وأخيراً، لقد استمر المخيم خمسة وعشرين سنة بعد تأسيسه في الدكوانة، ولكن القضية ما زالت موجودة. والتناقضات تصبح أوضح مع الوقت، وتنكشف تحالفات جديدة في المنطقة العربية. والاحتلال يزداد وحشية وعنصرية واستعماراً ونهباً للأراضي الفلسطينية. واضطهاداً للإنسان الفلسطيني، وأصبح يمس كل إنسان فلسطيني بل عربي في معيشتة اليومية، والإحتلال حريص على تذكير الفلسطينيين بوجوده وتفوق قوته وسلاحه من خلال إعادة إحتلال المناطق الفلسطينية المعطاة للسلطة الفلسطينية ملغية بذلك اتفاقات أو سلو السيئة الذكر. بل وبطشه مستمر دون مراعاة لأي مشاعر أو حدود للقوانين الدولية والإنسانية . فهو لا يريد السلام ولا يعترف بحقوق الشعب الفلسطيني لا في إنشاء دولة ، ولا حتى في البقاء كبشر.

والمقاومة الفلسطينية ، فقدت بوجود السلطة قيادتها الثورية القديمة. فأصبحت فردية تزداد بطولة وتضحية، ولكن هذه البطولات الفردية لا بد أن تتأطر لتصبح سيلاً جارفاً مع الوقت، فجميع العناصر مهيئة لاندلاع ثورة جديدة أكثر تنظيماً وتصميماً ، تشكل استمراراً للتاريخ النضالي الطويل لهذا الشعب المغلوب على أمره، والذي يقف وحيداً وما زال يقول " يا وحدنا..".ولكن التاريخ لا يبقى ساكناً بل يتحرك باستمرار ، وتتغير التناقضات، ويتغير ميزان القوى العالمي، ويسقط تقسيم سايكس بيكو، كما سقط غيره. فالعالم يتغير وميزان القوى العالمي يتغير ، ولن يبقى الغرب قوة وحيدة تسيطر على العالم إلى الأبد. نهايته قريبة بحكم التغييرات الحاصلة يومياً، وسيأتي اليوم عندما لا نعود وحدنا...

وتحياتي لأهالي تل الزعتر  
وتحياتي لكل مناضل من أجل فلسطين،  
من أجل العروبة  
من أجل وطن عربي موحد ذو قرار وطني مستقل!!



الدكتور فتحي عرفات (رئيس جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني) يتوسط الطبيين عبد العزيز اللبدي عن يمينه ويوسف عراقي عن يساره، في المؤتمر الصحفي بعد الخروج من الحصار.



ملحق:

التجربة الطبية في تل الزعتر

د. عبد العزيز اللبدي

د. يوسف عراقي

إن التجربة الطبية في تل الزعتر تشكل جزءاً من مجموع التجارب التي عشناها في ظروف الحصار، والتي تشكلت مع الظروف الجديدة التي ظهرت نتيجة لهذا الحصار، فالتحليل السياسية التي كانت تقود إلى حتمية المعركة وبالتالي الحصار، كانت أيضاً عاملاً رئيساً في تجربتنا، فلم يبق هذا التحليل تحليلاً طبياً،

وإنما تحول بفعل الحصار الطويل إلى تغييرات عملية أثرت في تفكيرنا وممارستنا وقادتنا إلى التحضير الصحي لمثل هذه الظروف.

وهذا هو الذي يميز تجربتنا الطبية في تل الزعتر، ولهذا فكم هي متواضعة هذه التجربة، وكم هي ضئيلة إذا قيست بتجارب الشعوب المناضلة، ولكنها لا بد أن تأخذ حجمها الطبيعي في تراثنا الحضاري والطبي.

إن التجربة الجراحية والطبية بشكل عام التي يكتسبها كل أطبائنا لا بد أن تسجل ، وأن تعمم طبياً وجماهيرياً حتى نستطيع أن نتعلم من تجاربنا، وحتى يكون بين أيدي أطبائنا نرثاً طبياً نضالياً نفتخر به.

ذلك أن التجربة الفردية التي يكتسبها كل من يعمل في الحقل الطبي ليست ملكه وحده، بل هي ملك الشعب الفلسطيني. ومن حق الشعب الفلسطيني أن يتعلم من تجاربه، وأن يفتخر بتراث طبي ثوري، يضاف إلى التراث الحضاري للشعب الفلسطيني.

ولعل من أهم الحقائق التي تأكدت خلال الحصار هو أهمية وجود المستشفى والجهاز الطبي بشكل عام. ثم أهمية الجماهير بالنسبة للطبيب، فقد كان وجود الجهاز الطبي المتكامل من العوامل الأساسية التي ساهمت في معركة الصمود. كما كانت الخطة المتبعة في تعليم أكبر عدد من الكوادر وتثقيفهم صحياً من جملة الأشياء التي ساعدتنا في التغلب على كثير من المشاكل، بالإضافة إلى التوعية الطبية العامة في العيادات والمناقشات. ولعل أهم ما ساهم في ذلك هو ذلك الانفتاح وتلك العلاقة الانسانية الراقية التي نشأت بين الجهاز الصحي، وعلى الأخص بين الأطباء وبين الجماهير عامة. ، وهذه النقطة سهلت علينا التحرك بحرية أكثر بين الناس مما ساهم بالتالي في تنمية التوجيه الصحي الجماهيري ، ولعل أهم النتائج لذلك التوجه هو الاندفاع والحماس المباشر للتبرع بالدم - في وقت لم نكن فيه نملك أي بديل لإعطائه ، وسنأتي على شرح هذه الأشياء في وقتها.

## أولاً- الأوضاع في تل الزعتر

يقع مخيم تل الزعتر في المنطقة الشرقية من بيروت ، وقد تأسس عام ١٩٥٢ ، حيث منحت الحكومة اللبنانية قطعة من الأرض للاجئين الفلسطينيين من بيروت ، والذين لم يكن لهم مأوى حتى ذلك الوقت. وكان عدد سكانه في ذلك الوقت لا يتجاوز الخمسة آلاف، ثم زاد عدد سكانه بنزوح أعداد كبيرة من الفلسطينيين واللبنانيين ، ثم جميع الجنسيات إلى تلك المنطقة التي تحولت إلى المنطقة الصناعية الأولى في لبنان، وارتفع عدد السكان إلى ثلاثين ألف نسمة، منهم سبعة عشر ألفاً من الفلسطينيين، وثلاثة عشر ألفاً من اللبنانيين(٢٧٪ من الصناعة اللبنانية).

بدأت قصة الهلال الأحمر الفلسطيني في المخيم عام ١٩٦٩ عندما افتتحت العيادة الشعبية في وسط المخيم، وكان يفرز لها طبيب يداوم صباحاً ، وغالباً ما يعود ظهراً، عندما ينتهي من معاينة المرضى. ومع انتقال ثقل الثورة الفلسطينية إلى لبنان واستمرار المؤامرة على الشعب الفلسطيني هناك، خصوصاً في معارك ١٩٧٣ ، والتي خرج الناس منها بدروس كثيرة منها:



- تأليف اللجان الصحية

- ضرورة إنشاء مستشفى مستقل في المخيم لإمكانية تعرض المخيم للحصار.
- شكلت لجنة لجمع التبرعات من الأهالي واتحادات العمال.

بدء في بناء المستشفى عام ١٩٧٣ في مكان المسجد القديم على أن يبقى للمسجد طابق فوق المستشفى. كان واضحاً منذ البداية أن المستشفى في ذلك الموقع يجب أن يكون محصناً، وأن يكون قادراً على الصمود في وجه القصف المعادي. لذا فقد صمم على أن يكون المستشفى تحت الأرض، في طابق يحوي غرف العمليات والأقسام الداخلية والأشعة. أما الطابق الأرضي فقد كان مخصصاً للعيادات الخارجية والإدارة والصيدلية، وقاعة للمحاضرات. وعندما بدأنا العمل في المستشفى في شهر حزيران ١٩٧٥ لم يكن جاهزاً عدا عن العيادة الخارجية، والتي كانت من الغرف المخصصة لإتحاد العمال. وكان تحوي في نفس الوقت الصيدلية وغرفة الطوارئ.

وبعد فترة بسيطة نقلنا العيادة الخارجية إلى الغرف الأخرى التي كانت جاهزة، وتم فصل الصيدلية في غرفة خاصة، وبدأنا في تجهيز غرفة الطوارئ والمختبر واستقبال الجرحى.

كان الهدف الأول والبعيد هو تجهيز غرفة العمليات للجراحة الصغيرة للتخفيف عن غرفة العمليات الكبيرة الكثير من العمليات العاجلة والصغيرة. ثم باشرنا العمل في القسم الذي تحت الأرض، والذي لم يكن جاهزاً، وقد مضى العمل بسرعة لاعتماده على الفنيين من أبناء وسكان المخيم. ووجودهم أثناء الحصار. وقد استقبلنا أولى الإصابات في غرفة الطوارئ أثناء القصف الوحشي على المخيم بتاريخ ١٩/٥/١٩٧٥.

ثانياً - مهمة المستشفى في المخيم:

المستشفى في المخيم له مهمات عديدة منها: - مهمة صحية وتنقسم إلى قسمين: علاجية وتربوية:

أ - مهمة علاجية: إسعاف الجرحى، إخلاء الجرحى. وتشمل المهمة العلاجية في الأوقات العادية، علاج المرضى في العيادة لخارجية، وقد كنا نستقبل معدل ٦٠-٧٠ مريض يومياً أي حوالي ٢٠٠٠ مريض في الشهر، بالإضافة إلى الجراحة الصغيرة.، وكان الأطباء مقيمين في المستشفى مما يعني استقبال الحالات ٢٤ ساعة.

وفي ظروف الحصار كان عدد المرضى يزداد لعدة أسباب

١- الأزمة النفسية التي يسببها الحصار والقنص والخطف والقصف.

٢- عدم إمكانية الذهاب إلى أطباء آخرين خارج المخيم.

٣- قلة التغذية نتيجة الحصار ، مثلاً نقص الخضروات بشكل عام. وقد بلغ عدد المرضى في يوم واحد من شهر كانون الثاني ١٩٧٥ حوالي ٢٤١ مريضاً، وفي أسبوع حوالي ألف مريض.  
وقد تم ملاحظة بعض الأمراض النادرة مثل:

- فقر الدم لهلالي والثلاسيميا ثلاث حالات
- متلازمة داون عشرة حالات.

ومن خلال الفحص المستمر والعلاج طيلة الفترة يمكن إعطاء الملاحظات التالية عن أهم الأمراض التي كانت منتشرة:

- ١- فقر الدم العام ونتيجة للفحص المخبري فقد كانت نسبة الهيماتوكريت عند الرجال تتراوح من ٣٩-٤٢ ، وعند النساء من ٣٥-٣٩.
- ٢- التهاب اللوز عند الأطفال بشكل خاص ، وخصوصاً الالتهابات المتقيحة.
- ٣- مرض الروماتيزم ، وخصوصاً الثلاث ظواهر التي تسببها التهاب اللوز وهي التهاب المفاصل، التهاب الكلى والقلب.
- ٤- الديدان بأنواعها، وكانت منتشرة بشكل ملحوظ، حيث كنا مضطرين لإجراء فحص الخروج لكل رابع أو خامس مريض في العيادة.
- ٥- النزيف النسائي والإجهاض ، خصوصاً نتيجة القصف وكنا نجري بمعدل عملية تنظيف يومية.
- ٦- الالتهاب الجلدي المتقيح، وخصوصاً عند الأطفال ونتيجة لسوء التغذية.
- ٧- الجرب، وقد قمنا بحملات جماهيرية لمكافحة الجرب، حيث تم توزيع الدواء على البيوت عندما يكتشفه المرضى.
- ٨- أمراض الكلى، وخصوصاً من رواسب الأملاح في البول تظهر في المختبر.
- ٩- الربو ، وقد لاحظنا انتشاره أيضاً عند الأطفال بشكل كبير، وينتج عن انحصار الأطفال في الملاجئ من جهة، وعن الوضع الصحي العام المتمثل بانتشار القاذورات ومياه المجاري بالإضافة للضعف العام.
- ١٠- الفطريات الجلدية وخصوصاً التينيا. وهو ناجم عن سوء النظافة العامة وقلة استعمال المياه بشكل عام.

ب - مهمة تربية:

إن خصوصيات الوضع الفلسطيني في المخيمات وحقيقة وجود الثورة الفلسطينية . وما تحدثه من تغيير في الوعي لفلسطيني من اكتشاف القدرة الذاتية على العمل، وما يضاهاه ذلك من الآمال على جميع أنواع العمل الثوري والتنظيمي والجماهيري. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى الوضع الصحي السيء الذي تعيشه المخيمات، والذي يعود لعدة أسباب:

- ١- الجهل الصحي العام
- ٢- سوء التغذية
- ٣- انتشار القاذورات والمزابل
- ٤- انتشار المجاري المكشوف
- ٥- عدم وجود جهاز صحي في المخيمات للعناية والإشراف على الصحة العامة.

- إن خصوصية الوضع قادتنا إلى وضع تصور للعمل الطبي الجماهيري كانت دعامته:
- ١- الانفتاح علي الجماهير وإقامة العلاقات الانسانية مع الجميع.
  - ٢- رفع المستوى الصحي عن طريق التوعية اليومية في العيادة
  - ٣- تربية الكوادر الصحية، والتي كان لها عدة مهمات
- رفع مستوى الصحة عن طريق الاحتكاك والاختلاط (السهرات العائلية والأفراح)
- مساعدة المستشفى في الحالات الطارئة وفي الحملات الطبية الجماهيرية مثل حملة التبرع بالدم والتطعيم ومكافحة الجرب والذباب.
- المساهمة في إخلاء الجرحى أثناء القصف وتقديم الإسعافات الأولية إلى حين نقل المصاب إلى المستشفى.
- المساهمة في نشر الأساليب الصحيحة للعناية بالطفل والمرأة الحامل.
- من هنا انطلقنا لعمل دورات الإسعاف ، والتي كانت بمثابة دورات إسعاف وتمريض مكثفة تبعتها فترة تدريب في المستشفى ، حيث يكون التلاميذ تحت إشراف ممرضين متدربين ، وطبعاً تحت إشراف الأطباء. وقد أمكن تخريج خمس دفعات بالتعاون مع اتحاد المرأة الفلسطيني:
- مخيم تل الزعتر ٤٥ فتاة  
مخيم جسر الباشا ٢١٣ فتاة  
حي الأشهب والفنار ١٨ فتاة  
الحزب الشيوعي في المخيم ١٦ فتاة  
ودرورة المرشدات ٢٤ فتاة وشاباً واحداً.  
والمجموع ١١٥ .

كما تم توزيع المتدربين على المجالات الأخرى غير التمريض مثل الصيدلة والمختبر والأشعة، حيث تم تدريبهم على العمل، فكانوا يساهمون في إراحة الفنيين والحلول مكانهم في بعض الأحيان. وفي المعارك الأولى تم توزيع ست نقاط إسعاف على أنحاء المخيم، وخصوصاً عند المقاتلين ، حيث كانوا يؤدون الخدمات الأخرى بالإضافة للخدمات الصحية. وقد كنا كأطباء نقوم بجولات شبه يومية كافية على هذه النقاط ، حيث يجري عقد جلسات للنقاش السياسي والاجتماعي مع المقاتلين والأخوات.

أما بالنسبة لكوادر المستشفى فقد كانت تعقد لهم اجتماعات أسبوعية تبحث في أخطاء العاملين والنقد العام من أجل زيادة النشاط والعمل بأسلوب أفضل، ثم اتفق على برنامج دراسي لرفع الكفاءة العلمية للكوادر، وكان البرنامج كالتالي:

- درس في التمريض الجراحي
  - درس في التمريض العام
  - درس في الصيدلة
  - درس في المختبر
  - درس في اللغة الانكليزية
  - درس في العمليات العمل في غرفة العمليات.
- وقد أمكن تخريج ممرضات العمليات بسرعة، حيث كانت الدروس يومية، وتزيد على الساعتين، وأمكن افتتاح غرفة العمليات والقيام بعمليات كثيرة.

و جدير بالذكر أن عدداً من الممرضين لم يكن لهم علاقة بالتمريض، ولكن ظروف الحصار حتمت عليهم القيام بعمل ما داخل المخيم، وكان بينهم الحداد والنجار ووتلميذ المدرسة والمدرس، واستطاعوا خلال الأحداث أن يكونوا ممرضين جديين في الاستقبال وغرفة العمليات.

#### دورة المرشدات:

لقد تم انتقاء أنشط الكوادر في دورات الإسعاف وأكثرهم تثقيفاً، وتم تنظيم دورة للمرشدات هدفها خلق جهاز من المتطوعين يكون همزة الوصل بين المستشفى وبين الجماهير، ويكون نواة لتشكيل لجان صحية منتشرة في كل المخيم. وقد روعي في الانتقاء التوزيع الجغرافي للتلاميذ، بحيث ينتشرون في كل المخيم، وقد تم وضع برنامج دراسي يشمل:

١- الأمراض المعدية أسبابها ومسبباتها.

٢- مكافحة الحشرات

٣- صحة البيئة: نظافة البيئة، الهواء والماء وتصريف القذورات.

٤- الدفاع المدني.

وبعد أن تم الجزء الأول، كانت هناك مهمة عملية، فقد طلب من كل تلميذ أن يأتي بأسماء الأمراض المعدية المنتشرة في منطقته، على مثال عشر عائلات من المنطقة الجغرافية.

لقد كان تقييم هذه الحملة ناجحاً طبيياً وجماهيرياً، إذ خرج التلاميذ أكثر استعداداً للعمل بعد لمس الأثر الإيجابي لتلك الزيارات والأحاديث في البيوت. وكانت هذه حافزاً لنجاح حملة التلقيح ضد شلل الأطفال التي تلت ذلك. حيث ذهب التلاميذ إلى البيوت، وهكذا تم تلقيح جميع أطفال المخيم في فترة بسيطة، وتم ملء الاستمارات اللازمة لمتابعة التلقيح للجرعات اللاحقة.

أما النشاط الاجتماعي فقد كان بالإضافة إلى جميع أنواع النشاط التربوي والجماهيري يأخذ مكاناً هاماً. فقد كنا نهدف إلى تحويل المستشفى إلى مركز صحي اجتماعي للمخيم، لذل حرصنا على إحياء المناسبات الاجتماعية مثل:

١- عيد المرأة، حيث جرى نقاش مفيد حول دور المرأة الفعال في المجتمع.

٢- عيد العمال، وقد تم توزيع جوائز تقديرية على أحسن العاملين في المستشفى. كما حرصنا على زيارة المرضى في بيوتهم، وكذلك المشاركة في الأفراح والأفراح. وكان من نتيجة هذا النشاط أن تحول سكان المخيم إلى أنصار ومساعدين للمستشفى، في تجهيز كل ما يحتاجه من أدوات وأدوية، حتى أن الصيدليات البيئية جلبت للمستشفى لمساعدتنا في سد النقص. بالإضافة إلى ذلك فإن حملات التبرع بالدم أصبح عادية جداً في المخيم، ولم يبق شخص إلا ويحمل بطاقة فئة دمه والدليل على تبرعه.

#### المستشفى في لطوارئ

لقد كان مستشفى الكرامة في تل الزعتر هو المستشفى الوطني الوحيد في المنطقة الشرقية. ، قد استقبلنا في الفترة الأولى عدداً كبيراً من الإصابات من

النبعة وبرج حمود والمسلخ، حيث كنا نستقبل الإصابات للقوى الوطنية والمقاومة الفلسطينية، ولكن هذا لم يمنع استقبال عدجة حالات في المستشفى من الطرف الآخر عوملت بطريقة جيدة. هيكل العمل كان كما يلي:

- نقاط إسعاف في مكان الإصابة
- إخلاء إلى المستشفى الميداني (مستشفى تل الزعتر)
- إخلاء من المستشفى الميداني إلى المستشفى الرئيس في بيروت الغربية) عندما كنا نستطيع ذلك). وفي تلك الفترة من العمل حيث كان بإمكاننا تحويل الجرحى والمرضى إلى المستشفيات المركزية، كان العمل في المستشفى يقتصر على الأمور التالية:
- الإسعاف الأولي في مكان الإصابة
- معالجة الجروح السطحية
- معالجة الصدمة
- وقف النزيف
- المحافظة على الحياة

## الاستقبال

١- الإسعافات الأولية التي تتم في مكان الإصابة حيث كانت فرق الإسعاف تخرج ومعها الحمالات عند القصف، لتعود بالجرحى إلى المستشفى ، وتجري لهم الإسعافات الأولية المحلية في مكان الإصابة ، مثل وقف النزيف، وحمل الجريح وإزالة الإنقاض.

وقد ساعدنا في ذلك وبدون تنظيم مستمر ، انتشار المسعفين في كافة أنحاء المخيم بطريقة طبيعية، كذلك دورات الإسعاف وبالذات للفتيات في مناطق التماس، مثل جسر الباشا وحي الأشهب وحي كركبا.

٢- معالجة الجروح: هناك ثلاثة أنواع من الجروح كانت مميزة كإصابة حرب. - إصابات الطلقات، وهي عادة إصابات نظيفة حيث تكون الرصاصة ساخنة ومعقمة عند دخولها الجسم،، وعادة كنا نحاول استئصالها، حيث كانت أهمية العملية تتركز في الناحية النفسية للمريض. حيث أنه يظل لا يشعر بالراحة طالما بقيت الرصاصة في جسمه، ويتحول إلي مريض دائم الشكوى. وكانت أكثر الإصابات تأتي من القنص المباشر وأثرها من رشاشات ال ١٦ والكلاشينكوف ، وقليل من رشاش ال ٥٠٠ م.م. العلاج المتبع كان عمل تنظيف للجرح، ثم توسيعه debridment ، وإزالة الأنسجة التالفة ، وإعطاء المضادات الحيوية. وهذه القواعد كانت متبعة في جميع الجروح الحربية.

إصابات الشظايا الناتجة بعد انفجار القنبلة، وهي جروح ملوثة نتيجة ارتطام القنابل بالأرض، والتي تنقل الكثير من الجراثيم أهمها جراحياً: التيتانوس أو الكزاز، والغرغرينا الغازية،

وعلى الرغم من وجود نظريات تقول بعدم إغلاق الجرح بتقطيبه، فقد جربنا في الفترة الأولى اتباع القانون العام في معالجة الجروح ، وقد وصلنا إلى

نتيجة مشابهة من حيث النتيجة، ومن حيث وقت الشفاء واستعمال المضادات الحيوية.

وفي الفترة الأخيرة من الحصار حين نفذت الأدوية والمطهرات ، اقتصر علاجنا على الجروح، وكان ذلك بتنظيف الجرح بالماء والملح المغلي والمبرد. وإزالة الأنسجة التالفة من قناة الجرح، ثم الغيار على الجرح كل يومين، إعطاء المريض السلفات أو البنسلين إذا توفر.

هذا ولم نستعمل الشاش المعقم لتغطية الجروح المفتوحة، بل كنا مضطرين لتغطيتها بالقماش العادي من القطن دون تعقيم، أو حتى الأقمشة الكيماوية الصناعية مثل الديولين.

وعلى الرغم من حرارة الجو وسوء التغذية والتي كانت تشكل بالإضافة إلى ما ذكر ، بعض العوامل غير المساعدة على الشفاء، فقد وصلنا لنتيجة متقاربة مع النتيجة الأولى في معاملة الجروح معاملة حساسة، أي عدم لمس الجرح إلا بالأدوات المعقمة. وأيضا الناحية الجمالية للجروح لم تكن سيئة. فأحد الجرحى ، وكان مصاباً بطلقة سطحية في بطنه، بجرح طوله ١٠ سم وعمقه حوالي سم واحد ، كانت نتيجة علاجه بعد عشرة أيام ؛ جرح ملتئم يظهر وكأنه عملية الزائدة الدودية بطريقة تجميلية. ولا بد من التنويه أن هذه الطريقة المفتوحة في معالجة الجروح قد استعملت من قبل الأمريكيين في حرب فيتنام، وهم ينصحون بها في علاج جروح الحرب.

أما بالنسبة لاستئصال الشظايا ، فقد كانت تعتمد على نتيجة الصورة الشعاعية:

- حجم الشظية

-مكانها بالنسبة للأعصاب والأوعية الدموية

-تأثيرها على الحركة أي على وظيفة العضو، ووجود كسور

-الوضع النفسي للمصاب.

إن إصابات الشظايا متنوعة حسب شكل الشظية والتي عادة ما تكون مسننة تجرح ما حولها، وقد استصلنا بعض الشظايا بحجم فنجان القهوة، كما استصلنا بعض الشظايا بحجم صغير يبلغ حبة العدس. ومن حوالي ٦٠٠٠ إصابة ، فقد بلغت حالات الإصابة بالتيتانوس حوالي خمس حالات وحوالي عشرين حالة من الغرغرينا في الشهرين الأخيرين. ولا ننسى أننا لم نكن نملك المضادات الحيوية اللازمة، وقد استعملت جميع أنواع القذائف الهاون ٦٠، والهاون ١٢٠، والهاون ١٥٥ ، و ٨١، و ٨٢، ١٠٧، بالإضافة إلى القنابل الفسفورية.

٣- الحروق:

وهي نسبة ضئيلة من الإصابات، إذ لم يكن يستعمل من القذائف المحرقة سوى القنابل الفسفورية، وإحدى الإصابات التي جئتنا كان الجريح يقصف بمدفع ال٧٥ حيث تعرض للنار المندفعة من الخلف، مما أدى إلى حروق شديدة في ساقه وسم وظهره.

الطريقة المتبعة في علاج الحروق: كانت استعمال الفازلين المعقم، ثم حضر مسحوق عبارة عن مخلوط من المضادات الحيوية من الفازلين والبنسلين.



وطحنت الأقراص باليد، وتم استعمالها بنجاح وبنتيجة جيدة، وكذلك صنعنا مرهماً خاصاً لعلاج الجروح من الفازلين وزيت الخروع، والسلفات والبنسلين.

#### ٤- معالجة الصدمة:

معالجة الصدمة تسبق أي علاج آخر، وذلك لأهميتها على حياة الجريح، وحالة الصدمة تتسبب عن

-النزيف الذي تحدثه الإصابة، سواء كانت طلقة أو شظية.

- طول الفترة التي تمر من وقت الإصابة إلى وصول الجريح، حيث كانت لقذائف تنزل باستمرار مما يعرض حياة المسعفين للخطر، وقد أصيب إحدى الأخوات فعلاً في فخذهما وهي تحاول إخلاء أحد الجرحى ، كذلك توفي أحد المقاتلين خلال الإخلاء.

- الصدمة العصبية الناتجة عن عدم معرفة الإصابة وتأثيرها وبالتالي الخوف الناتج عن ذلك.

- الحصار وقلة التغذية وقلة الأكل والإرهاق.

برنامج علاج الصدمة:

١- مراقبة ضغط الدم والنبض

٢- معرفة فئة الدم وقوته (الهيما توكريت)

٣- إعطاء ممدد البلازما فوراً Plasma expander

٤- إعطاء الدم

٥- رفع السقيين إلى مستوى ما فوق الجسم

٦- تدفئة المريض بتغطيته ببطانية

٧- إعطائه مضادات الألم مثل المورفين أو السوسيفون أو النوفالجين.

وكان إعطاء العلاج اللازم لا يستغرق أكثر من خمس دقائق ، يكون خلالها المختبر قد أجرى فحوصات الدم وأحضر الدم اللازم. حيث كنا غالباً نستغني عن خطوة مهمة وهي اختبار التوافق crossmatching نظراً للسرعة المطلوبة. ولم نلاحظ حصول أي حالة من صدمة التآقي أو تحلل الدم.

#### ٥- النزيف

وقف النزيف يعتبر من أهم قواعد الإسعاف ، وقد استعملت الطرق التقليدية في تخفيف شكل الإصابة وهي

- الضغط على مكان النزيف بواسطة القماش،

- أو ربط العضو النازف حسب موقعه ، وحسب نوع النزيف إذا كان وريدياً أو شريانياً.

العلاج بالأدوية: استعملنا الأدوية الموقفة للنزيف مثل فيتامين ك ، ووقف النزيف بالدم، أي إعطاء الدم للمريض للتعويض عن الدم المفقود من جهة وللمساعدة في وقف النزيف.

العلاج الجراحي: يفتح الجرح وتخيط مكان النزف، وقد صادفنا حالة نزيف إثر إصابة بطلقة إدت إلى قطع الوريد الساق، وتم علاجها فقط بواسطة الضغط، وعدم الحركة، ومع مرور الوقت توقف النزيف واستطاع المريض أن يمشي بشكل عادي.

- ٦- المحافظة على الحياة: كل الأمور التي ذكرت هي أمور أساسية من أجل المحافظة على الحياة، ولكن بقي هنا عدة أشياء . متى يكون التدخل الجراحي مهماً للحفاظ على الحياة الجريح الذي يكون معرضاً مباشرة للموت
- مساج القلب
  - فتح القصبة الهوائية
  - وضع أنبوب الصدر ، وسيجري شرح هذه المواضيع.

## الأعمال الطبية

### الجراحة:

في بداية العمل استطعنا أن نجهز غرفة الطوارئ بجميع المعدات التي تستعمل في الطوارئ بالإضافة إلى الأدوات الجراحية. حيث كانت الأدوات الجراحية موزعة بشكل وحدات جراحية ووحدات للغير. كنا نستعمل جهاز تعقيم صغير لتطهير الأدوات الجراحية. إن طبيعة الإصابات التي كنا نعالجها في البداية كانت الجروح البتية البسيطة، الكسور، وخاصة عند الأطفال. ولكن بعد اشتداد المعارك صرنا نستقبل الإصابات المختلفة من جميع أنحاء المنطقة الشرقية من المسلخ والكرنتينا وبرج حمود والنبعة وسن الفيل. وكانت الإصابات إما جراء القنص أو القصف ( رصاص، شظايا). وفي إحصائيات شهر كانون الثاني وشباط ١٩٧٦ ، كانت الإصابات كالتالي: ٤٧٪ الأطراف السفلى، ٢٢٪ الأطراف العليا، ١٧٪ إصابات الصدر، ٩٪ إصابات البطن، ٦٪ إصابات الرأس، واستأثرت إصابات القنص بالرأس والبطن. وكانت العمليات تجرى كلها في غرفة الطوارئ لعدم وجود غرفة عمليات.

### أولاً : إصابات الرأس:

كانت إصابات الرأس مميتة، وكان الجريح يصلنا وحالة التنفس عنده صعبة ، ومتقطعة، وكنا نجري له مباشرة الإسعافات الأولية على الوجه التالي: في الوقت الذي يبدأ في إعطاء الأكسجين ووضع أنبوب في الفم، ومحاولة امتصاص الزبد والرغوة، وتنظيف المجاري الهوائية العليا، كان الطبيب يستعد لإجراء فغر الرغامى (Tracheostomy) وخاصة إننا كنا ننقل الإصابات إلى المستشفيات في المنطقة الغربية. وعلى الرغم من معرفة مشاكل فغر الرغامى ، وخاصة المبكرة منها، عند إجراء العملية والصعوبات في التنبيب عند التخدير العام، لعدم تناسب قطر الأنبوب مع قطر فغر الرغامى، بالإضافة إلى المضاعفات اللاحقة من ضيق في المجاري الهوائية.

كنا نفضل التنبيب، ولكن نقل المريض إلى المستشفيات الأخرى جعلنا نتخوف من هذا الإجراء لخطورة حالة المريض للأسباب التالية:

- أ- عدم توفر سيارات إسعاف مجهزة بما يلزم مثل جهاز تنفس اصطناعي.
- ب - الصعوبة في نقل الإصابة وعدم معرفتنا بالوقت الذي يلزم لنقل الإصابة نظراً للظروف الأمنية.

كان فريق التمريض الذي يساعد الطبيب يكون قد انتهى وبالسرعة الممكنة من إعطاء جميع الأدوية اللازمة لذلك من مانيتول، وجلوكوز ٥٠٪ في الوريد، وديكادرون في الوريد، وكذلك وضع قسطرة في المثانة. معظم الحالات كانت تموت في الساعة الأولى وذلك للأسباب التالية

أ- خطورة الإصابة

ب - التأخر في نقل الإصابة

ت - عدم نقل الجريح بالطرق السليمة إلى المستشفى.

في فترة الحصار الأولى والثانية ، كنا نجري العمليات الجراحية الطارئة مثل فتح الجمجمة في المستشفى وكانت النتائج جيدة. كان هناك ٥ حالات بينها طفلة عمرها ٨ سنوات ، أجريت لها عملية في المستشفى وكانت ناجحة بالإضافة إلى حالتين ، كانت النتيجة لعد إجراء العملية هي الوفاة. أما باقي الإصابات فكانت قاتلة كما ذكرنا، وكان الجريح يموت في الساعة الأولى بعد دخوله المستشفى نظراً لخطورة الإصابة. ومن الحالات الخمس المذكورة ، هناك حالة واحدة كانت لها مضاعفات هي الصرع Traumatic Epilepsy ، أما الحالات الأخرى فمرت بدون مضاعفات ، وقد بقوا جميعاً تحت مراقبتنا الطبية حتى النهاية.

إحدى الإصابات كانت الإصابة فيها قد اخترقت العين اليمنى، حيث كسرت عظم الصدغ وخرجت من الأذن(الياس سغيني ٥٥ سنة) ، وأجريت له عملية وأزلنا العين اليمنى، وذلك لأنها تلفت برمتها. كما أجريت عملية تجميل للصدغ الأيمن، وبعد عشرين يوماً كان المريض في حالة جيدة، ومكان العين كان جاهزاً للعين الصناعية.

ولا بد من ذكر حقيقة ، وهي أن العمليات أجريت ولم يكن متوفراً لدينا فاتح الجمجمة Trepanom فاستعملنا مقذح الخشب العادي في فتح الجمجمة. في ٣ من هذه الحالات فتحنا الأم الجافية وقطبناها بعد ذلك مع وضع أنبوب نزع داخل الجرح تحت الجمجمة.

وفي حالتين لم تقطب الأم الجافية بعد فتحها، وكانت المضاعفات في إحدى هاتين حالتين نفاخ بعد الرضخ Traumatic emphysema.

الأدوية التي كنا نستعملها للرأس لتخفيف انتفاخ المخ هي: الديكادرون، المانيتول، الجلوكوز ٥٠٪، والفينوباربيتال والإيبانوتيونين،، وكنا نجري هذه العمليات تحت تأثير التخدير العام الوريدي بالكاتالار.

ثانياً: إصابات الصدر:

معظم إصابات الصدر كانت شظايا ، وكانت في معظم الأحيان تسبب نزيفاً في الرئة ، وكانت الإجراءات كمايلي:

١- فحص الصدر (الفحص السمعي)

٢- تصوير صدر الجريح على الأشعة.

٣- قياس ضغط الجريح

٤- فحص دم الجريح

٥- وضع الجريح تحت المراقبة.

وإذا لا حظنا ازدياد النزيف كنا نجري له عملية وضع أنبوب ، وذلك لإخراج الدم الموجود داخل القفص الصدري. وإذا احتاج الجريح لدم كنا نعطيه، وكان الجريح يوضع تحت المراقبة لمدة ٤٨ ساعة ، وتجري له عملية ضخ الدم المتجمع في الرئتين ويوضع له شفط مستمر في أنبوب تحت الماء. under water sealed bottle إذا كان هناك صعوبة في التنفس.

من جميع إصابات الصدر لم تحدث إلا حالتين من دبيلة الصدر Chest Empyema، مكثا في المستشفى حوالي الشهرين ، بعدها خرجا بحالة جيدة، حيث كانت تجرى لهم صور شعاعية كل ٦ أيام لمعرفة مدى التحول في حالة صدر الجريح.

وكان معدل بقاء أنبوب الصدر خمسة أيام. وكان الأنبوب يوضع بين اضلعين السابع والثامن، أو السادس والسابع على الخط الإبطي الأمامي linea axillaris anterior.

وضع الجريح في السرير كان نصف جالس، وكنا نراعي التهوية بالنسبة لهؤلاء الجرحى، وكان هناك قسم خاص في المستشفى.

جائنا في أحد الأيام من الحصار الأخير المقاتل أبو جمال. مصاباً برصاص قناص في صدره، اخترقت الرصاصة، وكانت من النوع المتفجر- الرئة اليمنى من الخلف وخرجت من الأمام، وكان مخرج الرصاصة كبيراً ، حوالي ١٠ في ٧ سم، وكان جزء كبير من الرئة قد خرج بفعل الضغط ، وكان الجريح بحالة صدمة عميقة نتيجة فقدانه للدم ، وكان هناك ٣ أضلاع مكسورة. أول ما فعلناه هو إغلاق الجرح مؤقتاً، ووضع الدم وذلك للتعويض ما خسره. أدخلنا الرئة إلى مكانها الطبيعي، قصنا رؤوس الأضلاع المدببة الثلاثة، وخيطنا العضلة الصدرية، وذلك لإغلاق القفص الصدري، وبعدها ضبطنا الجلد فوق العضلة ووضعنا أنبوب الصدر للجريح، بعد يومين كان المريض بحالة جيدة، وبعد ١٥ يوماً خرج من المستشفى، ورجع ليحمل السلاح مرة أخرى.

والحالة الثانية كانت لجريح أصيب في صدره وكان بحالة صدمة عميقة من جراء النزيف، كان ضغط الدم ٢٠/٦٠، وكانت فئة الدم ب سالب، B- وكنا في حيرة من أمرنا. أعطيناه بلازما، ولكنه كان قد نزل كثيراً، وعملنا له أنبوب صدر، وجمعنا الدم النازف من الصدر في كيس لنعطيه إياه مرة أخرى، ولكن حالة الجريح كانت سيئة، ولم يعيش طويلاً بعد العملية.

ثالثاً: إصابات البطن.

في بادئ الأمر كانت جميع إصابات البطن تحول إلى مستشفيات المنطقة الغربية ، بعد إجراء الإسعافات اللازمة. وكانت تتلخص في الآتي:

١- نفحص المريض للتأكد من وجود نزيف داخلي، فكنا نراقب ضغط الجريح والهيموكرت، بالإضافة إلى حالة الجريح.

٢ أخذ صورة شعاعية للجريح

٣- وضع أنبوب قسطرة في الإحليل للتأكد من عدم إصابة الكلى والمجاري البولية.

وكان الجريح يحول لمستشفيات المنطقة الغربية مرفقاً بتقرير طبي عن الحالة ، بالإضافة إلى الأدوية التي أعطيت له وجميع المحاليل والصور الشعاعية.

عند الحصار لم يعد بالإمكان تحويل الإصابات ، فكنا نضع الإصابة على الغذاء بواسطة الوريد والمضادات الحيوية ، على أمل أن تفتح الطريق ، ونستطيع تحويل الإصابة إلى غرفة عمليات بمستوى تخدير معين نستطيع معه إجراء العملية. وهكذا حولنا إصابات إلى المنطقة الغربية على الرغم من طول المدة بعد الإصابة. وكان هناك إصابات قد مضى عليها ١٢ يوماً ، حولن إلى المنطقة الغربية، وأجريت لهم عمليات ونجحت رغم طول المدة.

وهناك إصابات شظايا في البطن خرجوا من المستشفى دون عملية معافين، وبحالة جيدة. في الأيام الأربعة الأولى كانوا على تسريب وريدي، وبعدها حولوا للسوائل بواسطة الفم، وبعد أسبوع على الأكل الطبيعي. في فترة الحصار الأخير كان عندنا غرف عمليات. بدأنا نجري العمليات الجراحية على البطن، ولم نكن نستعمل الكاتالار في التخدير، لتخدير عمليات البطن وذلك لأنه لا يتيح ارتخاءً كاملاً لعضلات لبتن، وقد استعملنا التخدير بواسطة التنفس بالقناع، وكانت هذه الطريقة تتيح لنا إجراء العملية.

كانت نسبة النجاح ٥٠٪ ، وكانت ميزتنا في الجراحة أننا كنا نخطط كل طبقات جدار البطن بقطبة واحدة، ولكن في المدة الأخيرة ، ولعدم وجود الأمصال ، بالإضافة إلى إخلائنا المستشفى ، وعدم وجود فني التخدير، لم نستطع إجراء هذه العمليات، وكان المريض يموت خلال ٣-٤ أيام، ونحن لا نستطيع أن نفعل شيئاً، غير إعطائه مضادات حيوية ، وإعطائه الماء بواسطة الملعقة في الفم بمعدل ملعقة كل دقيقة، وكان لهذا تأثير كبير على الناحية النفسية علينا كأطباء ونحن نرى الجرحى يموتون ونحن لا نستطيع أن نفعل لهم شيئاً. بالنسبة للأمصال ، لقد نفذ المصل من اليوم العاشر للهجوم ، وكان أن بدأنا بتصنيع المحاليل مثل الـ Saline, Glucose ، بطريقتنا الخاصة ، حيث كان هناك عدد كبير من الزجاجات الفارغة من البلازما بعد استعمالها، وكانت مغلقة إغلاقاً محكماً ومعقمة. فاستعملنا الماء المغلي ، وأضفنا له ملح الطعام بنسبة ٨٥٪ وبواسطة إبر ٢٠ سم مكعب ، أخذنا نهبيئ الزجاجات. وبعد تعقيم الزجاجات لمدة نصف ساعة نعيد الكرة بعد ساعة ، ونعقمها مرة أخرى. كنا نقوم بذلك عندما كان عندنا كهرباء ولكن مع انقطاع الكهرباء ونفذ المازوت ، لم نعد نستطيع عمل ذلك.

رابعاً: إصابات الأطراف العليا:

معظم إصابات الأطراف العليا كانت ترافقها كسور مفتوحة، وكانت مهمتنا بالدرجة الأولى تنصب على تخفيف الألم بالإضافة إلى وضع جبيرة حول الجزء المصاب ، ونقله إلى غرفة الأشعة للتصوير ، بعد إيقاف النزيف إذا كان موجوداً. وبعد التأكد من وضع الإصابة كنا نقوم بالجراحة اللازمة، حيث كان الجريح يعطى بنج عمومي بالوريد كاتالار وتجري عملية تنظيف الجرح وإزالة كل ما في قناة الجرح من أجسام غريبة وأنسجة ميتة ونضع جبيرة خلفية على اليد لنتمكن من إجراء الغيارات debridment بعد أن يشفى الجرح، وكما هذا يحدث خلال أسبوع إلى عشرة أيام، كنا نضع صندوق كامل من الجبص في حالة الكسور.

كنا نقوم بوصل ما تقطع من أوتار العضلات في بعض الأحيان، وأحياناً كنا نترك الأوتار على حالها إى حين التئام الجرح. وتجري للجريح عملية أخرى فيما بعد. أما بالنسبة للأعصاب ، فكنا حذرين من ذلك جداً، إذ أن أهم شيء هو إصلاح

حالة العظم ومنع النزيف والالتهاب. كان هناك حالة تقطيب عصب واحدة وكانت ناجحة وهي في العصب الإبطي. حدث أن جائنا في أحد الأيام جريح مصاب في ذراعه ، وهناك نزيف شرياني من الشريان الذراعي في الثلث الأسفل ، ولحسن الحظ كان بالإمكان إجراء ربط للشريان، وعند تحسس النبض كان بحالة مقبولة في الرسغ ، لأنه كان من الممكن أن يصل الدم إلى الساعد بواسطة فرع رديف ، ونجحت العملية، وبعد حوالي أسبوعين كان الجريح معافى وبحالة جيدة وخرج من المستشفى. أما عمليات الأطراف فكانت تتم تحت تأثير التخدير العام الوريدي الكاتالار أو التخدير الموضعي بالإضافة إلى الربط Tourniquet.

### خامساً لأطراف السفلية:

كانت معظم الإصابات في الأطراف السفلى ، وكانت نسبة الكسور عالية، ومعظمها في عظم القصبة، حيث كانت الكسور مفتوحة. أما طريقة معاملتنا هذه الجروح فهي بالإضافة إلى تنظيف الجرح وقطع الزوائد ، ترك الجرح مفتوحاً، أو تقطيب الجرح مع وضع أنبوبة نزح، ووضع جبيرة خلفية تسمح لنا بالتغيير على الجروح، وبعدها نضع جبس دائي كامل مع الكعب لتسهيل المشي عليها، وفي أحيان أخرى كنا نضع الجبس الدائري الكامل مباشرة، ونفتح نافذة في الجبس فوق الجرح للغير. وفي الجروح والكسور كنا نستعمل الأمبوسيلين واللينكوميسين. أما الكسور في الصابونة، فكنا نجري عملية الوصل بواسطة السلك المعدني، إذا كان الكسر أفقياً، وإذا كان عامودياً نتركه في الجبس. أما كسور عظمة الفخذ فكانت بالنسبة لنا تشكل عبئاً كبيراً في بادئ الأمر، ومعظمهم كانوا يأتون في حالة صدمة عصبية نتيجة النزيف ، بالإضافة إلى أن عملية الإسعافات الأولية في مكان الإصابة والنقل كانت صعبة وغير علمية. بعدها تسنت طرق الإسعافات الأولية والنقل وأصبحت الإصابات تصل إلينا بأقل قدر ممكن من المضاعفات. كنا نقوم بعملية شد هيكلية skeletal traction مع الوزن بالإضافة إلى مداواة الجرح، وهناك جزء كبير من الإصابات كنا نضع الجبس مباشرة مع نافذة فوق الجرح. كانت هناك إصابات في العضلات، وكانت تصيب الأوعية الدموية مثل الشرايين والأوردة، وهناك حالات تستحق الذكر. الحالة الأولى:

جاء جريح ، وهو مقاتل مصاب بشظايا قذيفة في الفخذ، ومساحة الجرح ٢٠ في ١٥ سم ، وعضلات الفخذ الأمامية كلها متلفة، إخلاء النمقاتل كان متأخراً وذلك لخطورة المكان، ونقل إلى المستشفى بحالة صدمة عصبية ، بالإضافة إلى تلوث الجرح بالتراب مما ضاعف من الإصابة ، فأصيب الجريح بغرغرينا ، رغم إعطائه ٦ وحدات دم، وجرعات عالية من البنسيلين جي، وحول الجريح إلى المنطقة الغربية إلى الجامعة الأمريكية ، ولكنه توفي بعد يومين من تحويله وبعد أربعة أيام من الإصابة. بعد هذه الحالة قمنا بالإجراءات اللازمة من التعقيم في المكان الذي كان فيه الجريح في المستشفى.

الحالة الثانية: لجريح كذلك تأخر إخلاؤه ، وكان الجرح كبيراً وهناك نزيف من الوريد العميق في الفخذ، ولم نستطع السيطرة على مصادر النزيف ، لأنها كانت كثيرة،



حول إلى الجامعة الأمريكية، وكانت الغرغرينا قد بدأت ، وأجريت له بسرعة معالجة بواسطة Hyperbaric chamber ساهمت في شفائه، كما عرفنا فيما بعد.

الحالة الثالثة: أصيب جريح في الجزء الأعلى من الفخذ، وأصيب الوريد الفخذي. جائنا الجريح بحالة صدمة عصبية. ما فعلناه هو أن فتحنا الجرح ، وربطنا الوريد، ثم تركنا الجرح مفتوحاً، أخرجنا المريض من حالة الصدمة بعد إعطائه الدم ووضعنا رباطاً مناً على الطرف السفلي، ووضعنا ساق المريض على جبيرة خلفية، وبعد ثلاثة أسابيع غادر الجريح المستشفى بحالة جيدة.

الحالة الرابعة: أصيب أحد المقاتلين بشظايا في رجله ، قطعت له الشظية الشريان الفخذي العميق، وأحدثت نزيفاً داخلياً ضغط على جميع الشرايين. وكان هذا الرجل سميناً فتحنا الجرح، وإزلنا اوذمة الدموية حتى نمكن الدم من الشريان في الشرايين الأخرى. ولكن وجدنا أن ساق الجريح بقيت باردة، ولا يوجد نبض على الساق، كما أن لونها أخذ يميل نحو الأزرقاق. لم يكن هناك إمكانية لتحويله ، وقررنا بتر الساق حتى لا تبدأ الغرغرينا بالصعود، ولكن الجريح رفض، وكذلك ذويه ، حاولنا إفهامهم بأن ذلك خطر على حياته، ولكن لم يوافقوا، إلا بعد يومين، وكانت الغرغرينا فوق الركبة. حاولنا أن نقوم بعملية البتر، ولكن الجريح توفي أثناء العملية من جراء الصدمة العصبية، على الرغم من وجود الدم وكل الأدوية ، ورغم ذلك لم نستطع إنقاذه، وكانت هذه هي الحالة الوحيدة التي يتوفى فيها الجريح أثناء العملية خلال عملنا في مخيم تل الزعتر.

قابلنا خلال فترة الحصار الأخير حالات غرغرينا غازية، وقد ارتفع عدد هذه الإصابات في الأيام الأخيرة من الحصار ويعود ذلك للأسباب التالية:

١- عدم وصول الرصاصة مباشرة ، وذلك لخطورة الطرقات نهراً.  
٢- كثرة الجرحى، وعدم تمكننا شخصياً من متابعة جميع الحالات والإشراف على الغيار.

٣- تدني مستوى التعقيم لعدم وجود الإمكانيات.

٤- معظم الرصاصات كانت من جراء الشظايا وتلوث الجروح بالتراب.

كنا نعالج حالات الغرغرينا الغازية بجرعات عالية من البنسيلين جي، وأحياناً كانت الجرعة تضاعف ، بالإضافة إلى إعطاء الدم. كانت هناك حالات التهاب بالزائفة الزنجارية ( Pseudomonas aurogenosa ) وكنا نعالجها بالغاراميسين، والمغاطس الدافئة مع السافلون المطهر، وتنظيف الجرح من كل الالتهاب، وأحياناً كنا نكرر الحمام موةرتين في اليوم، وكانت النتيجة إيجابية.

بنك الدم: اكتسب بنك الدم أهمية كبيرة خلال عملنا في المخيم، وذلك لأسباب عديدة أهمها:

١- عدم إمكانية الحصول على دم من البنك المركزي في حالات الحصار.

٢- طبيعة عملنا، حيث أن أغلبية الرصاصات كانت مصحوبة بنزيف حاد.

٣ الأمراض النسائية التي كانت في أحيان كثيرة مصحوبة بنزيف حاد.

٤- كان هناك عدد من الزطفال المرضى بأمراض الدم والذيمن كانوا يأخذون الدم شهرياً ، ومنهم كل أسبوعين.

٥- التبرع بالدم أهمية اجتماعية وإنسانية. كان المختبر بإمكانياته المتواضعة يقوم بأعمال بنك الدم، وكنا نقوم بحملات تبرع بالدم قبل وأثناء المعارك. وكانت عملية سحب الدم تتم كالتالي:

- ١- يفحص المتبرع، الضغط والقلب والهيما توكريت.
- ٢- يسأل المتبرع عن الأمراض التي تعرض لها سابقاً (الملاريا، أمراض الكبد، الغدد، السل).
- ٣- كنا تأخذ دمًا من المتبرعين الذين يرتفع الهيما توكريت عن ٤٠.
- ٤- نأخذ من أشخاص فوق سن ١٨
- ٥- لا نأخذ من الحوامل.

كان الحماس كبيراً بالنسبة للتبرع بالدم، وخاصة أثناء المعارك، فكثير من الناس تبرعوا أكثر من مرة. الفترة الزمنية بين التبرع أول مرة والمرة التالية هي ثلاثة أشهر. كان في المخيم ٥ حالات O- سالب، وحالتين A سالب، وحالة B سالب، وقد قمنا بتصنيف فئات الدم عند معظم الناس، لأن معظمهم كانوا قد تبرعوا، وكانت السجلات تساعدنا لمعرفة فئة الدم وتاريخ التبرع في المرة الأولى.

كان بنك الدم كفريق متكامل مكوناً من فني المختبر، يساعده أربعة متطوعين دربوا على تصنيف فئات الدم وتحديد الهيما توكريت (مكداس الدم، حجم الكريات الحمر في الدم)، وسحب الدم، وكانوا يعملون بإشراف فني المختبر. فني المختبر كان يعمل بإشراف طبيب مباشرة. كانوا يقومون بسحب كميات كبيرة من الدم لفترة بسيطة، وكان هذا يساعدنا عندما كنا نستقبل عدة إصابات في آن واحد. كان فني المختبر هو الذي يعطي الجريح الدم، ويراقبه لمدة ١٥ دقيقة، مع إعطائه مضاد للهستامين، بالضافة إلى تصنيف الفئة، كنا تجري اختبار التوافق (crossmatching)، ولكن هناك حالات اضطرارية كنا نعلق كيس الدم مجموعة O مباشرة إذا كان المريض بحالة صدمة عميقة.

في فترة الحصار الأخير لم يكن باستطاعتنا حفظ الدم، وذلك لعدم وجود كهرباء ولا ارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف، وهذا ما زاد في صعوبة إعطاء الدم. كنا نقوم بسحب الدم مباشرة من أشخاص نعرف فئة دمهم سلفاً، ونستدعيهم لهذا الغرض، أو نحضر مجموعة كبيرة من المتبرعين، ونحاول من بينهم أن نجد الفئة المناسبة ونعطي الدم بهد سحبه مباشرة.

في المدة الاخيرة وجدنا أن ٧٥٪ من الناس الذين تبرعوا بالدم، كانوا قد تبرعوا في وقت سابق، ولم يعد بالإمكان سحب الدم مرة أخرى لقصر الفترة الزمنية. كنا نستعيز عن ذلك بأخذ نصف الكمية الممكن أخذها أي ٢٥٠ ملم، أخذنا بعين الإعتبار تقليل كمية السيترات داخل الكيس، وجدير بالذكر أن جميع الممرضين والأطباء قد تبرعوا بالدم مرتين خلال هذه الفترة. في فترة الحصار عانينا كثيراً من نقص الأكياس، فقد نفذت الأكياس في تلك الفترة ولم يعد باستطاعتنا سحب الدم، وحاولنا أن نستعمل طريق الإعطاء المباشر، ولكن عدم وجود إبر مخصصة لذلك و محلول اليترات لم يمكننا من ذلك. كنا نعطي البلازما، ولكن البلازما لا يمكن أن تحل محل الدم الكامل، كنا في وقت لاحق قد طلبنا أكياس دم، ووصلتنا عن طريق الجبل مع مجموعة من المقاتلين، ذهبوا خصيصاً لهذا الغرض. وهكذا استطعنا أن نخلص من هذا المأزق، ولكن ذلك كان إلى حد ما قد أثر على عملنا.

في فترة الحصار الأخيرة كنا قد خزنا كميات كبيرة من أكياس الدم، ولذلك وعلى الرغم من كثرة الإصابات، لم تنفذ الكمية حتى أنه عند خروجنا من المخيم في اليوم الأخير، كان قد بقي ما يقارب ٢٧٠ كيساً، لأننا كنا حريصين جداً ، حيث تم استعمالها بطريقة تتناسب مع العدد الموجود.

الجروح: الجروح رافقت عملنا منذ البداية وكانت على ثلاثة أنواع: أولاً: الجروح البيتية، في البيت والشارع، وكانت منتشرة بين الأطفال خاصة.

ثانياً: الجروح العسكرية من جراء الشظايا والطلقات.

ثالثاً. الجروح الجراحية: التي كنا نجريها لاستئصال رصاصة أو شظية أو استئصال ورم دهني..

أولاً-الجروح البيتية: كنا نقوم بفحص هذه الجروح ومدى عمقها وتلف الأنسجة، ووصل ما تقطع من أوتار أو أنسجة إذا دعت الحاجة. كما نطهر الجروح ونضع القطب آخذين بعين الاعتبار الناحية التجميلية ، وخاصة جروح الوجه، وكان الجريح يعطى التقيح ضد (الكزاز) التيتانوس والمضادات الحيوية.ملاحظة: في المدة الأخيرة (الشهرين الأخيرين) عندما نفذت كمية التقيح ضد الكزاز وعدم وجود كهرباء للتبريد، كنا نستعيز عن ذلك بإعطاء جرعة عالية من البنسلين جي، والنتائج كانت إيجابية، حيث التئم الجرح بالطريقة الأولى بعد ثمانية أيام، وجروح الوجه بعد خمسة أيام.

ثانياً - الجروح العسكرية: كانت تنقسم إلى قسمين:

أ- جروح تسببها لطلقات

ب - جروح تسببها الشظايا

أ- جروح الطلقات كان الهم الأول هو معرفة تأثير لطلقة على الأنسجة الداخلية والشرايين والأعصاب. بعد الصورة الشعاعية كنا نقوم بإجراء الجراحة اللازمة. كنا نقم بتنظيف قناة الجرح، من جميع الأنسجة التالفة ونوقف النزيف، في حالة إخراج الطلقة كنا نقطب الجرح، وفي حالة عدم قدرتنا على ذلك كنا نقطب الجرح مع ترك أنبوب نرح داخل الجرح لمدة يومين.

ب- جروح الشظايا: كنا نعامل هذه الجروح بطريقة مختلفة لعدة عوامل أهمها: - تلوث الشظايا بالجراثيم.

شكل الشظايا المدب

- تعدد الشظايا.

كنا نقوم بعملية تنظيف الجرح من الأجسام الغريبة ونقطع النتؤات ونسوي الجرح debridment، وإذا أخرجنا الشظية ، نقطب الجرح ونترك أنبوب نرح لمدة يومين ، وإذا لم نستأصل الشظية كنا بعد تنظيف الجرح ووتسويته نتركه مفتوحاً بدوم قطب لمدة ٤٠-٧٦ أيام ، وإذا لك يكن هناك التهاب ، نقطب القطب،، أما إذا كان هناك التهاب ، فنترك الجرح يلتئم حتى ظهور التحب Granulation بدون التهابات.

إذا كان النقص في الجلد كبيراً من جراء الجرح ، كنا نقوم بعملية زرع وتجميل، كنا ننتظر حتى تتم العملية وبعدها نقوم بالزرع ، وعملية الزرع تتم على لوجه التالي:

١-معالجة الجرح حتى يتلاشى الالتهاب.

- ٢- الانتظار حتى ظهور التحبب Granulation
- ٣- استعمال جلد الفخذ بشكل طولي حتى يمكن تقطيب الجلد بعد ذلك.
- ٤- تقطيع الجلد إلى قطع صغيرة بحجم ١ في ٥، ٠ سم .
- ٥- غسل القطع بالماء والملح N. slaine
- ٦- رزعاها في الجرح على التحبب بشكل جزر.
- ٧- وضع طبقة حماية على الجرح من شاش الفازلين المعقم فوق القطع المزروعة.
- ٨- محاولة رش مزيج من الأمبيسيلين والهيدروكورتيزون بالحقنة على الجرح بكمية قليلة جداً وبهده وضع طبقات من الشاش ورشها بهذا المزيج. وعملية الزع هي عبارة عن عملية تحفيز للنسيج الظهاري، Epithelialization.

كنا نقوم بالغيار على الجرح في اليوم الثالث، وبعد ذلك تتغير طبقة الحماية ونعرف النتيجة كما يلي: إذا كان لون القطع أحمرأ فهي حية زرعت، وإذا كان فيها لوناً أسوداً، فهي ميتة، ويجب إزالتها. بعدها نرش الجرح بنفس المزيج السابق. لقد استعملنا هذه الطريقة خمس مرات ، وكانت ناجحة، حيث كنا نستعمل جلد الفخذ، والقطعة المأخوذة كانت بشكل ارفج. هذه العملية كانت تساعد على التئام الجروح الكبيرة.

ميزة هذه الطريقة هي إمكانية استعمالها بنجاح في الجروح ذات السطح غير المستوي.

كانت تقابلنا مشكلة كبيرة في الجروح العسكرية، فالجريح أو أهله كانوا يعتبرون أن الرصاصة أو الشظية إذا دخلت الجسم، ولم تخرج ، فالجريح معرض للخطر لشديد، وإذا دخلت الرصاصة وخرجت، فكانوا يعتبرون ذلك أمراً بسيطاً ما دامت قد خرجت. وكانوا دائماً يشددون على إخراج الرصاص والشظايا، وكنا نقوم بشرح الحقيقة للأهالي وللجريح.

٣- الجروح الجراحية: هي الجروح التي كنا نقوم باستعمالها أثناء إجراء العملية الجراحية مثل استئصال الورم الزهمي أو الدهني أو الروم العصبي أو قطع العجان أثناء الولادة.

الجراحات العسكرية: استئصال الرصاصة الشظية من مكان آخر غير المدخل. وكانت هذه الجروح تشفى بسرعة ، وكنا نزيل القطب في اليوم الثامن، أما على الوجه، فكنا نزيل القطب في اليوم ٤-٥ ، ولا بد من الإشارة هنا إلى ضالة نسبة التهاب الجروح بادئ الأمر، حيث كنا نعمل في ظروف تعقيم جيدة، بالإضافة إلى وجود أدوية ومطهرات، وإذا التهاب الجرح كنا نزيل بعض القطب ، وإذا كان الالتهاب شديداً كنا نزيل جميع القطب.

أما فترة الحصار الأخير، ونظراً لقلة الأدوية، وتدني مستوى التعقيم، وفقدان الشاش والقطن، فإن شدة الالتهابات قد ارتفعت. وكنا نترك الجروح بعد تنظيفها وتسويتها ونقوم بتطهيرها بالماء والملح مع إعطاء الجريح البنسلين جي. كذلك صادفتنا ما يقارب ال ٢٠ حالة من الغرغرينا الغازية، وبالنسبة لعملية البتر، كنا نتبع طريقة ترك الجرح مفتوحاً ونضع شاش الازلين، وبعد ٦-٧ أيام ونقوم بإغلاق الجرح.

أحد هذه الحالات هي حالة ايضا الممرضة السويدية، وقمنا بإجراء عملية بتر الذراع الأيمن وتركما الجرح مفتوحاً الغيار الأول بعد ثمانية أيام ، حيث كنا نقوم بتغيير الطبقات العلوية من الشاش، والغيار الثاني كان بعد حوالي أربعة أسابيع، وكنا من ذلك لا نريد زيادة الالتهاب ، نظراً لتدني مستوى التعقيم استعملنا الأمبيسيلين والبنسيلين جي. النتيجة كانت جيدة، ولم يحدث أي التهاب نطلقاً وتركنا الجرح مفتوحاً ليتسنى إجراء جراحة أخرى، وذلك لكي يتناسب المكان مع وضع الذراع الصناعية.

الأمراض النسائية والولادة: نظراً للمستوى الاجتماعي والصحي المتدني، وبحكم الموقع الجغرافي للمخيم، فإن الأمراض النسائية منتشرة. هذا إذا ما أخذنا عين الاعتبار أن متوسط الحمل عند النساء كان ٨ مرات، ومعظم النساء كن مصابات بضعف الدم والمستوى المتدني للميريات الحمراء في الدم Hemoglobine ، وكان يظهر ذلك في الشحوب والوهن وانخفاض الضغط، بالإضافة إلى إلتحليل الطبية التي تؤكد ذلك.

كانت معظم الولادات تتم في البيت على أيدي دايات (قابلات غير قانونيات)، كما كنا نجد عند إجراء الفحص النسائي الالتهابات والتغيرات في عنق الرحم، فعلى سبيل المثال بعد الولادة كانت تحدث عند معظم النساء تمزقات في عنق الرحم. وكان هذا التمزق يترك دون قطب، لعدم معرفة الدايات بذلك، فيحدث أن يشفى الجرح بطريقة يحث مع شفائه تغيرات في وضع عنق الرحم ، مما يؤثر فيما بعد على وضع باب الرحم والحمل بشكل عام.

ميزة أخرى كات تظهر في عدم معرفة الدايات بتوليد الخلاص، حيث يتقى قطعة داخل الرحم تحدث مضاعفات عند المرأة مثل الأوجاع ، والنزيف. وكثيراً ما كانت تأتي الينا نساء بعد الولادة بيوم أو يومين أو أكثر في حالات الآلام حادة في الجزء الأسفل من البطن مع نزيف. فنجري عملية تسييع وكحت D&C، وفي بعض الاصابات كانت المرأة تنزف كثيراً في البيت قبل أن تحضر إلى المستشفى، في حالة صدمة عصبية من جراء النزيف.

كانت عمليات ولادة كثيرة تم في المستشفى في بادئ الأمر، ولكن نظراً للوضع الاجتماعي، أي ارتفاع مستوى الولادة معدل ٧ ولادات يومياً في المخيم، بالإضافة إلى عدم وجود مكان للتوليد، حيث كنا نستعمل غرفة الطوارئ بعد تعقيمها، هذا إلى جانب طبيعة عملنا في ظروف عسكرية. أي إمكانية استقبال إصابة عسكرية في أي لحظة، جعلنا لا نشرف إلا على الولادات الصعبة، أو إذا كانت هناك مضاعفات من جراء الحمل مثل أمراض القلب أو الكلى أو الإرتعاج Eclamsy. هؤلاء الحوامل بعد المراجعة الأولى للطبيب، كن يوضعن تحت المراقبة الطبية طوال فترة الحمل. والبعض كان يزور الطبيب مرة كل أسبوعين أو مرة في الشهر، وهناك عدد منهن كن يراجعن الطبيب مرة كل أسبوع، وكانت تجري لهن فحوصات دورية للبول والدم وضغط الدم. ولا بد من القول أن العامل النفسي، لعب دوراً كبيراً في عدم انتظام الدورة الشهرية ، لتأثير ذلك على التوازن الهرموني، وخاصة الهرمونات الجنسية في جسم المرأة.

حالات النزيف كانت تعالج أولاً بواسطة الهرمونات الخاصة وخاصة البروجسترون، بالإضافة إلى المقويات لتعويض النزيف، وإذا لم ينقطع النزيف كنا بعد إجراء



الفحص اللازم للدم نجري عملية تنظيف وتوسيع D&C، وذلك بعد الفحص النسائي بواسطة منظار المهبل. حالات انقطاع الدورة الشهرية كنا نعالجها بالهرمون الأستروجين لمدة ١٥ يوماً ، وكان العلاج ناجحاً. أما حالات الإجهاض غير الكامل، والكامل فكنا نجري عملية تنظيف وتوسيع D&C ، بعد فحص الدم وتأمين الدم اللازم، تبقى يومين في المستشفى تحت المراقبة ، وتخرج بعدها إذا لم يكن هناك مضاعفات. عملية التنظيف والتوسيع D&C كانت تتم في غرفة الطوارئ بعد تعقيمها. وبعد أن أصبح عندنا غرفة عمليات ، كل هذه العمليات أصبحت تجرى في غرفة العمليات ، وتجدر الإشارة إلى أنه لم تحدث أية مضاعفات خلال فترة عملنا. كنا خلال معابنتنا للتساءل نشرح لهن جميعاً الإرشادات الصحية التي يجب أن تراعى ، وذلك لكثرة ما شاهدنا من التهابات في الأعضاء التناسلية ، ناتجة عن عدم مراعاة قوانين النظافة الشخصية. لم تصادفنا حالات سفلس. صادفتنا بعض حالات السيلان إحدى هذه الحالات

قبر شهدا- تل الزعتر في صبرا  
كانت التهاب الملتحمة السيلاني، Gonorrhoeal conjunctivitis

وعندما عاينت الأم ووجدنا أن الأب هو سبب العدوى، وكان تشخيص هذه الحالات يسبب بعض المتاعب العائلية. كان في المخيم ثلاث دايات، تحدثنا معهن بخصوص التوليد، وغسل اليدين واستعمال أدوات مطهرة أثناء التوليد، كما لا حظنا عندهن سوء استعمال بعض الأدوية مثل الأوكسيتوسبي، أو النتيرجين وشرحنا لهن مدى خطورة سوء استعمال هذه الأدوية ، بالإضافة إلى كيفية توليد الخلاص، وكثيراً ما كن يستدعين الطبيب، ويستعن بنا على الولادات المستعصية. ، كنا نشرح لهم قضية تمزق عنق الرحم، وكيفية وجوب التقطيب، وتعطى للوليد نترات الفضة ٢٪ أو بنسلين إذا لم يكن متوفراً. في للشهرين الأخيرين ، أصبحت إمكانية الحمل متدنية جداً نتيجة للوضع النفسي والاجتماعي للناس من جهة، ولشدة القصف وتواجد الناس فس الملاحي.

أمراض الأطفال: الأطفال في المخيم يشكلون الغالبية العظمى من السكتان (العائلة ٨ أشخاص) ، كثرة الأطفال في الأسرة بالإضافة إلى الوضع الصحي في المخيم، إلى جانب المستوى الثقافي للسكان ، جعل أمراض الأطفال كثيرة. وكلها ترجع بالدرجة الأولى إلى بنية الطفل ومقامة الجسم عنده، من خلال التغذية التي كانت تفتقر في حالة قبل الحصار الكمية المطلوبة من البروتينات، وفي ظروف الحصار تدنت مقاومة الجسم لدى الأطفال ، وذلك للنقص في المواد التمويينية عامة، وخاصة حليب الأطفال، وهذا ما جعلهم عرضة لأمراض عديدة. الأمراض السائدة بين الأطفال هي:

- ١- التهاب اللوزتين، وما يرافق ذلك من مضاعفات على القلب والكلى والمفاصل.
- ٢- أمراض سوء التغذية وما يرافقها من أمراض الكبد.
- ٣- أمراض الديدان بأنواعها.



- ٤- الإلتهابات الصدرية (التهابات الشعب الهوائية والربو)
- ٥- الأمراض الفطرية.
- ٦- الالتهابات الجلدية
- ٧- الجرب.

### الدروس المستفادة من التجربة:

- ١- رفع الوعي الصحي الجماهيري ضروري جداً ، ونستفيد منه بشكل عام، بالإضافة إلى الفائدة الخاصة في وقت الحرب، ذلك أن انتشار المسعفين في كل مكان بشكل تلقائي ، يختصر الوقت اللازم لإنقاذ الجريح وإسعافه ثم تحويله إلى المستشفى.
- ٢- وجود ظروف آمنة للأطباء والعاملين في الحقل الطبي لمتابعة العمل. لذلك فإن وجود غرف عمليات الطوارئ تحت الأرض ووجود مستشفيات تحت الأرض، بشكل عام يعطي الفرصة لتقديم أفضل الخدمات في أسوأ الأوقات.
- ٣- ضرورة تطوير قسم الطوارئ، وتدريب الكوادر بشكل جيد، ذلك أن أهم الأمور في الإسعاف للمريض هو قصر الوقت الذي يقدم فيه الإسعاف للمريض.
- ٤- ضرورة تخزين الأدوية اللازمة والكافية للحصار في كل مستشفى. ذلك أن القصف قد يمنع الحركة في أي منطقة، وبالتالي نقل أي دواء أو أي شيء آخر.
- ٥- ضرورة وجود موتور لتوليد الكهرباء في كل مستشفى لإحتمال انقطاع الكهرباء.
- ٦- ضرورة وجود خزان ماء أو بئر ارتوازي يضح بواسطة اليد.
- ٧- ضرورة وجود خطة طوارئ توزع فيها الأدوار على جميع العاملين ، بشكل مسبق، وعند حدوث أي حالة طوارئ يعرف كل دوره.
- ٨- ضرورة عمل جلسات علمية للأطباء تناقش فيها خبرات الجميع، وتساعد على رفع المستوى العلمي.
- ٩- ضرورة إجراء مسح جماهيري لغثات الدم لتسهيل الجمع في أوقات الطوارئ.
- ١٠- ضرورة وجود أدوات يدوية وبديلة للأدوات الكهربائية.
- ١١- ضرورة وجود فريق صيانة للأدوات يعمل بشكل خاص في قسم الطوارئ.

## الخاتمة

وبعد:

فهذا ملخص ناقص وسريع للتجربة الطبية. أول ما ينقصها هو الإحصائيات الكاملة، ثم الدراسة المبنية على هذا الإحصاء ، كما ينقصها تعميم للأخطاء المرتكبة، وهي تشكل جزءاً من التجربة. ولكننا نستطيع أن نذكر بعض مصادر الأخطاء

١- الكادر غير معد إعداداً كافياً ، ذلك أن معظم العاملين كانوا متدربين في المستشفى ، وصحيح إننا حاولنا رفع المستوى العلمي ، ولكن درجة الاستيعاب كانت مجالاً للاستفهام.

٢- عدم وجود جراح مشرف، سهل علينا الوقوع في الأخطاء، ولكنه أجبرنا على الاعتماد على النفس والرجوع إلى الكتب العلمية المتوفرة لدينا.

٣- عدم وجود الأدوية الكافية واللازمة مثل الأوكسجين،

٤- عدم وجود الأجهزة اللازمة مثل جهاز الامتصاص ، وجهاز الحقنة.

٥- عدم فعالية أجهزة التعقيم.

٦- وجود المستشفى في منطقة غير نظيفة في وسط المخيم بالقرب من المجاري المفتوحة والمزابل.

٧- بناء المستشفى من ناحية دورة الناس، والتهوية بشكل عام كانت مشكلة، لوجود المستشفى تحت الأرض ، فقد أصبح الجو بغياب التيار الكهربائي وعدم تشغيل المكيفات الكهربائية خانقاً.

٨- الجهل الصحي العام لدى الجماهير ، وحتى المسعفين.

٩- تأخر إخلاء الإصابات إلى المستشفى وبالذات في الفترة الأخيرة.

نحن لا ندعي أننا قد صنعنا معجزة طبية في تل الزعتر، إنها لا تتعدى تجربة طبيين مبتدئين اضطررا لمواجهة ظروف لم يكونا مستعدين لمواجهتها، أملين أن نساهم بهذا الجزء اليسير بمجمل التجربة الطبية للهلل الأحمر الفلسطيني والشعب الفلسطيني بشكل عام.

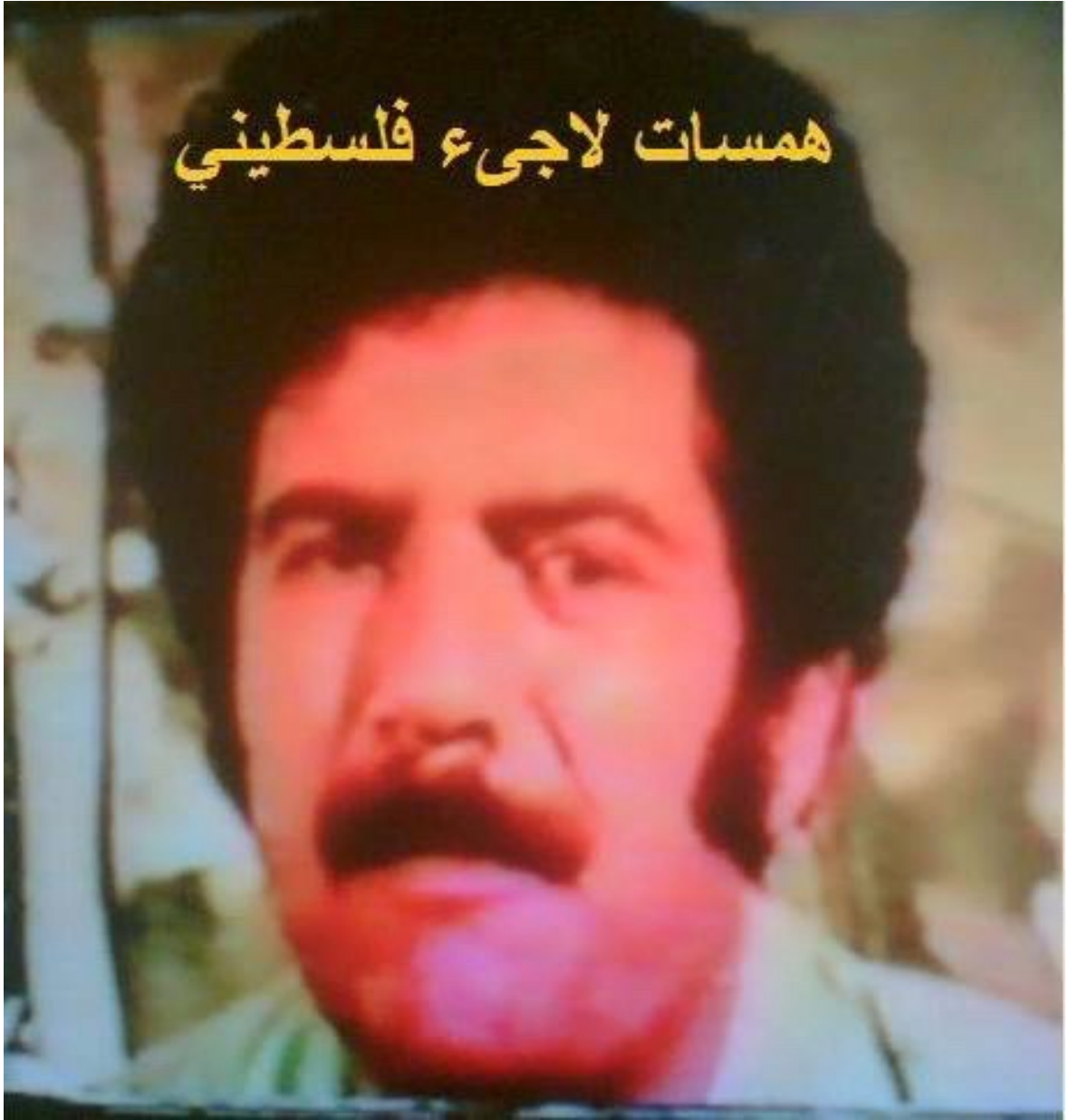
## المصادر

- مذكرات نزيه أبو نضال(من أوراق ثورة مغدورة) نزيه أبو نضال غطاس.نسخة الكترونية.
- حول التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية، منير شفيق، نسخة الكترونية.
- لبنان: تعايش في زمن الحرب من انهيار الدولة إلى انبعاث الأمة، اسم المؤلف :- تيودور هانف، دار النشر:- مركز الدراسات العربي-الأوروبي-باريس.
- د.سمير أيوب، البناء الطبقي للفلسطينيين، صامد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٤
- السلام المفقود، كريم بقرادوني، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت-لبنان ٢٠١٠
- لعنة وطن، كريم بقرادوني، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ٢٠١٠
- تل الزعتر، حسين فارس، ذاكرة فلسطينية خالدة دار الندى للطباعة والنشر - بيروت ٢٠٠٧
- تل الزعتر، علي حسين خلف، دار ابن رشد للنشر والتوزيع ، عمان ١٩٨٦
- يوميات طبيب في تل الزعتر ، د.يوسف عراقي ١٩٧٧
- إوراق تل الزعتر ، يا وحدنا، د. عبد العزيز اللبدي الإعلام الموحد ١٩٧٧
- الهلال الأحمر الفلسطيني . د. عبد العزيز اللبدي، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، عمان ١٩٨٦
- تل الزعتر الرمز والأسطورة الشهيد أبو أحمد الزعتر إعلام الجبهة الشعبية لتحرير - فلسطين، بيروت ١٩٧٧.
- مجلة الكفاح العربي
- منتديات شبكة أفواج أمل للإعلام.

- مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، العدد 65، سنة 1977. منظمة التحرير الفلسطينية
- الشرق الأوسط ٢٠٠١ ٤ نيسان باسم الجسر.
- حرب لبنان، سمير قصير ، دار النهار ٢٠٠٧

- رحاب كنعان، "تل الزعتر مملكة التنك وجمهورية الثوار" تونس 1994م
- الخرائط عن بيروت من: زلزال بيروت- اللواء محمود الناطور أبو الطيب.
- الصور من موقع جمعية أبناء تل الزعتر في بيروت، وبرلين.
- صلاح خلف أبو إياد، فلسطيني بلا هوية <http://alma3raka.net/IMG/pdf/falasteeni-2.pdf>
- مجزرة إهدن، ريشار لا بيغير، ترجمة ميشال كرم، ص ١٨١، ١٨٠- دار الفارابي- لبنان ٢٠٠٩
- زلزال بيروت، اللواء محمود الناطور، أبو الطيب. الطبعة الثالثة NSRC, ٢٠١٤
- <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
- <http://www.10452lccc.com/special%20studies/>
- <http://www.yabeyrouth.com/ain%20remani%20n.youssef.htm>
- <http://www.al-akhbar.com/node/240525>

[https://www.youtube.com/watch?v=HCwB\\_pWAVM0](https://www.youtube.com/watch?v=HCwB_pWAVM0)<http://natourcenter.info/portal/2015/08/17>  
- ابو الطيب- يكتب-  
ف/



عبد المحسن (نبيل معروف)

أبو ابراهيم ، استشهد في تلة المير.

شهداء مخيم تل الزعتر



همسات لاجيء فلسطيني





الشهيد محمد  
استشهد في  
مواجهة كمين

شهادة،  
الدامور في  
اسرائيلي

من اليمين سلمان، وأدهم ومحمد شهادة

من اليمين بهاء وعارف وفريال



الشهيدة سميرة بدران

مع فاديا سالم وعارف  
طه في بر الياس ٢٠١٥



حكايتي مع تل الزعتر





الشهيد  
حسن  
قدروة



الشهيد ممدوح  
رسلان



الشهيدة هناء شحرور







سيارات الصليب الأحمر في انتظار الجرحى

دخان يتصاعد من المخيم بعد القصف





تل الزعتر بعد هدمه





لوحة تل الزعتر ل اسماعيل شموط

لوحة تل الزعتر ، بريشة الدكتور يوسف عراقي









## الفهرس

أ-  
اتفاق القاهرة، ٤١، ٣٩،  
اتفاقية أوسلو ٦،  
أحمد أورفلي  
أحمد عوض  
اسرائيل  
أشرف دبور ، ٨،  
أمينة عراقي ، ٨،  
ابراهيم عدوان، ٨  
ألمانيا، ، ٩، ١٠، ١٣، ٢٣،  
، ٢٥، ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٤٣، ٤٤،  
اتحاد طلبة فلسطين، ١١،  
اتحاد سوفياتي  
أحمد أبو غوش، ٤٣،  
أحمد الخطيب  
أحمد الراس ١١  
أبو ابراهيم  
أبو أحمد الزعتر  
أبو حسن سلامة  
أبو الحكم  
أبو أشرف دبور  
أبو أمل

أبو إياد ١٤، ٥٠،  
أبو جبال  
أبو جهاد ١٤، ١٧،  
أبورياح  
إبو نائل ١٤، ١٨،  
إبو نضال، نزيه ١٤  
أبو علي إياد  
أبو عمار ١٧،  
أبو عماد الكردي ٣٢  
أبو السعيد،  
إبو شاكر، ٤٩، ٥٠،  
أبو الصلح ، ٢٢، ٢٤،  
أبو الطيب  
أبو العواصف  
أبو الفدا  
أبو الفواخر  
أبو محمد خليفة  
أبو محمد فريجة  
أبو موسى  
الأحرار  
الارتباط  
آخن ٣١  
أدهم  
إسعاف أولي  
اسماعيل فهمي



أكوامارينا

الكسندر ٣٢،

ألكسي زخريا ٤٨،

أم أسامة

آمنة سيف

أمين الجميل

أمين الحسيني

أنروا، ٤٥،

إيران، ٢٤،

إيطاليا، ٢٧

إيفا

إيلي حبيقة

إيوب

ب-

باكستان، ٣١، ٤٣،

بداوي ٣٦، ٤٢،

براد اللحم

برايتون ٢٧،

برج البراجنة ٣٥، ٤٥، ٤٨،

برج الشمالي، ٣٧، ٤٣، ٤٥،

برج حمود ٦

بريطانيا

البعث

بشير الجميل

البص، ٣٦، ٤٦،

بعلبك، ٤٦،

بلال الأوسط، ٤٧

يون، ٢٠، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٤١، ٤٣،

بولص

، برلين، ٦، ٩، ٢٧، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤،

بنيامسن بن اليعازر

بهاء

بيار الجميل ٤٩،

بيت مريببتهوفن ١٢

بيروت ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٦، ٤١، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٢،

بيدس ٣٥،

ت-

تركيا ٥٤

تل أبيب

تل الزعتر، ٦، ٣٧، ٤٢، ٥٣،

تل الأربعاء، ٣٩، ٤٠،

ث-

ثكنة الفياضية

ج-

الجامعة الأمريكية

الجامعة العربية، ٣٠،

جان هوفليغر

الجبهة العربية

الجبهة الديموقراطية

جرايفسفالد ٣٣

، الجزائر ٢٣، ٣٠، ٣٤، ٤٧، ٤٩،

جرش

الجزار

جسر الباشا ٣٧،

الجليل

جمعية الهلال الأحمر الأردني، ٥٠،

جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ٦، ٧، ١٩، ٤٨، ٥١، ٥٢،

، جمعية تل الزعتر، ٨

، جمعية تل الزعتر، برلين، ٨

الجمهور

جنيف

جوزيف أبو عاصي

جوزيف سعادة

الجولان

جونية

الجيش الأردني

الجيش الأمريكي

جيش التحرير

الجيش السوري

جيش الشرعية

الجيش اللبناني

جيش لبنان الحر

جيش لبنان العربي

جورج ديب

جورج متي

جنين ١٢، ١٣، ٢١،،

جيفارا ١٥

ح

الحازمية، ٤٨،

حافظ الأسد	راجي النجمي
حراس الأرز	رايسن
حرب الاستنزاف	رام الله ٤١،
حرب أكتوبر	ربحي ٢٣،
حرب تشرين	رحاب كنعان
حرش ثابت	رشاد أبو شاور
حركة أمل	الرشيدية، ٣٧، ٤٦،
حسام العوضي، ٤٤،	رشيد كرامي
حسان الشريف، ٤٥	روسيا ١٥
حسن الناطور، ٦، ٨،	ريمون إدده
، حسن أبو الهيجا، ٨،	ز-
حسن حمدان ١١	زحلة
حسن صبري الخولي	زغرتا
حسن نصر الله	زهير مناصرة، ٢٣، ٢٤، ٢٦،
حسين عيادي	زينب قاسم، ٨
حسين فارس	زياد
الحسينية	س
الحصار	السادات
حمدة عراقي	سايكس- بيكو، ٣٩،
حملة النظافة	السبت الأسود
حي كركبا	سعد الله الخليل، ٤٦،
حيفا، ٤٤، ٤٦،	سعد صايل
خ	السعديات
الخالصة	السعودية
خدمات طبية عسكرية	سعيد حمامي
الخليج	سعيد الدجاني ٤٦،
خليل الجمل	السلطة الفلسطينية ٦
خليل الوزير	سلمان
الخميني ١٥	سليمان فرنجية
د-	سمير أيوب
الدامور	سميرة بدران
داني شمعون	سمير قصير، ٤١،
داود كالوتي	سوبر شيرمان
دبابات	سوريا، ٢٩، ٤٠، ٤٤، ٤٨، ٥٢،
الدروز	ش
الدولة اللبنانية	شاديا الحلو
الدكوانة ٣٧	شارل حلو
دير الراعي الصالح	شاتيلا، ٣٦،
دمشق	شريف الأخوي
ذ	الشقيري ١٢، ٢٣،
ر	شمعون ٣٥، ٣٨، ٤٩،
	شمعون بيرز

علي معروف، ٤٦	الشيح
عمان ١٨، ١٩،	ص
عيزر فايترسمان	صائب سلام
عين الحلوة ٣٦،	الصاعقة
عين الرمانة	صالح زيدان
غ	صامد
غازي الحسيني ٢٣	صدام حسين
غرغرينا	صلاح
غزة ٥١	الصليب الأحمر الدولي ٥٠، ٥٢،
غشان مطر	الصليب الأحمر اللبناني
غورو	صيدا ٣٦، ٤٢، ٤٩،
ف-	صور ٤٥، ٤٦، ٤٨،
فاطمة شحيبر	الصين
فاطمة عوض فاديا سالم، ٨	، ، ض
فاطمة مهاوش	ضبيية، ٣٥
فاطمة النجمي	ط
، فتح	الطائف
، ٢٣، ٢٤، ٢٩، ٣٩، ٤١، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ١٠٠، ١٣، ١٤، ١٨، ١٩، ،	الطحين
فتحي عرفات ١٩،	طرابلس، ٣٦، ٤٩،
فخر الدين الثاني ، ٤٤، ٥٣،	طه
فرانس فانون ٢٣،	ظ
فرنسا	ع-
فرانكفورت ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣١، ،	عاموس جلبوع
فرن الشباك	عارق طه ، ٨
فريال	عبد الرحمن علاوي، ٣٠،
فصيل الآباء	عبد العزيز
فلسطيننا ٢٣،	عبد الله أبو حسان ٤٣، ٥٢،
الفكهاني ٣٠،	عبد الله فرنجي ٢٠، ٢٣، ٢٦،
فيتنام	عبد الناصر ١١، ١٣، ١٥، ٢٠،
الفينيفيين	عدنان أبو عياش، ٢٣
ق	عدس
القاموس الطبي العربي، ٧،	عز الدين القلق
القاسمية، ٤٨	عزيز الأحذب
القافلة	عكرمة عفاني ، ٩، ٢٧، ٣٠،
القاهرة	العرقوب
القذافي	عزت الأسمر، ٨،
القلعة	عصام السرطاوي
قصف	عماد طروية ٤٨
قمبز	عمر أورفلي
قنص	علي حسين خلف
قوات الأمن العربية	علي سالم
القوات اللبنانية	



القيادة العامة	محمد عبده
ك-	محمد شحادة
كامل مهنا،	محمد اللوياني، ٤٥، محمود شحرور
كامب ديفيد	محمود اللبدي، ١٠، ٢٩، ٤١،
الكتائب	محمود كمال، ١٤،
الكحالة	المرابطون
الكرامة، ٣٩،	المعشوق ٤٥
كرنتينا	معين السعيد، ٨،
كريم بقرادوني	معين الطاهر، ٨،
كزاز	،
كسروان	مصر ٥٢،
كفر شوبا	مصطفى عراقي
كوبا، ٦،	مصنع الأطراف ٤٤،
كولون ٣١،	معاريف
كمال جنبلاط، ٤٩،	معروف سعد
كمال ناصر	المقاومة الفلسطينية
كنعانيين	مقهى برازيليا
كسينجر	المكلس
ل	ملالة
لارس سيدمان	الملك حسين
لبنان ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٤٧،	
لندن ٣١،	ممدوح
ليلي شهيد	موريس سابا، ٤٨،
م-	موساد
مار الياس، ٣٦،	منظمة التحرير الفلسطينية ١٠، ١٢، ١٩، ٢٦، ٢٩، ٤١، ،
المتحف	منير شفيق ١٤
مجاهد سمعان	معزكة الكرامة ١٥، ١٨،
مجزة	معارك أيلول ٢٢،
مدرسة بيسان	المنصورية
المرابطون. ٤٩،	موارنة
المستشفى	موسى الصدر
مستشفى الجليل، ٤٥،	مونستر ٣١
مستشفى الحايك	موسكو
مستشفى حيفا	مونتني فيردي
مستشفى عكا، ٤٤	ميه وميه، ٣
مستشفى غزة	ميشال عون
مستشفى القدس ٤٨،	ميونخ، ٢٧، ٢٩،
مستودع العدس	ن،
مستوصف الجبهة الشعبية	نابلس ٢١،
مصطفى إكي	الناصر ٥٢
المسلخ، ٦،	النبطية، ٣٧، ٤١، ٤٢،
مصيف	النبعة

نبيل نصار  
نضال الناطور  
نبيل معروف، ٨  
نبيل قليلات ٩، ٤٣،  
نبيلة النشاشيبي  
نصر يوسف  
نضال الناطور ٤٤،  
نفق عيلبون ١٢،  
نور الدين عبد الهادي ١٣،  
ناجي علوش، ١٤  
نزيه أبو نضال ١٥،  
نهر البارد، ٣٦،  
نيو يورك ٣١،  
نيو يورك تايمز  
هـ  
هامبورغ ٣١، ٣٢،  
هايدلبرغ ١٠،  
هاني الحسن ١٤،

هرتسليا  
الهلال الأحمر الفلسطيني، ٤٣، ٥٠،  
هيثم  
و  
واصف عريقات  
وديع أبو عيدة، ٢٧،  
وكالة الغوث  
وليم حاوي  
ي-  
ياسر عرفات ١٥، ١٧، ٤٢،  
اليامون ١٠، ٢٢،  
يحي عاشور، ٢٢،  
اليمن  
يوسف حمد  
يوسف عراقي ٧، ٨،  
يوسف الناطور، ٨،  
يوسف اسماعيل ١٠،  
يونس الخطيب، ٥٣،



د. عبد العزيز اللبدي

مواليد حيفا ١٩٤٦

درس الطب في جامعة بون في ألمانيا، وتخرج من جامعة غرايفسفالد عام ١٩٧٤  
تخصص في الجراحة العامة في برلين -ألمانيا وتخرج عام ١٩٨٤ .  
حصل على شهادة الدكتوراة في الطب من أكاديمية الدراسات العليا-١٩٨٤  
برلين.

حاز على جائزة الطب العربية من إتحاد الأطباء العرب والرئيس الجزائري عام  
١٩٩١

مؤلفاته

أوراق تل الزعتر ١٩٧٧ بيروت الإعلام الموحد

الهلال الأحمر الفلسطيني، دار السنابل -قبرص ١٩٩٤

تاريخ الجراحة عند العرب، دار الكرمل عمان ١٩٩٢

القاموس الطبي العربي ، دار البشير- عمان، ٢٠٠٥

وردة كنعان - رواية تاريخية عن الكنعانيين(الفينيقيين) في صور وقرطاج دار  
الشروق ، عمان ٢٠٠٨

ذهب الرقيم- رواية تاريخية عن الأنباط والبترا - دار الشروق ، عمان ٢٠١٤

